العلم الثقافي

■ السنة 29 ■ السبت 27 يونيو 1998
ملحق اسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب ■ الادارة والتحرير ١١ شارع علال بن عبد الله - الرباط ■ الهاتف : [illegible] ■ الفاكس : [illegible] ■ ISSN [illegible] ■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

في بلاغ لاتحاد كتاب المغرب:

المؤتمر الرابع عشر في أكتوبر القادم

بدعوة من المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب انعقدت الدورة الثانية للمجلس الاداري بمقر الاتحاد يوم الاحد 14 يونيه 1998، وكان جدول الاعمال يتضمن نقطة واحدة هي التهيء لعقد المؤتمر الرابع عشر في دورة عادية. وبعد ان ذكر رئيس الاتحاد بالانشطة التي تمت بين دورتي المجلس الاداري (مؤتمر اتحاد الكتاب والادباء العرب في دمشق - لقاءات الشهر - إصدار منشورات الاتحاد - الاعلان عن جائزة الأدباء الشباب - الاعداد لندوتي «الكتابة والتصوف» و«تدريس الأدب المغربي في الجامعة...»، شدد باسم المكتب المركزي على ضرورة عقد المؤتمر الرابع عشر في وقته، اي عند تمام سنتين من تاريخ انعقاد المؤتمر السابق، التزاما بما ينص عليه قانون الاتحاد. وبعد مناقشة مثمرة بين اعضاء المجلس الاداري اسفر الاجتماع عن تحديد تاريخ المؤتمر الرابع عشر في النصف الثاني من شهر اكتوبر 1998. وتشكلت لجنة تحضيرية متكونة من المكتب المركزي واعضاء المجلس الاداري، إضافة إلى فعاليات اخرى من اعضاء الاتحاد على اساس أن تجتمع هذه اللجنة بتاريخ 12 يوليوز 1998 لتشكيل لجان العمل والشروع في الإعداد الأدبي والمادي لانعقاد المؤتمر.

اللهب المزدوج

صدر عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر ترجمة كتاب (اللهب المزودج) للشاعر المكسيكي او كتافيو باث وقد قام بترجمته الشاعر المغربي المهدي اخريف.

ويقول المؤلف إن لهذا الكتاب علاقة بقصيدته (رسالة الايمان) موضحا ان «اللهب المزدوج» هو لهب الحب والجنس معا.

نزار وأنا

صدر عن الهيئة العامة المصرية للكتاب بالقاهرة كتاب للكاتب الصحفي مفيد فوزي يحمل عنوان (نزار وانا).

ويقدر المؤلف في هذا الكتاب الشاعر العربي الكبير نزار قباني الذي رحل مؤخرا والذي احدثت قصائده في الحب والسياسة (حريقا هائلا) في الوجدان العربي كله.

وقد اختار مفيد فوزي اجمل ما كتب نزار وقدمه في هذا لكتاب مع صور شخصية لنزار.

قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية

قصائد من اسبانيا وامريكا اللاتينية هو عنوان الكتاب الذي صدر للشاعر المصري عبد اللطيف عبد الحليم (ابو همام).

وقدم الشاعر المصري في هذا المؤلف ترجمة لمختارات شعرية لشعراء من اسبانيا وامريكا اللاتينية.

روائي مكثر (اصدر حتى الآن خمس عشرة رواية)، اصغر اعضاء الأكاديمية الإسبانية (من مواليد 1956 ببلدة «اوبيدة» في مقاطعة «خايين»، أرض الزيتون والياسمين..) يذكرني بأصغر أعضاء الأكاديمية الفرنسية «كريستوف بوكوز» الذي سرقت منه علوم الرياضيات طفولته، ورمته شاباً يافعاً في احضان العجائز!

ترجمت سبعٌ من اعمال انطونيو الروائية إلى الفرنسية، اخرها رواية «بدر» عن دار لوسوي: وهي تحكي قصة إقدام شابّ سماك على اغتصاب وقتل الفتاة «فاطمة» في غيضة قصر الحمراء بغرناطة.

ثابتان اساسيان ينتظمان المتن السردي عند انطونيو مينيوس: - تمركز متواليات النواة الحكائية، في فضاءات مدينة «ماجينا» المتخيلة: - (لنتذكر دائما انها مشتقة من فعل «IMAGINAR» الذي يعني التخيل بالإسبانية، او من «IMAGO» باللاتينية. ومن معانيها الصورة المتخيلة. والخيال، والوهم.. كما في معجم «فيليكس غافيو» - 1934 ص (773) وحضور ثيمتي «العنف» و«التمزق النفسي» اللتين تتقمصان بنية البرنامج السردي العام في أعماله الروائية. هل هي قصة سقوط حضارة وقيام اخرى لم تتبين بعد ملامحها بوضوح؟

هل في الأمر ما يشي بفداحة تحولات «إسبانيا نهايات القرن»؟

الحق أن انطونيو مينيوس مولينا بكفاءته الأدبية العالية، يمتلك القدرة على تذليل الصوغ الفني، واختراق انغلاقية الواقع، ولحم المحسوس بالوهمي والمتخيل قدرة متميزة على تركيب هذه المتعلقات لصنع الحدث الفني داخل تسجيلية الحدث الصحافي. أ خارج إضبارة ذكرى ثورة ماي 68، نقرأ نص الحوار القصير الذي اجراه البير بنسوسان مع هذا الروائي الكبير.

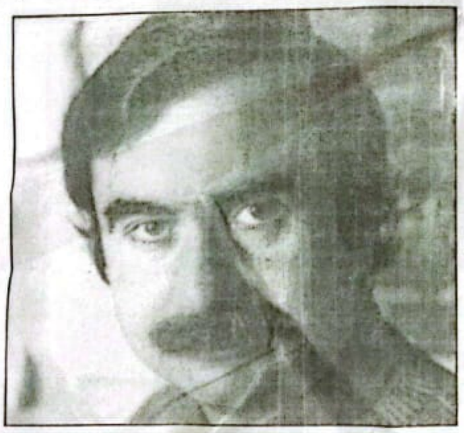

في لقاء مع الروائي الإسباني أنطونيو مينيوس مولينا:

الإنسانية مفتونة بمشاهد العنف

حوار: ألبير بنسوسان تقديم وترجمة: عبد الباسط الكراري

● من أين أتتك حكاية «البدر»؟

- يتعلق الأمر بخبر صحافي عن جريمة جنسية وقعت أحداثها في غرناطة، في غيضة قصر الحمراء، فعمدت إلى نقلها إلى مدينتي المتخيلة. انطلق كل شيء من صورة: - صورة المغتصب في الجريدة . بدا شاباً لائقاً، اشبه ما يكون بمناضل في الحركة الكاثوليكية.

● رواياتك تدور أحداثها قاطبة في «ماجينا». فهل يتعلق الأمر بمدينة متخيلة أم حقيقية؟

- إني اعيد خلق (UBEDA) مسقط راسي، باستمرار كما يفعل «فيلليني» (FELLINI) ببلدة «ريميني». فحدائق «لاكافا» حاضرة بذاتها، شانها في ذلك شان نُصب الجنيرال المثخن بالرصاص. وقبالة المدينة، توجد «لاسيرا دي ماجينا» التي اوحت لي باسم هذه المدينة المتخيلة. لكن نزل / مطعم «جزيرة كوبا» وقع ابتكاره كلياً. وهذه الأماكن التي تحفل بها جميع رواياتي تتغيا خلق نوع من التواطؤ مع القارئ.

● الشخصيتان الوحيدتان اللتان قدمتا مغفلتين من ذكر اسميهما في روايتك هما: مفتش الشرطة والمغتصب - وجها العملة الواحدة، في الواقع. فما هو التوازي الذي كنتم ترومون تضمينه من وراء ذلك؟

- نقبت ملياً عن اسم ملائم للمفتش لكنني اخفقت في إيجاده. فتركت لفظة «مفتش» على علاتها في كل المظان. ولم اتنبَه إلى اني اغفلت تسمية المغتصب بدوره إلاّ في النهاية. إنها عملية لا شعورية، غير انها دالة طبعاً.

● هل عانيتم رشح الجبين اثناء كتابة هذه الرواية؟

- لقد احسست دوماً بالتقزّز إزاء التصوير المجاني للعنف، واردت ايضاً ان انقل انطباع الصحافة القضائية. فقرات تقرير الطبيب الشرعي عن جريمة غرناطة، واستلهمته في التشريح الدقيق، وفي تحري الموضوعية على صعيد المعجم. وتجشمت من جراء كل ذلك العناء الكبير. بيدَ انه لا اثر للانسياق في توصيفاتي، بل على العكس من ذلك، قصدتُ إلى التعبير الشمولي بكثير من الاحتشام.

● ما الاهمية التي يكتسيها «الشعور بالذنب» في اعمالكم؟

- لا اشعر بانني مذنب، ولكن يخامرني إحساس بان الثقافة المعاصرة بنيت على مناهضة المسؤولية. وما هو طبيعي، في احوال كهذه، هو الإحساس بالخطا. وقد حاولت هنا إبراز أهمية الأفعال الفردية، بالرغم من صعوبة التصرف بنزاهة. فبحثت، ثمة، عن توازن بين الفظاعة والوضوح.

● والعنف في إسبانيا، كيف تفسرونه؟

- هناك، اولاً، عنف إرهابي يمتلك منطقه الخاص، يضاف إليه عنف عام، اوروبي، هو عنف تجاهل الآخر. والإنسانية مفتونة بمشهد العنف. لكن المغتصب في روايتي اشد خضوعاً لدوافع غريزية باثولوجية (مَرضيةَ) منها للعوامل الأيديولوجية: إنه يمتلك فكرة معينة عن المراة تجعله يشعر بالتعالي على الآخرين.

● لكننا نجد في كتابك، مع ذلك، رسالة تفاؤل. فهل تعتقدون في إسبانيا الديموقراطية؟

- انا «رجل انوار»، اومن بالأفكار الجمهورية بالمفهوم الفرنسي، واناهض فلسفة «الأضحية». انا مع «التعاقد الاجتماعي».

● ما هي مهامكم في الأكاديمية الإسبانية؟

- ممارسة مهنة الكتابة. ابحث عن الكلمات الصائبة لإدخالها إلى اللغة، وعلى سبيل المثال فقد ادخلت مؤخراً مفردة «يونكي».

● ما رايكم، اخيراً، في زملائكم الشباب الاستثنائيين (ارتورو بيريز ريفيرتي، خافيير مارياس، إلخ)؟

- نحن، ربما، اول جيل يقيم علاقة سوية مع صناعة الكتابة، ومع القارئ. فليس لنا ان نكون على هذه الشاكلة او تلك، ان نكون غرائبيين مثلاً.

فنحن كُتاب عاديون، ونحن خلقنا قراءنا.

- عن الماغزين ليترير -
عدد 365 . ماي 1998 - ص (91).

CS Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

● السنة 28 ● السبت [illegible] أكتوبر [illegible] ملحق أسبوعي ثقافي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

● المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب ● [illegible]

حول مخطوطات جديدة لذخيرة ابن بسام

• بقلم العلامة ليفي بروفنسال
• ترجمة: عبد الباسط الكراري

توطئة

■ قلائل هم أولئك الذين يدركون الجهود الجبارة التي أنفقت في سبيل جمع أقسام «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» للأديب الأندلسي أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (542 هـ) قبل أن تصدر مكتملة محققة بعناية أستاذنا الفاضل د. إحسان عباس (1). وقليل من هؤلاء يحيطون علماً بالخدمة الجليلة التي أسداها المستشرق الفرنسي والباحث الخبير بتاريخ الأدبين الأندلسي والمغربي «ليفي بروفنسال» (1894 - 1956)، ليس في لم شعث الأقسام الثلاثة الأولى من كتاب «الذخيرة» فحسب، وإنما في إقامة صرح الأدب الأندلسي على قواعد متينة من التنقيب والتوثيق والتحقيق، حتى صار بوسعنا اليوم تقدير الإضافة النوعية التي قدمها هذا الأديب إلى تراثنا العربي الخالد. وقد كانت أول صلة مباشرة لبروفنسال بذخائر الحضارة العربية في الأندلس عام 1923 يوم «وجهته» وزارة التعليم الفرنسية إلى الإسكوريال ليضع قائمة ما بها من مخطوطات أكثرها من بقايا خزانة السلطان مولاي زيدان السعدي التي استولى عليها الإسبان في عرض البحر، فمكنه عمله هذا من الاتصال بعدد وافر من أكابر المستشرقين الإسبان ومعرفة ما نشروه من دراسات، وكذا من العثور على مظان قيمة تتعلق بتاريخ المغرب الأدبي والاجتماعي (2). وأفادته رحلاته المتعددة في فضاء الخزانات العامة والخاصة داخل المغرب وخارجه، من توسيع آفاقه وتعميق معرفته بالتاريخ الحضاري والسياسي والاجتماعي للجناح الغربي من العالم الإسلامي حتى أصبح مرجعاً فيه. ناهيك عن اطلاعه الدقيق على عيون وخبايا الثقافة المغربية وخاصة ما تعلق منها بالحوليات التاريخية، وإدارته - قبل استقلاله - لمعهد الدراسات العليا المغربية (1925 - 1935)، وإشرافه ومشاركته في تحرير الطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية (E.I)، وإنشائه لمجلة «أرابيكا» (1954) المتخصصة في الدراسات العربية (3).

إن العلامة ليفي بروفنسال بحق شعلة متوقدة وينبوع ثر، خلف رصيداً ضخماً من المقالات والبحوث والدراسات الموزعة إلى مجالات التحقيق والتعريب والفهرسة والتأليف. وحظ الترجمة العربية من مؤلفاته ضئيل لا ينصف الرجل الذي نعلم أنه نذر حياته برمتها لخدمة التراث العربي الإسلامي. وقد انتقيت من موفور مقالاته هذه الدراسة الوجيزة (الصادرة بمجلة هسبيريس، الجزء (16)، (1933)، الترمستان 1 - 2، ص (158 - 161)) وهي تشكل أصلاً نص مداخلته التي قدمها إلى المؤتمر العالمي السابع عشر للمستشرقين المنعقد بأكسفورد عام 1928، وذيلت النص بهوامش استدراكية قصد الإيضاح وتحيين المعطيات التي تقادمت بفعل ما عرفته ساحة النشر والتحقيق من مستجدات.

هوامش التوطئة:

(1) - كان الكتاب قد طبع أول مرة بالقاهرة (1939 - 1945) متفرقاً منقوصاً ومنتشراً لايفي - رغم ما بذلته فيه اللجنة المكلفة من جهود مشكورة (وكان من أعضائها بروفنسال) - بحاجة دارسي الأدب والتاريخ الأندلسيين، ثم تصدر د. إحسان عباس لجمع ما تفرق من أقسام الكتاب وتصويب هناته وسد فجواته مستلهماً خلال ذلك منهج علمي أصيل ليخرج كتاب الذخيرة أخيراً مكتملاً محققاً في ثمانية أجزاء عن الدار العربية للكتاب (تونس - ليبيا) (1975 - 1979).

(2) - مؤرخو الشرفاء ليفي بروفنسال تعريب عبد القادر الخلادي مطبوعات دار المغرب 1397 - 1977، الرباط، المغرب ص (19).

(3) - المرجع نفسه ص (20 - 21).

نص الترجمة

■ منذ سنوات عديدة والخزانة البودليانية بأكسفورد تحتفظ ضمن محتوياتها من المخطوطات العربية بنسخة جزئية من كتاب في التراجم استرعى بأهميته - منذ أواسط القرن الماضي - انتباه العلماء المشتغلين بالتاريخ السياسي أو الأدبي للغرب الإسلامي في العصر الوسيط. إنه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، كتاب من تأليف الأديب الشنتريني الأصل، المتوفى عام 542 هـ (1147 - 1148 م) أبي الحسن علي بن بسام (وجوه 2) بحق سجل نفيس يعرض لمشاهير الأعلام الأندلسيين الذين تألقوا غداة فتح المرابطين المغاربة للجزء الإسلامي من شبه الجزيرة الإيبيرية، في فترة شهدت خلالها الحركة الفكرية إشعاعاً منقطع النظير، رغم قساوة المحن التي مرت بها من جراء الصراعات الدامية التي شجرت بين ملوك الطوائف.

ويشكل كتاب ابن بسام، فضلاً عن «قلائد العقيان» و«مطمح» الفتح بن خاقان، وثيقة مرجعية أمينة لا غنى عنها في الإحاطة بذلك العصر الذهبي القصير للثقافة الأندلسية. وكفاه فخاراً أن يكون، علاوة على ذلك، المصدر الرئيس في التاريخ لعصره السياسي الذي ما انفك يمتح منه قطاع عريض من المؤرخين المحدثين. وكان أول المنتفعين حقاً بكتاب ابن بسام المستشرق الهولندي «دوزي» مؤرخ إسبانيا المسلمة الذائع الصيت، حيث الجزء الأكبر المنشور من النصوص المتعلقة بتاريخ حكم بني عباد مستمد، في الواقع، من الذخيرة (3) اعتماداً على المخطوطات الثلاث المحفوظة تباعاً بالخزانة البودليانية، والمكتبة الوطنية بباريس، ومكتبة جامعة كوطه (4).

ومن محاسن المصادفات أن تشتمل كل واحدة من تلك المخطوطات الثلاث على ربع مغاير من كتاب ابن بسام: الأول موجود بباريس، والثاني بأكسفورد، والثالث بكوطه. أما الذي بباريس والمشتمل على مقدمة الذخيرة فقد شكل قسماً من مجموع مخطوطات «موهل» (J.Mohl)، ولم يستعمله دوزي إلا بعد الربعين الآخرين. وبقطع النظر عن فائدته المحض، فهذا المخطوط يتيح لنا إمكانية تصور سعة ومضمون المؤلف بأتمه؛ والواقع أن ابن بسام - تأسياً منه بطريقة جمهور الكتاب العرب في التصنيف والتبويب - أتبع مقدمة كتابه بقائمة جامعة جعل يرتب فيها الفصول التي سيتولى تحريرها في كل قسم من الأقسام الأربعة لذخيرته. وهذه القائمة المدونة كلها في مخطوطات باريس كانت قد لفتت، من قبل، انتباه «البارون دي سلان» الذي عمد إلى نشرها في المجلة الآسيوية (5) في قراءة متعجلة لم تبرأ في الغالب من الأوهام الكثيرة.

ثم أعاد دوزي فيما بعد نشر تلك القائمة ضمن الجزء الثالث من كتابه «مدونات عربية حول أسرة بني عباد»، وشفع كل واحد من الفصول المذكورة بإشارة إلى الصفحة التي تقابلها من مخطوطات باريس وأكسفورد وكوطه. وكنا سنعتبر مخطوطات ابن بسام الثلاث تلك أكمل ما وصلنا من الذخيرة حتى حدود السنوات الأخيرة لولا ورود خبر، منذ القرن التاسع عشر، بوجود نسخة من القسم الثاني مودعة بمكتبة جامع الزيتونة بتونس. وفي أعقاب ذلك التاريخ توصل المستشرق الإسباني «بسكوال دي غايانغوس» إلى اقتناء نسخة قديمة أيضاً من القسم الثالث.

إن مخطوطات ذخيرة ابن بسام التي ألمعنا إليها منذ قليل إنما تتعلق، كما هو واضح، بالأرباع الثلاثة الأولى من الكتاب. أما القسم الرابع الذي ما كنا لنحيط بفحواه إلا بفضل قائمة الفصول التي أثبتها المؤلف نفسه في تمهيده، فيمكن اعتباره في عداد المفقود، وهو يحول من ثم دون قيام طبعة محققة لمجموع الكتاب.

والحق أنه لا يجادل أحد في أن من بين روائع أدب الغرب العربي الكثيرة التي مازالت لم تطبع بعد، ليس يستحق سوى النزر اليسير منها التقديم على ذخيرة ابن بسام في أحقية النشر.

ومن شأن طبع هذا الأثر كما هو الحال بالنسبة إلى «الإحاطة»، ذلك السفر التاريخي الضخم في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (6) أن يواصل بجدارة سلسلة المبادرات الحميدة التي أفضت إلى طبع النصوص العربية التي تشتد الحاجة إليها لدراسة الأندلس «كنفح الطيب» للمقري (7) مثلاً، أو فهارس التراجم في «المكتبة العربية - الإسبانية» لكوديرا. وما يسبغ أيضاً على ذخيرة ابن بسام قيمة استثنائية هو ذلك الزخم الوفير من الاستشهادات التاريخية المحض التي قد نستخلص منها، والتي استقاها الأديب جميعاً من التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس لابن حيان.

وبصرف النظر عن الصنعة ابن بسام الشخصية التي لا مراء فيها، ففضله يكمن في أنه حفظ لنا مقاطع نفيسة من تاريخ لولاه لكان في حكم المفقود إلى الأبد. على الأقل في كليته نظراً لغزارته غير العادية. وإذا نحن صدقنا فعلاً ما يرويه كتاب التراجم العرب، «فمتين» ابن حيان لم يكن حجمه ليقل عن ستين مجلدة (8). ونحن نزعم أن ضخامة هذا المصنف تنتصب ذاتها عائقاً يصد يوماً دون تحقيق بله إمكان وجود نسخ تامة، وأن حظوظ العثور يوماً على بعضها تظل ضئيلة (9). وماهو جدير بالملاحظة، فضلاً عما تقدم، أن مؤرخين وكتاب تراجم أمثال ابن الأبار وابن عذاري لم يقتبسوا من ابن حيان، منذ حقبة قديمة نسبياً، فيئاً من النقول إلا من طريق ابن بسام، حيث ظل «متين» ابن حيان في زمانهم المتقدم في حكم المفقود، بلا ريب، ولولا الذخيرة لأفلتت، إلى الأبد، أخبار عن الجم الغفير من الأحداث التي طبعت سقوط الخلافة الأموية بقرطبة، ونشوء الممالك الطائفية الصغيرة، من زمام تحقيقات المؤرخين المعاصرين لإسبانيا المسلمة (10).

ولقد قمت، منذ سنوات عديدة، بتنقيبات في المغرب الأقصى، وفي المكتبات الخاصة بفاس ومراكش بوجه خاص أملاً في العثور على نسخ جديدة لذخيرة ابن بسام، فلم تسفر هذه البحوث في بادئ الأمر عن أي جديد؛ ثم كان العزاء عن هذا الإخفاق بالعثور في فاس على مخطوط الجزء الثالث من كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» وهو جملة أخبار جمعها في القرن الرابع عشر، أبو العباس بن عذاري المراكشي، ونشرها دوزي نقلاً عن مخطوط ليدن (11). وكان من شأن تحقيق النص غير المطبوع من هذا المخطوط ابتغاء إنجاز طبعة صدرت مؤخراً، أن يسعفني على سد الثغرات التي اكتنفت فقراً كثيرة من الذخيرة المنشورة من لدن المستشرق الهولندي استناداً على النسخ المحفوظة في المكتبات الأوروبية، سواء في «أبحاثه» (12)، أو في ما استجمعه من نصوص تخص تاريخ بني عباد (13). وقد تمكنت، فضلاً عن ذلك، من وضع اليد، في مخطوط «البيان» هذا، على مقاطع لابن بسام وابن حيان تبين لي أنها لم يسبق نشرها من قبل، وخاصة ذلك القسم الذي يعرض فيه للحاجب العامري الثاني عبد الملك المظفر. غير أنه في بحر تلك السنة نفسها، وبوتيرة مطردة، حالفني الحظ في اكتشاف أربع نسخ مجتزأة من الذخيرة، هي الآن في حوزتي أو تحت تصرفي، وهذا جرد موجز لها:

I - مخطوط قديم من القسم الأول من الذخيرة، ويشكل جزءاً من مجموعتي الشخصية، يحوي 28 ورقة، مسطرتها 0,27 × 0,20، مكتوبة بخط رقيق مضغوط (35 سطراً في الصفحة) ورقها داكن من النوع الرديء، عارية من التاريخ. والذي يؤسف له أن هذه النسخة مبتورة الورقتين الأوليين ومنقوصة الأخر، بها بعض الخروم الطفيفة إلا أني أحسب، مع ذلك، أنها أرقى في مجموعها من نسخة القسم الأول المحفوظة حالياً بالمكتبة الوطنية بباريس.

II - قطعة في 15 ورقة من نسخة بديعة عتيقة من القسم الأول (20 سطراً في كل صفحة، مسطرتها 0,26 × 0,20). بدون تاريخ، وهي جزء من مجموعتي الشخصية.

III - مخطوط حديث العهد نسبياً، عدد أوراقه 140، مسطرته 0,23 × 0,18 - في كل صفحة منه 23 سطراً. وهو ضمن محتويات مكتبة الشريف سيدي محمد عبد الحي الكتاني بفاس، وهذه النسخة تضاهي تماماً ما جاء في النسخة المحفوظة بأكسفورد، انتهاءاً بترجمة ابن عمار الإشبيلي.

IV - مخطوط عنوانه: «التقييد نبذة من رسائل أعيان أهل الجزيرة الأندلسية وملوكها ووزرائها وكتابها وبعض حكايات وأشعار من الذخيرة لابن بسام»، نسخة حديثة العهد لاتحمل تاريخاً، كتابتها رديئة، تقع في 192 ورقة، مسطرتها 0,21 × 0,15 - في كل صفحة 21 سطراً. وهذا المخطوط كما يدل عليه عنوانه، يشتمل على نبذ من ديوان ابن بسام.

وقد اقتصر فيه ناسخه على سياقة الرسائل المسجوعة التي أجرى ابن بسام ذكرها في اللمع المنسوبة إلى أعلامها. وهي منتخبات ترسلية صنفت اعتماداً على الأقسام الأربعة من الذخيرة. وهكذا فالرسائل المستخلصة من آخر جزء من المؤلف تشكل، بالتالي، القطعة الوحيدة من القسم الرابع. ومن نحو آخر، اهتدى الناسخ، بعد الفراغ من تدوين المنتقيات، إلى فكرة موفقة تمثلت في نقل جميع فصول ابن حيان التاريخية الواقعة في القسم الرابع نفسه كما وقع التنويه بها في اللمحة المختصرة التي استهل بها ابن بسام ذخيرته، ونعني بذلك:

أ - ذكر إمارتي الحاجبين العامريين المنصور والمظفر.

ب - أخبار بني ذي النون ملك طليطلة (14)

ج - أخبار ابن السقاء مدبر الملك الجهوري بقرطبة.

د - ذكر تغلب المقتدر على دانية.

ويجدر بي أخيراً أن أشير إلى أن العلامة وحاوي جمع الكتب النفيسة السيد «ح. ح. عبد الوهاب» حاكم المهدية (بتونس) قد تفضل فوعدني بإرسال مخطوط جزئي بتملكه من الذخيرة بيد أنه ليس لي الآن أن أعين على وجه الدقة مظان الجزء الذي ينسخ منه.

وعلى أي حال، فمنذ الآن، وبفضل توفر المخطوطات التي أتيت على وصفها باقتضاب شديد، إذا كان متعذراً إخراج طبعة كاملة لنص ذخيرة ابن بسام، فالأمر على غير هذه الصورة بالنسبة إلى ما تشتمل عليه من فصول تاريخية لابن حيان. فهذه الشذرات قابلة، بدءاً من اللحظة الراهنة، لترى النور في طبعة خالية من النواقص أو تكاد: وتلك إحدى المهام التي أنوي أن أستنفد فيها وسعي خلال الأعوام الآتية.

الهوامش

1. نص المداخلة التي قدمت يوم 28 غشت 1928، إلى المؤتمر العالمي السابع عشر للمستشرقين الملتئم بأكسفورد.

2) أنظر بروكلمان «تاريخ الآداب العربية» (الطبعة الألمانية (G.A.L) ج (1) ص (339)، وفرانسيسكو بونس بويغس «دراسة في تراجم ومؤلفات المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين»، مدريد 1893، ص (209) [بالإسبانية].

3 - ج (1)، ص (189) وما يليها، و ج (3)، ص (38) وما يليها.

4 - فيما يخص مظان الفهارس، ينظر بروكلمان (G.A.L) مذكور آنفاً.

البقية ص 10

حول مخطوطات جديدة لذخيرة ابن بسام

تابع........................ص3

5. الحلقة 5 . ج (17)، ص (261) ومايليها.

6 ـ صدرت طبعة قديمة لكتاب «الإحاطة في اخبار غرناطة» لابن الخطيب، عام 1319 هـ بالقاهرة، ونشر محققا بعناية الأستاذ محمد عبد الله عنان عن مكتبة الخانجي بالقاهرة (1393 ـ 1397 هـ / 1973 ـ 1977). وعلى نص التحقيق تعليقات وحواش من عمل الأستاذ البحاثة محمد ابن تاويت، نشرت مسلسلة بمجلة «المناهل» المغربية. [المترجم].

7 ـ يحيل بروفنسال هنا على الطبعة التي صدرت بليدن (1855 ـ 1861) بعناية دوزي وآخرين تحت عنوان:(ANALECTES SUR L'HISTOIRE ET LA LITTERATURE DES ARABES- D'ESPAGNE)؛ قبل أن يعاد طبع هذا الكتاب «نفح الطيب»، ويصدر بعناية الأستاذ محيي الدين عبد الحميد، وبَعْدَهُ محققاً على يد د. إحسان عباس. [المترجم]

8 ـ هذا كلام المقري ابن عذاري. [المترجم]

9 ـ نرجح أن «المقتبس من أنباء أهل الأندلس» لأبي مروان بن حيان إنما يعرض لتاريخ الأندلس من لدن الفتح الإسلامي إلى منتهى الدولة العامرية، أما «المتين» فيواصل استعراض وقائع تلك الحقبة إلى عصر ملوك الطوائف زمان ابن حيان المتوفى عام 465 هـ . ويذهب د. عبدالرحمن علي الحجي إلى أن «المتين » هو المصدر الأصل، و «المقتبس»، و «البطشة الكبرى»، و «أخبار الدولة العامرية»، وغيرها مختصرات منه. وقد صدرت بعض قطع المقتبس محققة بعناية الأب ملشور انطونيه (1937)، وعبد الرحمن علي الحجي (1965)، ود. محمود علي مكي (1971) وبيدرو شالميتا بمعاونة كورينطي ومحمود صبح (1979) ... ولمزيد من الإلمام بتاريخ ابي مروان بن حيان يحسن الرجوع إلى المقدمة القيمة التي مهد بها د. محمود مكي لتحقيق المقتبس ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت 1983، وكذا أعمال «ندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس»، مجلة «المناهل» العدد 29، السنة 11، جمادى الثانية 1404 ـ مارس 1984، وزارة الشؤون الثقافية ـ الرباط المغرب. [المترجم]

10) يكثر ابن بسام من النقل عن ابن حيان فنجده يقول مثلا: «وعولت في معظم ذلك على تاريخ ابي مروان بن حيان، فاوردت فصوله ونقلت جمله وتفاصيله، فإذا أعوزني كلامه، وعزني سرده ونظامه، عكفت على طللي البائد، وضربت في حديدي البارد...» ص (18) / ق (1) مج (1)، ويقول أيضا: «واكثر مايمر في هذا الكتاب، من هذا الباب، فعلى تاريخه الكبير عولت، ومن خط يده اكثر مانقلت؛ وتحريت جهدي اقتضاب ما طول، وتخفيف ماثقل، وإجمال ماشرح وفصل؛ على انه لم يخلص الي من غمامه إلا قطرة، ولا حصلت في يدي من حسامه إلا إبرة ....» ص (35)، ق (1) مج (1) تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1399 هـ ـ 1979 ـ [المترجم]

11 ـ أصدر بروفنسال في تاريخ تال لمداخلته هذه، الجزء الثالث من «البيان المغرب» لابن عذاري (عام 1930 بباريس)؛ والجزء الثاني ايضا بمعاونة كولان (1948) .[المترجم]

12 ـ يحيل بروفنسال ضمنا على كتاب دوزي «ابحاث في التاريخ والأدب بإسبانيا خلال العصر الوسيط الصادر بليدن (1820) في جزءين؛ والمعاد طبعه للمرة الثالثة بليدن ـ باريس (1881). [المترجم]

13 ـ يحيل بروفنسال هنا على كتاب دوزي «تاريخ بني عباد» (HISTORIA ABBADID-ORUM) الصادر بليدن عام 1846 ـ [المترجم]

14 ـ هذه القطعة كنا قد اعتمدنا عليها لكتابة مقال عن الفونسو السادس واحتلال طليطلة (هسبريس، الجزء12، 1931. ص (33) ومايليها)، واعتمدها الأستاذ رامون مننذز بيدال في عمله الرائع «ESPANA DEL CIDâ.

* يتعين الإشارة إلى أن هذه الترجمة قد تزامن الفراغ منها مع صدور تحقيق جديد للجزء الذي نشره الأب ملشور انطونية عام 1937. والتحقيق الجديد انجزه د. إسماعيل العربي (الجزائر) اعتماداً على مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد تحت عدد 509، وصدر عن منشورات دار الآفاق الجديدة بالمغرب (ط 1) في 190 صفحة. وننبه القارئ الكريم إلى أن المداخلة المترجمة تندرج في سياق مشروع شامل نشرنا جزءا منه عن ابن دراج القسطلي في مجلة «المنهل» السعودية، ع (536) المجلد (58) العام 62 ـ نوفمبر ـ ديسمبر 1996، ص (74 ـ 89) ـ بذا وجب الإخبار. [المترجم]

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 27 ■ السبت 5 أكتوبر 1996

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الإدارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 - ISSN0851
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

قراءات

■■ تعرف ساحة الاشتغال النظري على الخطاب القديم في مشارف خلفية التاسع هذا، لملئه عربيا أن على مستوى ما يناقش من أطروحات ورسائل في رحاب الجامعات، أو على مستوى ما ينشر من أبحاث ودراسات. وهي في عمومها، جهود علمية فردية بقلصها الدعم والتنسيق والتوجيه. في ظل غياب شبه الأمد للأجهزة والمؤسسات الوصية. وفي إطار تلك الجهود، تعززت واجهة الإصدارات الثقافية في القطر التونسي بظهور سلسلة «مساءلات» التي يشرف على تنشيطها الناقد المعروف د. توفيق الزيدي (أستاذ محاضر بكلية الآداب منوبة، جامعة تونس ١) وتدعيما لهذا الإنجاز الجديد، أصدر الناقد نفسه إنتاجه الرابع «عمود الشعر في قراءة السنة الشعرية عند العرب»(١) الذي سنحيل في متن هذه الإطلالة القائمة على قضاياه النقدية كما وردت في مظانها، متوقفين بها بلاصقة من خباياه وبتقصيه من أبعاد، لنظل في الأخرى - في نظرة - مثار مساءلة ومراجعة.

والكتاب يتوزع إلى تمهيد وخمسة فصول هي:

أ- قراءة المصطلح

ب- قراءة المسلمات

ج- قراءة المفهوم

د- الكيف

هـ- مختارات نقدية في تشكلات عمود الشعر

وبعيداً عن أي محاولة لإعادة انتاج أبواب العمود المعروفة، يصدر الدارس عن رؤية استقرائية وتحليلية للتأصيل والاكتناه هادفاً إلى محاصرة تشكلات بنية المفهوم عبر مستويات متراكبة متنامية كالعرش، تزيح السنة قشرتها حتى تصل إلى الجمع. ص (١٥)

عمود الشعر

في قراءة السنة الشعرية عند العرب

- مساءلات -

⊙ عبد الباسط الكردي

١- في الفصل الأول يتتبع د. توفيق الزيدي في قراءته المعجمية لمادة «عمود» ومشتقاتها مختلف المعاني المحتملة الناجمة عن التوليد الدلالي مثبتاً في هذا السياق الى ما سورس على المعنى المرجعي للفظة «العمود» من الرواج والانتشار بشكلان لغويا بتوسع قاعدة تواردات التشكيل للمدلول الأشهر، واصطلاحيا بالتقيص العرضي للحقول الدلالية. وقد ترتب على هذين الإجراءين - في حقل الخطاب النقدي - تحريف طرأ على المصطلح النقدي حتى غدا مقترنا في واعية القارئ المعاصر بصفات «التقليدية» و«الثبات» و«التوالية» أو بالجانب العروضي عند من يطلق تسمية «شعر العمود» النظرى على بنايات الشعر الحديث. ويوضح الباحث أن الاستعمال النقدي الصحيح للفظة «عمود» يشير إلى قوام الشيء من خلال عنصرين: - الوسط وبعث الحياة. ولعل هذه المعاني هي التي دفعت الناقد إلى استعمال مصطلح «عمود» عوض مرادفاته مثل (طريقة) و(مذهب) و(مسلك) و(نهج) إذ تعبر هذه المصطلحات عن التغيير الأخير، ص (٢٨). وقد انتقلت المعاني الأم لمادة (ع م د) إلى حقول معرفية اشتغلت في توظيفها بمفهوم «الارتكاز» من ذلك «عمود البلاغة» (عند الخطابي وغيره) و«عمود الصوت» (عند الإصطخري) و«عمود القصيدة» (عند ابن رشيق في إشارة إلى تكرير القافية في التسميط). ويصوغ الباحث فرضية أساسية تعزو فشو التحريف الدلالي بمشتقات الأفعة الذكر، في الخطاب النقدي المعاصر، إلى سلطة المسلمات التي ضمنت المفهوم النقدي لمصطلح العمود، وحدت من فاعليته الإجرائية.

٢-١- قراءة المسلمات

يريد د. الزيدي بالمسلمات «الأفكار الجاهزة» والقوالب النقدية المسكوكة والمحنطة التي تشنق القارئ في بحثه عن المعنى المقصود في النص فتحول - بسياقها المختلفة - دون سبر الواقعة الشعرية والإمساك بمظاهر قراءتها وتميزها. وأبرز ما قرأت المسلمات في ذهن القارئ العادي على الأقل كل شعر في الخمر بأبي نواس، كما قرن الرثاء بالخنساء، والهجاء بجرير والفرزدق، والغزل بعمر بن أبي ربيعة، والتشاؤم بأبي العلاء، ص (٤٠). إنها لأقل خطورة وسلطة عن تلك «القولات» أو «المستنسخات» النقدية التي تحدث من فرط تواترها والتشدق بها في ورق من الخطابات الواصفة المتنافع الحدثة، معايير تحريمية مدرسية لحظها منطق «التنضيج» والانتقادات الإبستمولوجية لإعادة التأسيس والبناء. إن هذه الأطر الموروثة الثابتة التي تستغل في وقائع القارئ إلى القرب من النص تضع المعرفة الثقافية الثابتة (Stereotypes) في علاقة صراعية مع الأسس الظاهراتية لسؤال المنهج مشكلة من ثم عائقا يحول دون طروح إنتاجية أو مقاربة ممكنة، وإنما يحقق استشرافها إحدى الإشكاليات المستعصية التي عجز أن ينصرف إليها الدرس العلمي في الرحلة الراهنة.

٢-٢- والذي يظهر التعجب من هذه النعرة أن كبار مفكري الحداثة الشعرية في العالم العربي منطلقا في وهم الصفة الحداثية لخرق العمود. وفي طليعتهم الشاعر أدونيس الذي استفاد من معالجته قضية إشكالية نشوء الحداثة في المجتمع العربي، المسلمة التي تقضي على ثنائيتي الخروج والخرق بعدا حداثيا بقوله: «لعلنا نعرف أن الشعر العربي نشأ الخروج على محاكاة النموذج القديم أي نموذج النظم كما

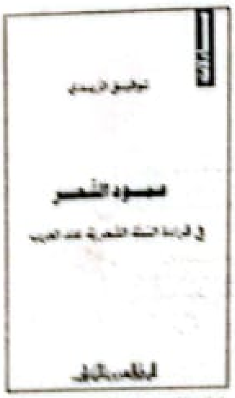

تمثله القصيدة الجاهلية، والذي سمي في المصطلح النقدي «عمود الشعر». ويتضمن هذا الخروج تعبيرا عن معارضة لمسلمات المجتمع وقيمه والتقت فيها اجتماعيا - ثقافيا (!) بعد منظوريته إلى وجهه - تحت سلطة هذه الثقافة - بعد بداية - في الثابت والمتحول(٣) - حمل لواء الشعر الحديث بخروجه عن العمود، وهذا الشعر يع بصفاته الصحيحة التعصبية بسلطته - يوجد استقراء عمق للصيرورة الشعرية العربية لما لاحظ تلك الباحث - إلى مستلمة خروج المحدثين التي حملها الآمدي والقاضي الجرجاني كلاهما النقاد المعاصرين إلى في مكانها الفكر مع أن مذهب النقد القديم لا تختلف الاستدلالات خروج المحدثين عن العمود [illegible]

[illegible]

البقية ص ١١

Scanné avec CamScanner

ويتعارض مع الفضاء الغريب: الفضاء الأليف الذي يحضر في ذاكرة الرحالة طوال الرحلة.

عمود الشعر

تابع ص 1

مؤلفات تاريخ النقد - وجود مكونات العمود الشعري قديما بالقوة أو بالفعل، وأن أبا علي المرزوقي (421 هـ) إنما نسج سداها في نظرية بالغة - تركيبية، من معطيات السنة الشعرية العربية التي توفرت عليها بخاصة نصوص ابن سلام وابن طباطبا والآمدي والقاضي الجرجاني، وراح المرزوقي طارقا وراء حبكها الوهدي شرقا، فصار مزية وشارة لنزع الجامع والضبط المنيع الشا... حتى صار اسمه - في حدس المتأخرين - مقترنا بالعمود لاينفك عنه. والمؤكد أن فضله، إلى ذلك، إنما يتجلى في ميله إلى المزج بين النظر والممارسة - كما أوضح ذلك من قبل د. طاهر الأخضر حمروني - إذ يعتبره «من القلائل في تاريخ النقد العربي، الذين استطاعوا أن يضيقوا من شق التباين الذي كان يفصل بين مجالي النقد النظري والتطبيقي، ويمزجوا بينهما فقللوا من حدة تلك التخوم التي رانت على النقد الأدبي دهرا طويلا، وكادت تكون ظاهرة ذائعة فيه، يشكو منها كل متتبع لتاريخ النقد العربي، ولايسعه إلا أن يسجلها بمرارة» (5).

قبل معالجة دوافع النظر في مسألة العمود (قضية الاختيار الشعري عند أبي تمام بمظهريها الخاص والعام من جهة، وتخلف المنظوم عن رتبة المنثور مع خمول صنعة الشعر في زمن الناقد من جهة أخرى)، يرد الباحث فوات استواء العناصر دفعة واحدة قبله، إلى انخراط الخطاب النقدي في أجواء الخصومة الشعرية - النقدية، وحاجة الأسئلة النقدية إلى الاختصار والتراكم، مما دفع الآمدي والقاضي الجرجاني إلى تناول عناصر ... عامة، كانت هي قضية الشعر المثير للعمود، ولكن الفرصة سانحة للثقاف والدفاع والرد هي وطغت على الخطاب النقدي عند نقاد الشعر المحدث. فالصفة العملية قد أبعدتهم عن الطابع التنظيري الفلسفي للقضايا التي عالجوها» ص (57). المهم أن المرزوقي تمكن من صوغ عمود الشعر - مع الإقرار دوما بحاجة البناء النظري إلى «أصول تركيبه، وجذور تمده بعناصر تساعد على تشكيل مايسمى فيما بعد «بالنظرية» (7) - وتوفق في ترجمة مبادئ الخطاب النقدي عمليا خلال اشتغاله على النصوص، فاتخذت شخصيته النقدية القوية في السفور والانكشاف...

3-2-4- إذا كان ماسبق محط إجماع، فلعل معقد الطرافة في بحث د. توفيق الزيدي إنما هو فرضيته الذاهبة إلى أن عناصر العمود تتشعب في الأصل لنواة تكوينية مناطها الحقل الشعري أساسا، ومدارها على مبداي الإفهام في مستويي المعنى والصورة، والوقع في مستويات الوزن واللفظ والنظم. فالإفهام مشروط حقله الدلالي العميق بإصابة المعنى شرفا وصحة، يتولد عن فضائه الوصاف صورة مركبة قوام تشكيلها الوصف والتشبيه والاستعارة. أما مبدأ الوقع فيتركز على المقوم الوزني، والمقوم اللفظي الذي تتم مقاربة وقعه على مستويي الأصوات قافية وسجعا، والترجيع اللفظي جناسا وطباقا ومقابلة. والمقوم النظمي (استراتيجية النظم). لكن، هل تم استيفاء هذه الشرائط والمكونات جملة لدى الشعراء؟

«إن الناظر في المدونة الأم ومدونة المحدثين يلاحظ بأن الشعراء لم يلتزموا بكل تلك العناصر (..) ولقد كان النقاد واعين بنسبية تحقيق العمود. لذا كان حديثهم عن درجات فاعلية العمود. فإما علو أو توسط أو سقوط» (ص 67-68). وإن المرزوقي لما فرغ من تعداد الخصال النسبية التحقق قال: «واعلم أن لهذه الخصال وسائط وأطرافا فيها ظهر صدق الواصف وغلو الغالي واقتصاد المقتصد وقد اقتفرها (أي تتبعها) اختيار الناقدين». والمجمع عليه، في هذا السياق، أن الجمهور المتقبل ذاته كان على وعي بنسبية تحقيق العمود لاختلاف ذائقة كل فريق «فكانت لذلك «المفاضلات» و«الطبقات» و«الموازنات».» ص (71). بيد أن النقاد، لما ضبطوا العمود - الذي يسوغ اعتباره «من عمد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر» - خفيت عليهم إحداثية التحول التي طرأت على بنية الحقل الشعري القديم وما انجر عن ذلك من انقلاب في وظيفة القول الشعري فصح من ثم اعتباره أشد تعلقا ووفاء «للحقل الشعري القديم» يشف عن «سكوت محير عن تحولات العصر»؟ لذا يلاحظ الباحث ازدواجا غريبا، خاصة في العصر العباسي، يتمثل في أن الشعر الجاهلي وماجاء على نمطه إنما كان يستعمل في المجالات الرسمية كالتعليم أو المدح.

أما المظهر الثاني، في غير المجال الرسمي، فكان فيه الخروج عن مقاييس العمود، وهو خروج بلغ ذروته مع الشعراء المقلين» ص (72) أو من يسميهم د. إبراهيم النجار «بالشعراء المهمشين» (8).

4- انتهى د. توفيق الزيدي في القسم الأخير من دراسته - وقد أبى الآن ينتقي له عنوانا شديد الإيحاء: «اللهب المتلالئ» - إلى حوصلة خلاصات خطته، ومنها أن مصطلح «عمود الشعر» مهدد أولا بإفراغ دلالي في استعمالات المعاصرين، شأنه في ذلك شأن «عديد المصطلحات التراثية كالنظم والإبداع والصنعة والتكلف...» ص (77)، وثانيا بتفاحش سلطة المسلمات غير المنظرة (Non Theori-sés) مما ينجر عنه تأثير بالغ الخطورة في منظومة التقبل والتمثل. وقد أملت محاصرة الظاهرتين كلتيهما إعادة ضبط فاعلية مفهوم العمود الشعري بناء على مبدإ «تسلسل الدور» الذي ينطلق أساسا من مساءلة نسق التقبل مرتبا عليها إجراءات منهجية تقيس حركة الاقتراب من الجذور، وحركة التوجه نحو التحديث.

وفي جدل قراءة السنة الشعرية يلوح تقاطع واضح بين مسلك التأصيل المتأسس نظريا على تلمس الأصول المرجعية، ومسلك التواصل المستند وظيفيا على عملية رصد بنية الامتداد والتفاعل! وكلا المسلكين يجعل من دراسة «عمود الشعر الخطوة الأولى لدراسة الشعر الحديث» ص (78). «فنحن نرفض - يضيف الزيدي - أن نحكم اليوم الرؤية التي ينبع منها قول أبي عبيدة: «فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة» (..) ونختار قولا لأدونيس يكفينا مؤونة الرد: «أن تكون شاعرا عربيا حديثا هو أن تتآلف كأنك لهب خارج من نار القديم، وكأنك في الوقت نفسه شيء آخر يغاير القديم مغايرة تامة» ص (79).

الهوامش:

(1)- صدر عن الدار العربية للكتاب- 1993، وهو رابع كتاب بعد «أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث» (نفس الدار 1984)، و«مفهوم الأدبية في التراث النقدي» (ط 1- 1985، دار سيراس للنشر، تونس- ط 2- 1987، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء)، و«تأسيس الخطاب النقدي» (ط 1- 1989 عيون المقالات، الدار البيضاء- ط 2- 1991، الدار العربية للكتاب، تونس).

(2)- فاتحة لنهايات القرن، ط 1 - 1980، دار العودة، بيروت - لبنان ص (124-125).

(3)- يعترض د. محمد لطفي اليوسفي نفسه على حصر الشعر العربي في خصيصة الوزن معتبرا إياه تصورا «في غاية التجني، ذلك أنه لاينفذ إلى خبايا النظرية بل يكتفي منها بسطحها. فالشعريون العرب «يعتبرون الوزن مجرد مكون من المكونات التي تؤسس مجتمعة البنية الإيقاعية (..) هدفهم اعتماد الشعر كمدونة للخروج بجملة من القوانين التي تحصر الظاهرة الشعرية وتحيط بماهيتها قصد تأسيس ماسموه «علم الشعر». لذلك نجدهم يشيرون، في أكثر من موضع، إلى وجود عناصر إيقاعية أخرى لابد من توفرها في كل خطاب شعري لأنها من المصادر المكونة للشعرية ذاتها سواء وقعت في النثر أو تجلت في الشعر»، من كتاب «الشعر والشعرية»، ط1-1992 الدار العربية للكتاب، تونس، ص (57-58).

(4)- حول تطور مفهوم لفظة «نادي»، يراجع كتاب: «الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري»، علي محمد هاشم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1- 1982، ص (47-55). وحول دور الأسواق في إغناء الساحة الأدبية، يراجع بخاصة كتاب «أسواق العرب في الجاهلية والإسلام» لسعيد الأفغاني، نشر دار المكتبة الهاشمية، 1938.

(5)- يراجع كتاب «المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجري» لجمال سرحان، ط1-1981 دار الوحدة، بيروت - لبنان.

(6)- منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، ط1-1984- الدار التونسية للنشر، تونس، ص (190).

(7)- (م. ن) - ص (196)

(8)- إبراهيم النجار: «مجمع الذاكرة أو شعراء عباسيون منسيون»، ط1 - 1978، ج (1) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، ص (24).

CS Scanné avec CamScanner

البيان

الثقافـــــــي

البيان الثقافي — السلسلة الجديدة
الاثنين 25 أبريـل 1988
موافق 8 رمضان 1408

العـدد : رقـم 7

الثمن : درهم واحـد

نقد واقع الاستهلاك الصحي

روجيه دادون ترجمة : عبد الباسط لكراري

ويدفع في الحقل الاعراضي الواهـــر والمتبدد فرع ، يوضع نعوزة وترميم ، « مدقون وذلك وثقة هؤلاء الاطباء ، المرضى كذلك ؟ وبمطرودهم وبمرافقهم ، المرضى كذلك ؟ عليها بوصفهم المرضى ؟ .. » الا حتى على هذا المستوى الطبي الخاص ، الذي لا يدخل في شيء مستوى ما يوضع فيه ايليتش « تجزيئه » الطبيعية ، فانها يعتمد هذا الاعراض الا تحت مفعول الخوف ، وبسطة انه قيصر المرء بشجاعة ومثالية — ولو قليلا — بتجربته الخاصة والسلوك الذي الطبي ! — الخطـــاب التشخيصي بخشونة وعنف التطبيب ، ثقافة الخطاب الطبي المختلق والرياء علـى المرضى ، ثقافة الارهاب ، الرعب الذي اصبح لوبرونيه ذات جمهور عريض وصحافـــة الاثارة ، العروض الشاملة لنظام يسيطر على العقل والسلطة حتى التدجين .

ان عمل ايليتش الجاهز بمركـــز التوصيات التي تمسه بالتشكيك ، وقودنا الى ما وراء هذه الظواهر المتداولة والمرهوبة تحت اسم « تجزيئ الطبية » فهو يؤلفه ببرنامج ، وبيدها ، ويحتلوها ساحة الـى استخلاص رؤية شاملة وأساسية للمجتمع الصناعي الحديث ! — « التطبيب » الذي حول مجتمعاتنا الى « مجتمع مرضى » ؛ قلق ، ومهدد جوده وحياته يجدون تحت مفعول قلة المرض والموت .

تنخرط تجزيئ الطبية ضمن مشروع ايليتش الطموح والجذري ، الهادف — بناء على معطيات واصطلاحات المجتمع الصناعي الحديث — الى تحديد السلبي فيه والكشف عن الوجه الخفي لكل الـ ا م. هيمنة الدكتور المحترم تجنيكال — من طراز الموظف الفر زي الحضرية — الذي يتحدث عن التقدم والنمو والامن والصحة ، فضلا عن السرقات الزهرية ، ولم لا الالة الصناعية المتطورة مثل « التلفزيـــون » او « الميكانيون » الكوكبي ، والتي تنتج الارتداد والتشويه والقلق والمرضيـــة والنفوذ التي الانماط المتعددة الاوجـــه ، قوة الثلاث الوجودية ، انه عنوان الثقافة في كل مظاهر حياتنا ! » .. فالثقافة الشحن — يقول ايليتش — هي ما يعوق حركة النمو والحجم الاجمالي للعلم هو والذي الانطلاق عن تحقيق طموحهم وبرامجهم المتكررين ، وحساباتهم ايضا ، وان حجم مستعينا بوجهتها من معلومات ايضا هو الذي اليه ومزق المختلق والسطحي ، كما ان الحجم الاجمالي للتطبيب هو الذي يقلل مـن مستوى العافية » .

ان جهاز الاحصاءات والمعلومـات والتحاليل الذي استعمله ايليتش ، جهاز هائل اثبات الى هذا الحد حدته المتصـاعد نفسها سواء في وصفه لفرع التكـــوين الاستشفائي او المنحرفات المرضيـــة والجدة التي يرجعها الى الوفرة العلاجية ؟ — « الالم والاختلالات الوظيفية والعجـز والقلق ... الخ ، تلك الادواء المتوجهـــة اليوم مع ابرز حركة النمو والتصنيع الناجمة عن درجات عليه ، والتي تعاكس والمعلومات العسكرية » . وفي هذا المعنى ، نحن كل المعلومات التي حينه خصوصيات السلطات الطبية والصيدلية والادارية على التقدم المغيرات الثابتة التي تحصيها والاجهزة ، معلومات تصب في هذا الاتجاه الاتلاف نفسه ! — (منذ عهد قريب جداً ، لبلاتتعت مخابرات كبرى عن درجـة الدكتور « برادل » في خطورة تشغيل وطل المقابر ، وانا لن نتصور هـــول الرعاية التي روجت لهذا المحظور ومنافذ)

ويكتسي الاتساع التحليلي الـــذي يعتمده ايليتش عن طريق « فرع التكـــوين الطبي الاجتماعي » و « فرع التكوين الطبي البيداني » اهمية كبرى في مجتمعنا المحكوم بالطب حيث الاجتياح الصيدلي والرقابة المستمرة والمطردة منذ النشأة والـــى الموت ! بواسطة الوقاية والتشخيـــص الطبي والتلقيح والشبكة الاستشفائيـة المتوحدة والخاصة ! ، والحجر الصادق الطبي ، والاحتكار الصيدلي الـــخ ... والصناعة والتلاعبات الكيميائية المشوهة للانسان بشكل حتى في لحمه والسجنه والخابثة ومعيش الجسد والعلاقة والرغبة والموت ، عن طريق القوالب الطبيـة — الاجتماعية ، فكيف لا يطالب الجسد الذي استعمره الطب الان بمزيد من الاستيلاب !

ان القانون الطبي يحتل وفي الان نفسه يشرع ويمجد ، وبخاصة ، يهين الارضية الاساسية — اللحم المعيش ، المحرك ، المطلوب والمنسابي — لاشكال الاستبداد السياسي والايديولوجي ، المتنامية تحت غطاء التقدم ... او الثورة ! (واليوم ، في ظل المفاعلات النووية ، ومن اجل انتاج مزيد من الطاقة ، نرتسم جانبيا ، الكاشفة — النووية)

ان ايليتش في طرحه للاسئلة الجوهرية والحيوية والمركزية ، سواء هو الا ... بالتعليم ! (مجتمع بدون مدرسة ، ... او العمل او الانتاج او المعرفة ! (ارقاب الضيافة) او الصحة ! — (تجزيئـــي الطبية) ، يعتبر مفكرا سياسيا راديكاليا الح على الزاوية نحو ابعاد واستعجالية التدخل السياسي والفردي والجماعي . لكن الذي يحتفظ له « الفن الايليتشي » بالامتياز يبقى هو حرمة الامكانيات اللامتوقعة للفعل الفردي ، ومعركته التي تتفجـر « واستقلالي بحدة ، وتؤلب الجم الغفير من اولئك الذين يتحيزون من الغيظ داخـــل المؤسسات (المدرسية والصناعيـــة والطبية ..) — اولئك الذين يسعون الـى ان يجعلوا من « الايليتشي » « نزويا » او « طوباويا » او « هامشيا » — ان معركته تلك ، ليست سوى « صراع سياسي في سبيل ضمان الحق في كثافة الفعـــل الانتاجي الشخصي » ، كثافة قابلة فعلا لان تصبح مسألة حياة او موت .

* هوامش المترجم *

1 — اجرينا تعديلا على العنوان الاصلـي للمقال المترجم : (المجتمع المريض) ايفادا بالعرض الجوهري للمشروع الايليتشي ، والعنوان البديل مستوحى من كتاب ايليتش نفسه الذي يتحدث عن « الاستهلاك الصحي »/مقـــال روجيه دادون المترجم ، يعود الى سنة 1975 بالنصف شهرية الادبية — بباريس —

2 — (مجتمع بدون مدرسة) هو عنوان كتاب في الفكر التربوي الليبرالي ، صدر لايفان ايليتش عن منشـورات لوسوي الفرنسية ، وهو دراسة مهمة جدا تحدد تصور الكاتب « الرفضي » لانماط الحجر المؤسساتي للتعليم ، ونقترح مشروعا بديلا يرتكز علـى دعامات بيداغوجية وسيكولوجية وسوسيولوجية وفلسفية امتن . وسنحاول ان نعرض لمحتوياته قريبا .

— الكراري عبد الباسط —

ستقرؤون في الاعدد القادمة للاسماء التالية

- ولد حسن جمع
- عزيز التناحي
- ادريس علوش
- عيسى لقماح
- شيمالي عبد الحق
- محمد المصباحي
- بوكوجوف احمد
- ابوشنة كاريم
- العربي بنتركة
- حسن البقالي

- صبري الحسين
- حسن حصـلم
- ابن الاثير عبده
- عبد الصادق بومدين
- بعروقي مصطفى
- احمد المتقل
- بلقاسم مكرنس
- الكيلاني عبد السلام
- سعيد لبرابحة

بعض جوانب المقاربة الكيليولية

ف. كاترين
عرض وترجمة وتذييل:
عبد الباسط لكراري

○ يمكن تناول المقاربة الكيليولية عبر ثلاث محطات اساسية :

أ . رفض التقابل: لسان/ خطاب .

ب . رفض التقابلات: تركيب/ دلالة/ تداوليات .

ج . رفض التقابل: وظيفة مرجعية/ وظيفة بيذاتية Intersubjective.

أ: اللغة والالسن :

تحدد المقاربة الكيليولية موضوع الالسنية بكونه: اللغة متصورة عبر الالسن الطبيعية (2) مستبدلة التقابل الكلاسيكي لسان/ لغة (او لسان/ خطاب) باشكالية اللغة والالسن، او بتعبير ادق، بالعلاقة الجدلية القائمة بين اللغة والالسن، بين الفعالية والانساق (3) .

إن الفرضية المركزية (لكل) نظرية في الابلاغ القولي (Enonciation) تقوم على جعل الذات (Sujet) منخرطة في صميم النظام الالسني، ويتمظهر هذا الانخراط عبر المقولات النحوية (الضمائر، الجهات الزمنية، الاشاريات، اي (Deixis) الخ.. وهذه الفرضية تدعو الى تمحيص مفهوم «اللسان» واعادة تحديد موضوع بحث الالسني بشكل مزدوج» هذا التوجه الذاتي في نظرية القول. ان كان له من جانب سلبي، فانه يلغي بجدارة الحدود المصطنعة بين اللسان ومستعمله، وظروف الاستعمال، ومن خلالهما، التقابل البنيوي الكلاسيكي بين اللسان والكلام، (او «الكفاءة» و «الخطاب»). من هذا المنظور، لا يمكن للمقاربة الكيليولية الا ان تكون «انفتاحية» وضد كل استقلا... ـرس، وهنا تتحدث كاترين عن التقابل (Stable Instable) [القار/ المتحول] ، ذلك التقابل الذي يخترق فضاء النظام الالسني. ويتمثل هذا الاختراق في المقام الاول، في كون النظام الالسني لم يعد فضاءا محايدا او متجانسا (Homogene)، ولا مجموعة من القواعد المستضمرة لعشيرة لغوية .

يتجلى التقابل: قار/ متحول على مستوى كل لسان (تعبير مسكوك) متميز: «فالقواعد تخص دوما لسانا معطى، وجزءا من القواعد الخاصة وجزءا اخر من القواعد المعمّمة» وهنا ترى كاترين انه على مستوى هذه المعمّمات (بما هي متميزة كذلك عن: «الكلي» lùniversel » يموضع كيليولية بالضبط، العمليات البانية للقول. والفرق بين المعمّم والكلي يتمثل في ان الاول هو ما يمكن تشكيله او إعادة تشكيله بناءا على الطلب وحسب القواعد المتضمنة: مثلا عندما يتعلق الامر ببناء بعض القواعد المتصلة بالعلاقة القائمة بين التكميم والتخصيص النوعي (التنويع) والصيغة. اما الكلي فهو ما نحن مكرهون على تأكيده سواء كبديهية او مبدإ لوضع عدد محدد من الظواهر في الحسبان. مثلا عندما يتعلق الامر ببعض الشرائط المتصلة بالابلاغ القولي من حيث يفترض اجباريا حضور متحادثين اثنين .

وكان من نتائج هذا التصور الوجيه، كما تنوه بذلك كاترين، ان كيليوليه اقترح «نظرية للمعممات » Generalisables » حيث يقابل الشروح اللغوية العارضة: (Gloses épilinguistiques » مع ثلاثة انواع اخرى من المعطيات، غير المعطى الالسني السابق الذكر، وهي على التوالي :

1 . المعطيات التي من نوع تصنيفي Classificatoire .

2 . النصوص الشارحة الاصطناعية: Meta textes artificiels

3 . المدونة المتراصّة .

وما يسميه كيليوليه «الشروح اللغوية العارضة» و «الاسهابات الميتالسانية» هي تعادلات بين الاقوال المنتجة بحسب الظرف، بشكل شعوري او غير شعوري تستوجب الوصف في نطاق عملياتي .

ب: العمليات الاسنادية (الحملية) والعمليات القولية :

ومن جهة اخرى يطرح كيليوليه التفرقة الاساسية بين التركيب والدلالة التي تقود حتما الى التركيب مع معجم مزود بقواعد اسقاطية .

ويستعيض عن هذه التراتبية لمستويات التحليل «بدلالية صورية» توظف نوعين متشابكين ومترابطين من العمليات: عمليات اسنادية، واخرى قولية Enonciatives عن طريقها يتجه نحو تحليل بناء القول من خلال ما يسميه باللكسيس» (La lexis) «ذلك الوجود الميتالساني المجرد» على حد تعبير كاترين، لكن، ما هي طبيعة ووظيفة هاته العمليات ؟

تتمثل مهمة العمليات الاسنادية في تنظيم العلاقة الاسنادية. وهي، اي (ع. ا) Relation Prédicative قواعد الاشتقاق المسؤولة عن الصياغة المتينة للحما.. ذات الطبيعة البيذاتية القارة العاملة على تأسيس المعنى. اما العمليات القولية (ع . ق) Opérations énonciatives فمهمتها توطيد الصلة بين العلاقة الاسنادية (الحملية) والمقام القولي، وهي مسؤولة ايضا عن تكوين «الاقوال» وصوغ الدلالة (عن طريق تخصيص «القيم المرجعية») .

والعمليات القولية ذات طبيعة بيذاتية غير قارة. على عكس (ع. ا) لكونها تشغل «قوالب» اي Modulations متحولة بين المتحادثين، يقول كيليولية في هذا الصدد (1973): «اذا كان المتحدث الثاني (المستقبل) يملك نفس قواعد الاشتقاق، فإنه لا يمتلك بالضرورة نفس قواعد القولية». ويتميز هذان الضربان من العمليات باختيار حد للانطلاق ثم «جدة بنائية» فيما يخص العلاقة الاسنادية، كما يتميزان ايضا بانتقاء سلسلة متعددة من القيم القولية (قيم «التبئير» والتكميم/ التسوير، والقيم الجهوية الصيغية (Valeurs Modales) . الزمنية، وقيم الشخص) وتتدخل المقاييس البنائية للمقام القولي (الذات وزمن الابلاغ القولي) بصورة صريحة واجرائية في حساب القيم القولية للسماح ببناء الصيغ الميتالسانية التي تمثل العمليات المشغلة» وهنا يبدو في نظري مدى تأثير بنفنست (Benveniste) الذي يرى ان الابلاغ القولي يقدم الشرائط الضرورية للوظائف التركيبية الكبرى، فمادام المحادث يتجهّز باللسان من اجل التأثير بنحو ما، على سلوك محاوره، فإنه يمتلك من اجل ذلك جهازا من الوظائف» (4) .

ويزعم كيليولية «انه يصعب فصل العمليات القولية عن العمليات الاسنادية. فثمة اقوال لان ثمة محادثين ايضا، والاقوال ليست لها دلالة خارج نشاط المتحادثين. فهؤلاء هم المتمثلون لقيم القول المرجعية فضلا عن توافق المقولات النحوية، وتشكيل النوعين السابقين من العمليات لما يسميه كيليوليه (نفسه) بعمليات الضبط O- de repérage و «في سبيل تمثيل تلك الضوابط المتعاقبة على المستوى الميتالساني، يستعمل رمز واصف واحد: «ع» الرمز القابل لحمل عدد متناه من القيم المركزية لكنه يقود الى وفرة من القيم في السياق. بالاضافة الى ذلك وفي صيغة ميتالسانية بنفسها تتبادل الضوابط القولية والضوابط الاسنادية الامكنة وتراوح الثوابت (او البرامترات) المكونة لمقام القول مع الجدد الاسنادية المواقع، وبتعبير اخر: تبدو العوامل Les actants كآثار Des traces وصور او بدائل عن المتحدث .

الابلاغ القولي المشترك (La) Co-Enonciation

ثالث تقابل تقوم المقاربة الكيليولية باطراحه، هو المتمثل عادة في الوظيفة المرجعية، والوظائف البيذاتية F- Intersubjectives والابلاغ القولي المشترك، كما تعرفه كاترين «هو مجموع الروابط المعقدة التي ينسجها المتحاوران بواسطة اللغة. والاحالة ليست محايدة ولا موضوعية. انها سيرورة موسطة (Médiatisé) بالاشخاص. سيرورة للبناء والبناء المعاد للدلالة، يتعذر فصلها عن المشاركين في التبادل الخطابي [التحاور] ، وعن تمثلات، وصور واهداف احدهما من الاخر والابلاغ القولي المشترك ينهض بتشغيل مجموعة من عمليات الانتاج والتعاقد التأويلي التي قد تكون تناظرية او عكوسة كليا. كما يعتبر فضاءا للزحلقات Glissements ، والغموض والفلتات Lapsus الخ حيث هذه الاخيرة جزء لا يتجزأ من فاعلية اللغة، بعيدا عن كونها مفاهيم قدحية او ظواهر شاذة في الخطاب .

ويمكننا ان نسجل الصدى الذي نجده هنا ايضا لبنفنست في التنظير الكيليولي لهذه النقطة بالذات، فالاول يفترض بداهة، ان المتحدث ما ان يعلن انه متحدث ويستقي اللسان حتى يقيم الاخر قبالته، كيفما كانت درجة الحضور التي يسندها اليه. ومن ثم فكل ابلاغ قولي صريح او ضمني حديث (Allocution) يفرض متحدثا اليه (5) وهذا ينسجم في حدود دقيقة مع الطرح الكيليولي، وبخاصة حينما يفترض «انه، خلال حوار ما، يغدو المخاطب مستمعا، والمستمع مخاطبا، اضافة الى انه حينما يتكلم المخاطب فانه يغدو مستمع نفسه الخاص، والمستمع مخاطبا مقدرا لم يبد بعد اجابته» .

وفي هذه الفقرة المتعلقة بالابلاغ القولي المشترك، تأبى كاترين الا ان تعود الى فكرة «القولية» Modulation سأرمز اليها من الان بحرف: ق) لتقف على جوانبها المحورية، فهي ترى انه اذا كان الابلاغ القولي المشترك، يرتكز على عملية المطابقة بين «انساق توافقات» المتحادثين، فإن هذا الانساق قارة بالنسبة الى جزء، و «وقائع انتقال وتحول» بالنسبة الى الجزء الاخر .

وتسجل كاترين ان (ق) مؤسسة للعمليات البانية للقول: يستحيل الكلام عن/ او انتاج/ او معرفة قول بدون (ق) وغياب (ق) اي القولية، هو في حد ذاته (ق). ويمكن تصور (ق) كتعديل كيفي للمجال الذي يشكل موضوعها، او كمراكمة لدلالة معينة على دلالة اخرى. انها تمظهر لحركة في صميم اللغة، وتجسيد للانتقال من العلامة الى الرمز، اي من مجال المنقطع والثابت والاعتباطي الى مجال المطرد والقياسي والمتحول والمعلل .

ويميز كيليوليه بين نمطين من القولية: (ق) :

1 - (ق) من مستوى عميق: [مستوى «العلاقات البدائية» بين الافكار» Notions] تنتج القولية البلاغية زحلقات المعنى في نمطه الاستعاري حسب مقام الابلاغ القولي، ومفترضات (مستلزمات) المتحادثين (الايديولوجية والسوسيو ثقافية...) .

2 - (ق) من مستوى اقرب الى السطح: [مستوى «العمليات القولية»] . تنتج القولية الاسلوبية العناصر في الشبكة، فضلا عن تعديلات نطقية (بروسودية) تخلق قيما جديدة مثلما هو الحال بالنسبة الى اثار (التميز) التي تخص بعض التبئيرات .

هامش :

فيما يتعلق بمسألة التفرقة بين التركيب والدلالة، اثار جان كلود ميلنر (Jean Claude Milner في كتابه: من التركيب الى التأويل (De la Syntaxe a Linterprétation) 1978، وهو اصلا اطروحة دكتوراه دولة (خضعت في طبعتها لتغييرات طفيفة) قدمها المؤلف تحت اشراف انطوان كيليوليه (1975) الى هذه المسألة (في الهامش !! الثالث، ص (14) بعد طرحه السؤال: هل التركيب والدلالة منفصلان دائما؟ ويقول جوابا على هذا السؤال: «تمكث اعمال» أ. كيليوليه» على الفرضية التي ترى ان على الالسنية ان تبلور (تطور) مفاهيم وعلاقات تكون محايدة ازاء التمييز، تركيب/ دلالة، على افتراض ان تلك المفاهيم والعلاقات . في لسان معطى . تنخرط محددا في التركيب، كما في الدلالة (بشكل ...) فضلا عن ذلك، ان يتغير من لسان الى اخر)»، ويعتبر ميلنر هذا الموقف وجيها «لبعض انماط المعطيات: مثلا تلك المتعلقة بفكرة الفاعل النحوي الذي هو بالفعل مركب من العلاقات التركيبية والدلالية» ص (14) .

الهوامش الواردة في النص

1) عن مقال ل: Catherine Fuchs عنوانه الاصلي: «الذات في النظرية القولية لانطون كيليوليه: بعض الملاحظات» وقد تصرفنا في هذا النص تصرفا علميا، فاضفنا بعض المتعلقات الغائبة في الاصل، وترجمنا فقرات متصلة منه، وتجاوزنا بعض المقاطع المتصلة بالتمظهر الذاتي للطرح الكيليولي لاننا نقصد اساسا الى التعريف به، وقد نخصص بحثا وافيا لما اتينا على ذكره اختزالا، دون ان نسهو عن التنبيه الى تعقد وتشعب جوانب النظرية الكيليولية، والتميز المنهجي الذي تتسم به بعض التفريعات المنطقية بخاصة. والمقال المترجم المركب مستقى من :

(1) Drlav Revue de linguis ique . (51) - (44) م. 1984 - (31) .

2) استفدنا من اطروحة الاستاذة الباحثة: فاطمة عونت (الفصل النظري) .

Contribution préliminaire a lérude des verbes modaux en arabe littéraire contemporain universi é de Paris 7 sous la direction de Mr le professeur A- Culioli 1982 p 294

نقلا عن كيليوليه نفسه .

3) نفس المرجع (ن. ص)

4) probleme de ling- gie d'E Benveniste t 2 p 84 ED Gallimard . 19 -

5) Op. cit p. (82)

★ فيما يخص مصطلح القولية استفدنا من معجم الاستاذ عبد القادر الفاسي الفهري «مصطلحات في التركيب والدلالة والنظرية العاملية» ص (233) مادة (M .

م (ع. ف. م) تكامل المعرفة، العدد الخاص باللسانيات (9) - 1984 .

★ لفظة «غير شعورية» تعادلها في الاصل Non- consciente

Scanné avec CamScanner

الاتحاد الاشتراكي

جريدة يومية

عمر بنجلون
1936
شهيد صحافة
الاتحاد الاشتراكي

الجمعة 29 ربيع الأول 1430 الموافق لـ 27 مارس 2009 □ العدد 9133

الموقع الإلكتروني: http://www.alittihad.press.ma □ البريد الإلكتروني: ail@menara.ma □ الثمن: (3 دراهم) (3Dhs) Europe: 0.90 euro

□ المدير المسؤول: عبد الهادي خيرات □ المدير المساعد: محمد شوقي □ مدير التحرير: عبد الحميد جماهري

Scanné avec CamScanner

إصدار

سطات والمسكوت عنه من التاريخ

هادن الصغير

قليلة جدا هي البحوث والدراسات التاريخية والاجتماعية والسياسية والانتربولوجية... عن مدينة سطات رغم أن تاريخها يعود إلى مآت السنين، وهذه المهمة ركب مخاطرها الأستاذ عبد الباسط لكراري الذي مكنه وإتقانه للغة موليير وصداقاته وحبه لهذه المدينة أن ينجز عنها بحثا رغم قلة صفحاته (223 صفحة) إلا أنه يعتبر مرجعا أساسيا لكل من يريد، ليس فقط أن يتعرف علي بعض المسكوت عنه من تاريخ سطات، ولكن كذلك لكل من يريد أن يحذو حذوه في البحث عن بعضض الجوانب من تاريخ المدينة وسكانها.

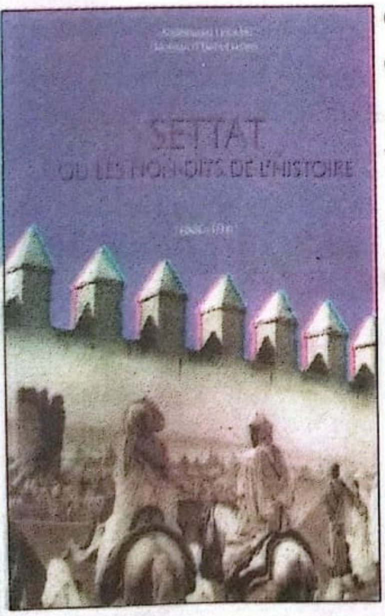

كنت قد قرأت بعض ما كتب عن سطات، مما هو موجود من وثائق بمركز جورج بومبيد بباريس أوخا طالب جامعي هناك، وأعترف أني وأنا أقرأ مؤلف الدكتور عبد الباسط لكراري قد اكتشفت بعض المعطيات الجديدة ليس فقط حول إخواننا اليهود المغاربة - الذين تم التغرير بالعديد منهم وصهينتهم - ولكن كذلك حول بعض الزوايا، وبعض العائلات، وبعض الشخصيات ودورها الديني أو الفكري و السلطوي. أعتبر أن الأستاذ عبد الباسط لكراري قد فتح عدة أبواب للبحث في العديد من الجوانب حول مدينة سطات التي تطرق إليها بشكل محدود، إن لم يكن يفكر في الرجوع إليها في مؤلفات قادمة، وهو على ذلك قادر. الصديق لكراري كما عرفته كان دائما متميزا وجديا في عمله حتى ظهرت نتائجه في مؤلفه الذي يستحق القراءة لمعرفة عدة جوانب عن سطات وساكنتها كجزء من مكونات هذا الوطن.

Scanné avec CamScanner

ملحق
أسبوعي
يصدر عن
جريدة العلم
كل سبت

العلم الثقافي

■ السنة 30
■ السبت 23 رمضان 1420
■ الموافق فاتح يناير 2000

■ المدير المسؤول: عبد الكريم غلاب ■ الادارة والتحرير : 11، شارع علال بن عبد الله - الرباط. ■ الهاتف : 73.02.37 ■ الفاكسميلي : 73.38.96 - ISSN 0855 ■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

كاتب من الجنوب

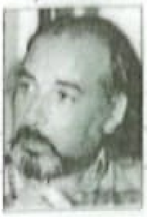

● الطاهر بن جلون

● ترجمة. عبدالباسط الكراري

لم أقرأ لكونتركراس سوى «الطبل» و«قصة طويلة»، بالنسبة إلي هو فضاء غريب بل غرائبي. مايهمني عند كونتر كراس، كما عند أي كاتب، هو الكتابة. إنه شخص يحكي بلده. كيف؟ وبأي طريقة؟ من أي طينة البنائين أو الحرفيين هو؟ وماهي الوشائج القائمة بين عالمينا؟

بعيداً عن كونه واحداً من أولئك الكتّاب الأنطوائيين المتقوقعين، فإنه سرعان ماصار شخصية بارزة في الحياة الثقافية والسياسية لبلده. أصبح رمزاً ناطقاً بلسان حال وطنه. إنه رجل موضوع نزاع، منقود، مشنّع عليه من لدن البعض، وموضع إطراء، محتفى به من لدن البعض الآخر. هو محامي القضايا العقيمة، الجسيمة. قارئ للمصنّفات التاريخية. يرتاد الكتبات والأقبية حيث تُخزّن رسائل الذاكرة. هو مثقف يقتل غالباً مايلهج بما يدور في خلده. لايفكر دائماً في اتجاه تصحيحي. قد نزعم أنه كاتب من العالم الثالث (من الجنوب، حسب التعبير العاصر) وهو، على أي حال، يمتلك كل خصائصه. فهو لايأبى أن يكون ملازماً برهف السمع لشعبه، ويشتغل على تاريخ مجتمعه بسائله الجمهور ويحاسبه. فنحن هنا بمنأى عن الأدب الحميمي وخيلاء البورجوازي الصغير. فكونتركراس يحمل دور المثقف على محمل الجد: أن يكون شاهد عصره، شاهداً فاعلاً وخلاقاً ذا خيال نافذ، وحرية تزحزح الواقع القائم، وتخضخض الصور النمطية. فقد قيل عنه إنه يمتلك «اعتدالاً جموحاً، وسكوناً فواراً، وقوة هائجة تمتزج فيها الغنائية بالسخرية بل بقبيض من الأفعال المتعددة الرؤوس. ذلك ما أفضّله في كتابته.

وأعترف بأنني أعاني نصَباً في قراءة بعض فصولها ذوات الفقرات المثقلة، أو لنقل المشحونة، بيد أنه يظل، مع ذلك، وبلامنازع، أديباً راسخاً، مشغوفاً بالكلمات، مجنوناً بالإبداع. في «قصة طويلة»، عالج الطبيب «بلهايس» كاتباً يُنعت بالخالد، كان قد أصابته أثناء كتابته حمّى عصبية تؤججها لواعج حميمة. لم يصف له عقاراً، وإنما خاطبه كالآتي:

«ليست بك علة؛ ولكن عملك الاعتيادي ينقصك! وإذا قلت لي إنك أجبلت * وانقطعت عنك الأفكار، وإن قصصك نضبت، فدعني أصارحك بشيء: إذا أردت أن تتماثل للشفاء، اكتب شيئاً آخر، ذكرياتك على سبيل المثال. اشرع في عملك من يوم غد، وابدأ من طفولتك». إنه الفعل في الواقع بواسطة الكتابة. ولعلنا نستشف هنا بعضاً من انشغالات الكتّاب الملتزمين: تسخير الكلمات لخدمة الواقع، تغيير وضع الأشياء (الوضع الصحي الخاص) بواسطة الكلمات، بواسطة حالة النشوة التي تستحوذ على الكاتب المستغرق في كتابته. فتتراءى له أشباح الوجوه والذكريات وهي تتجسس بين المقاطع. ليس ثمة أنجع من هذا في طرد الحمّى والتخفيف من غلواء القلق، والتخلص من السويداء والنصب على السواء.

بالفعل، يخامرنا انطباع بأن كونتركراس لايكترث بالكلل. فهو يكتب مؤلفات ضخمة ومسهبة؛ يرصد التفاصيل الدقيقة لدى كل شخص من شخوصه. بصرة حاد وسخنة مرهف. يكتب على نحو مايمشي ويفكر، تاركاً للحلم فسحة كافية. فشراهته للنعوت، والصور، والأحلام، والكوابيس، وعشقه للغة، وشغفه بالحكاية، تساعده جميعاً على تعقّب أشباح الواقع حيث تُسلط على الكائن القذر ضَغْطاً من الإضاءة العنيفة الباهرة.

في «شقاوات الحياة الزوجية» يعرِّف «بلزاك» الرواية على هذا النحو: «لكي يكون المرء روائياً حقيقياً فيلزمه أن ينقلب أولاً في الحياة الاجتماعية، مادامت الرواية تشكل تاريخ الأمم الخاص». وكونتركراس أنفق حياته منقّباً في مخازن وأقبية تاريخ ألمانيا، فصادف حيوانات أليفة وغريبة: أدقى جرذاناً، وقططاً، وفئراناً، وكلاباً، وحلزونات، وعلاجم، وأسماك الفرْس، وأشياء أخرى. هذا اللجوء إلى الاستعارة الحيوانية قد يبدو مزعجاً أو أمراً سطحياً. لكنّ الكاتب ينبّهنا إلى أنّ تاريخ مجتمع ما يبدأ أحياناً من تاريخ المطابخ، على المائدة أو تحت الخوان.

وإذا كانت روايته «الطبل» التي اقتُبست، على نحو لافت، سينمائياً، تُقدم قراءة خاصة لتاريخ الحرب، فإن روايته ماقبل الأخيرة «قصة طويلة» تُشوش المسارات، وتثير الشك في الكيفية التي تمّ بها توحيد ألمانيا. إنها وجهة نظر لم تحظ بحصة كافية من الرصد النقدي. وتذكّرني الحملة الحاقدة التي تعرّض لها، بالتعصب الوحشي الذي يستشري في بعض دول الجنوب. فإذا ارتفع صوت مخالف يخرق الإجماع الوطني، وخاصة حين يتعلق الأمر بموضوع سياسي، مثير للحساسية، فإن السلطة تلجأ إلى إسكات المزعج. الإجماع عدوّ الكاتب. وهذا الأخير ينفرد حقاً، بمتيسم الازورار عن قطيع الإجماع حيث الكلّ منتظم في صفوف متراصّة. الكاتب فنّان من غير أن يكون بالضرورة محرّضاً؛ فهو بالأحرى شخص لايرضخ للتعليمات العامة التي تمهّد للتخدير الموضعي أو الكلّي.

الكاتب الذي ينتمي إلى دول غير ديموقراطية، يجازف بحياته لمجرد أنه يكتب. فمذابح الجزائر كانت بدايتها في 28 ماي 1993 بمقتل الشاعر «الطاهر جعوط». ونيجيريا ألم تُقدم، بذرائع واهية، على شنق الكاتب «كين ساروفيفا» في أكتوبر 1995؟ ناهيك عن بلدان أخرى، مثل ليبيا التي نجهل بشأنها مايحدق بالكتّاب ممن يتجرأون على معارضة النظام.

وفي أوروبا، حيث الوضع أفضل، يظل الكاتب في مأمن من أي فظائع مماثلة، خلا حالة سلمان رشدي الذي - رغم تصريحات النظام الإيراني - ماتزال حياته مهددة بخطر الاغتيال. إنه يحمل العالم الثالث في أمتعته. وإذ ينحدر من أصل إسلامي فذلك وحده كاف للحكم عليه بالإعدام. إنه ينتمي إلى الأمة المسلمة، أحبّ أم كره.

فإذا سوّلت له نفسه التجاسر على العقيدة، إذا أبان عن ملكة إبداعية، وحدث أن مس - ولو مساً رفيقاً - تيمات تمتّ بصلة إلى الدين، عرّض نفسه للإدانة. ذلك ماينطبق على سلمان رشدي: فقد أهدر دمه لأنه ينحدر من عائلة تدين بالإسلام. ولو كتب الكتاب نفسه مؤلفٌ غير مسلم، ماحرك قط تلك الموجة من التعصب القاتل. أما كونتركراس فقد رأى كتابه وقد غدا مزقاً. إنها صورة تتصدر غلاف مجلة فخمة. وربما عرّض كونتركراس نفسه لمضايقات أشد فظاظة لو كان صينياً، أو عراقياً، أونيجيرياً. بيد أن متاعبه تأتي من النقد.

وحتى الذي خاض ضده حملة مناوئة، أعني «مارسيل رايش رانيكي» الشهير، فهو لم يتقصّده بالإساءة شخصياً. غاية مايمكن أن يتعرّض له كونتركراس أو أي كاتب غربي آخر، هو الاكتواء بنار حملة إعلامية واسعة. وماذا بعد؟ بل ماذا في ذلك أصلاً؟ فالناقد والكاتب كلاهما يقوم بواجبه. وكلاهما لايفسد للتهذيب قضية. وذلك مايسمى «بالحياة الأدبية». ولبلوغ هذا السلم، والتقدير البالغ للمكتوب، كان لابدّ من التصادم. فالحرية ليست أبداً مكسباً نهائياً، وكونتركراس يدرك ذلك ولايميل إلى نسيانه.

«المرجع: ماغازين ليتريز. عدد (381). نونبر 1999

* يقول ابن رشيق إنّ المبدع تعْرض له في بعض الأوقات فترة (فتور) «فإذا تمادى ذلك على الشاعر قيل: أصفى وأفحى (...) وكذلك يقال له: أجبل...» ج (1) من «العمدة»، ص (205.204). تحقيق م. عبدالحميد. [المترجم]

CS Scanné avec CamScanner

البيان

الثقافي

البيان الثقافي - السلسلة الجديدة
الاثنين 18 أبريل 1988
موافق 30 شعبان 1408
العدد : رقم 6
الثمن : درهم واحد

CS Scanné avec CamScanner

فلسفة : عودة إلى هايدغر

عبد الباسط لكراوي

طالعت بمزيد من الاسف ما نشر على صفحات « سوق المثال » (ع. ...) بخصوص الاتهامات الموجهة الى مارتن هايدغر . كما سبق لي ان اطلعت في نفس الموضوع على العدد الثلاثة وخمسة وثمانين من « اليوم السابع » في شهر نونبر الماضي . وقد انطلق كاتب عمود (اقوال) من تبني موقف عدائي من هايدغر و « نازيته » وتعاطفه مع العقيدة الهتلرية، ليبرره بعدئذ من خلال نسبته الى « فارياس » . واشار الى الضجة التي احدثها كتابه في هذا السياق . ثم ذهب الى ان الجم الغفير من الذين يتبنون النسق الهيدغري تجاوزوا « حقيقة موالاته للنازية » بدعوى مرجعية هذا النسق المتميز . وقد تكررت نسبة النازية الى هايدغر في هذا العمود وحده اربع مرات !! وهو شيء لفت نظري ، وحملني على الادلاء بموقفي من خلال قراءتي المتواضعة لهذا الفيلسوف .

وقبل ذلك ، اريد ان اتحدث في البدء عن حقيقة يتم تغييبها اثناء افتعال هذه الضجة وهي ان ترجمة كتاب فارياس الى الفرنسية والجدل الدائر حوله ايضا ؛ وراءهما معا القوى الامبريالية وحليفتها الصهيونية التي تحاول بين الفينة والاخرى صنع تقارير سرية لاستدرار عطف الرأي العام . خصوصا بعد فشل الضجة المصطنعة حول « فالدهايم » ...

ان هذا الموضوع التاكتيكي ضعيف من عدة نواح ، وسبق لبعض الباحثين ان تصدوا له في مراحل متفرقة ، واذكر منهم على الخصوص « جان بيار فاي » ، و « فرانسوا فيديي » و « موريس دوكانديلاك » و « جورج شتاينر » و « بيير بورديو » وغيرهم ...

وان كتاب « فكتور فارياس » (الشيلي الاصل وتلميذ هايدغر) الذي ترجمه « جان بابتيست غرانيه » ، و « مريم بنهاروش » ، وقدم له « كريستيان جامبي » ، رغم استناده على ارشيف النازية والوثائق الخاصة لهايدغر ، ينقصه الجاد من عدة نواح اذكرها للقراء ليكونوا على بينة من « براءة » هايدغر ، ورغبة مني بحثا في فتح الحوار حول هذه النقط :

ا – تم تنصيب البروفسور « فون موليندورف » ، ثم اقيل بعد اسبوعين من توليه لهذا المنصب بجامعة « فريبورغ » بسبب موقفه المتشدد من الدولة الاشتراكية. وبعد تردد كبير جدا تقلد « هايدغر » منصب العمادة في (21 ابريل عام 1933) ثم قدم استقالته هو الاخر بعد ان ضاق ذرعا بالممارسات النازية ، ويأس من لا جدوائية مشروعه الاكاديمي الضخم الذي اعده بهذه المناسبة . ولم يكتف بالاستقالة فقط بل رفض حضور حفل تنصيب خلفه في العمادة الذي اتى ليؤدي رسالة الرايخ الثالث ، وسط الاضواء والهتافات . وان تقلد هايدغر لهذا المنصب لم يكن غير مشروطا ، لقد التزم موقفي ادارة المقاطعة التابعة للجامعة برفضه للصدق لاي وثيقة داخل الحزب ، وهذا ما جر عليه كثيرا من الويلات فهو سيمضي حتى حرب في محنته .

لكن ما هو المشروع الذي قدمه « هايدغر » للجامعة ؟

انه مشروع فلسفي وعلمي واداري .. للجامعة الالمانية مشروع يلخصه خطابه عن الاثبات الذاتي الذي صادرته النازية بعد سنة من تاريخ صدوره ، ولم يترجم الى الفرنسية الا منذ سبع سنوات فقط . انه المشروع الذي كان له صدى سيئ في اوساط النازية في زمن الحصار والاختناق والخوف . ولنا ان نتعجب ! ذلك ان الحديث يومئذ عن الاثبات او التعضيد الذاتي للجامعة يعني الارتماء الطوعي امام المقصلة ويعني الانتحار الذي لا يخلو من القسوة كما يعني استفزاز الغستابو واستنفار الفرق السرية ! وهو فعلا ما كان يعجز عنه اثنان وعشرون حزبا .

ب – ان الحقيقة التي اكدها هايدغر مرارا بهذا الصدد وبالخصوص في مجلة « دير شبيغل » هو انه « لم يتبين حينئذ اي اختيار اخر غير هذا . ففي خضم البلبلة الشاملة التي اصابت الاراء والنوازع السياسية الممثلة من طرف اثنين وعشرين حزبا ، كان لابد من ايجاد موقف وطني وبخاصة اجتماعي » .

ان هايدغر او « الفاليليو » كما كان يحلو للصحفي والباحث النازي « ارنست كريك » ان ينعته ، لم يتخذ موقفه المتعلق بقبول العمادة والتعامل – في حدود جد ضيقة – مع الادارة ، بحماس او مغالاة ، فهو موقف اي فيلسوف يعيش في ظل الاستبداد الخانق . موقف يرمي الى تنقية الاجواء مع السلطة حتى يتسنى له تصريف برنامجه الجامعي في شروط غير قاهرة ولا مجحفة .

اما انخراطه في الحزب النازي فلا يعدو كونه عملا املته عليه – اضطراريا – وظيفته الادارية فضلا عن الملابسات الآنفة اضف الى ذلك انه لم يكرس قط « فكر وروح العلم والجامعة » – على حد تعبيره – للحزب النازي ، ولم ينتم الى الـ : (ا. س) او الى الـ : (اس. اس.) ، ولم يرتد البذلة العسكرية النازية ، ولم يمنع استاذه « هوسرل » من ارتياد الجامعة والمكتبة وغيرها من التهم الباطلة التي الصقها به اعداؤه واعداء فلسفته/والى جانب هذه المواقف الواضحة ، لابد من التشديد هنا على ان السلطة نفسها لم تقتنع في احتواء تنظيراته وتصوراته ، بل انها لم ترخص له بنشر كتابه الهام عن « هولدرلين » ، ومارست عليه الرقابة بافحش اساليبها ، واوعزت للغستابو بملاحقته وطرده من الخدمة العسكرية ، وشن حملة شعواء على شخصه وعلى اصداراته عبر مجلة (فولك ان ويردان) وغيرها . وكالت له التهم كما لفقته استخفافا بالعنصري ... الخ ....

ان هايدغر رجل يسهي مهمه بدون نواياه جيدة . فهو الذي رفض تعيينه كمبعوث وزارة الخارجية انذاك لالقاء محاضرات باسبانيا والبرتغال وايطاليا ، ورفض بدون تحفظ اي علاقة رخيصة بالكتاب – العملاء النازيين ، ورفض ايضا كل الشروط الفاسية لتبرير سلوكات قادة الرايخ ....

انني اسائل نفسي امام « نظرية هايدغر » عن عزوف الذين يعقرون كرامته في الرحل عن الاحتكام الى « الدزاين » او ما يسميه استاذنا محمد عزيز الحبابي : « بالكائن الذي انا هو » ، قبل التهور الطائش في اصدار اي حكم تيمة على « عرقية » هايدغر . فلماذا نحاكم هيدغر وحده ولا نتصور على محاكمة « غوتفريد بين » او « ارنست فينشر » و « ارنست بيرترام » او غيرهم ؟!!

ثم لماذا عمد « فكتور فارياس » صاحب الكتاب المتنازع حوله الى الحشو والترويج بادعاءات واهية مفادها ان مارتان هايدغر كان ولوعا بترديد اقوال الداعية النمساوي اللاسامي « ابراهام » كما يشير الى ذلك نصا (1910 – 1964) . ولم يسلط الاضواء على مكون اللاسامية في نسقه الكينونتي ؟!!

لقد حزر هايدغر مضاعفات الشائعات التي ستعقب محاكمته الصورية ، لكنه لم يطمس معالمها ، لا خشية من ثبوت القرائن ضده ، ولكن ادراكا لتفاهة الاساليب – بعد الادلاء بتصريح لمجلة « دير شبيغل » المؤدية اليها . ولعل هذا ما حمله فعلا – ان يستلم وعدا من مدير هذه المجلة الاسبوعية السيد « رودولف اوغشتاين » بعدم نشر الحوار الذي اجراه معه في (23 نونبر 1966) الا بعد ان يواري جثمانه وبالضبط في (31) مارس 1976 ، وهو تاريخ نشره ، وبداية لحظة لن تنتهي ...

وبعد ، فان كتاب فارياس الذي خلف اثرا سيئا في صفوف الانتلجنسيا الفرنسية في ظرفية معطاء اصابتها بعشى التمييز بين هايدغر الـ

بين مقولة البراءة

والمؤطه الاتهام ، ان هذا الكتاب بمكوناته البرنيسية والميتية هو الذي انطق « رونيل غودون » بلسان حال الشريحة المثقفة الفرنسية حين قال : « سواء تبنت الحكم لهايدغر او ضده ، فانه يغدو مدعاة للهزء ، بل محذورا ، الازورار عن النفاذ الى باطن هذا الفكر الذي جدد طرائق المساءلة الفلسفية ، بيد انه مهما كانت نواقص كتاب فارياس ، فاننا لن نقرأ ابدا هايدغر كما كنا نفعل في السابق ، اللهم الا اذا تعمدنا ان نمارس التغافل » (ص 70 عن « الماغازين ليتير » (ع 247) نونبر 1987) وهذا الكتاب نفسه هو الذي حفز فيلسوفا كجاك ديريدا على ان يحقق نفسه على مستوى (الانثروبولوجيا الشخصية ... وباختصار شديد ، هذا الكتاب لا يعدو كونه مجرد صفعة جائرة على قفا اعظم فيلسوف في العصر الحديث .

CS Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق اسبوعي

السبت 16 شعبان 1406 الموافق 26 ابريل 1986 العدد : 779 ، السنة : 16

Scanné avec CamScanner

إشكالية الترجمة في (المسألة الشعرية)

بقلم : عبد الباسط الكراري

. ١٩٩٨) من انجاز الاستاذين محمد العمري ومحمد الولي. وهو، كما لاحظنا، مجهود يشكر عليه ...

وقد حسبت عند القراءة الاولى لنص الترجمة، باختلال في رأب المفاصل البنائية ... بدون شك ...

تصدير :

أولا، الترجمة ... (L'ai trouvé, un ... saisie dans son profil d'indentation») ...

[illegible]

المزالق	البدائل	الصفحة	السطر
1 . ذلك ان في اللغة مفارقة حقيقية فهي تبدو...	ذلك ان اللغة هي تلك المفارقة الحقيقية التي تبدو...	ص 84	(2)
2 . الدليل	2 . العلامة (حتى يرتفع الالتباس الدلالي الذي قد يحدث بجر هذا المصطلح الى (البرهان) اي preuve او argument فالعلامة إذن هي المصطلح الذي وقع التواضع عليه. وقد يكون المترجمان في غنى عن أن تسوق في هذا السياق التعليلات ذات الطابع الأسلي)	ص 84	(8)
3 . المدرسي	3 . السكولائي، والسكولائيون هم عما القائلون: ... voces significant res mediantibus conceptibus (école scholastique)	(ن . ص)	(ن . س)
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

إشكالية الترجمة في (المسألة الشعرية)

المزالق	البدائل	الصفحة	السطر
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الهامش رقم 1 :
Voir l'herme(Massignon) P(51) Ed de l'herme. Paris 1970

مجيد طوبيا في الفرنسية

صدرت في فرنسا مؤخرا الترجمة الفرنسية لرواية «معركة ضد الفجر» للكاتب المصري مجيد طوبيا في سلسلة «الآداب العربية» الجديدة التي تصدرها دار نشر «ج.س.لاتيه».

وهذه رابع رواية تترجمها عن اللغة العربية هذه المجموعة التي بدأت بموجب اتفاق بين «لاتيه» ومعهد العالم العربي في باريس بهدف التعريف بالأدب العربي في فرنسا.

وقد أصدرت نفس المجموعة خلال عام 1985 الجزء الأول من ثلاثية الكاتب المصري نجيب محفوظ «بين القصرين». أما الجزءان الآخران فسيصدران في وقت لاحق ورواية «صوت الفجر» للكاتب العراقي فؤاد التكرلي و «حكاية زهرة» للكاتبة اللبنانية حنان الشيخ.

ويحتوي كتاب مجيد طوبيا «معركة ضد الفجر» بالإضافة الى الرواية التي تحمل نفس العنوان (٩٠ صفحة) على ثلاث قصص قصيرة.

وتصف قصص مجيد طوبيا الذي ولد في صعيد مصر عام 1938 حياة الطبقات الشعبية في مصر بعاداتها ومعتقداتها من خلال قصة حب مدمرة بين رجل وامرأة وكفاحهما ضد القوى المعادية للطبيعة.

والأدب العربي غير معروف في فرنسا حيث لا تصل سوى نماذج قليلة منه.

وكانت دار «سندباد» للنشر من أولى دور النشر التي أبدت اهتماما بالأدب العربي. ومنذ نهاية السبعينات ترجمت رواية «مصر المعجزات» للكاتب نجيب محفوظ و «موسم الهجرة الى الشمال» للكاتب السوداني الطيب صالح. وأقدمت ... عام 1985 ترجمة لرواية «الزيني بركات» للكاتب المصري جمال الغيطاني.

وأعرب المسؤولون في دار نشر «لاتيه» عن ارتياحهم لحجم مبيعات الروايات العربية وأعربوا عن اعتقادهم بأن «الأدب العربي يشق طريقه في فرنسا».

رحيل الكاتب المسرحي السوفياتي الكس اربوزوف

* نشرت صحيفة «فتشرنيا موسكفا» ان الكاتب المسرحي السوفياتي الكس اربوزوف وهو من أشهر كتاب المسرح السوفياتي الذين تعرض مسرحياتهم في الاتحاد السوفياتي منذ عام 1930 توفي في 20 أبريل الحالي عن 77 عاما.

وهو عضو في اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي منذ 1934 وكتب عدة مسرحيات نال بعضها نجاحا كبيرا في الاتحاد السوفياتي وبصفة خاصة «تانيا» (1939) و«المدينة في الفجر» (1941) و«الطريق الطويل» (1935).

والكس اربوزوف من الكتاب الذين عرضت مسرحياتهم على المسارح الأجنبية وقد عرضت مسرحياته في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية على حد سواء.

وقد كتب حوالي ثلاثين مسرحية شكلت العصر الذهبي للمسرح السوفياتي فقد مثلت مسرحية «مارات المسكين» (1965) حوالي 2000 مرة في جميع مسارح الاتحاد السوفياتي.

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق اسبوعي

السبت 23 رمضان 1404 ـ 23 يونيو 1984 العدد : 699

CS Scanné avec CamScanner

أعمال تحت المجهار ①

قراءة في كتابة نقدية !

بقلم عبد الباسط لكراري

منذ قولة سوسير :
«language is a system whose parts can and must all be all be considered in their synchronic solidarity» (1)

أصبح السعي حثيثا إلى استبطان العلاقات التي تنتظم المقول، ومع س. فرويد قطع العقل رحلة عبر المجهول للتنقيب في هذا المقول عن اللامقول وحديث «الآخر» في الكتابة . وإن كل «الدراسات أكدت . كما يقول بارت . على أن المدلول ليس «شيئا» وإنما هو تمثل نفسي للشيء» (2) . ومع غريمس وكريستيفا وغيرهما غدا النص معملا لانتاج الرموز والعلامات . وصورة لفعاليات الصانع الأول وقيمة المنتوج في سوق العلاميات .

وقد بذل النقاد المغاربة المحدثون جهودا محمودة لاكتناه ملابسات الكتابة ، وتتفاوت هذه الجهود بمقدار تمثل أصحابها للخطاب الألسني ومدى تمثيلهم له . وسوف ينصبّ هذا المقال على نقد نموذج من النماذج «الوضعية» وتقديرها في ضوء معطيات البحث الذي ارتضاه صاحبه ، وأقصدهنا بالبحث مقالتين متواليتين للأستاذ إدريس الناقوري موسومتين ب («الغراب» دراسة سيميائية دلالية) (3) .

أهم ما تتميز به هذه الدراسة هو عدم توافر الأدوات النقدية الصارمة في المنهج المتبع بل عدم ظهور السيمياء بشكل جاد فيها . فهو يدغم في تركيبة واحدة السيمياء والدلالة دون مراعاة للبون الشاسع بينهما . ولن أتطرق إلى التفرقة بين الـ sémiotique والـ sémantique أو إلى مآخذ السيميائيين المحدثين وفي طليعتهم غريمس وكريستيفا على واضع هذه اللبنة الألسنية . الأمريكي بيرس (1839 . 1914) أو إلى خواص كل مدرسة سيميائية لأن ذلك يستدعي عقد فصول وأبواب .

يستند الأستاذ الناقوري في دراسته إلى مرجع فرنسي واحد هو مجلة «تواصلات» التي عنيت في عددها الثامن بالتحليل البنيوي (وليس السيميائي) للنص . وقد عمد الأستاذ إلى مبحث بارت الذي يتصدر سلسلة البحوث الأخرى وجعل منه أصلا يقيس عليه ما يعرضه من ملامح عن أقصوصة «الغراب» ، وهو إلى جانب ذلك لم يضع الحدود المنهجية للدراسة بل جعلها مبنية للمجهول ... أما الشواهد التي أوردها في ثناياها فقد جاءت مبتسرة بشكل يشكك في مقدرته على استيعاب مبحث بارت . ولكل هذه الأحكام تسويغ دقيق لن يدع . فيما أظن . للمرتاب فجوة يتطرق الشك منها إليه . إن الجوانب الأصيلة في دراسة الناقوري ضئيلة ، وهي على ندرتها لاتسمح بالحكم له وتنحصر اصالتها في الجزء المتعلق بالمراجع الدلالية لمفهوم «الغراب» وتمتاز هذه الواجهة بالنفاذ إلى جوهر التراث العربي والبحث في هذه المنظومة المرجعية عن الدوال التي تصل الجوانب الحضارية بالمفهوم ، ناهيك عن النفاذ إلى باطن الأقصوصة والكشف عن لحمة العلاقات التي تصلها بالغراب . الرمز فضلا عن بعض المقاطع من المستوى الرمزي من دراسته . وكم كنا نودّ أن يتوالى البحث في ضوء معايير محددة كالتي اعتمدها صاحبنا في الكشف عن حقيقة الغراب ، لكن ظواهر سلبية خدشت جوهر الدراسة وأحالتها إلى أعراض أوجزها في مايلي .

أ . غياب الاسناد المرجعي : فالناقوري يورد مداخل توهم بأنه واضعها ، لكن الاكتفاء إلى الأصل يكشف عن خيبة الأمل وعن القرصنة المغلفة بالوقار : فقد تضمن الهامش خمس إحالات والحق أنها تفوق هذا العدد بكثير أقول ذلك مستنكفا من مقارنة ما يورده الأستاذ من مداخل بما قاله ر. بارت حذر الوقوع في «الفلفلة» واطراح الشكوك . ولأن النقد سينتقل بنا فيما يشبه الطفرة من المعايير النقدية إلى مايسميه بعضهم «أخلاق الكتابة» . وعلى كل حال ، فقد اتخذت دراسته في علاقتها بمجلة (التواصلات) هذا الشكل بارت . التنظير . التطبيق (الناقوري) .

ب . العناوين التي قرمطتها يراع الناقوري تعود أصلا إلى العناوين التي وضعها بارت في تقديمه للمجلة المذكورة سلفا !

ج . الترجمة الركيكة : فالناقوري لايتقيد حرفيا بالأصل ولا يتصرف لصالح المعنى بل يقف في منزلة بين المنزلتين ، إن لم يدّع ماليس له ، ولنضرب مثالا على ذلك : فهو يقول في الصفحة السادسة من الملحق دون إحالة : «والمعروف أن أرسطو اعتبر الشخصية ثانوية بالنسبة إلى الحدث» وبارت يقول :

«Dans la poétique aristotélicienne la notion de personnage est secondaire, entièrement soumise à la notion d'action» (4)

وترجمته «في الانشائية الأرسطية تعتبر فكرة الشخصية ثانوية وخاضعة كليا لمبدأ الحركة» . وربما قاده ذلك إلى سقطات أشد وأعظم تنهض دليلا على قصوره عن الاستيعاب الدقيق لما يقوله السيد بارت ، ومن ذلك أنه عمّم تصنيف ما أسماه «الوحدات السردية» على كثير من المدارس غير المتجانسة زاعما أن هذا التصنيف قد «تبناه أغلب النقاد والباحثين الغربيين المعاصرين» ومنهم «كلود بريمون وفيليب حامون وورولان بارت وتودوروف» (5) . وهذا التصنيف قسمه إلى قسمين كبيرين بدل «قسمين كبيرين من الوظائف» : . الوحدات التوزيعية بدل «الأقسام التوزيعية» والوحدات الاندماجية بدل «المتضمنة» . ووجه الخطأ فيما ذهب إليه الأستاذ الناقوري أن ر. بارت يرى أن الأقسام التوزيعية وحدها توازي وظائف بروب (Propp) (احدى وثلاثون وظيفة) واستعادها بعده بريمون وقد صرح بارت أنه سيفصل القول فيها بشكل مستفيض أكثر من هذين الكاتبين . فما الداعي إذن إلى إدراج تودوروف وفيليب في إطار هذه المجموعة الصغرى ؟ ربما غاب عن ناظر صاحبنا أن مبحث ت . تودوروف هو منطق الوظائف» ... ثم ما السرّ في ترجمة الايقونات (Icônes) التي تعود إلى الثالوث الرمزي الذي وضعه بيرس Peirse في إطار السيميوطيقا ، والذي يضم [الايقونات/ القرائن/ الرموز] ، هذا الثالوث الذي يأتي كخطوة سببية لرغبة بيرس في تأسيس الجبر الكلي للعلاقات / «Algebre universelle de relations» ترجم الناقوري إذن الايقونات «بالعلامات» . وهذه زلة قراءة متسرعة تنافي ما يشترطه مونان في مفاتيحه : «قبل الشعور برسوخ القدم في التكوين الذاتي ، يجب عدم خلط أجزاء النظريات وأطراف الفرضيات ومحاولات التفسير المتباينة كل التباين . فانطلاقا من ألسنية واحدة متمثلة تمام التمثل (حيث لاإيراد الانحباس أبدا طبعا) يمكن فيما بعد التوجه بخطى ثابتة نحوالآخر بالمقارنة والمناقشة والحكم والاختيار» (ص 27 من الترجمة التونسية) .

وقد كنا قبل ذلك نشعر برغبة جامحة في ترقب الكشف السيميائي لنص «الغراب» حسب المستويات الأربعة : . الحيز الاضماري العميق/ وحيز البناء الاظهاري/ والحيز المرجعي الأثبتي/ وحيز التصية كما كنا نترقب ظهور مبدأي «الـ géno- texte» أي المضمون المضمر للنص ، و «الـ Phéno- texte» أي واقع توليد النص . اللذين اقترحتهما كريستيفا انطلاقا من دراستها لسومجان وسوبوليفا . هذان المصطلحان المتصلان بالبنية الغائرة والبنية الظاهرة ، الضروريان في مثل هذه الدراسة لدمج التعيين بالتضمين . وكنا نودّ غير ذلك ، فما ظفرنا إلا بأمشاج مبعثرة ونسيج متخلخل .

وإذا كان ليوتارد (J.F. LYOTARD) يقول «ليس الخطاب إنشائيا لأنه يغوينا ولكن لأنه بالاضافة إلى ذلك يرينا عمليات الاغواء واللاشعور ....» فإن النظرة الفاحصة إلى المكتوب وعلاقات الكتابة تفرض البحث عن تجليات الأيروس اللغوي في الأقصوصة ، ومن هنا جاءت الدراسة المعنية منشطرة عن قواعد البحث الرصين وتقاليده .

وقد تكون الأعراض التي اقتصرت على ذكر بعضها تجنيا على العمل الابداعي المتميز ليوزفور (أقصوصة الغراب) . ولكنه على كل حال صورة لذلك النقد الذي يطمح إلى أن يمشي على قدميه والذي ينسخ الآخر بشكل احتيالي رغبة في إثبات الذات في منطقة الايجاب المحض . ويظهر أن قولة بنفنست في تحديد مجال الألسنية بتحويل ما يسميه هوميروس ب «الكلمات المجنحة» إلى مادة عيانية ، لازالت لم تهضم بعد بشكل يضمن سبْر الاستخبار النقدي . فمحاولة الناقوري أوشكت أن تلامس بعض الجوانب الخاصة لولا ما بَدَر منه ... وأخلص من ذلك إلى تلخيص دراسته «السيميائية الدلالية» لأقصوصة الغراب في أنها محاولة تقليد فاشلة ، والذي أقصده بالتقليد هو وضع الدراسة على غرار مبحث بارت في «التواصلات» والذي أقصده بالفشل هو غياب النزاهة التحليلية في ضوء المنهج المرسوم .

« الهوامش »

(1) F.De Saussure. Course in General Linguistics Eng Translation by Wade Baskin. New york. 1959 - p 87

(2) Communications: Recherches semiologiques N 4 1964. Seuil. p 107

(3) ملحقا البيان الثقافي ع17/19_82_(3)

(4) Communications : L'analyse structurale du récit N.8. Ed. Seuil 1981 (p 21)

(5) ملحوظة : تلافيا لأي همز او لمز اقول للأستاذ الناقوري التي غير منتظم لئلا يقول علي ما قاله عن الاستاذ الاصابني بعد انتقاده لمصطلحه المشترك في مقاله :
« المصطلح المشترك بين المفهوم المضطرب والترديد الشعاري » مجلة المدينة / ع 3 / 1979 / ص 17 . 56 .

(6) القول المجهار وليس المجهر ، جريا على تسمية مصطفى الشهابي انظر كتابه « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » ص 66 .

. كتب المقال في 1984/4/12 بسطات

العلم

لسان حزب الاستقلال

تأسست في 11 سبتمبر 1946

مصر على استعداد لارسال قواتها الى دول عربية

اكد الدكتور بطرس غالي وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية انه من الصعب ان يكون للاتحاد السوفياتي دور متوازن ومتوازي مع دور الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة لاسرائيل .. لا لشيء الا لان النفوذ السوفياتي على اسرائيل لايمكن ان يضارع او يقارن بالنفوذ الامريكي عليها . وقال الوزير المصري في حديث لصحيفة الانباء الكويتية ان مصر مازالت ترى ان امريكا تستطيع ان تلعب دور الشريك الكامل لايجاد حل سلمي في الشرق العربي . الا انه اكد ان الدبلوماسية المصرية ترى ان لامفر من عودة الاتحاد السوفياتي الى المنطقة لايجاد حل لازمة الشرق العربي مشيرا الى ضرورة اشراك السوفيات في مرحلة آجلة . وعن مبادرة مصر بخصوص انهاء الحرب بين العراق وايران اكد ان الوساطة المصرية تتم في اطار حركة عدم الانحياز وانها ترمي الى ان تتحرك مجموعة عدم الانحياز وتتولى عملية ايجاد حل للمواجهة العسكرية بين العراق وايران وعما يتردد من ان الهند لم تعط ثقلا للدور المصري في هذا الشأن وان السيدة انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند والرئيسة الحالية لحركة عدم الانحياز قد الغت زيارة كانت مقررة لها لمصر قال ان هذا غير صحيح . واكد وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية ان الحفاظ على الامن في منطقة الخليج هي مسؤولية ابناء المنطقة وان معاهدة الدفاع العربي المشترك التي وقعت عليها مصر عام 1950 مازالت قائمة وسارية البنود وانه من خلال هذه المعاهدة تستطيع دول المنطقة ان تجد حلا لقضية الامن في المنطقة . ويعتبر ذلك اعادة لتأكيد مصر استعدادها لارسال قواتها الى دول عربية .

في العلم السياسي
العدد 19

كريم بقرادوني يؤرخ لعهد الرئيس سركيس
- الفسيفساء اللبناني
- الدور السوري
- الالغام العربية
- تحليل للشخصيات المؤثرة في الاحداث

المدير المسؤول محمد العربي المساري	السنة : 38 العدد : 12.320	الثلاثاء 6 شعبان 1404 الموافق 8 ماي 1984	الايداع القانوني 3 ـ 1946 المطبعة : الرسالة ـ الرباط	الهاتف 324.19 324.20 302.37	10 صفحات الثمن: درهم واحد	Mardi 8 Mai 1984	AL - ALAM BP. 141 - RABAT

CS Scanné avec CamScanner

أنصفونا !

بعد انحسار موجة التحامل على الادب المغربي والاندلسي ، التي قادها بعض فطاحل النقد الوصفي التاريخي من المشارقة ، (د. شوقي ضيف كنموذج)، تلك الحملة المغرضة التي استهدفت النيل من أصالته وخصائصه المستوحدة ، فكتب لها ان تجثم على صدور واعجاز الاسفار، وتستشري في بطون الكتب ، الي أن قام لها ابناء هذا الربع المبارك يختبرون مدى صدقها او زيفها، فتكشفت ضلالتها ، وتبين تقصد هؤلاء النقدة. واليوم، لازال المثل «رب رماد يخشى لظاه» فارضا وجوده، بعد الذي نشهده ونلحظه من افتتات على القيم الفنية . والخواص الابداعية المتنوعة لادباء هذا القطر. ومما يعزز من استفحال هذه الموجة ، تجند نقاد مرموقين وشعراء كبار وترويجهم لها في أسواق الادب . فقد اجرت جريدة « الشرق الاوسط» يوم السبت 21/ 4/ 84 حوارا مع الشاعر العراقي الفاضل «بلند الحيدري» يخص موضوعات الحداثة والتجديد وغيرهما ، وقد صرح بالعبارات التالية « ...والعرب سمعيون. في الاصل وهذا لا يشمل المغرب ، «كذا» فأهله لضعف اللغات كانوا بصريين... (كذا) ولذلك فأي طفل مغربي يلعب في الالوان ... المغربي بصري جدا بينما العربي المشرقي سمعي جدا...» فعن اي اللغات يتحدث الاستاذ الحيدري ؟ وما الذي يقصده من وراء تصريحه بضعف اللغات ؟ وما هذا الاستثناء العجيب ؟! إنني لا أرى - وأستسمح سيادته - في تعابيره الا منزلقا وكلاما لا طائل تحته ، ومرد ذلك الى غياب النظرة الثاقبة ، والرؤية المرتكزة على أسس علمية صارمة «وأشدد هنا على لفظة (علمية) »، وما تقسيمه ذاك الا استمرار لاحكام القيمة والافكار الانطباعية التي ما تلبث ان تندرس أو تصبح حكما مسبوكة يرددها أدباء المقاهي . واذا كنا نقبل قولا لابن خلدون لاحتوانه على أفكار نقدية صائبة تنسجم مع احدث تحليل ألسني، ونصه « فلا الاندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر اهل الاندلس والمشرق ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر الاندلس والمغرب، لان اللسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق لمحاسن الشعر من أهل جلدته» المقدمة/ ص 588. فان التقسيم الابداعي على أساس الصور والحواس تقسيم باطل لخلوه من شرائط الاستدلال العلمي ولغلبة الفروض فيه على قواعد الاستنباط الصريح .

والذي أخشاه، ان تتوالى مثل هذه الوجبات السائغة للذين يتشوفون الى دحض تأثل الابداع المغربي ، كما أخشى ان تتأدى هذه النظرة العجلى الى موضوعات أخرى ، فتزدوج العاقبة ، أو يتقوى في نفوس المشارقة الاشقاء اعتقاد كون مثل هذا التصريح أو غيره صائبا فيسوء الفهم وتشتد الحمية .

عبد الباسط لكراري

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

مُلحق أسبوعي

يصدر يوم السبت
كل أسبوع
عن جريدة العلم
11 شارع علال بن عبد الله
الرباط: ص.ب 141
الهاتف: 19-324 /20-324
37-302
السبت 21 ربيع الاول 1408
الموافق 14 نونبر 1987
العدد: 849
السنة: 17

CS Scanné avec CamScanner

حداثة التجربة وتجربة الحداثة في التكوينية النصية

بقلم : عبد الباسط لكراري

توطئة

نواصل عبر هذه السلسلة من الدراسات التي تظهر تباعا في صفحات الملحق الثقافي، ... التكوينية النصية (Genetique Textuelle) كقطاع مركزي، ولاشك ان المسافة الزمنية التي تفصل كتابة هذه المقالات ...

في حدوثها بين حركتي الوعي واللا وعي، وهذه الفكرة تقوم على ان الاشتغال الداخلي لآواليات الابصار لا يحدث الشعور به اثناء رؤية الاشياء وبالتالي فان الابصار لا يتوقف على الوعي بهذه الآواليات المعقدة !!

٥ - مبدأ الهيأة Temaxim Of manner

١ - كن واضحا وبخاصة:

١ - أ : تجنب اللبس .

١ - ب: تجنب الغموض .

١ - ج: توخ الايجاز .

١ - د: كن منظما، (٧) اي (كن منهجيا) .

الاطار القصدي عند «كرايس»

القصد والظاهرة القصدية

القصد كالتنبيه ... ، والاستفهام الانكاري، والتعجب (...) ويبقى السياق ذا دور مركزي في تحديد نوع القول وأجرائيته *

ويظل المشكل مطروحا بالنسبة الى النزعتين كلتيهما، وهو مشكل معقد يطال الظاهرة القصدية باصلبها مادامت مقولتا الحدث والفعل غير كافيتين للتعبير عن حالة الشكل والنمط مقولة الظاهرة. وبالتالي، كما تقول «بيستلي»، فإنه يمكن الاستنتاج بأن الظاهرة اهم واشمل من مجموع مقولتي الحدث والفعل (١٥) ويطرح الاشكال بالنسبة للنزعة الثانية بخاصة على مستوى «منطقة» الافعال الانجازية لانه، كما يشير «اوستن»، ليس هناك معيار نحوي او معجمي لتمييز الافعال الانجازية من غيرها في الاقوال... رغم التعريف الذي يقدم عادة لهذه الاقوال الانجازية بكونها :

أ - وصفا لفعل معين لمتكلمها (او الشخص الذي تصدر عنه).

ب - يكون ابلاغها يعني بتحقيق هذا الفعل عينه .

وهذا الاشكال يقودنا الى البحث في علاقة القصد بالقوى البيانية .

القصد والقوة الانجازية :

تطرح قضية القصد مجموعة من الاشكالات العويصة على مستوى الخطاب كما على مستوى «المقدرة» و «الانجاز»، اذا نحن اردنا استعمال مصطلحي التيار التوليدي التحويلي .

فالذين يأخذون عن الاطروحة التداولية يرون ان السبيل الاوحد الى تداولية تتناول القصدية، يتمثل اساسا في اختزال ... القصد ...

تصبح للقول قوة الامر البيانية إذا قصد المتكلم بهذا القول، اصدار امر الى السامع، وتكون للقول قوة الاستفهام البيانية اذا قصد المتكلم به استفهام السامع عن شيء ما (وهكذا دواليك). (٢٤)

ويظل تحقق القصد البياني للمتكلم متوقفا على استيعاب وإدراك السامع له. وهذا الطرح نجده عند «كرايس» الذي يرى ان القول بأن متكلما يعني شيئا ما من خلال ابلاغ قولي معين، يستتبع بالضرورة القول بأنه يمتلك قصدا بأن الابلاغ القولي يحدث لدى السامع اثرا معينا بواسطة ادراك تلك القصد (٢٥).

القصد في التكوينية النصية

في الدرس النقدي التكويني - التداولي، تطرح اشكالية حيازة الخطاب الادبي لافعال اللغة كما تتموضع في الخطاب المتداول شفاها، ...

البقية على ص ٧

قصائد

حداثة التجربة وتجربـــة الحداثة

في التكوينيـــة النصية

"تتمة"

للقصد البياني(31).

هذه اذن مجموعة من الاقتراحات عنت لي وانا بصدد مقاربة الظاهرة القصدية. وقد يرى البعض في ذلك عزوفا عن طرح المستويات المرجعية، ونوعا من العزل القسري للنص التكويني عن بعض شرائطه، لكنني اشدد على الاهمية المركزية لهذه الظاهرة وللعناصر الداخلية اخذا برأي سوسير الذاهب الى ان «الداخلي» هو كل ما يغير النظام بدرجة من الدرجات.(32) وبالتالي يكون الاهتمام بالعناصر الداخلية اهتماما بالنظام نفسه (وهذا ما سنراه في دراسة الضمائر في العدد القادم).

Nota Bene

يطرح النص الحديث اشكاليات متعددة على صعيد المواد التي تشكله، وعلى صعيد الآليات الاجرائية لمقاربته، ويعتبر القصد، الذي ألحت الادبيات النقدية الكلاسيكية على ضرورة وضعه في الاعتبار .(1) احد وسائل رصد النص الحديث رغم تعقد لواحقه وتفرغ اتجاهاته.

معطى واحد مثلا يؤشر على جانب خصب من جوانب تزاوج النظريات والمنظومات المرجعية سأطرحه هنا في شيء من الاختزال، يتعلق الامر بعقد الصلة بين مبدأ الترابط الكرايسي القائم على جعل المداخلة . خلال حوار معين . في علاقة مثيلة بالموضوع الذي حدد له(2). وما يسمى بال ... (التأويل المزدوج) كنوع من انواع «تصادم الترسيمات» في دراسة «نيل نوريك» (N... ... NORRICK) ص 237/236.

ان مبدأ الترابط يقتضي انه اذا كان سؤال احدهم عن الساعة.(4) فالاجابة ينبغي ان تكون محمولة على موضوع السؤال، غير مفارقة له: . سيخبر السائل بإشارة منبه الساعة، متفادين اي تشاكل مقصود، مع الساعة (يوم الحشر مثلا)...

لقد فحص «نوريك» تصادم الترسيمة فيما يتعلق بالغموض الناتج عن التعدد المعنوي (P...ysemy). والمثال الذي قدمه في هذا الشأن هو:

س . ماذا تقول ساعتك؟ ·Wa... d ...es ... y ... w... ... say

ج . تيك تاك، تيك تاك ! ·Tick ...ck, ...k ...k

يرى «نوريك» ان الجناس الكامن في الرد يحجب فهمين متباينين لكلمة (say) حيث تعني في ذات الآن: (تشير : I...dica...e) و(تعبر /تبين - U...).

ويدور تصادم الترسيمة المسؤول عن التأويل المزدوج في هذا المثال . ظاهريا . حول «اللكسيم» المشترك، اي كلمة (say). فثمة في السؤال المشتمل على (say) ترسيمة تتضمن ساعات اليوم، وينتظر ان تأتي الاجوبة معززة بالارقام، والتعابير الزمنية مثل: (Half-...) او (Quar...er-af...er) او (O'c...k). لكن هذه الترقبات تم استبعادها عن طريق اعادة تأويل كلمة (say) كمعادل لكلمة (U...). مما ينتج عنه اقحام ترسيمة جديدة تتعلق بالاصوات. وهي الواردة في الرد. ويمكن، بالتالي، التعبير عن هذا التصادم في هذه الخطاطة:

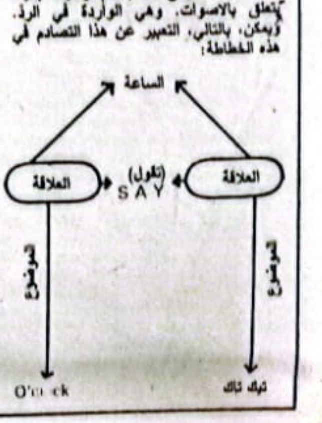

هوامش الفصل

(1) جاء في الجزء الاول من «عمدة ابن رشيق» ص (199): «فاول ما يحتاج اليه الشاعر (...) حسن التأتي والسياسة، وعلم مقاصد القول (...) فانه معرفة اغراض المخاطب كائنا من كان، ليدخل اليه من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس، وبه تفاضلوا.» /العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ج 1/ تحقيق محيي الدين محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت الطبعة الخامسة (1981). ونرجو العودة كذلك الى ص (15) من محاضرة الدكتور محمد مفتاح «المنهاجية بين خصوصيات علم الموضوع والثقافة القومية» (قضايا المنهج في اللغة والادب) دار توبقال للنشر. ط.1.1987.

(2)A.Fa... ... ...
B... ... ... S...
... 60
(3/4)(1986). M... ... G...
A...sterdam, B..., New York

(3) . اشار كرايس الى ان هذا المبدأ يخفي في وجازته عددا من القضايا الشائكة:

. ما هي مختلف انواع ومراكز الوجاهة الممكنة ؟ كيف تتعدل خلال تحاور كلامي؟

. ما هي الاجراءات العادية التي تؤدي في تغيير موضوع الحوار مع الاحتفاظ ببعض المشروعية ؟ الخ...» (راجع مؤلفه: C... (العدد الخاص بالحوار مذكور في لائحة المراجع السابقة: ص ( )

(4) . احتفظت هنا بمثال «الساعة» الذي سيرد عند نوريك في المرجع المذكور، هامش رقم (2).

هوامش النص

. وجاء في مادة (نوى) (لسان العرب): «نوى الشيء نية ونية بالتخفيف، عن اللحياني وحده، وهو نادر، الا ان يكون على الحذف، وانتواه كلاهما: قصده واعتقده ونوى المنزل وانتواه كذلك. والنية: الوجه يذهب فيه (...) وانتوى القوم منزلا بموضع كذا وكذا واستقرت نواهم اي اقاموا. وفي حديث عروة في المرأة البدوية يتوفى عنها زوجها انها تنتوي حيث انتوى اهلها اي تنتقل وتتحول» ص 347 وجاء فيه ايضا نقلا عن صاحب «الصحاح»: «نويت نية ونواة اي عزم والتويت مثله. قال الشاعر:

وانوت ولما تنتوي كنواتي.

قال: يقول لم تنو لي كما نويت في مودتها، ويروى: ولما تنتوي بنواتي اي لم تقض حاجتي، وانشد ابن بري لقيس بن الخطيم:

ولـــم ار كامـــرئ، يدنـــو لخسف

له في الارض سيـــر والتــــواء(...)

يقال نواه بنواته اي رده بحاجته وقضاها له، ويقال: لي في بني فلان نواة ونية، اي حاجة» ص 348 وجاء في (فاكهة البستان) للشيخ عبد الله البستاني (مادة: نوى): «نوى الشيء ينويه نية ونية قصده وعزم عليه (...) تنوى الشيء، تنويا: قصده...» ص1527، وهكذا في كثير من المعاجم.

2 . اعتمدنا على البحث القيم لشفيقة بستكي: «دراسة في القصد، المنطق والانطولوجيا».

وكل الاقوال الموضوعة بين مزدوجتين مأخوذة منه. ص 144/143.

3 . هرمان باريت ص (33).

4 . تم تبني مجموعة من الثنائيات المتقابلة، يحدد في اطارها الحقل المفهومي للاطراف المكونة لها وقد ذكر منها «باريت»:

القصد /الرغبة
القصد /التنبؤ
القصد /الاعتقاد
القصد /التفكير (انظر «باريت» في المراجع، وشفيقة بستكي)

وفي تصوري ان حل هذه الاشكالية يجب ان يلتمس في الاقوال التي تصاغ بها هذه الاطراف، وفي الجاز مسح للاطر المرجعية التي ترتكز عليها وهي كثيرة تسمح لنا بالحديث عن قصديات لا قصد واحد، وعن مفاهيم لظاهرة القصد، لا مفهوم موحد ومتجانس: (القصدية كرايس، قصدية هوسرل، قصدية السكولستيك الخ).

5 . باريت (مرجع مذكور) ص(35).

6 . باريت نفسه. ص (35).

7 . ستكي، س، ليفنسون. ص(318).

8 . معلوم ان مبادىء «كرايس» تعرضت لهزات عنيفة في كثير من المقاربات الدلالية والقولية. «فديان بروكواي» (Dia... B...ckway) مثلا، تعتبر مبادىء «كرايس» غير ضرورية لتأويل الاقوال، وترى ان مقترح «ويلسون» و«سبيربر» (Wils... ... Sperber) (1979) الخاص «بالملاءمة» كمبدأ مستوعب بشكل شمولي لكل مبادىء «كرايس» ومعزز بمعيار يتيح لنا الفصل بين الوقائع التابعة للدلالة والوقائع التابعة للتداوليات، ومن ثم تحدد التداوليات بكونها خطية للملاءمة، لما تنهض به هذه الاخيرة من دور حاسم في فرز الدلالي عن التداولي حسن الوصف القولي. ص(13) مجلة (الفكر) ع(67)، ومن جهة اخرى، وعلى مستوى جزئي ومرحلي، تعرض جل مبادىء كرايس للانهيار وفقد مصداقيته الاجرائية. (راجع: مدخل لتحليل الخطاب. ص: (14)).

9)Pragmatics. S... ... ...(100)
(102) ... I...troduct...(31)

(هذه المبادىء الاربعة الاخيرة اقتبسها كرايس من كانط: المقولات)

10 . راجع فرانسيس جاك. ص(53).

11 . نفسه (ص54)

12 . اعتبر ان ما يكون القصد بشكل عام هي العناصر المتشاكلة لاحداثه.

13 . بستكي ص (164).

14 . لاحظ انني لا اعني النوع الثالث من القصد الآنف الذكر.

4 . د. الطوان الخوري. ص(59).

15 . شفيقة بستكي (نفسه) ص (164).

* فيما يخص علاقة التنغيم بالقوة الانجازية الحرفية (المتوكل 1986) ص (106) والفصل الاول من الجزء الثالث منه نفسه: (الاستفهام).

16 . بستكي. ص(167).

19 . نفسه. ص (36) نقلا عن «السكومب» (1957) و«فيلسن» (1964).

17)H.Pa...e...n(36)

18) Ibid,...n(36)
19) Ibidem...n (36)
20)
21) E...cyc...paedia U...ver...s...(776)
22)I...troduc...n(22), a...d L.K...v (S...
Ar...s) ...n (965) ... T...sis, S...b...k
23) ·T...sis Sebe...k ...(966)
24) C...mmu...ica...i...n (96)
25) E...cyc...o...dia U...ver...s...(776)
26) C...mmu...ica...i...n(96)
27) I...troduc...n (180)
28) Ibid, ...n.(180)
29) C...mmu...ica...i...n (95)
30) ·Ava...ces ... A...n... (205 214)
31) C...mmu...ica...i...n (98)
32) ·C...rs de ...ique ... (43).

ثبت المراجع:

I المراجع الانجليزية:

1- A... ...troduc... ... ...dis... ...a...ys...s
Mac... ... ...sed, ...
New York.1985.

2- Pragmatics: S...e...a...c, Lev...s
Cambridge Textb...ks ... ...ques..., L... ...
New York, New R...
Melb...urne Sydney. 1983.

3- E...cyc...pedic D...ary ... I Sem...s.
M...u... ... de ...gruyter B... New York·
Amsterdam.1986.

...K...n Vzq...

4 - L...gues ... Be... ...e (Du...sec...)
78- Ma... 1982 by Fr...h, Ge...a...y W...s.

II المراجع الفرنسية:

1- C...mmu...ica...i...n (La ... ...ve...s...)
(N:30). 1979. Ed.du Seuil

2- La...ga...es (La ...se ... ...disc...rs)
(N: 70).Ju...e 1983.

3- E...cyc...pédia U...ve...sa...s (La ...
(P...s...) V... (9).

4- C...rs de ...ique ...:F.d. Saussure
Ed.C...que ... T...r... d... Mau... Pay... ...
1982

5- Ava...ces ..., Tex...es ...
Ed. du C.N.R.S ... Akadé...k... K...t . 1982
Pr...ded... H...gary.

6- H.Pa...e Ed: ... ...
Amsterdam. Ed. J... B...j...n... 1980.

III المراجع العربية:

1 . شفيقة بستكي (دراسة في القصد، المنطق والانطولوجيا) (جامعة الكويت) ع.10. المجلد الثالث. ربيع 1983.

2 . د. انطوان الخوري. مجلة الفكر العربي المعاصر. العددان 18/19 شباط /آذار 1982

3 . لسان العرب لابن منظور . المجلد الخامس. دار صادر بيروت .

4 . فاكهة البستان (مختصر البستان للشيخ عبد الله البستاني اللبناني) المطبعة الاميركانية ببيروت 1930.

5 . دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي. د. احمد المتوكل. ط.1/1986. دار الثقافة الدار البيضاء.

العلم الثقافي

ملحق اسبوعي

السبت 20 ذي القعدة 1404 ـ 18 غشت 1984 ـ العدد 706

اشكالية الازدواجية اللغوية ص 4-5

○ رسائل جامعية : بنية التأليف المسرحي بالمغرب ص 6

○ ثلاث قصص لعلاء الدين محسن ص 5

○ قراءة في رواية «حكاية الست ماري روز» بقلم : عالية ممدوح ص 3

أعمال تحت المجهار (3)

★ للأستاذ إدريس بلمليح ★

تعليق بقلم عبد الباسط لكراري

الرؤية البيانية عند الجاحظ

أود في مطلع هذه القراءة الأولية أن أنبه القارىء إلى أننا أمام عمل علمي - أدبي متماسك، ومجهود فكري كبير. وإجابة عن أي استفسار يتصل بدوافع هذا العمل، يختزلها، الأستاذ بلمليح في أمرين هما: «الاهتمام الذي يبديه كثير من المثقفين المغاربة ببعض المناهج المعاصرة (...) و «محاولة تطبيق هذه المناهج على معطيات التراث العربي القديم .» (1)، وانطلاقا من اهتمام هذه الملاحقة بالألسنية ومتعلقاتها ، سنتأمل بنظرة مُخاتِلة في وجوه الاستعمال.

وإذا كان كل عمل في هذا المجال يطرح معضلة المصطلح فسنتفحص وضعه ونوضح ما يلزم إيضاحه بشأنه . وإذا كانت المصطلحات والمفهومات توظف في إطار منهج معين فسنلوذ بالبحث الألسني لمراجعته، قاصدين من كل ذلك إغناء الجدل وإنعاش واجهة نقد النقد، بعيدا عن كل أكاديمية رعناء!

ولتكن البداية إذن ما تفضل به أستاذنا اللوذعي د. أمجد الطرابلسي من توطئة للكتاب فنراجع قوله: «(...) كما تجوزت إلى حد ما المذاهب الفرويدية والنفسية التي كانت تبدو فتحا جديدا حين كان يمارسها العقاد والنويهي وخلف الله وسواهم في الأربعينيات من هذا القرن وليس هناك ما يدعونا إلى أن نقول إن المناهج اللسانية والنقدية المعاصرة ستبقى جديدة أبد الدهر، فهذا مخالف لطبائع الأشياء . ونحن نشهد بأم أعيننا اليوم تطور هذه المناهج نفسها وكيف أن بعضها أخذ منذ سنوات يتآكل لمصلحة بعضها الآخر » (ص 8) . وسأتقد مقالة أستاذنا راجيا أن يغتفرها لي/ يطالعنا فيما أثاره مسألتان جوهريتان: الأولى متصلة بالزمن (التجاوز) والثانية متصلة بالحيز (التآكل) وبينهما رابطة جدلية.

فالمناهج الألسنية النقدية تمتح غذاءها من مواد «الألسنية» التي أضحت قطب الرحى في علوم الإنسان ، بل إنها موكول لها مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق اكتسابها فحسب ولكن أيضا من حيث أنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا. (2) وتتكشف خطورتها في عجز كل باحث عن دراسة مظاهر الحضارة والمجتمع بمعزل عن التعابير الألسنية. وتعتبر طريقة التعامل مع التراث عاملا حاسما في تقرير مصير كثير من المعطيات اللغوية/ النقدية. لذلك تقرر حضور فكرة «البقاء للأقوى» في مثل هذا الموضوع. فمن منا يجرؤ حاليا على نقض فكرة «التصاقب» التي ذكرها صاحب الخصائص؟ وَدَعْنا نستحضر مع مسألة «التآكل» صورة الأفعى التي تغير جلدها كناية عن التجدد. فما أشار إليه د. أمجد من تآكل بعض المناهج لمصلحة بعضها الآخر ليس إلا مظهرا من مظاهر التجديد الذي يتأقلم مع مطالب الساعة، والذي لا يصير إلى الزوال إلا إذا انقطعت أسباب تجدده. فهل خسفت منزلة سوسير بعد أن علم بعد (كتابه) في سنة 1968 أول كتاب ينصح به طلاب الألسنية»؟ (ط. بكوش ص 23)، نجيب سلبيا إذ فرخت كثير من مبادئه في أغلب التيارات الألسنية المعاصرة وباحثت في التنظيرات الأدبية والفكرية الحديثة . يضاف إلى تلك المواقف ما بالنقاد المعاصرين من الظما البرح والرغبة المشتعلة في تجريب هذه المناهج واختبار قدرتها على إخصاب التعامل مع النص، فكأنما وقع التواضع منهم على عدم مفارقتها على الرغم من إجهاز بعضهم على فروعها كما تقدم.

/ مشكلة المنهج: - كان البحث الذي نجتاب مواضعه يتخذ «التعدد في إطار الوحدة» شعارا له، فكأنما مناهج خلق موضوع الرؤية البيانية تآلفا بينها في إطار علوم الإنسان لكن هذا التساكن لم يستوف الشروط الموضوعية الكافية ليحترز من مغبة التوليف. وقد يتساءل أي مستفسر عن سبب هذا الدمج الصريح فيجيب الباحث معتذا شيء لم أفرضه على تراث الجاحظ وإنما فرضه على هذا التراث» (3) نحن هنا إذن أمام حتمية منهجية تعتقل الباحث وتسيره فيما يحاول هو جاهدا توفير المقام المناسب والمنهج الملائم استجابة لا اختيارا.

وحصيلة هذه العلاقة هي إعادة إنتاج التراث في ضوء المعطيات الراهنة لا ضرورة للامتعاض مادام هذا العمل قد التزم بخصيصة تفتقد إليها محاولات عديدة غاصت ومازالت، في عبارتي السبق والاطراء، إنها خصيصة (المقارنة) وهنا نلتمس مشيئة الباحث!!

وإذا نحن تجاوزنا الوصف الخارجي، وتركنا النقد يعانق المواد الألسنية في هذا البحث فستكون قد أدينا - لا محالة حسابا يفي بالنقط الجوهرية، ويضع يده على منحنى منهجي يجعلنا داخل العمل، ويحملنا على التطلع إلى ما هو أفضل. لذا سيتخذ الحوار مع الكتاب مسلكين هما: (المراجعة والتحقيق).

استخلص المؤلف أن الجاحظ «يستشعر نظرية لغوية لا تقف عند حدود الانسان، بل تمتد إلى الحيوان ثم الكون» ص 49، ويعزى هذا التصور المتميز إلى جملة من المعالم النظرية التي توفرت له في منظوماته الكلامية والبيانيـة واللغوية جعلته يتنزل هذه المنزلة الرائقة في تراثنا الحي. يقول الجاحظ «جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى النصبة». وإذا كان الانسان قد أنعم عليه الله بنعمة الافصاح فإن الحيوان يكون دونها من حيث أنه لا يمتلك من «الحاجات والعقول والاستطاعات ما يجعل لغته قوية التعبير، معربة عما يحسه إعرابا تاما» ص 46، ويأتي في نهاية السلم الجماد الذي يفضله الحيوان بالنطق فضلا عن الاشارة التي يمتلكها «ما ليس له صوت كالذر والنمل» (نفس ص).

هذه معلومات يحتاج بعضها إلى التحقيق لأنها لم تستوقف الأستاذ بلمليح بالقدر الذي استوقفتنا، فغير خاف أن علماء القرن الثالث »، لم يكونوا متوفرين على مختبرات للفحوص في «علم التجربة» ومن ثم كانت الملاحظة بالعين المجردة والسمـــــاع أساسا لوضع المستنبطات. ومن الثابت في الكشوف الراهنة أن الحشرات تصدر أصواتا «إما بحك جزء من الجسم بآخر أو عن طريق اهتزاز الأجنحة أو بدفع الهواء خلال الثغور التنفسية. وقد تباطأ مثل هذا النوع من الدراسات لأن أذن الانسان تستطيع أن تدرك فقط موجات صوتية تقع بين 30ر000ر30 ذبذبة في الثانية، لكن غالبا ما تكون أصوات الحشرات ذات موجات صوتية أبعد من هذا المدى » (4). انصرف بلمليح عن ذلك إلى الحديث عن السيميولوجيا

/ الفرق بين الانسان والحيوان فيما يتعلق باللغة والتعبير والادراك (ثلاث صفحات)، وانحصرت تعليقاته في بعض المبادىء الأولية التي لم يقدر لها أن تثيرنا بفعل العادة الرتيبة والتداول العام، وإنما وقع التنصيص عليها لكونها مناط كل مقدمة في هذا الباب. لكن بلمليح يأبى إلا أن يستدرجنا طوعا في الفصل الخاص بسيمياء الجاحظ إلى قراءة لذيذة وجادة ، اتسم فيها المقروء بشيء من الدقة والحذق يختلفان جملة وتفصيلا عما تقدم. يحدثنا الباحث عن نشأة البحث السيميائي الحديث ورائديه (بيرس وسوسير) فيقول إن «بحث كل واحد منهما استقل (كذا!) عن الآخر استقلالا تاما» على الرغم من أنهما كانا معاصرين (بيرس 1839 - 1914) - (سوسير 1857 - 1913) (5)، كان بيرس يقول «إنه لم يكن باستطاعتي يوما ما دراسة أي شيء - رياضيات كان أو أخلاقا أو ميتافيزيقا، أو جاذبية، أو بصريات، أو كيمياء، أو تشريحا مقارنا، أو فلكا، أو علم نفس، أو علم صوت أو اقتصادا، أو تاريخ علوم، أو ويستا - whiste (ضرب من لعب الورق)، أو رجالا ونساء، أو خمرا، أو علم مقاييس، دون أن يكون هذا الشيء سيميائيا» (ص ...) نقلا عن المعجم الموسوعي لعلوم اللغة)، وقد حصر بنفنست إرهاصات هذا التصور في مفهوم Enuelwtlxn التي طبقها جون لوك على علم للعلامات والدلالات من خلال المنطق المتصور كعلم للغة، هذا المفهوم الذي استعاده بيرس على شكل سيمياء وقف حياته كلها على تشكيلها» (6)

بعد حديث بلمليح عن جهود السيميائي بريتو - وكان في عرضه دقيقا ومحيطا بالسمات العامة انتقل إلى القلب العارم الذي أحدثه بارت في مقالته « عناصر العلاميات» التي تعتبر بحق مشروعا نظريا ناجحا لنموذجه العملي السابق الخاص بالدرجة LAMODE (من 1957 إلى 1963)؛ لقد كانت مشروعا نظريا ناجحا لأن العلاميات بقيت مدة علما مستقبليا كليا، وكان كل عمل من العلامياتالتطبيقية يأخذ بالضرورة وبطبيعة الحال شكل اختراع، أو بكامل الدقة شكل استكشاف مادامت النتائج المحصل عليها ظنية، والوسائل أولية أمام موضوع دقيق (7)، وكانت مقدمة لما أعقبها من النماذج لأن بارت فطن إلى أن الأنظمة العلامية عامة تفتقر إلى اللغة قبل أن تغدو دالة. وهذا ما قرره بنفنست في غرض حديثه عن مشروع سوسير حيث تساءل: «هل يمكن اعتبار الطقوس الرمزية وأشكال اللباقة أنظمة مستقلة؟

وهل بمقدورنا أن نجعلها على قدم المساواة مع اللسان؟ إنها لا توضع في علاقة علامية إلا بوساطة خطاب ما: - «الأسطورة» التـــي تصاحب «الطقس» و«البروتوكول» الذي يضبط أشكال اللباقة. فهذه العلامات كي تنشأ وتتحقق كنسق، تفترض حضور اللسان الذي ينتجها ويفسرها.» (8) وقد اختلت رؤية بلمليح لهذه المضامين حين نعت مشروع بارت بالتأسيس العلمي الناضج للسيمياء دون إلحاقه بما يمت إلى هذا القلب الجذري لمنحى سوسير بسبب.

وكان عليه أن يزاوج بينهما لتتضح سمة الجدة في التأسيس وغياب هذه الخطة أفضى به إلى أن ينتقد - بشكل عارض - عدم استقلال الدراسات السيميائية الحديثة عن «علم اللغة» ؟! وينتصر للمنهاج السوسيري المضاد، أي الذي بمقتضاه تصبح «اللغة» بعضا من «مجالات إشارية متعددة» حين قال «... الاشارة الجاحظية متحررة من ربقة علم اللغة وسيطرته عليها، وبالتالي على الدراسات السيميائية الحديثة، وهو أهم نقد يوجه إلى هذه الدراسات اللغوية، في حين أن العكس هو الذي يجب أن تتم به الأبحاث السيميائية، كما قرر ذلك سوسير حين أشار في «محاضراته» إلى أن اللغة ليست سوى مجال من مجالات إشارية متعددة ، يجب دراستها برمتها للكشف عن قوانينها والتماثلات والتناقضات التي تنطوي عليها.» ص 127 .

وإذا وقفنا في هذا السياق على المنهج الشكلي (مخطط التبويب وتقسيم الفصول) وجدنا فيه انفصالا. أعني أنه بدأ في «المقارنة» بالشق الحديث بتوه الشق القديم. وهو نابع من اختيار خاص. فالباحث قدم موضوع السيمياء بجرد لأحدث النظريات السيميائية ثم ارتد بنا إلى عصر الجاحظ ليقرر أن هذا الأخير كان ذا تصور للعالم «يجعله صاحب نظرية لغوية لا تقف عند حدود الانسان، بل تمتد إلى الحيوان ثم الكون. ومعنى هذا أننا نستطيع أن نستخرج من فكره - ومعطيات تراثنا عموما - موضوعات نعيدها في مجال البحث المتسم بالأصالة والعمق» ص 49 . ثم نراه يجازف بقلمه في موضوع النصبة قائلا «... يصح أن نعتبر الجاحظ - فيما يخص النصبة التي هي إشارة تواصل وإشارة دلالة في آن واحد - مؤسسا لسيمياء خارجة عن حياة الأفراد والمجتمع ، ذات طابع تأملي فلسفي يجعلها قريبة من سيمياء بيرس، أكثر مما هي مشابهة لسيمياء بريتو أو بارت التي أسسها سوسير...» ص 122، وربما يغدو بحث الجاحظ متميزا (كنت أن أقول ممتازا) عن الدراسات السيميائية الحديثة من حيث تحرر الاشارة عنده من «ربقة» الألسنية ! كما تقدم.

لقد اتخذت المقارنة إذن شكلين: - الاكتفاء «الميمون» إلى «الينابيع - الجراثيم الأولى» لتقرير الحضور الجاد للسيمياء فيها، والعودة بها إلى «العلم الحاضر» لتعزيز موقع التراث بين أشكال المعرفة الحديثة؟ فلنطمئن إذن، مادامت السيمياء العربية في طور التشكيل!! لكن أين تكمن سيمياء الجاحظ؟

تتضح في تقسيمه لأنواع «الاشارة» إلى خمسة أقسام: - النصبة والاشارة والعقد والخط واللفظ. ويعرف الجاحظ القسم الأول بأنه «الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد» إذ «متى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا وأشار إليه وإن كان ساكتا» ص 120، وبالتالي فكل معالم الكون من الأفلاك والبحار والأنهار والقمر والشمس وغيرها من صنع الله دالة على الحكمة الالهية المودعة فيها من خلال التعبير بالحال الناطقة بغير اللفظ . و «أوضح أثر جاحظي» استند فيه هذا العالم إلى «الدلالة بالنصبة» هو كتاب «الدلائل والاعتبار» الذي يشهد فيه بصدور الجواهر الكونية عن خالق موجد مبدع هو الله عز وجل. يقول الجاحظ «سل الأرض فقل : من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإذا لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا» ص 121 (نقلا عن البيان والتبيين) ، وهذه النصبة ، كما أكد على ذلك بلمليح ، إشارة تواصل بين «الانسان والقوة الغيبية التي تعتبر سر العالم وحقيقته الخفية. إنها إشارة للدلالة على الله» (نفس ص) ./ بيد أننا إذا بحثنا في طبيعة هذا التواصل وعناصره ونظامه، ظهر أنها أمر يخاطب الاعتقاد والادراك الباطني ويتصل بالعلوم الروحانية والعلوم المتعلقة بعناصر هذا الكون على جهة العلة المحض. ويخرج عن نطاق العلاميات كعلم برامته «دراسة حياة العلامات في حضن الحياة الاجتماعية» (9) أو «علم أشكال مادام يدرس الدلالات مستقلة عن مضامينهـــا» (ص 196 من أسطوريات - بارت - 170) ★

ولما لم تضارع تعريفات التيار البنيوي مقصد الجاحظ، فزع الباحث إلى سيمياء بيرس العائمة، التي ترى أن «الشخص كله علامة، فكره علامة وعاطفته علامة» (10) وأدرجها تحت إطارها وبالتالي عرضها للمخاطر التي تحف بهذا التعريف والتي تصل إلى تجريده من المنطقية لانعدام الرسم الدقيق للحدود المنهجية. وبخصوص الطبيعة تبين لكثير من الباحثين - دائما في نطاق السيمياء - أنها «لا تُنبـــــىء Inform ولا تتحاور Converse(..) معنى هذا (..) أن «لغة» الجماد والنبات تشير إلى علامات طبيعية natural signs لا إلى إشارات وضعية متفق عليها conventional signs (11)، ونتبين أنها لا تخضع لمفهوم السيمياء إلا في حدود جد ضيقة. ويبقى حضور ذات الفرد وتأويلاته ضروريا في هذا المقام.

القسم الثاني: - الاشارة وهي التي ينجزها الانسان بواسطة جوارحه للتعبير عن «مكنون نفسه» وتنقسم إلى نمطين: - ما تزامن فيه اللفظ والاشارة ./ وما انفصلا فيه عن بعضيهما. ومن المؤسف له ألا نجد لقول الجاحظ «فأما الاشارة فباليد وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زجرا ومنعا وردعا ويكون وعيدا وتحذيرا» ص 124 ووصفه للتواصل بين الناطق والأخرس، مقابلا من النماذج المعاصرة (كوندرا توف مثلا) مع أنه لو أخلص للمنهج المقارن لما أسقط هذه القرينة اللازمة. وقد تأول بلمليح وضع دلالات الاشارة المختلفة بين حالات الزجر والردع والوعيد على أن مبعثها بساطة الجهاز الاشاري بحد ذاته، مع أنها مشروطة بنظام وقع التواضع عليه. فيكون سبب اختلاف الدلالات اختلافا في المعنى الذي يضمه صلب هذا النظام، وإلا أفلتت منه وصارت بذلك دالة على أنظمة عرفية متباينة. ويرجح أن يكون الباحث قد سقط ضحية ترجمة سيأتي ذكرها .

القسم الثالث : - العقد وأورد بشأنه عبارات قليلة لاطائلة تحتها، يعود ذلك إلى عدم تفصيل الجاحظ لجزئياتها أو ربما فعل ولكن شيئا من ذلك لم يصلنا. وقد جعل التواصل فيها متخذا صورة تجاوب بين الحواس (ص 138). ثم انتقل إلى الخط.

القسم الرابع : - الخط. يعرف دوبوا في معجمه الكتابة كالتالي : «الكتابة عبارة عن تمثيل اللسان المنطوق بواسطة العلامات الخطية. إنها نسق للتواصل من الدرجة الثانية بموازاة اللغة نسق التواصل من الدرجة الأولى. الكلام يجري

البقية على ص 7

CS Scanné avec CamScanner

ملحق أسبوعي

العلم الثقافي

السبت 21 ذي الحجة 1405 الموافق 7 شتنبر 1985 السنة : 16 العدد : 386

البقية على ص 7

نقد جديـد، أمل جديد

بيير زيما

ترجمة عبد الباسط لكراري

«لانريد للاحتمال إلا أن يكون موقفا عابرا يلزمه أن يفضي الى الاعتراف بأن تحتمل، معناه أن تأتم» جوهان وولفغان جوته.

لقد اوضح التحليل الغولدماني لروايات مالرو (1) الى اي مدى يلبث كاتب البنيوية التكوينية مشدودا . رغم كل التحولات التي تطرأ على منهجه . الى مقولة الكلية والى الفكرة الجوهرية للجدلية المحايثة التي بمقتضاها تسكن الحقيقة الكل. وهذه الفكرة مناقضة للقيمة المركزية للنقد الجامعي القديم . لقصد الاحتمال. وتظل مغايرة لكل ما هو غريب عنها. فانفرادها العقيم يعادل الانفراد الذي يميز الفرد في المجتمع البورجوازي الفيودالي المتأخر post féodale

فبعيدا عن مقابلة اللا احتمال الفيودالي بالاحتمال الليبرالي . كما يقرر ذلك عدد من خصومه وأنصاره . ينزع النقد الدياليكتيكي إلى تحديد معالم مسلك نظري جديد يتموضع بعيدا عن التعنت الفيودالي والاحتمال البورجوازي، إنه الحوار. هذا المسلك الذي يلحقه بالملاحقة الفيودالية للتعنت عنصر واحد هو الاعتقاد بالجماعة الانسانية communauté humaine وبالحقيقة المشتركة (سنعرض لهما معا لاحقا) يتجلى ذلك المسلك في كتابات غولدمان عن النقد الجديد ومراجعاته للدراسات الراسينية لشارل مورون ورولان بارث بخاصة.

إن ما يميز التحليل النفساني البيوغرافي لشارل مورون والتحليل النفساني، البنيوي (النصي والغير البيوغرافي) لبارت عن التحليل الغولدماني لراسين هو مقاربتهما الفردانية. تلك «الفردانية» التي تشكل النقطة الأولى في النقد الذي يوجهه غولدمان إلى هذين الناقدين فتحليلهما المنتهى العزلة Téhbaide والكسندر الأكبر . المسرحيتان اللتان يتعذر وصلهما برؤية العالم الجماعية الجنسينية ، واللتان حظيتا عند غولدمان بالاستساغة في كتابه: «وضعية النقد الراسيني» يقول غولدمان عنه: «لقد كشف لنا شارل مورون ورولان بارت بشكل مفحم عن صلة منتهى العزلة أو الاشقاء الأعداء والكسندر الأكبر بسيرة الشاعر وإشكالية وضعه» ★

إن قصور المنهج الفرداني للتحليل النفساني يتأكد عندما يقصد إلى إبراز الخصيصة الجمالية وبنية التراجيديات الراسينية التي يربطها غولدمان برؤية العالم الجنسينية . تلك التراجيديات التي تمتح نسغها من أخلاقيات بورت . روايال، والتي يتعذر عزلها عن «الانا الاعلى» الراسينية.

فكلما كانت تأويلات شارل مورون ورولان بارث «لمنتهى الغزلة» و «ألكسندر» مستساغة، كلما دعت الحال إلى مراجعتها حينما يتعلق الأمر بالتراجيديات والمآسي المقدسه drames sacrés فمنتهى العزلة والكسندر ينمان بطريقة متناقلة transposées لكنها مباشرة عن قضايا الأنا الراسينية. إن التراجيديات والمآسي بدءا بمسرحية أندروماك ووصولا الى فيدر لتحتفظ بطابع التناقل التعويضي، المعبّر عن قيم الأنا الأعلى ...» ★ ★ . هذه «الأنا الأعلى» التي ماهي في واقع الأمر إلا خلاصة تربية الشاعر الجنسينية الغير المفصولة عن النمو الاجتماعي لبورت روايال.

أما كونْ مورون وبارت قد أهملا هذا الوسط الاجتماعي، المجاوز للفردانية، فإنه راجع . في تقدير غولدمان . إلى ما ينطوي عليه تحليلهما من مغالطات. ويظل غولدمان، على رغم هذا المآخذ، مقدرا للتأويلات التحليلنفسية المرتكزة على إبراز الأهمية التي «للعنصر اللّيبيدي والأوديبي، الذي هو اعتمال للهي Ca» في عمل راسين. وقد لاحظ غولدمان في نهاية بحثه نوعا من التكامل بين فروض مورون وفروضه فيما يخص مسرحية «متردات» Mithridate: . فالمدرج le processus الذي يفسره مورون «بعودة الأب» أي بتدخل أب منصف فمعاقب يعادل في مشروع «الاله المحتجب» تحول الشخص التراجيدي من رافض للعالم إلى شخص مأساوي يحاول أن يلتصق به ويفعل فيه...» ★ ★ ★

وينضاف الى مطارحة التحليل النفساني في النقد الراسيني، محاورة البنيوية في المجالات الغنائية Lyriques والدرامية. ففي الدراسات الموقوفة على Eloges لسان جون بيرس و«قطط» بودلير، ينصرف الاهتمام أولا إلى إقامة علاقة بين البنيات المصغرة micro - structures محط اهتمام البنيويين بخاصة والبنية الدالة الأساسية. ولا خظوظ لتحليل البنيات الثانوية، أو البنيات المصغرة، إلا بالانطلاق من تلك البنية الدالة. ذلك أن غولدمان يرى . في دراسته للبنيات المصغرة للمشاهد الخمس والعشرين الأولى من مسرحية «الزنوج» لجان جينيه . أنه يستحيل دراسة الدال قبل المدلول، البنيات الجزئية قبل بنيات الفضاء، فيما يتحقق العكس إذا ما وعينا الخاصيّة الغير المكتملة والقاصرة للبحث» ★ ★ ★ ★

وقد سعى غولدمان، مستعينا بالمفهوم البنيوي «النموذج المختزل» modéle reduit إلى إقامة الدليل في تحاليله ل eloges IIIلسان جون بيرس وقطط بودلير على كُمُون الديوان بأكمله وبنيته الدالة أيضا في مفاصله «فإذا نحن الآن مررنا . يقول غولدمان . إلى البنيات الجزئية والصورية بما لهذه الكلمة من مدلول، أمكننا، في حدود وُسعنا المتواضع، أن نستخرج منها عددا محددا من البنيات التي هي في عمومها نماذج مختزلة دقيقة بعض الشيء، للبنية الجوهرية» ★ ★ ★ ★ ★ .

ومن الممكن فهم كل واحدة على حدة من البنيات الجزئية ل eloges III التي يجزّئها غولدمان إلى ثنائيات وثلاثيات، في ضوء «بنية فضائية ثابتة خارجيا، مشتملة ومتيحة لحركة حقيقية» ★ . وفي نطاق هذه القراءة المتفتحة بتأويل eloges III، يحلل غولدمان قطط بودلير ليبيّن أن قيام جاكوبسون وليفي شتراوس بإثلاث القصيدة . إثلاثا صوريا قائما على علامات الوقف . لن يحلل إلا بالنسبة إلى بنية دالة جامعة : . رفض القطط للتعالي وفخرهن بخدمة أريب Erébe: «فهل يُعدُ من قبيل المبالغة . يضيف غولدمان . التصريح بأنه إذا كان جاكوبسون وليفي شتراوس قد استخرجا الثلاثيات، فإن ما عملناه نحن هو استخراج حقيقة وجودها وسببيّة النقط الثلاث؟» ★ ★

لعل الحوار الذي باشره الفيلسوف الدياالكتيكي «غولدمان» مع المفكرين الاخرين، ورثة أفلاطون، الذين اكتفوا بالاصغاء، يُمكّن جملة من تحويل ما تواصفنا على تسميته «بجمهورية العلماء» إلى «جماعة العلماء» communauté de savants يستشعر بها كل عالم حدوده الفردية، ويعي ضرورة تجاوزها بالسعي إلى إدماج أو نبذ المواقف الغريبة.

وعلى هذا السبيل يكون غولدمان قد أدخل في ميدان الفلسفة الذي هو ميدانه، فكرة نقدية ربما قد يتمثلها العالم الاجتماعي يوما ما، هي فكرة الجماعة (أو الأمة) الانسانية.ـ La communauté humaine

★ ★ ★ ★ ★ ★

بيير زيما . غولدمان . سلسلة بسيكوثيك. المنشورات الجامعية 1973. باريس. ص 121 ـ 124.

الهوامش

1) . يقصد بيير زيما الدراسة المستفيضة التي خصصها غولدمان لروايات مالرو في كتابه «في سبيل سوسيولوجية الرواية» ص 61 ـ 277. غاليمار 1964 (المترجم).

★ ـ وضعية النقد الراسيني ص 34 ـ 35

★ ★ ـ نفس المرجع .ص. 55

★ ★ ★ ـ نفس المرجع. ص 107

★ ★ ★ ★ ـ البنيات الذهنية والخلق الثقافي.

Scanné avec CamScanner

«نقد جديد، أمل جديد»

«تتمة»

ص. 344.

★★★★★. نفس المرجع الأخير. ص 374.

★ ن. م. ص 373.

★★ ن. م. ص 397.

ونسوق فيما يلي اللائحة البيبليوغرافية التي تخلفت «لي غولدمان» بتسليمها الرعيد إيما، وهي من وضع «بريجيت ناقليه».

1 . كتب:

★ المجتمع الانساني والكون عند كانط . المطابع الجامعية الفرنسية . 1948 أعيد نشرها بسلسلة «أفكار» غاليمار. 1967 مع توطئة جديدة تحت عنوان مدخل الى فلسفة كانط.

★ العلوم الانسانية والفلسفة م. ج. ع 1952 أعيد نشرها في سلسلة «الوسائط» غونتيه 1966 (مع توطئة جديدة) 1971 (مصحوبة بالبنيوية التكوينية والخلق الأدبي» ظهر بترجمة انجليزية «الايدولوجيا والكتابة» ملحق التايمز الأدبي The times literary supplement، لندن 28 سبتمبر 1967.

★ راسين، لاغش، 1956 أعيد نشرها بسلسلة «أعمال» 1970.

★ الاله المحتجب، غاليمار 1959!!

★ أبحاث جدلية غاليمار 1959

★ في سبيل سوسيولوجية الرواية غاليمار 1964، أعيد نشرها سنة 1965 (مع توطئة جديدة ودراسة عن الخالدة لالان روب غرييه، كتبها بالاشتراك مع آن أو ليفيه، منشورة بالاسرفاتور، 18 سبتمبر 1964) في سلسلة «أفكار» 1968 ظهر بترجمة إلى العربية في سوريا (المترجم)

★ البنيات الذهنية والابداع الثقافي، أنتروبوس 1970.

★ الماركسية والعلوم الانسانية سلسلة «أفكار»، غاليمار 1970.

★ وضعية نقد الراسيني سلسلة «أعمال» لاغش l'arche (الجسر) 1971

★ الابداع الثقافي في المجتمع الحديث سلسلة «الوسائط» غونتيه - دونويل 1971

2 . منشورات:

★ مراسلات مع مارثان دوباركوس، خوري القديس سيران م. ج. ف 1956.

3 . مقالات لم تجمع في مؤلف (30 . 6 . 1972)

★ الشروط الاجتماعية والرؤية التراجيدية للعالم تبادلات سوسيولوجية الس. د. أ. 1948

★ مشاركة في ندوة الانسان والطبيعة للنفس بأعمال المؤتمر الدولي الثاني عشر للفلسفة (1958) . المجلد الثاني Atti del XII congresso internasionale de filosofia ج. س سانسوني فلوريس 1960 .

★ الحرية والقيمة Libertà e valore المجلد الثالث من أعمال نفس المؤتمر . نفس التاريخ ودار النشر .

★ توطئة لج. جوريس : «أصول الاشتراكية الالمانية» ماسبيرو 1959 .

★ «فيدر راسين وناثان الحكيم لليسين (...) بمسرح الامم» المسرح الشعبي، عدد 38، الدورة الثانية 1960 ص 110 .

★ المسرحية الواقعية : الشرفة لجينية، الازمنة الحديثة عدد 171. 1960 .

★ الكائن والجدلية، دراسات فلسفية، عدد 2، أفريل - جوان 1960 ص 205 . 212 .

★ جان جوريس، المسألة الدينية والاشتراكية. خلق جمعية الدراسات الجوريسية، السنة الاولى، عدد 1، 1960 .

★ الحضارة والاقتصاد «بالتاريخ وتأويلاته»، موتون وشركاؤها: باريس - لاهاي، 1961 ص 76 . 88 .

★ ماركس لوكاتش، جيرار وسوسيولوجية الهواية، الوسائط (ميديا سيون) عدد 2، 1961. ص 143 . 153 الديمقراطية الاقتصادية والخلق الحضاري، مجلة معهد السوسيولوجيا، عدد 1-2 بروكسيل، 1961، ص 266 . 269 .

★ قضايا سوسيولوجية الرواية. دفاتر السوسيولوجيا الدولية، المجلد الثاني والثلاثون، 1962 ص 61 . 72 .

★ ديديرو، فكر الانوار والجدلية، طب فرنسا، عدد 136، 1962 ص 33 . 40 .

★ مايلين ذلك السالب في زمننا، فرنسا - أوبسرفاتور، عدد 644، 6 سبتمبر 1962 .

★ «بنيات التراجيديا الراسينية» بالمسرح التراجيدي، ج. جاكو، مطابع ومنشورات المركز الدولي للبحث العلمي، 1962 .

★ مكانة أندروماك بين أعمال راسين، دفاتر رونو - بارو، عدد 40، نوفمبر 1962

ص 107 . 119 .

★ باسكال والفكر الجدلي، أوميدوكل، جانفيه 1950 .

★ «أطروحات عن توظيف مفهوم رؤية العالم في تاريخ الفلسفة، بالانسان والتاريخ، المطابع الجامعية الفرنسية، 1952 .

★ «ملاحظة في نظرية المعرفة»، بالابستمولوجيا Epistemology أوراق المؤتمر الدولي الحادي عشر للفلسفة (بروكسيل) 20 . 26 غشت 1953. منشورات - ي. نوويلايرث، نوفان لورث هولاندا بابليشن كو امستردام، المجلد الثاني ص 90 . 95 .

★ في موضوع المجال Le plan لأفكار باسكال، وثيقة جمعية مدارسة القرن السابع عشر، العدد 23 . 1954 .

★ بور - رويال، من هـ . دومونتير لان الى الكوميديا الفرنسية، المسرح الشعبي، عدد 11 جانفيه - فبراير 1955 ص 86 .

★ مشاركة في ندوة «الفكر» وثيقة الجمعية الفرنسية للفلسفة، السنة الخمسون، العدد الرابع، أكتوبر - ديسمبر 1956 .

★ «نزل التبادل الحر» المسرح الشعبي، العدد 22 جانفيه 1957 ص 87 .

★ مشاركة في مطارحات لقاء ديكارت، منشورات مينوي، دفاتر روايومون، الفلسفة الـ 1957 .

★ المفصل الواضح : عن فريتز ستيرنبرغ «الرأسمالية والاشتراكية أمام حكم التاريخ Kapitalismus und sozialismus vor dem weltgericht . ماركس وزماننا Marx und die gegenwart» أرغومون، السنة الاولى العدد الثاني فبراير - مارس 1957 .

★ مشاركة في مناقشات حوار الفلسفة التحليلية 1958 منشورات مينوي، 1962 .

★ مشاركة بندوة «العلوم الانسانية والفلسفة»، نوفمبر 1962، وثيقة الجمعية الفرنسية للفلسفة، السنة السابعة والخمسون، العدد الثالث جويليه - سبتمبر 1963 .

★ «الانوار والجدلية»، بالبوتاليسك والمؤسسات في القرن الثامن عشر موتون وشركاؤه، باريس - لاهاي 1963 ص 305 . 314 .

★ «كتابات لوكاتش الشاب» تذييل لج. لوكاتش : نظرية الرواية، غونتيه 1963 (ظهر في البدء بليموديرن عدد 195، 1962 بعنوان «عن كتاب نظرية الرواية لج. لوكاتش»).

★ «فرن باسكال» هل اصطنع الانسان الاله على شاكلته ؟!! [منشورات الاتحاد العقلاني] 1964، ص 143 . 169 .

★ زواج ف. كومبروفيسك، فرانس أوبسرفاتور، عدد 718، 6 فبراير 1964 .

★ توطئة لكتاب ج. نامير : الراهب لوروي وزملاؤه، محاولة في الجانسينية المتطرفة الماورائية. س. أ. هـ. ب. أ. ن 1964 .

*Entrevista con victor florès olea. Reirista de la universidad de ellexico, avril, 1964 PP. 16.19

*Entrevista con Lorenzo batallan, El Nacional, Cararas, 1er nov 1964

*Entrevista, con guillermo y julieta sucre, zona franca, Caracas, 1er année n 5, première quinzaine de nov 1964

★ مناقشات بالمؤتمر الخامس عشر للجمعية الدولية للدراسات الفرنسية، ب : الادب والاسلوبية، وجوه النقد منذ 1920 موليير، دفاتر الجمعية الدولية للدراسات الفرنسية عدد 16، 1964 .

★ «هؤلاء المثقفون اللامنتمون، عن كارل كورش : الماركسية والفلسفة» لونوفيل أوبسرفاتور، عدد 17، 11 مارس 1965 .

★ «الكتاب والقراءة في المجتمعات الصناعية الحديثة»، لونرأيو، مونتريال أكتوبر 1965 الى روح ألكسندر باران، المجلة الشهرية، مجلد 16 نيويورك مارس 1965 ص 105 .

★ «كيركجارد» ميكير كجارد حياء، اليونسكو . غاليمار، سلسلة «أفكار» 1966 .

★ «البنيوية والماركسية والوجودية» الانسان والمجتمع، عدد 2، 1966 .

*Dimenzije i smerovi aKtuelne filozofske misli» Odjek, n 21, sarajevo, 1-11-1966

★ جان بياجيه والفلسفة بـ«جان بياجيه والعلوم الاجتماعية»، دفاتر فيلفريدو باريتو، عدد 10، جنيف 1966، ص 5 . 23 .

★ «في موضوع الموضوعية بالعلوم الاجتماعية، بعلم النفس والابستمولوجيا التكوينية، أطروحات بياجية» ديتود 1966 .

★ «البنيوية التكوينية في سوسيولوجيا الادب» 1964، بالادب والمجتمع قضايا المنهجية في سوسيولوجيا الادب، منشورات معهد السوسيولوجيا بروكسيل، 1967 ص 195 . 222 .

★ حالية فكر كارل ماركس، 1965 . الانسان والمجتمع، عدد 4، 1967 .

★ «شروط التأويل الجدلي» بـ : الاضداد في الحضارة العربية، ج. بيرك وج. ب شاغاي منشورات أنتروبوس 1967 ص 356 . 358 .

★ «ابستمولوجية السوسيولوجيا» بـ : المنطق والمعارف العلمية، موسوعة لابلياد غاليمار 1967، ص 992 . 1018 .

★ باسكال : سلسلة Compagnia «Iprotagonisti» Edizioni internazionali ميلان، 1967 (ترجمة الى الايطالية لزابارونى) .

★ مشاركة بالملتقى السادس للجمعية الدولية لعلماء الاجتماع الناطقين باللغة الفرنسية (روايومون، 1965)، «سوسيولوجيا البناء الوطني» في الامم الجديدة، مجلة معهد السوسيولوجيا، عدد مزدوج 2-3 بروكسيل 1967 ص 558 . 560 .

★ مناقشة في ملتقى روايومون (27-30 ماي 1962) بـ : البدع والمجتمع في أوروبا «القبصناعية» Pré-industrielle في القرنين الحادي والثامن عشر، موتون، 1968 .

★ «البنية الاجتماعية والشعور الجماعي للبنى» الفكر الحاضر، عدد 7، 1968 (أعيد طبعه في «البنيوية والماركسية» منشورات 10-18 (1970) .

★ «هل يتعين على العلوم الانسانية ادماج الفلسفة على نحو إلزامي ؟» بـ : البحث وعلم الانسان، دفاتر المركز الاقتصادي والاجتماعي لتطوير أطر الاف. ن. س. إ. س (إ س ج. س) الطور السادس عشر، السلك الثاني، سلسلة «طلب ومسؤوليات» 1968 ص 9 . 32 .

★ مشاركة في ندوة «الاختلاف» (جانفيه 1968) ملف الجمعية الفرنسية للفلسفة، السنة 62، العدد 3 يوليوز - سبتمبر 1968 .

★ مشاركة في المائدة المستديرة «لم الطلاب؟» 23 ماي 1968، الانسان والمجتمع عدد 8، 1968 .

★ سوسيولوجية الادب «Sociologia de literatura» ديابو س. ب عدد 206، مدريد، 8 ماي 1968 ص 14 . 15 (بالاشتراك مع جاك لينهارت) .

★ مشاركة في مطارحة «الإيحاء الذاتي» المنظمة من قبل لونوفيل أوبسرفاتور (6 يوليوز 1968) منشورات دوري لوسيان غولدمان «سيرج مالية «الإيحاء الذاتي» دفتر عدد 7، ديسمبر 1968 .

★ La denuncia sociologia e culturale سبتمبر 1967، نص كتبته بريجيت ناڤليه عن محاضرة مسجلة للوسيان غولدمان بـ : Denuncia, esorcismo nel teatro d'oggi, la biennale di venzia. Venise 1968 - ترجمها الى الايطالية إرنستو روبان دو سيرفان .

*Premessa a «La reificazione» de Lucien Goldmann ideologie, n 8 Rome 1969 (trad italienne de giusi oddo)

*Publicazzioni de lucien goldmann Ideologie, n 8 Rome, 1969 (en collaboration avec brigitte Navelet)

★ حوار مع ميشال جورج في موضوع «الاعتقاد بالله» الاكسبرس، عدد 892، 12 غشت 1968 .

★ حوار عن الجامعة، ملحق الاكسبرس الثاني، س. د (3 جوان 1968) .

★ تشذيب وتنقيح مقال «الجامعة» الملف، 3، الـ الثاني من مجلة الاكسبرس عدد 17 جوان 1968 .

★ «الايديولوجية والماركسية» بـ : الذكرى المائوية للرأسمال، موتون وشركاؤها، باريس - لاهاي، 1969 ص 267 . 341 .

★ الالتزام الفلسفي والفلسفة الملتزمة (Filozofski angazman i angazovane filozofia) حوار لجاسميته اليك، ليكا، عددا (20-22) سرايفو، يوليوز - سبتمبر 1969 .

★ الرد على روبيل الازمنة الحديثة، العدد 142، ديسمبر 1957 ص 1141 .

★ «بعض الملاحظ في فلسفة أدورنو» ألمانيا اليوم، العدد 6، ديسمبر 1957 ص 94-96

★ «الفلسفة والعلوم» الحلقة المفتوحة، العدد 9، «هل يمكن لأي أحد أن يتفلسف؟» الالف 1957

★ مشاركة بندوة «الفنان أمام الفكر الاستفهامي» وثيقة الجمعية الفرنسية للفلسفة، السنة الثانية والخمسون، العدد الاول، جانفيه - مارس 1958 .

★ «فاوست» المسرح الشعبي، عدد 32 الدورة الرابعة 1958 ص 139 .

★ «تطبيق الفكر الماركسي في النقد الادبي» أرغومون، السنة الثالثة، العددان المزدوجان 12-13 جانفيه - مارس 1959 .

★ مشاركة في ندوة «من هو الكاتب ؟» فبراير 1969، وثيقة الجمعية الفرنسية للفلسفة، السنة 63 العدد 3، يوليوز - سبتمبر 1969 .

★ رحيل أدورنو لاكانزين ليتير، ع 78 من فاتح الى خامس عشر 1969 .

★ توطئة لف. ديمون : جدلية الموضوع الاقتصادي، أنتروبوس 1969 .

★ ملاحظ عن أربعة أفلام لغودار وتيل وباسوليني، مجلة معهد السوسيولوجيا بروكسيل 1969 .

★ تقديم لمعرض : أ. بوبلو - س. لوفيفر جدول حرف «ج»، 30، ماي 1969 .

★ حديث عن تكامل المعارف أجراه ج. ب تادروس، فودوفوار، مونتريال، 4 أكتوبر 1969، ص 13 . 14 .

★ البنيوية التكوينية والتحليل الاسلوبي» بمجلة : «Zingaggi nella società e nella tecnica» منشورات الجماعة، ميلان 1970 .

*Arta disciplinele umane» interview Ion Pascalli. Romania literaria, n 25 (89) bucarest, 18 juin 1970.

★ حديث عن التنظية أجرته بريجيت نافليه، قارئ 101، عدد 3، 1970 .

★ «البنية : الحقيقة الانسانية والمفهوم المنهجي» 1966 بمجلة لغات النقد وعلوم الانسان، ر. ماكسي و ف. دوناتو، منشورات بالتيمور. مطابع جون هوبكينز . 1970 . بالانجليزية .

★ «الذات والموضوع في العلوم الانسانية» 1969، الذهن الحاضر، عدد 17، يناير - مارس 1971

★ أراء في التاريخ والوعي الطبقي 1970 بـ : مظاهر التاريخ والوعي الطبقي رقم 1 ميزاغوس روتليدج وكيغال بول. ل. ت. د لوندر. 1971 (بالانجليزية) .

★ «سوسيولوجية الادب» 1970 بالمجلد العاشر من الموسوعة الكونية، 1971 .

★ «جورج لوكاتش» 1970 بالمجلد العاشر من الموسوعة الكونية 1971 أيضا .

★ «الثورة والبيروقراطية» بحث موجه الى لقاء كابريس المنعقد بيوليوز 1970، الانسان والمجتمع، عدد 21، 1971 .

★ حوار عن مشاكل الشرق الاوسط (1970) اسرائيل - فلسطين، عدد 3-4، بروكسيل، مارس - أبريل، 1971 ص 35-36 .

*Eppur si Muove (fév 1969) The spokesman n 15.16. Londres, 1971 (trad. anglaise de tom Wengraf)

★ مشاركة في الملتقى الدولي لسوسيولوجيا الادب (روايومون، يناير 1968) بمجلة «وصف وفهم وتوضيح» منشورات معهد السوسيولوجيا، بروكسيل (معد للطبع والنقد) .

★ حديث مع مارث روبير (يوليوز 1969) بـ : التحليل النفسي والسوسيولوجيا، بروكسيل (معد للطبع أيضا) .

★ «باسكال وبورت - رويال» 1960 بـ : ل. غولدمان، Weltflucht und Politik، لوشترهاند فيرلاغ، نويد وبرلين، 1967، (بالالمانية أصلا) .

جماعة سوسيولوجيا الادب

بريجيت ناڤليه

المدرسة التطبيقية للدراسات العليا

باريس، يونيو 1972

نشره سامي نعير وميشائيل لوي بـ«لوسيان غولدمان أو جدلية الكلية»، سغرس، فلسفة كل العصور 1973. [المترجم الى العربية لم يراع الترتيب المتبع في المواضيع أصلا] ص 128 . 135 .

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي

العلم الثقافي
يصدر يوم السبت
كل أسبوع
عن جريدة العلم
11، شارع علال بن عبد الله
الرباط: ص.ب. 141
الهاتف: 19-324 /20-324
السبت 27 رمضان 1408
الموافق 14 ماي 1988
العدد: 874
السنة: 18

حداثة التجربة وتجربة الحداثة في التكوينية النصية

- القسم الثالث -

بقلم: عبد الباسط لكراري

عود الى التأويل:

[illegible]	مونولوجية (أحادية الصوت)	حوارية	انعتاقية
تنظيم اجتماعي	عمل	لسان	سلطة
توجهه	قواعد تقنية	قواعد اجتماعية	قواعد النقد
مؤسس على	معرفة تجريبية للعالم	معرفة مشتركة	تفكير - ذاتي
الغاية	تحكم	تواضع (اتفاق)	استقلال
العلوم	تجريبية - تحليلية	هرمنوطيقية	نقدية
الوسيلة	اعلام	تأويل	تحليل نقدي (ذاتي)
التجارب [illegible]	حسية	تواصلية	تواصلية واصفة
الفائدة المعرفية	تقنية	عملية	تحررية
الهدف	اكتساب معارف قابلة للتطبيق والاستعمال	صون استمرارية التفاهم بما هو شرط للتواصل	التحرر من اسار علائق التبعية والسلطة

التكوينية النصية ونظام الضمائر

1 - أ - البنية والمفهوم :

[illegible]

المقام القولي - مقام الخطاب - مقام التواصل

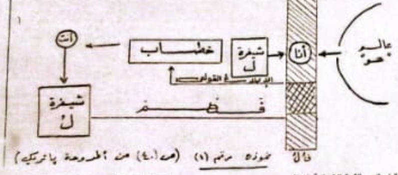

نموذج رقم (1) (ص 40) من أطروحة باتريك

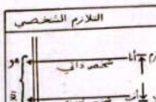

1 - ب - نقد «بنفنست» :

الضمائر والقوة الانجازية (24)

2 - 1 - الضمائر والخطاب الأدبي :

1 - ج : باتريك شارودو وتأطير الضمائر

[illegible]

هدا التجربة « تتمة »

المسمى: الكينو في الذات والذي ليست سوى الرغبة»(32).

هذا من جهة، ما وضع الضمير، في الخطاب الادبي فيختلف بين المكتوب والمنطوق، فاذ يسد الاول مسد الاسم ولا يبدو مستغنيا عنه مع ذلك في السياق، يتميز الثاني باختزال يطال احدهما اسما كان او ضميرا (او قرينة دالة عليهما).

وقد اهتم كوهن (1966) بموضوع الضمائر (Les Pro-nonms)، وتصدى للبحث عن اشكال تخفيه (التخفي الاستراتيجي في الخطاب)، تخفي صاحب الضمير كما في:

انا المعتم الايم، ولاسلوان
امير «اكيستين» ذات البرج الخرب (33)

فالضمير المنفصل هنا «بدون مرجعية سياقية» وذلك يضطرنا الى ان نسائل القصيدة وانفسنا: من هو قائل الضمير «انا» ؟

يجيبنا «كوهن» بان «لا مراء في ان القصيدة موقعة ولها كاتب محدد، هو «جيرار لابروني» الملقب «بنيرفال» لكن لابد لاي ضمير كي يرقى الى ذاكرة الادب التي لا «يغتالها» نسيان، ان ينخرط في ثيمة معينة، كما لابد له من شرط الشهرة وتعالي الذات في تلك الثيمة نفسها .

وهناك نوع اخر من التخفي «يطال المتحدث اليه (l'allocutaire)» او «المرسل اليه» بتعبير «كوهن» كما في المثال: ابنتي .

شقيقي
فكري في النشوة، (34)

حيث المرسل اليها «غير معرفة. ولا نعلم عن هويتها شيئا سوى انتمائها الى الجنس المؤنث»، لكن جهلنا للمرسل جهل مضاعف: فنحن لحظة قراءة البيتين لم تكن نعرف عن هويته/ها شيئا، ولا الجنس الذي ينتمي (او تنتمي) اليه: أأب هو ام أم ؟

ولاشك ان وراء هذا التعتيم مقصدا معينا تجب مقاربته في ضوء نظام مرجعي معين، لكن الذي لا يجافي المنطق - في اطار مسألة التجنيس - هو الاختلاف الجوهري القائم بين النوع الروائي والنوع الشعري في الاستعمال التداولي للضمائر .

فضمير الغائب مثلا، او الطبقة المسماة عند «بنفنست» بالشخص «الثالث»، يقوم في الجنس الروائي بدور جد اساسي. فاذا كان يختلف بوظيفته ومميزاته التي سبق التعرض لها، عن الطبقتين الصوريتين الاخريين: أنا/أنت، فانه فضلا عن ذلك «مواضعة نموذجية في الرواية، مثله مثل الزمن السردي، يشير الى الحدث الروائي ويكمله. وبدون ضمير الغائب، يكون هناك عجز عن الوصول الى الرواية او تكون هناك ارادة في تحطيمها»(35).

الهوامـــش

1)Mieke Bal: Pour une théorie critique de la subjectivité narrative. P(133) lalies. Paris III. 1984

2) Ibid p (115).

3) الدراسة صادرة بالفرنسية، انظر:
«L'avant texte comme propriété littéraire» par:LEKRARI ABDELBASSET (Al Bayane) 16 ème année N° 3833P (5). 1988.

1) E.Benveniste: Problèmes de ling gle T(1) P(252)2-libid

3) Ibidem

4) Ibidem

5) P(253) de même ouvrage

6) ibid

7) p(252)

8) ibid

9) p(254)

★) استفدت بالترجمة او بالتصرف من فقرة: «الذاتية في اللغة» من هذا المرجع. ص (258)-(266)

10) E.Benveniste.pp (256) (257)

11) Op. cité p.(255)

12) E.Benveniste. T.(2) P.(83)

(13) Cité dans (littérature libanaise-thèse 1974 p(96) (Saher Khallaf). 1988.

14) محمود درويش: (الديوان) ص (75) طبعة 1984.

(15)E. Benveniste: T (1)p. (255).

16) J.Michel Adam (ling et dis.litt).p(298)

17) Jean -luc Vidich. (Sémiologie et intelligence artificielle) Degrés: (Revue) et p.(c/7).

18) Julia Kristeva: Envenlthm (Recherches pour une sémanalyse) Ed. du Seuil. p.(95). 1969. france.

★) جرمطة: ميزانها الصرفي (فعللة) وهي آتية من الاسم الذي خصصه العرب الرياضيون (Géométrie) وهو: (الجرمطيا).

P. Cocorda: Morphogénèsse du sens. pp. (83). (84) (20)

Patrik Charaudeau: les conditions linguistiques d'une analyse du Discours. thèse présentée devant l'Université de Paris IV le 22 juin 1977- service de production des thèses - Université de lille III. france. 1978. p (49).

21) ibid- p- (50)

22) ibid (50)

23) ibid p.(51)

24) استفدنا من معجم تودورف وديكروت . ص (428) (429).

25) Ivan Fonagy: Série: pragmatiec and Beyond III: 1/p (4)Jhon Benjamins Publishing company. Amsterdam/Philadelphia.1982.

26) Maurice-Jean lefèbre:structure du Discours de la poésie et du Recit p (166).

27) مأخوذ من مجلة الفكر العربي المعاصر (محور خاص باللسانيات) عدد (25) آذار نيسان (1983) بيروت.

★) ننبه الى اننا في الترجمة المذكورة. لم نتقيد بالاصطلاحات الاصلية لانها ملتبسة وغير وافية بالاصل الفرنسي .

28) نقلا عن «نزهة الارواح وروضة الافراح» لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري (ق 7 هـ ص (137) من: «نصوص فلسفية» مهداة الى الدكتور ابراهيم مذكور، اشراف وتصدير: د. عثمان امين . الهيئة المصرية العامة للكتاب. الجمهورية العربية المصرية 1976. (والنص وارد باكمله في الكتاب).

29) من: «كتاب في علم التصوف» للشيخ الكامل المحقق داود القيصري، والكتاب وارد في المرجع السابق ص (227).

★ ★) احتفظنا بعلامة التعجب لانها اصلية في النص المحقق.

(30) (31) M.Safouan: Les st.en psycanlyse)p. (32)

32) Omicar? (Revue) n° (14) p.(38). Editée par lyse (1978) paris-france.

★) القصد (الضمير الاول)

★ ★) الخط الفاصل بين اللفظتين يوحي باشياء كثيرةحيث يغدو المصطلح حاملا دلالة مجازية تعني فيما تعنيه: «اشباه الاسماء»!

(33) J.Cohens (Structure). p (148).

والاقوال بين قوسين هو صاحبها

34) كوهن (نفسه) ص (149) و(209)

35) انظر (ر. بارث) (درجة الصفر للكتابة) ص (52)

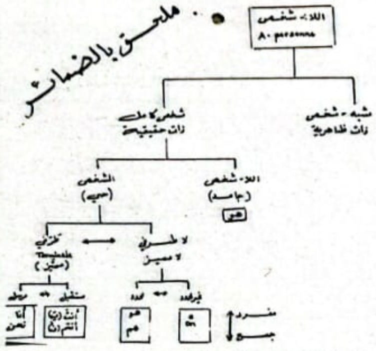

° بنية الشخص في اللسان الفرنسي

★ On يسمى هذا الضمير لا محددا لانه غير معلوم المرسل. ولانه غير محدد الجنس ولانه دال على كل شخص وليس على شخص بذاته . الخطاطة مقتبسة من جماعة مو (بلاغة عامة) ص (160).

Scanné avec CamScanner

العلم

ملحق
أسبوعى

السبت 7 ربيع الاول 1405 الموافق 1 ديسمبر 1984 العدد 720 السنة 15

آفاق نقدية «تتمة»

ملحق اصطلاحي

نقيض النثر : Antiprose
تداعيات : Associations
كشف أوتوماتيكي : (Traitement Automatique
شيفرة : Code
تضايف : Collocation
تضمين : Connotation
توارد (او سياق شكلي) : Co-occurence
تلازم : Corrélation
(هذا المصطلح ترجمه د. محمد رشاد الحمزاوي في « اللسان العربي » مجلد 8 ، ج. 1980/2 الى صفة . وترجمه د. سامية محمد جابر في نطاق اختصاصه السوسيولوجي الى « علاقة » في نفس العدد) .
تعيين : Dénotation
انزياح : Ecart
استخبارات : Enquêtes
نسبة الورود : Fréquence
ترجية : Hiérarchie
توافق : Interdépendance
وهذا المصطلح من وضعنا وتعني به التبعية الذاتية اي كون كل عنصر من بنية ما يتوقف على حضور رديفه
علاقة ضمنية : Interrelation
محايد (صفري) : Neutre

شبكة : Réseau
قاموس مختصر : Vocabulaire

فرز الرموز الخاصة بالمترجم

★ . نوية وهي جمع نية . وقد شاعت خطأ باسم (نوايا) . راجع كتاب « تقويم اللسانين » لمعالي الدكتور محمد تقي الدين الهلالي . (الطبعة السعودية) .

★ ★ . بخصوص مصطلحي . الصغارة والكبارة راجع مختصر الفرائد الدرية . المطبعة الكاثوليكية . المكتبة الشرقية ، بيروت ، 1951 . ص (297) ، ص (469) .

★ ★ ★ . أشار المترجم عنه الى هذه القضية باقتضاب وتفصيله قول ج . كوهن في نفس الكتاب . ص 35 « حينما يكون لسان الانطلاق ولسان الوصول كلاهما من طينة النثر . يفقد المستوى الشكلي كل استتباب . فيمسي النثر اذن ، وبمطلقية الدرجة الصفر للاسلوب » . .

★ ★ ★ ★ . اوردت مفردة « تعبير » على صيغة الجمع لأن القاموس المختصر ببساطة مجموعة من التعابير .

★ . التوافق . راجع شرحه في الملحق الاصطلاحي .

(في ملحق قادم حوار مع تشومسكي)
الدار البيضاء في : 1984/9/28

Scanné avec CamScanner

التــلازم والتَّضايف

ترجمة : عبد الباسط الكراري

1-1 توطئة بقلم المترجم :

□ ثمة ابداعات فنية رائجة، وغياب مشهود للابداع النقدي، وبصيغة أكثر ابعاداً ثمة ابداع مغربي وذائقة نقدية غربية (الرقابة رقم 1) عليه. قد تعود هذه المفارقة فيما تعود الى كون «الخطاب العلمي لا يحسنا كثيراً ما دمنا لا نشتهيه، كما ورد في أحد التعابير الشبيبة. أو الى سورة الاستخدام التي يفرزه البناء الذهني، أو الى أشياء أخرى (...) ولا يعنيني هنا بتاتاً أن أعرض مشروعاً نقدياً استوفت ابعاده، أو منهجاً يؤشر تجاوز هذه المحنة، فذلك أمر يعسر سلكه لا بعد عمق نظر وانفساح أفق. وانما يعنيني أن استفصح عن جملة من القضايا النقدية، واعرض في هذه التوطئة الموجزة لحدود منهج الاحصاء في البحث النقدي الأدبي بخاصة.

2-1 . تنطلق المنهجية الاحصائية لارساء موضوعها من اعتبار النص حاملاً على مكونات قابلة للاحصاء كالبيت والكلمة أو الجزء (في الشعر) والجملة والمسكوك والمستكمرات والوحدات النغمية وغيرها، (1). ويعد بيير غيرو P. Guiraud من الدعاة الأوائل الى توظيف الطرائق الاحصائية لاستغلال البنية المعجمية، والتعرف الى بنية القاموس المختصر الخاصة بالكاتب. فالكلمات . الموضوع Mots-thèmes هي تلك التي يكثر استعمالها في المتن المحظي، أما الكلمات . المفاتيح Mots-clefs فتختلف عن الكلمات . الموضوع في كون ترددها نسبياً غير مطلق، ويقرر ترددها مقارنة بمعيار محدد خارج النص المدروس. (2) لقد كان المنهج الاحصائي النقدي وما يستكره من النظر في درجة يشتغل بها النقاد الجدد. فسلكت اليه زمرة من الباحثين العرب (د. جوزيف شريم باريس، د. عبد الكريم حسن باريس، يوسف الحناشي تونس، أحمد طاهر حسنين مصر وغيرهم كثير) واستوى هذا المنهج عمدة في استنطاق المتن وقد توصل منذ مدة ولاس وجاك فيلوتيه. الى هذه الاداة. الى أن هذه الطريقة مطروحة في الدراسة الادبية لانها تعني من وجهة النظر الاسلوبية الربط المباشر بين «الاختيار» le choix الذي يرتضيه الكاتب، والانجاز المحقق (بالمعنى النحوي التوليدي) ومطروحة من وجهة النظر الجمالية أيضاً لانه لا حدث أن طبقت على النصوص الادبية فان

عملاً كهذا يفضي الى اعتبار ترتد أو تنزع مفردة مكونين للذة الجمالية (3). فضلاً عن أن المطابق على النصوص الادبية غالباً ما تخفيها الشارة بسيطة يكتشفها حس القارئ أو السامع بسهولة وقد تمر عليها الاحصاءات مر الكرام (4). يضاف الى ذلك ان المأخذ في الطريقة الاحصائية من الشطط لكونها تخضع النص الى تكتيك اعتباطي ينسيخ تضافره التركيبي، وتناسقه الدلالي، لتركيه على نحو أن تغيب فيه جوانيته واصالته، ويصبح فيه النظر الى اعمدة مرقمة، وهو بهذه السمة يحصف بالبعد الثاني من ابعاد الاثر الادبي ألا وهو (حديث النظر الباطن Dialogue de l'Autre) ولا تحسب الانساق السيكولوجي لنموذج الاحصائي الا محصنة لروع سادي ترفده هوسات التسك الدروسي لهيكل النص، ويجد هذا النزوع طريقه الى الارضاء عبر اوصاله وتفكيك القاموس المختصر تفكيكاً لا يسلم من الحيف.

3-1 . تلك جملة (لا تفصيلاً) اشارات الى واقع الدراسة الاحصائية النقدية وبعد أن تكشف ما في هذه الدراسة من نقائص وما هي مقبلة عليه من الآفاق، يصبح الباب مشرعاً على مصراعيه لولوج مقولة التجاوز، فهي التقنية بالجد بين الجد والعبث وفسح المجال للمنهج الذي يقدس الكلمة . في نطاق صدورها عن الفعل أو تمهيدها له . ويحميها من صولة الحاسوب .

وفيما يلي اطلالة سريعة على أحدث الانجازات النقدية الكمية في عوالم ما وراء البحار، في رصدها للتلازم (القائم على غير الاساس النحوي) والتضايف (المترکز على هذا الاساس).

هوامش التوطئة :

(1) .. م .. الفكر العربي المعاصر، الاسلوبية ع 1979/6 .. ص (4)
(2) الاسلوبية والشعرية .. ومالك فيلوتيه .. سلسلة الدرس والقلة .. لاروس الجامعة ص 22
(3) ص 33 .. م
(4) ص 139 م .. الفكر العربي .. ع 1 ..

التلازمات والتضايفات :

يستدعي تحليل الخطابات (الادبية والسياسية) ومعطيات الاستخبارات المصغوية تحت ما يعنت بتحليل المحتوى . الخ) عنصر التحليل الكمي والمشكل الراهن يتعلق بوحدة البحث، أي الكلمة وشبه الجملة والجملة أو التيمات «لقد اشتغل التحليل الكمي زمناً بالتقاط نسبة ورود العلامات أو التيمات من غير أن يعرض لمسألة الصلات بين مختلف العلامات ومسألة البناء التيمات ولا تتحدد الايديولوجي والانفعالات اللاشعورية للوحدات المتلفظة.

ونحن نستثمر هذه الخصاصة في دراسة خطابات السياسة أو الاشهار. تنقرط اللغة بوصفها أداة مشغلة في الاستراتيجية السياسية . فلا مصحي اذن من استجلاء النوية » الايديولوجية والانساق التي توجه الخطاب . وحينما يعتم التضمن أكثر من المكشوف تصبح المقاربة الكمية غير ذات بال . وتزداد هذه الابحاث الكمية جدة عندما تنتقل من المحور الاستبدالي للاحصاء المعجمي الى دراسة السياقات الشكلية . يتعلق الامر هنا الآن بدراسة الحضور التراخي للكلمات أو التيمات في نفس الخطاب ونفس منطق الخطاب أو في نفس السياق الدلالي . وفي حالة استقلال العلاقات المدروسة عن البنى التركيبية أو المنطقية فاننا نتحدث عن تلازمات collocations لا عن تضايفات corrélations . وفيما تشكل هذه الاخيرة صور المفهوم تعالي الأولى التداعيات . في أي موضع من النص ويقتضي طبيعة الدال أو المدلول أو العلامات التي تستكشف خارج الطبيعة الوظيفية الصرفية أو التركيبية (ر.ل . ووتر 1970 . ص 94 ث . راجع المصادر) . وعلى سبيل المثال . نقف بعد بول ايلوار المذكور سلفاً في الكتاب » : . الارض زرقاء كالبرتقالة .

يتضايف الموضوع والمحمول والتشبيه نحوياً على نحو معامل تماماً للشيفرة والتسان الطبيعي اللذين تركنع اليهما القصيدة . وبالمقابل . يجب أن تشرح تلازمات « الارض » . « زرقاء » و « البرتقالة » على مستوى آخر . مثلاً من خلال الهوية اللون الجامعة بين العلامتين الاوليين . أو الوحدة المعنوية « الاستدارة » المؤلفة بين العلامة الأولى والأخيرة في البيت والمقابلة بينهما : الفيافة بالنسبة الى (الأرض) والصفرة بالنسبة الى (البرتقالة) . والكوني مقابل الحميمي . وهلم جرا . • •

حيثما يحدد نمط ما من السياقات الشكلية les co-occurences أو أنماط التضايفات بلزم الانطواء على المبدأ الذاهب الى أن الدرجة hiérarchie المتمسكة تسم الخطاب

المدروس . يظهر أيضاً مشكل المعيار الذي يسمح بمقارنة النتائج المستخلصة . وقد اقترح س . موسكوفيس وب . هنري (1968) الارتكاز الى معجم نسبة الورود المكونة انطلاقاً من مجموعة من النصوص المدونة . تتضمن أكثر حدود أسلوبية كمية تقنية تحتل تسلسل . في الاخرى مصحنة بسبب النفر النظري لتشمل أسلوب . متوسط . و « محايد » . وفي هذا الصدد . فكر جون كوهن في « بنية اللغة الشعرية » 1966 . في أن النثر وحده يقترب من « الدرجة الصفر » ص (35) • • . وان انطلاقاً من كلود بريمرارد بتحديد تعيين العلامة . أما التضمين فيتأتى بانزياح الاستعمال المهجوري (نسبة الى ف . هيجو) والكوديني Claudelien عن تلك العلامة عنها . فالاسلوب هنا متصور كانزياح . أما الوعي فليس سوى « تقبض النثر » «Antiprose» (ص 51) . انه بمسافة الانقضاء عن النظام الخاص الذي يؤسسه الاثر l'oeuvre . وكما مر بنا (في الكتاب) يحضر مفهوم النظام système الشعرية . أما مفهوم الانزياح فليس فيها سوى بديل منشوء . وعلى نحو هذا، فقد اقترح . غيرو في عرضه لمسألة السياقات الاسلوبية النظر في علاقات التضايف بين العلامات (« الاوضاع التركيبية » لكل كلمة في مجموع السياقات التي تتكشف فيها : . الغراب والساخ والحبر الخ . ترمز الى السواد ») وفي التلازمات (« وهذه الكلمات المذكورة منذ قليل) بحورها . بخاصيتها الشبيبة السوداء وبتعارضها مع أشياء أخرى حمراء أو بيضاء أو خضراء ») . وقد حدا به هذا الى تعريف المعجم كشبكة من العلاقات القضية بين العلامات التي تكونه . واقتراح طريقة تعالج العمل الادبي من حيث كونه مرسلة نعد فيها بناء الشيفرة le code (...) والطريقة (...) ونقف فيها على الخاصية البنائية لهذه الشيفرة التي بنيت على صيغة منظومة تحدد في حضنها كل علامة في علاقاتها بالعلامات الاخرى » . وهكذا يتعين أن نبين الطريقة التي ترمز فيها الهاوية الى الشعر عند بودلير ، والنظر الى المجهول عند فاليري ، وزرقة السماء في عالم السكال والوعي عند بودلير وملارميه وهكذا دواليك .

وفي هذا المسعى تثبت دراسة ش . مولر للقاع الهزلي عند كورناي . على الارجح الانجاز المهم من وجهة النظر المنهجية . فهو يقيم مقابلة . تأسياً بغيرو . بين المعجم والقاموس المختصر . ولا يشتمل المعجم على مجموع كلمات اللسان يحتوي القاموس المختصر بين جنباته على مفردات الخطاب . وقد اقترح ش . مولر الانصراف عن . كل تفكير في المعجم . واعتماد القاموس المختصر (ق) للنص (ن) معياراً . وأجزاء هذا النص

مجالاً للتجريب . ويعرض ش . مولر . من غير التسليم بأي صبغة مقلقة . خليطاً من الاساليب في مختلف الفصول : . السيادة (الفصل I) والسهاة (الفصل II و III و IV) والمسماة (الفصل V) . وهنا لا يتعلق الامر بسات معتبرة للازمات في وحدة مستضيف الارض فهو لن تكون عليه ولا الرغبة في التقلب على صحة الخطاب الادبي في أي التراكات . وانما بخلاف ذلك يختبر الخطاب الادبي منشأ للازمات حميمة كما يعبر عن ذلك « . متزان في دراسته لتعابير • • • الوجه في (Thérèse Raquin) . والرغبة هي على المنوال الآتي : « العناصر والروابط التي يكشف عنها القاموس لعدم الاحساس بينها وبين العناصر التي تكون معزولة في ترسيمة نسبية » . والعمل الادبي يحيل كمراسلة تولد شيفراتها الخاصة . وفي هذه الحالات لن يتعلق الامر بـ « استبدال بنية الشيفرة العامة ببنية العمل . واعمال القرائن التي تشكل ترتيب المفردات في العمل تتميم عن مجموع من الدلالات » . فالسياقات الشكلية المنتجة لتحولات العمل المتجدد باستمرار تحدد النمط من الخطاب .

وعلى سبيل الذكر . نخص بالثناء نظامين للتحليل النصي (الوثائقي) يحتفلان الى التضايف لا الى الانجاح البسيط للسياقات الشكلية . هما : . التحليل الشامل (General Inquirer) الذي وضعه بالحلو معهد ماسوشيت لتكنولوجيا (MIT) . ونظام SYNTOL الذي استحدث بالحلو المركز الدولي للبحث العلمي (CNRS) . ذلك النظامان يرتكزان الى « تحليل اوتوماتيكي للخطاب » يضع في الحسبان العلاقات التركيبية بين العناصر . فالتحليل الشامل (GI) يمثل دفعة واحدة من وضع قائمة للكلمات والسياقات الشكلية ومجموعات الكلمات والمجاميع التركيبية المكونة من اسم . وفعل وموضوع و/أو محمول (صفات) . ويتيح هذا النظام . بعد تهيء شيفرة مسجلة في حافظة بواسطة الحاسوب . تمييز الاسماء / الافعال / المواضيع . المحمولات . و . تسجيل بعض القرائن التركيبية البسيطة المؤلفة بين العناصر وهي ما نصطلح على تسميته أحياناً « بنحو » أو « تركيب » . لكن حدود الـ (GI) هي بلا مراء حدود الاسلوبية الحديثة . فهو يمكن من الابقاء بعدد متناه من العلاقات التركيبية داخل الجملة ولا يأبه بالروابط التركيبية . المنطقية بين الجمل . وتتنزل قائمة نسبة الورود في نظام SYNTOL . كما في منشوء الـ (GI) منزلة ثانوية . فالمحور النظمي يهيمن على المحور التركيبي . الاستبدالي . وهنا يسوغ دراسة علاقات الربط والعمل أو الاسناد والتأليف . والقرائن المنطقية كالعلية والترادف والتفاعل . • وهنا تتألف الثوابت les invariants من الوحدات المعجمية . بينما تقوم

العلاقات الناشئة بين هذه الوحدات بمتغيرات variables ومن ثم ننتقل الى الواجهة الأولى. ونحن الخوض في جزئيات العمليات . نؤكد على أن تصنيف العلاقات المنطقية والتركيبية هذه العناصر البسيطة يختلف عن تطور منظوري لا سبيل الى الخلوص فيه . ولنا أن نختص في ذلك من خلال أعمال مركز المعجمية السياسية لمؤسسة (ENS) سانت كلود . ودراسة القاموس المختصر لعرائض العمال في 1848 لصاحبها م . تورنيه . ودراسة مؤسسة (ERA) بادارة ر.ل . ووتر (الموسومة بالكشف الاوتوماتيكي للنصوص (1970) واعمال م . بيشو .

ثبت بيليوغرافي

- الار . ايتزير . غاردن . اورس . (1963) . التحليل المفهومي للقرآن على جداذات مخرومة . لاهاي . باريس . موتون .
- موجون . كل . (1966) . التحليل المفهومي للقرآن تواصلات ع 11 . باريس . سوي .
- ج . كوهن . (1966) . بنية اللغة الشعرية . باريس . فلاماريون .
- غيرو . ب . (1969) . محاولات في الاسلوبية . باريس . كلانكسيك . سلسلة . مدخل الى الالسنية . فئة ب .
- هنري . ب . موسكوفيس . س . (1968) . مشاكل تحليل المضمون . لغات ع 11 . باريس . ديديه / لاروس .
- متزان . هـ . (1968) . التلازمات المعجمية وتنظيم النص : تعابير الوجه في دغيز خاكن . ندوة كلاي 1 . النقد الجديد .
- مولر . ش . (1964) . محاولة في الاحصاء المعجمي . الخداع الهزلي عند ب . كورناي باريس .
- بيشو . م . (1969) . التحليل الاوتوماتيكي للخطاب . باريس . ديتود .
- أتماك . م.س . (1974) تحليل مضمون وعملية الكلام . باريس . المنشورات الجامعية .
- ووتر . ر.ل . (1970) . القواميس الفرنسية . II . باريس . ديديه .

من كتاب : الاسلوبية والخطاب الادبي / جان ميشال آدم . وجان بيير غولد ينشتاين . لاروس الجامعة . سلسلة حرف ل . 1975 .

البقية على ص 7

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي

السبت 7 فبراير 1987 . السنة 16 العدد 812

CS Scanné avec CamScanner

في سبيل رؤية سيكولوجية لقضايا ما قبل النص

بقلم : عبد الباسط لكراري

أ . إطلالة عامة على علاقة التحليل النفسي بالظاهرة الأدبية :

2 . تجربة الابداع في الدرس الفرويدي :

مناقشة :

4) نويل واستلهام النموذج الفرويدي :

5 . تصورات وآفاق مستقبلية :

● بخط العقاد إلى صديقه المهداوي

رسالة بخط العقاد الى صديق له

(6) الاستبار : ما له وما عليه .

أ . الاستبار كقاعدة ملحة :

ب . تقنية الاستبار على المحك :

(7) مشروع النص الصامت :

البقية على ص ٥

في سبيل رؤية سيكولوجية

«تتمة»

تضاربت الاقوال والحدوس والافتراضات حول النصوص، مما نتج عنه طرح قضية التوثيق والنقد الداخلي .. وهي معضلة لا مناص من حصولها في كل تقليد ثقافي «ارتجالي». وعلاوة على ذلك، نعتبر تغييب الصورة الخطية في تجلياتها الواضحة ومن حيث هي دوال استبدالية تتخللها ـ في مسار تخلق النص ـ عمليات تعديل وحذف واضافة ..

نعتبر ذلك عائقا يحول دون وضع اليد على الفوارق (Les nuances) النصية، التي قد تشكل موضوعا ـ قائما بذاته ـ لاجراءات تحليلية لاحقة، تأخذ بعين الاعتبار طرائق التحبير ونوعية الشطب وكميته ومواطنه (تبلغ مثلا عدد المعطيات المشطب عليها في رواية (Epaves) لجوليان غرين اربع الى خمس الف معطى !) والدوافع الثاوية وراء اسلوب بعينه في الكتابة (دلالات الاحرف مثلا : ارتضى الروائي الشهير «وليم فولكنر» طريقة خاصة في كتابة حرف السين (S) معكوسا (S)، رأسه الى اسفل، اشبه ما يكون بحرف الحاء في الابجدية العربية. وهي طريقة تشف عن استعمال رمزي لا يخلو من حيثيات واسقاطات معللة(؟). يقول جيليان موريل (Giliane Morell) الذي كان قد اعد اطروحة دكتوراه الدولة في موضوع «الدينامية والمتخيّل في آثار و. فولكنر» : ـ لقد كانت كتابة فولكنر جدّ متميزة، بحيث كان يحلو له العبث بالدوال. ولا أدل على ذلك من رَسْمِه حروف (S) معكوسة في فقرة من فقرات «الكراكيز». ومما لاشك فيه ـ يضيف موريل ـ أن شكل هذا الحرف يحيل على الثعبان الذي لابد أن يكون ذا دلالة غنية بالنسبة الى فولكنر. وفعلا، فإن أباه كان يلقبه «بشفتي الثعبان» (Snake lips)، علاوة على ما للثعبان (الشيطان الممسوخ) من دور المغوي بالكلام، كما جاء في الانجيل، وهو شيء لابد أن يكون قد أغرى الكاتب، كما عبر هو بنفسه عن ذلك في «الكراكيز»، و«المعبد» أيضا» (19). نسجل إذن هذه التحفظات كلها، دون أن نلمح من طرف خفي الى أن غياب تلك الجوانب الاساسية في النص الصائت قد يقلل من أهميته، وضرورة حضوره بين أشكال الثقافة الراهنة، مادام هو الاخر ينفتح على أكثر من سماع واحد. لكن كيف نهتدي الى معرفة اجراءات التعديل في النص المسموع؟.

في العقد الثالث من هذا القرن، سجلت زوجة «ميحالي بابيتس» (Mikàly Babits) مقطوعات شعرية بصوتي زوجها صحبة كارنذي (Karinthy)، على لوحة مشعاعية أصلية (radiographique)، ثم حفظت اللوحات. وأمكننا ـ تقول السيدة إرزبيت فيزر ـ بعد القيام بمعارضة النص المنشود بالطبعات الاصلية المشهورة (غير المنقحة)، أن نلتقط فوارق على جانب من الاهمية، بين النص الصائت والنص المكتوب. ص (203) فتعديل كهذا يشكل الى جانب ظواهر انحرافية أخرى، موضوعات للتحليل النفسي. ويهمني أن أشير هنا الى دراسة من الدراسات السيكولوجية التي أنجزت في مضمار قريب من هذا، عله يسند مشروعية النص الصائت كما تنظر له السيدة فيزر. والدراسة التي نقصد اليها هنا، هي محاولة كليت هيفنر (K.Hevner) 1937، عنوانها «دراسة تجريبية للقيمة الوجدانية للاصوات في الشعر». استخدمت فيها مقاطع صوتية صماء (أي بلا معنى) تكون في تتابعها ونظامها قوالب من شأنها ان تعطي التأثير الصوتي الذي تنطوي عليه أبيات الشعر. (20). وثمة دراسات أخرى في هذا الاطار، بيد أننا ننتظر من البحثين الصوتمي والصوتي بخاصة، أن يمدّانا بنتائج على مستوى انبناء المتواليات الصوتية ووظائف الاستبدال ويقدمان لنا وصفا وافيا لاشتغال الجهاز المصوت في أثر معين ومدى كثافة تردد صور صوتية بعينها، وما يؤشر عليه مثل ذلك من وظائف وقيم «خلسنية». ولا مراء في أن هذه الخطوة ـ فضلا عن اخصابها للنص الصائت ـ ستكتسي صبغة علمية محضا.

ومن الامتيازات التي تسوقها فيزر لترجيح النص الصائت، ظاهرة «النبر» الذي يتخلل الشريط، والذي لابد أن ينطوي على وظيفة محددة./ والحق ـ في تقديري ـ أن التشديد كسمة خطية بارزة في المسودات، يقف بدوره معادلا للنبر، مثلما هو الحال بالنسبة الى الدوال الطارئة على السلسلة الخطية العتيقة. تلك الدوال التي تفسح لنفسها موقعا واضحا بين مجاوراتها، مما يسمح باعتبارها جانبا لايخلو من أهمية استثنائية. والتشديد الذي أشرت اليه لاينصرف الى شكل محدد. فقد يأتي بطريقة فنية، وقد تتضافر عناصر عدة في ايقاعه أو إحداثه. (21).

وان هذه الاعتبارات جمعاء لاتقف حائلا دون حضور هذا المولود الواعد بين الانماط التعبيرية الخالية، وليس من شك في أنه سيختلف موقع عديد من «الانواع» التي تنتحب على رمائم النصب الفنية البائدة.

هوامش :

1) J. starobinski: L'Oeil vivant II (La relation critique) coll. le chemin. ed. Gallimard 1970. France.

2) مجلة المعرفة عدد 12 فبراير 1972 سوريا (مقال د. حسام الخطيب).

3) ص 112 ـ 113. نقلا عن مذهب فرويد (مرجع سابق الذكر).

4 - 5 S.Freud: Essais de pychanalyse appliquee. P(75) (77). Trad - de Marie Bonaparte et M E.Marty. coll Idée. Gallimard.1963. France.

وفيما يخص علاقة الشعر بالحلم يقول نور ثروب فراي : «ينزع البحث النفسي للشعر، الى ان يرى اليه، رؤيته الى الحلم، خليطا من المضمون الظاهر والمضمر. اما النقد الأدبي، فعنده ان المضمون الظاهري للشعر هو شكله، ومن ثم فمضمونه المضمر، سيكون بالتالي مضمونه العادي : ـ الديانوايا او التيمة. وديانوايا النموذج الاعلى تلك، هي الحلم اي تمظهر الصراع بين الرغبة والواقع» ص 111 من كتابه :

Anatamy of criticism Northrop - frye. Prin- P.0.P PNew Jersy U.S.A. 1973. Third printing.

6) L.Goldmann: pour une sociologie du roman. P (360) Coll. idée. Gallimard.1964 France.

7) هايمن ستانلي. النقد الادبي ومدارسه الحديثة : (الجزء الاول) ترجمة د. احسان عباس ود. محمد يوسف نجم ص (83).

8) (ن.م) - (ن.ص).

★ انظر مقالي بجريدة انوال من اجل منظور سوسيو ـ سيكولوجي للابداع والثقافة. ع 1983/86 ص (13)

★ لم يتراجع «جاك لاكان» في تسديد سهام نافذة الى السيكولوجيا. ومن ملاحظاته السديدة عليها : انطباعها بالتعميم، بل وقوعها في خطأ اعتبار ظاهرة الوعي ظاهرة موحدة، وحديثها عن وعي واحد، معتبرة اياه سلطة شميلة ومفوضة له منتهى الحق في جدلية الحكم وحلم اليقظة المشترك الخ

J. Lacan. Ecrits. (position de l'inconscient P (831) Ed. Seuil 1966.

9) E. Benveniste: Problémes de linguistique générale. T.I P (77). Coll idée. Callimard -

10) clefs pour l'imaginaire; Le besoin d'interpréter. Olivier Mannoni - P (189) (1969)

★ يفتح الباب على مصراعيه هنا لما نظرت له سابقا ولأول مرة : (النقد الفرافولوجي).

انظر مقالي الذي يحمل هذا العنوان بالملحق الثقافي للعلم ص (2). ع 618 السنة 1982.

11) - Piera Castoriadis anlagnier: La Violence de l'interprétation (du pictogramme à l'énoncé. le fil rouge) P.U.F P (71) - 1981.

12) نقل بتصرف عن كتاب «الاسس النفسية للابداع الفني في الرواية : د. مصري عبد الحميد حنورة ص (210) ه.م.ع. للكتاب 1979 (بدون رقم الطبعة).

13) فصول (مجلة). المجلد الرابع ـ العدد الاول / اكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر 1983. محور (النقد الأدبي والعلوم الانسانية) مقال. د. مصطفى سويف. ص (30)

14) (ن ـ م) ص (31 ـ 31).

★ سبق لمجلة (لوموند) الفرنسية ان بادرت الى تنظيم سلسلة من الاستبارات، في منتصف السبعينات، أعدها (ج.ل. دورامبور J.L.de Rambures)، في محور «كيف يشتغل الكتاب ؟»، مكّنت جمهور القراء من الاطلاع عن كثب، على ظاهرة الخلق الفني وملابساتها.

15) فصول. (مرجع سابق) ص (31)

16) (ن.م) - (ن.ص).

★ الما صدق هنا ليس بمدلوله المنطقي المعروف، وانما يعني «مدى صدق الخطاب» فقط

17) Voir: (Avant texte - texte - aprés texte) Editions du C.N.R.S/ Paris et Akadémiai kiado Budapest 1982 P(165).

18) تحليل (جليان موريل) يلتقي مع التصور اللاكاني الذي يرى «ان «الانا» في مظهرها الاساسي، هي في واقع الحال، وظيفة تخيلية» ص (50) من كتاب (Séminaire III) بيد أن (بول هنري) يؤكد على الاكتساح اللاشعوري للمتخيل بعبارته «اللاشعور طبعا يحدد دوما امبراطوريته عبر المتخيل» ص (150) من كتابه : ـ الاداة الفاسدة : ـ اللسان والذات والخطاب. باريس طبعة كلتكسيك. 1977. سلسلة ابحاث (بالفرنسية).

○ ـ الصوت وحدة سمعية ـ صوتية مركبة. تكون مع الفكرة وحدة فيزيولوجية وعقلية مركبة (في القاعدة البنيوية)

(19) L'ARC (Revue) (Numéro consacré à W FAULKNER) N° 84/85 1983 — Paris · Ed· LE Jas France. P(55).

(20) فصول (مجلة) المجلد الرابع العدد الاول 1983 ـ القاهرة ـ مصر

21) يذهب الاستاذ (عبده داود) الى أن «التنغيم» في الكتابة يشمل «علامات الترقيم من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وعلامة تعجب» ص (8) من ملحق انوال الخاص باللسانيات ع 1986/255.

Scanné avec CamScanner

ملحق البيان الثقافي

يصدر كل يوم احد ـ العدد 119 – 20-21-10-85

« الأدبي والسياسي » ـ لامبرتو إيكو

ترجمة ـ عبد الباسط لكراري

1 ـ توطئة للمترجم !

لم يكن عربيا نعرف أمبرتو ايكو الا بعد صدور « الاثر المفتوح » الذي هو مجموعة من الـ... في اللغة والفن الحديث . ويعتبر ايكو من النشطين البارزين « لجماعة 63 » التي تضم طائفة من الكتاب والنقاد الايطاليين (1) . ويتميز ايكو عن كثير من الـ... المعاصرين بغزارة ما يكتب ...

1) النصف شهرية الادبية عدد 72 ماي 1969

2) امبرتو ايكو « البنية الغائبة » ، منشورات ميركير دو فرانس ـ 1972 ـ باريس

3) الاحالة الاولى (ن . ص)

4) بارت « بلاغة الصورة » (تواصلات) ص 40 ـ 51 / سوي 1964 فرنسا

5) انظر التفاصيل بخاصة في مجلة الفكر العربي المعاصر . مقال د. ماري زيادة . ص 178 ـ 182 ـ عدد 27 ـ 28 . خريف 1983 .

« البيان » في لقاء مع الشاعر السلفادوري :
ألفونسو أوباس كيفارا

في اطار الفعاليات الثقافية التي شهدتها الدار المركزية للآداب بموسكو ، خلال أيام المهرجان الثاني عشر للشباب والطلبة ، التقى البيان الثقافي بالشاعر السلفادوري « ألفونسو اوباس كيفارا » وأجرى معه هذا الحوار :

ـ البيان الثقافي :

هل لكم ان تقدموا أنفسكم لقراء جريدة البيان من خلال تجربتكم الأدبية الفنية ؟

ـ الفونسو اورباس :

في البداية انتمي لرفاقي بالوطن الغربي بـ... الصادقة ...

ـ الفونسو اورباس :

الواقع الادبي بالسلفادور له ارتباط وثيق بالصراع الوطني ضد الامبريالية. حاليا يعاني الكتاب من المطاردة ، وبالتالي أصبحت امكانيات النشر صعبة ومنعدمة ، لقد قتل العديد من الشعراء التقدميين وسجنوا ، واضطهدوا ، وعدد كبير منهم يوجد في المنفى .

ـ البيان الثقافي :

يدخل الادب بالسلفادور ضمن ...

يصدر يوم السبت كل أسبوع
عن جريدة العلم
11 شارع علال بن عبد الله
الرباط. ص.ب: 141
الهاتف : 19 - 224
20 - 224
21 - 203
السبت 9 شوال 1407
الموافق 6 يونيو 1987
العدد : 827
السنة : 17

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي

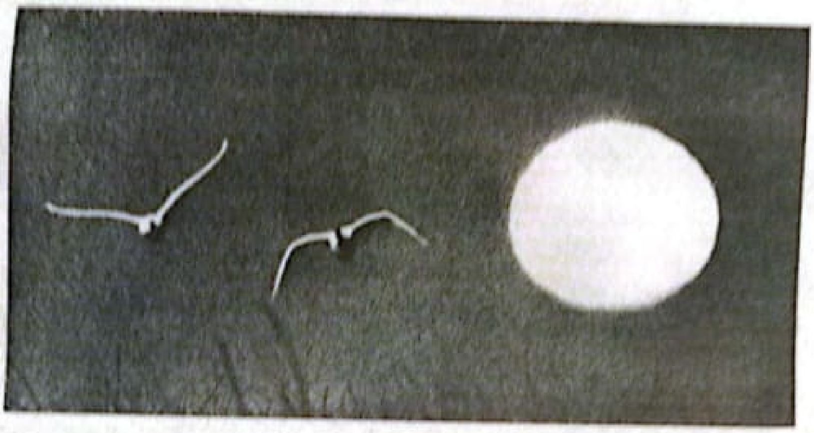

المنهج: ألعاب اللغة

بقلم : جان فرانسوا ليوتار

ترجمة عبد الباسط الكراري

تصدير :

استهل جان فرانسوا ليوتار كتابه : «الوضعية ما بعد الحداثة» (La condition postmoderne) بجملة من البيانات والتصورات التي تلتقي مع بعض المنظومات التأويلية، السوسيولوجية والفلسفية على الخصوص، لفكر عصر ما بعد الحداثة؛ عصر الاعلاميات (أشير مثلا إلى جان بودريار).

يقول ج . ف . ليوتار : «موضوع هذه الدراسة هو وضعية المعرفة في المجتمعات الأكثر تقدما . وقد اصطلحنا على تسمية هذه الوضعية «بما بعد الحداثة»، والكلمة تستعمل في القارة الأمريكية بريشة علماء الإجتماع والنقاد . إنه يشير إلى حالة الثقافة بعد التحولات التي أثرت في قواعد ألعاب العلم، والأدب، والفنون منذ أواخر القرن التاسع عشر . وهنا تحدد تلك التحولات بالنسبة إلى أزمة المسارد «des récits» ص (7) .

وفيما يتعلق بالمعرفة كشرط ثقافي، لعصر ما بعد الحداثة، ينطلق ليوتار من مقدمة نظرية ترى أنه «لا يمكن أن نقضي بأن الدور المركزي للمعرفة، هو أن تكون عنصرا ضروريا لسير المجتمع، وبالتالي، الفعل في محيطه، إلا إذا قضينا بأن المجتمع نفسه آلة ضخمة (1) . والعكس وارد، إذ لا يمكن أن نطمئن إلى وظيفته النقدية، و نصبو إلى أن نوجه به النمو والانتشار (الشيوع)، في هذا الاتجاه، ما لم نقض بأنه لا يشكل كلا منسجما، وأنه يظل مسكونا بمبدأ الاعتراض . والبديل يبدو واضحا : وحدة أو ثنوية «dualité» المجتمعي «du social» البراطقيتان، نفعية أو نقدية المعرفة . لكن الحسم يبدو صعب المتناول أو اعتباطيا» . ص (29) .

ويشير جان فرانسوا إلى أن الخلاص من ذلك يكمن أساسا في التمييز بين نوعين من المعرفة، أحدهما وضعي، والآخر نقدي أو تأويلي . المعرفة الوضعية «تجد بسهولة انطباقها في «التقنيات» الصادرة عن الانسان والوسائل الانتاجية . ومن ثم تأهلها «لأن تصير قوة إنتاجية ضرورية للنظام» «Système» . أما المعرفة التأويلية فتنصب فعاليتها على الوصف «المباشر وغير المباشر للقيم والغايات، وهي بذلك تحول دون كل «استعادة» «(Récupération)» . وفي هذا السياق لا يجد فرانسوا ليوتار مناصا من التأسيس على التقابل النظري بين (Naturwissenschaft) ونقيضتها (Geisteswissenschaft) عند دلتي W . Dilthey (1863 - 1911) . (2) وباقتضاب، يمكن حصر مميزات خطاب جان فرانسوا ليوتار في تعددية أطره المرجعية : (السوسيولوجيا . الألسنية . النقد الروائي . الفلسفة ..)، وفي بلورته لأسلوب متميز جدا في قراءة خطاب المعاصرة أو ما بعد الحداثة، بواسطة جهاز مفاهيمي مرتبط أساسا بالمعجم التقني، وفي كونه أيضا ينصب نفسه واصفا لسيرورة العلوم والمناهج الحديثة، والمؤسسات الفكرية المتعددة، والثورة المتعاظمة لأنساق التواصل الحديث . إنه خطاب أصيل فعلا، حائز على مكونات متداخلة غير مفتقدة . في تداخلها لشرعيتها الإبستمولوجية .

بقي أن نشير إلى أن «النص الذي يتلو، تقرير ظرفي» : فهو عبارة عن تقرير عن المعرفة في المجتمعات الأكثر تقدما، طرح على مجلس الجامعات لدى الحكومة الكندية، بطلب من رئيسه، وهو عمل يهديه جان فرانسوا «للمعهد البوليتكنيكي للفلسفة بجامعة باريس الثامنة (فنسان) في وقت «جد حديث جدا» (très postmoderne) توشك خلاله تلك الجامعة أن تختفي، وذلك المعهد أن يظهر» ص (9)، والمقال الذي ترجمناه واقع بين ص (20) و (24) .

اقرأ النص في ص 6

مجلات :

«أبحاث» .. ومحور عن الاقتصاد السياسي للسينما بالمغرب

● اختارت مجلة «أبحاث» موضوع «الاقتصاد السياسي للسينما بالمغرب» كمحور لعددها الصادر أخيرا .

نقرأ في المحور الأبحاث التالية :

. الانتاج السينمائي المغربي، حالة الأشرطة الروائية المطولة .

. الملامح الرئيسية للمستهلك : محاولة تحديد الهوية .

. الايديولوجية والصورة والابداع الفني .

. عرب هوليود (1984 - 1986) .

وفي زاوية الدراسات نقرأ :

. المغربية البطلة لاتحاد نساء المغرب .

. ثقافة العامة في كتابات الخاصة بالمغرب : نموذج الفقهاء في القرنين 10 و 11 هـ .

اما ركن «قراءات نقدية» فيتضمن قراءتين لكتابين : «حول الحركة العمالية المغاربية»، و «السلطة والتأثير، الدولة والأحزاب والسياسة الخارجية في المغرب» .

ونقرأ بالعدد كذلك بيبليوغرافية مغربية (مراجع بيبليوغرافية لسنة 1986) .

إصدارات عيون

الرسالة الجامعية التي قدمها الشاعر عبد الله راجع لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع «القصيدة المغربية المعاصرة : بنية الشهادة والاستشهاد» صدر منها الجزء الأول عن «منشورات عيون» ... في المقدمة يتحدث راجع أن من الأسباب الذاتية التي دفعته لاختيار الموضوع علاقته بالكتابة الشعرية، إضافة إلى الأسباب الموضوعية، حيث يرى أن رغبته تعود إلى حضور متن شعري لم تواكبه دراسة نقدية تحليلية تقترب منه وتغنيه . فدراسة الصديق محمد بنيس ركزت على أغلب الأسماء التي كان لها حضورها القوي في الساحة الشعرية خلال مرحلة الستينات وبداية السبعينات، وكان لدي إحساس قوي بأن الأسماء التي ظهرت بعد هذه الفترة يملك الكثير منها نكهة متميزة ومذاقا مغايرا لما كان سائدا في الستينات، فكان لزاما علي أن لا أغض الطرف عن هذا الحضور القوي والمتميز لمتن شعري ينبغي فحصه والتمعن فيه، ولا أخفي أن الكثير مما نشر من النصوص أو بعض نصوص هذا المتن لم يكن يتجاوز مجرد القراءة الانطباعية التي تتخفى أحيانا وراء البحث العلمي أو تنظر إلى النصوص من زاوية إيديولوجية ضيقة تفقد النص الكثير من إشعاعاته وعطاءاته» .

هذا هو الكتاب العشرون الذي تصدره «منشورات عيون»، وبذلك تكون قد استطاعت أن تغني المكتبة المغربية، وأن تقوم بدور هام في هذا المجال، خاصة بتنوع إصداراتها .

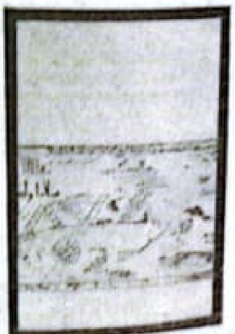

المنهج: ألعابُ اللغة

بقلم : جان فرانسوا ليوتار
ترجمة عبد الباسط الكراري

نربّما نوحظ تأسيساً على ما سبق، أننا، لتحليل هذا المشكل، في الاطار المحدد له، اخترنا إجراءاً معيناً : التشديد على وقائع اللغة، وضمن هذه الوقائع، على مظهرها التداولي . ولعله مُجْدٍ - وذلك لأجل تسهيل سير القراءة - أن نقدم لمحةً، ولو مجملة عمّا نقصد إليه بهذا المصطلح . (3) .

إن قولاً تعيينياً مثل : - [الجامعة مريضة] متلفظاً به في إطار حوار أو استجواب، يُموْضع باثّه (الذي يصدره)، ومتلقيه (الذي يستقبله)، ومرجعه (ما يعالجه القول)، على نحو متميز، حيث الباثّ بقوله ذاك في وضع «العارف» (فهو يدرك ما آلت إليه الجامعة)، وحيث المتلقي في موقف قبول أو رفض المصادقة عليه، وحيث المرجع محكومٌ بشكلٍ خاصٍ بالمعيّنـات (Dénotatifs)، وكشيء يلحُّ في أن يُشخَّص بدقة ويُعبَّر عنه في القول الذي يرجع إليه .

إذا نحن تفحّصنا تصريحاً من قبيل : [الجامعة مفتوحةٌ] فاهَ به عميدٌ أو رئيسٌ على إثر الدخول الجامعي السنوي، فإننا نلاحظ أن المميزات السالفة تضمحلّ . لا بد طبعاً من فهم دلالة القول، وإذن ها هنا شرط عام للتواصل، لا يسمح بتمييز الأقوال أو تأثيراتها الخاصة . فالقول الثاني المسمّى إنجازياً، له تلك الخصوصية التي يتماكن بها المرجع مع الابلاغ القولي : فالجامعة أصبحت مفتوحة لمجرّد أنه صرّح بذلك في هذه الظروف، وذلك ليس إذن موضوع نقاش أو مراجعة من جانب المتلقي، الذي يقفز فوراً إلى مكانه في السياق المؤسّس . أما الباث، فعليه أن يكون مخصوصاً بسلطة التصريح به؛ غير أنه في إمكاننا أن نصف هذا الشرط بشكل معكوس : ليس عميداً أو رئيساً، أي مخصوصاً بسلطة إرسال هذا النوع من الأقوال إلا من بمقدار إصدارها، يحصل على التأثير المباشر - الذي ذكرناه - سواءً على المرجع (أي الجامعة) أو المتلقي (وهو هنا الهيئـة الجامعية) . حالةٌ مختلفةٌ هي تلك التي عليها أقوال مثل : زوّدوا الجامعة بالوسائل . وهي توجيهات Prescriptions قد تنقلب إلى أوامر أو وصايا أو تعليمات أو توصيات أو طلبات أو صيغ الرجاء أو التماسات الخ . والملاحظ أن الباث هنا يتبوأ مَقعداً سلطويا، بالمعنى الأوسع للمصطلح (الذي تقع تحته السلطة التي للمذنب على الرّب الذي يجاهر برحمته أمام الملأ) . وهذا يعني، أنه يُنتظَرُ (يُتوقّعُ) من المرسل إليه، إنجازِ الفعل المُحَال عليه . وهذان المركزان الأخيران، يخضعان بدورهما، في التداوليات التوجيهية، للتأثيرات المصاحبة .

حالاتٌ أخرى، هي أيضاً، فعاليةُ استفهامٍ ما، أو وَعْد، أو وصف أدبي، أوحَكْي، الخ . نُوجِزُ فنقول : حينما أعاد فتجنشتين Wittgenstein - انطلاقاً من الصِّفْر - دراسة اللغة، ومَحْوَر اهتمامه حول تأثيرات الخطاب، سمى الأشكال القولية المختلفة التي مَوْضَعَهَا على هذا المنوال، والتي أتينا على تعداد البعض منها : «ألعاب اللغة» les jeux du langage ويُريد بهذا المصطلح أنه علي كل واحدة من هذه الأصناف القولية المختلفة أن تكون محكومة بقواعد تفصل خواصها والاستعمال الذي يمكن أن تمارسه، بالضبط كما يحكم الشطرنجَ مجموعُ القواعد التي تحدد خواص القطع، أي الطريقة المناسبة لتحريكها . وهنا، تستحق ثلاث ملاحظات، أن يُدلى بها في موضوع ألعاب اللغة . الأولى وهي أن قواعدها لا تمتلك شرعيتها في ذاتها، بل تشكل جميعاً موضوع عقد صريح أو غير صريح بين اللاعبين (وهذا لا يعني أن صانعيهاهم هؤلاء) والثانية، وهي أنه في حالة غياب القواعد لا يصبح للّعب من جدوى، وأنّ تعديلاً - حتى إنْ كان طفيفاً - للقاعدة، يترتب عنه تعديلٌ لطبيعة اللعبة، وأن «رَمْيةً» (Un coup)، أو قولا لا يخضع للقواعد، لا ينتمي، بالضرورة إلى اللعب المضبوط بها . والملاحظة الثالثة - وقد تمت الاشارة إليها منذ قليل - وهي أنّ كل قول يجب اعتباره «رمية» ملقاة (مجازفا بها) في اللغـة .

تؤدي هذه الملاحظة الأخيرة إلى إقرار مبدأ أول يستوعب كل منهجنا، وهو أن الحديث عراكٌ - بالمعنى اللّعبي - وأن أفعال اللغة مصارعة عامة (Agonistique générale) . وهذا لا يعني بالضرورة أننا نلعب رغبةً في الفوز، إذْ يمكن أن نقوم برمْية تلذُّذاً باختلاقها : ما الذي ثمة أيضا داخل عمليةِ مناوشةِ اللسان، التي تنهض بها اللهجة الشعبية أو الأدب ؟ ثمة الابتكار المستمر للصيغ والألفاظ والمعاني، الذي - على مستوى الكلام - هو ما يطور اللسان، مع اقتناء لذاتٍ عارمةٍ . لكن لا مِراءَ في أنه حتى هذه اللذة ليست في استقلالٍ عن الشعور بالانتصار المُنتزَع مِنْ خصمٍ هو على أي حالٍ عديلٌ (de taille) : اللسان القائمُ، التضمينُ .

وفكرةُ المصارعة اللغوية هذه، لا يجب أن تحجب المبدأ الثاني الذي يُكمّلُها، والذي يَحكم تحليلنا وهو أن الرابطة الاجتماعية المُعاينة هي من «رَمْيات» اللغة . وبإيضاح هذه القضية، ندخل في صميم الموضوع .

هوامش :

• - المرجع هو : J .F. LYOTARD : la condition & postmoderne. Ed. de Minuit. coll. critique. 1979. FRANCE .

1 - نقلاً عن : Lewis Mumford : The mythe of the machine .Technics and human development .Londres .Secker and Warburg .1967 .

2 - Traduit par Remy : Le monde de Lésprit .Aubier -Montaigne .1947 .

3 - في اعتقادي أنه لا يمكن مراجعة جان فرانسوا ليوتار من منطلقات ألسنية تداولية ما دام يرُومُ شيئاً أبعد من مجرد الاشتغال على أقوال مؤمّثلة Enoncés .

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

■ السنة 28 ■ السبت [illegible] شتنبر [illegible]

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ المدير المسؤول: عبد الكريم غلاب ■ الإدارة والتحرير [illegible] شارع علال بن عبد الله الرباط ■ الهاتف [illegible] ■ الفاكسيملي [illegible] ■ ISSN [illegible] ■ التصفيف والإخراج: مطبعة الرسالة

رسالة مفتوحة إلى لجنة الشاوية

عبد الباسط الكراري

الإخوة الأفاضل،

اتيح لي مؤخرا ان اتصفح ما اثمرته الندوة التي انعقدت في رحاب كلية الآداب بنمسيك يوم 16 ابريل الماضي تحت شعار: «انتفاضة الشاوية 1907: الأسئلة والدلالات». وإذا كانت ظروف قاهرة قد صدتني عن متابعة فعاليات هذا اللقاء الفكري عن كثب، فقد قيض لي ان أطلع على الدفتر المنشور تحت عنوان: «الشاوية/ التاريخ والمجال». وطبعاً فليس كل ما تقذفه المطابع يستاهل القراءة كما ليس كل ما يقرأ يستحق التقويم والتمحيص. بيد أن في العمل الذي بين يدي ما يستدعي القراءة والتقويم في الآن معاً. لكنني سأصدف . لضيق الوقت . عن المقاربة النقدية لمحتويات الإصدار مرجئاً إياها إلى فرصة قريبة، وسأكتفي بالإدلاء ببعض الإنطباعات والاقتراحات العجلى التي أسعد بتوجيهها لباحثين شباب برهنوا . خلال ملتقيات جمعتني بهم، أو دراسات ممتعة طالعتها لبعضهم هنا وهناك . على رسوخ أقدامهم في أرضية قاومت بصلابتها هشاشة خلفيات الدخلاء. وأول ملاحظة عرضت لي في صدر الكتاب هي حشد المقدمات (12 صفحة)!!

لقد درجت الدراسات والبحوث العلمية والندوات الرصينة التي تصدر في الدوريات والحوليات الأكاديمية على الاستغناء بمحتوياتها عن التصدير والتقديم إلا ما يكون عادة من توطئة جامعة بأقلام دارسين من ذوي الاختصاص، أو عمداء جامعات أو قيدومي كليات، تصوغ تصوراً مجملاً يحمل في ثناياه بذور قراءة ثانية للعمل المطروح للتداول والمناقشة، أو ترسم الاستراتيجية المتبناة في استشراف الآفاق المستقبلية لمجموعة البحث العلمي التي تحتضنها هذه الكلية أو تلك. وكل ذلك بمنأى عن مراكمة خطاب المقدمات الذي يثقل على القارىء المعني بمباحث الإصدار، أو المتخصص في أحدها، لاسيما إذا كان «مقدم البرامج» دخيلاً على تلك المباحث لايمتلك لغة الخطاب العلمي، وفي الأقصى لاينضبط مقولة مع التصور المنهجي الدقيق الذي يستلزمه حقل معرفي معين بكل تشعباته النظرية والميدانية، وأسئلته الإبستمولوجية والتأويلية، وشرعيته الأيديولوجية الآنية والمستقبلية... ورب معترض يحتج «بكلية المعرفة» على ثبوت «تكامل المعارف» (L'interdiscipli-narité) وذلك اعتراض مغلوط لأن لتكامل المعارف قيوداً وحدوداً لايفقهها إلا المتمرسون بالخطاب العلمي، وذلك مصراع لسنا معنيين بفتحه الآن.

. لقد استجاب جديد الإصدار للهم المعرفي الذي ساورني منذ شرعت عملياً . على غرار باحثين سابقين . في البحث عن الخيط الرفيع الذي ينتظم شروط وكيفيات كتابة تاريخ المنطقة مجدداً وإعادة ترتيب علائق النسبة . السلالية بها، تارة عبر تصفية الحساب، وأخرى عبر تقديم الحساب. ذلك أن الانتماء إلى الشاوية قد يغذي . في غياب هذا الجدل الصاعد الهابط . بعض الاستيهامات الشوفينية، والنعرات القبلية التي يتخذها البعض تعلة لشرعنة سلطة رمزية تظاهرها فيه النخوة، وباطنها فيه الخواء!!

استجمع دفتر «الشاوية/ التاريخ والمجال» وفرة من الدراسات التي تمتد في خط عمودي من العصر الوسيط إلى أواسط القرن العشرين، وفي خط أفقي من تاريخ المغرب القديم إلى جغرافيته الحديثة. لكن بعض الدراسات المكرورة تسربت إلى محور القراءات بتوقيعات شخصية أو بأسماء مستعارة (كنى)، وقد تضمنت:

1 . بعض مظاهر تامسنا من خلال رحلة: «محمد مفتاح (سبق لصاحبها ان ساهم بها في الملتقى الأول لفنون الشاوية/سطات 1989 . مطبوع وزارة الثقافة ص (30 . 38).

2 . مشاهدات لسان الدين بن الخطيب بمنطقة تامسنا: أبو مهدي؛ (الملتقى الثالث 1991. مطبوع وزارة الثقافة بتوقيع عبد الوهاب الدبيش، ص (87 . 97).

3 . نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية: علال الخديمي (الملتقى الثاني 1990 ص (19 . 26).

4 . الشاوية من خلال الدراسات الاستعمارية: بتوقيع «أبورانيا»؛ (الملتقى الثالث أعلاه، ص (98 . 103) بتوقيع: العربي واحي).

ورغم أني أتفهم الأسباب الموضوعية لهذه «البدعة» الجميلة التي سبق إليها أستاذنا الفاضل سيدي محمد المنوني حين أعاد نشر مداخلته القيمة «الوجه الثقافي للشاوية عبر العصر الحديث» (فعاليات الملتقى الأول لفنون الشاوية/ سطات 1989 . مطبوع وزارة الثقافة، ص (7 . 16)، في مجلة كلية الآداب بالدار البيضاء، حيث المرجح أن الداعي إلى هذا النشر المكرر هو توسيع نطاق تداول البحوث، فإني مع ذلك لم أكن لأستسيغ أصلاً اجتراح تقليد من عيار الأسماء المستعارة، أو الكنى التي تشوش على دقة الإحالات المرجعية، ولا تخدم فكرة التوثيق في نواة أولى للدرس العلمي الجاد لمنطقة الشاوية التي تجرعت من النكبات المعرفية ما يكفي.

وإذا صرفنا النظر عن الملحوظتين الآنفتين، اتضح لنا، بما لايدع مجالاً للشك، أن هذا الإصدار يشكل إضافة قيمة في تأصيل تصور جديد في التعاطي الدينامي مع أسئلة وإشكالات الخطاب التاريخي الذي يهم المنطقة، ليس في قراءته لتشكلات حدث انتفاضة 1907 وتوابعها فحسب، بل تجريده وتحديده لمجموعة من الملامح التاريخية، والجغرافية، والإنسانية لشاوية العصرين الوسيط والحديث أيضاً.

وإذا كان لي من اقتراحات أدلي بها بمناسبة هذا الإصدار فلتكن في خمسة محاور:

1 . أثمن العناية التي توليها هذه المحاولة للذاكرة البصرية كجزء من الذاكرة التاريخية، وأوجه اهتمام الأستاذ أحمد قابيل إلى بعض المصادر والمراجع التي أحال عليها الأستاذ علال الخديمي في ثبت المراجع الفرنسية برسالته الجامعية «التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب» 1991، وأشير منها على سبيل المثال إلى كتاب:

CAPITAINE GRASSET: A TRAVERS LA CHAOUIA. ED HACHETTE . PARIS. 1911

فقد حوى صوراً وثائقية تؤرخ . تحقيبيا . لبشاعة الحملة الإرهابية الفرنسية وردود فعل المقاومة بالشاوية، وفيه رصيد ثر من ملامح سطات والشاوية عبر صور بانورامية نفيسة، ناهيك عن أرشيف وزارة الحربية الفرنسية..

وفي السياق نفسه أوجه عناية «لجنة الشاوية» إلى استدراك التقصير الذي يطول الذاكرة الشفوية علماً بأن كثيراً من رموز الحركة الوطنية انتقلوا إلى دار البقاء، فيتعين تسجيل شرائط صوتية حية تؤرخ لمسار الحركة الوطنية بخاصة في المنطقة ليتيسر توظيفها واستثمارها لاحقاً.

2 . ضرورة تعميق البحث بهدف وضع استراتيجية تستند إلى أحدث الدراسات العلمية في المقاربة التقويمية لمقدمات ونتائج الإسطوغرافيا الكولونيالية، والمونوغرافيات العديدة المتداولة بين الباحثين المهتمين بالمنطقة، ذلك أن من شأن عملية تعميم الكشف (Le dépistage) أن تحول دون التواكل أو الاتكاء الحرفي على الكتابات الاستعمارية المغرضة، والمغلوطة أحياناً.

3 . إثراء أوجه البحث العلمي في الشاوية من خلال نشر الرسائل والأطروحات المرقونة، التي جرت مناقشتها داخل وخارج المغرب (سلفيت العراقي 1966/ حكيمي 1984/ شويكي مصطفى 1985/ نور الدين فردي 1995/ مصطفى الطوكي 1997/ عبد الرحيم اربيب 1997 وغيرها كثير).

4 . توسيع لجان البحث بالعمل على استضافة انثروبولوجيين وأركيولوجيين، وباحثين في علوم النفس والاقتصاد والاجتماع والطوبوغرافيا والجيولوجيا... حتى يستوفي مفهوم «المجال» بعده الشمولي أسوة بالباحثين الأوائل (لاينبغي أن يعزب عن أذهاننا، في هذا الصدد، سلسلة الحفريات التي أنجزها الفرنسيون في شتى نواحي الشاوية، فضلاً عن دراسات جيولوجيين أمثال «مورو» و«جنتيل» و«تاريت» وغيرهم ممن جمعوا بين تخصصات علمية متعددة، ودراسات الاقتصاديين وعلماء الاجتماع... كما لاينبغي أن ننسى عمليات المسح الطوبوغرافي التي انجزت قبل وبعد العشرية الأولى من هذا القرن، والتنقيبات المعدنية التي مورست بدءاً من شهر يونيو 1928 (الجريدة الرسمية عدد (820). 10 يوليوز 1928 ، ص (1878)، علاوة على الجم الغفير من المونوغرافيات الجهوية...)

5 . تعميم الإفادة من المخطوطات بالعمل، ليس فقط على التعريف بها، بل إخراجها محققة إلى الوجود، وأخص منها بالذكر: «نشر المحاسن» للقاضي العربي العزوزي (ت 1971)، و «مدخل تاريخ قبائل الشاوية» لأبي بكر البوخصيبي (ت 1993)، وديوان الحاج أحمد كنوني المذكوري (ت 1987)، وكناشة القاضي أبي الشتاء بن عبد الله الكداني السطاطي (ت 1892)، ورحلة سيدي رحو الغنامي، ورسالة «الإنتصار» لمحمد بن الطيب البوعزاوي (ت 1914) ، مع إعادة طبع «رسالة المريد» (له)، و «النحو المطلوب» له، و «الكوكب الضاوي» للشيخ شعيب الدكالي الخ. وتشكيل لجينة لجمع وصيانة الوثائق (مقيدات، مراسلات مخزنية، صكوك، ظهائر توقير، إجازات، عقود، مشجرات نسبية، تحف عتيقة قديمة، صور فوتوغرافية الخ)

وقبل هذا وذاك، فإن مجموعة البحث في تاريخ وتراث الشاوية . بالنظر إلى طبيعة المهام الجسام الملقاة على كاهلها . مدعوة، كي تؤتي أكلها إلى تشذيب أفنانها والتخلص من صورية التمثيل الرمزي، إلى تأسيس مراسيم جادة في اقتصادها النظري والمعرفي.

فهنيئاً لذوي الاختصاص على هذه اللبنة التي تشكل بدورها محطة تاريخية بارزة في الزمان والمكان، ومزيداً من الدراسات والبحوث العلمية في هذا الاتجاه.

المخلص: عبد الباسط الكراري
سطات في 19 غشت 1997.

é avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 26 ■ السبت 20 يناير 1996

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الادارة والتحرير:11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 - ISSN0851
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

■ غائمٌ هذا الوجهُ الذّابلُ، الصّاعدُ

آداب أجنبية

ريكور: الأخلاق والفعل

Paul Ricœur

■ بمناسبة ظهور الاصدارين الجديدين للناقد «بول ريكور» كتب «جان بلان» - (JEAN BLAIN) في مجلة «قراءة» عدد (241)، ديسمبر 95 - يناير 1996، ص (117) مقالا تعريفيا مقتضبا يقول فيه: -

يخالج بول ريكور (PAUL RICOEUR) شعور بالحيطة الشديدة ازاء كل محاولة لشرح الاثر بواسطة حياة كاتبه. ولعل السيرة الذاتية الفكرية الموسومة ب «تفكير حاصل» والمجلد المشتمل على محاورات «فرانسوا ازوفي» و«مارك دولوناي» والصادر مؤخرا بعنوان «النقد والاعتقاد» من شانهما ان يثيرا الدهشة منذ الوهلة الاولى. بيد ان الامر لا يتعلق في الكتابين بالحكي عن الذات بقدر ما يتعلق برسم خطوط مسار فكري هو من التنوع والثراء والتعقّد بحيث يتيح لنا بسهولة تَفَهُّمَ الحاجة التي استشعرها ريكور الى بيان مُنْحَنَيَات قوّته، وتطوراته، واتصالاته، وانعطافاته دونما أدنى شعور بالافلات من قبضة تَحَفُّظه المعهود.

يمثل الكاتبان أيضاً مناسبة سانحةً للجمهور غير المتخصص لاكتشاف مفكّر يحظى بصيت ذائع فيما وراء حدودنا، ومارستْ أعماله أقوى تاثير، ليس طبْعاً في الفلسفة وحدها، وإنما في النقد الأدبي، والتاريخ، والفكر الديني كذلك.

وُلد بول ريكور عام 1915، ونشا يتيماً في كنف جدّيه ثم خالته من بعد. وفيما ظل وفياً لمعتقداته الدينيّة البروتستانية دونما خلْط بين الدين والفلسفة، احتلّ موقعه في ملتقى تقاليد الفكر المذهلة بتنوعها. لاَزَمَ «غابرييل مارسيل» وأصبح - بعد الحرب - احد منشطي مجلة "ESPRIT". وفي الوقت ذاته، شارك بفعالية في اكتشاف «هوسرل» (HUSSERL) بفرنسا، فوجّه فكره نحو ظاهراتية الارادة والتامل الفكري في الشّرّ. وما فتئت الأخلاق والفعل يحتلأن مركز الصدارة في انشغالات ريكور كما يشهد بذلك كتابه الاخير المخصّص لمسالة الحق (مؤلّفه "LE JUSTE" الصادر عن منشورات اسبري). اما سؤال المعنى وقضية التاويل فينغرسان في صلب مباحثه، وقد قاداهُ ليس الى اسْتلهام التحليل النفسي فحسب («في التاويل» 1955)، وانما المعرفة التاريخية والسرد أيضا («التاريخ والحقيقة» 1955، و«الزمن والحكي» 19831985/).

فاستاثرت هذه الاعمال الاخيرة بالاهتمام البالغ خارج دائرة الفلسفة، وخاصة لدى المؤرخين ومنظّري الأدب. وذلك التفكير في المعنى، وفي الاخلاق، ليس غريبا طبعاً عن التأملات الدينية لبّول ريكور نفسه. ورغم ان الاعتقاد والنقد يتمايزان بدقة فإنهما يتقاطعان باستمرار في آثاره بالقدر الذي يؤدي صراحة، في نظره، الى القول بانه اذا كانت الفلسفة ليست مجرد نقد فان الدّين بدوره ليس مجرد اعتقاد محضٍ.

■ ترجمة: عبد الباسط الكراري

العلم الثقافي

ملحق اسبوعي

السبت 4 صفر 1406 الموافق 19 اكتوبر 1985 عدد 754

الصوتمية بين عهدين

بقلم: عبد الباسط لكراري

F. de Saussure

- ملمح أولي -

حينما نطرح على صعيد الحقل الصوتمي قضية ما يسمى بـ «العهد القديم» للصوتمية Phonology تشهد دائرة الجدل انفساحا بتشعب الى رافدين متقابلين: - الرافد التأصيلي الذي يرسم دائرة هذا الحقل بسهم يعود الى الوراء، إصرارا على ان باكورة الصوتمية الاولى تتميز بكونها، الاطار المرجعي للمستحدثات العلمية الطارئة على مجال الصوتمية، ويمثل هذا الاتجاه «بيشي» و«بنفنست» القائل بعد شرح مقتضب للمذهب السوسيري (فترة سوسير بعد نصف قرن. من كتاب قضايا الألسنية العامة): «فهذا المذهب ينال بمعرفته، بطريقة او باخرى، على كل ألسنية نظرية في عصرنا هذا. اما النفوذ الذي بسطه، فقد اتسع بفضل تسائل الافكار السوسيرية بباقي افكار المنظرين.

وهكذا، ففي روسيا، اقترح بودوان دوكورتناي وتلميذه كروزفسكي، على نحو مستقل، تصورا جديدا للصوتم. فقد ميزا بين وظيفة الصوتم الألسنية والجازه التلفظي، وبتحقق هذا الاختبار جملة. وعلى نطاق بسيط، بالتمييز السوسيري بين اللسان والكلام، كما يخص الصوتم بقيمة خلافية. وقد بات كل ما تقدم بذرة أولى من بين ما تبلور في اطار معرفة جديدة كانت الصوتمية La Phonologie . نظرية [illegible] بنية علائقها. حينما الشاهد ن.تروبتسكوي، و ر.جاكوبسون، اعترفا بلا هوادة بريادة سلفيهما سوسير وكورتناي». (ص.42).
ويصدر عن هذا الاتجاه ايضا فان فيجك الذي راح يلتمس النواة الابستمولوجية والنظرية بخاصة، للنسق الصوتمي التروبتسكاوي، عند ألسنيي القرن التاسع عشر، والنحويين الجدد وخاصة Brugman وشوشارت وجسبرسن وغيرهم.

اما الاتجاه الثاني فهو الداعي الى رصد عناصر الاصالة والابتكار الجديد في «مبادىء الصوتمية» Grundzüge der phonologie بلا مغالاة في ممارسة طقس الارتداد الى «الجراثيم الاولى» (الاصول) تلك الممارسة التي لن تفعل شيئا، عدا العصف ببنية التكامل الوظيفي بين اجزاء نسق يجهد الآخرون انفسهم في الابقاء عليه مفكك الأوصال، ويتصدر للاعراب عن هذا الاتجاه كارشفسكي، المحاضر سابقا بأكاديمية العلوم بموسكو في مادة الألسنية، والمتردد على محاضرات سوسير بجنيف منذ امد، وكثير من الصوتميين المعاصرين الذين نمسك عن ذكر اسمائهم في ملمح اولي كهذا، بيد اننا - في ضوء المعطيات النظرية وباعتماد أسلوب المعارضة بينها - نكاد ان نلتمس بحزم (واحيانا بخجل !) طريقا الى منزلة وسطى تسعى الى تحليل اجزاء النظرية الصوتمية واعادة وصلها على نحو تاريخي يتابع التغير الدلالي والاضافات والحذف والاختزال الاصطلاحي، فضلا عن تقليص الحدود المنهجية وتوسيعها وفق المعايير العامة المتواضع عليها.

فاذا نحن عدنا الى «محاضرات في الألسنية العامة» (فقرة طبيعة العلامة الألسنية) فسوف نجد سوسير يصرح بأن العلامة تجمع بين المفهوم والصورة الصوتية، وهذه الاخيرة في تصوره، ليست من الصوت المادي في شيء مادام الصوت ذا طبيعة فيزيقية، بل تتميز عنه بكونها انطباعا سيكولوجيا لهذا الصوت. ثم يعمد فردناند الى الصور الصوتية فيلطخها باصباغ الخصيصة السيكولوجية، استنادا على كوننا نردد في بعض الاحايين، في ضمائرنا قصيدة او مقطوعة شعرية من غير ان نحرك شفاهنا او ألسنتنا، وكذلك في ما نمارسه في خلواتنا من المونولوجات الذاتية. وهكذا نراه في غير ما فقرة يمزج بين حدين متباعدين. ويتمحل في اكتشاف الخيط الرفيع الذي يربط بينهما او يجعل احدهما يحل في الاخر !! ولشد ما اقدم على تزكية هذا الجمع التلفيقي في كثير من محاضراته: يؤاخذ مثلا على نفر من الصوتميين استمساكهم الغير المشروط بعملية التلفظ Phonation، اي انتاج الاعضاء المعنية لمجموعة من الأصوات، ويعذلهم عن إعراضهم عن الزاوية السمعية الاساسية، معللا بعدم صلاحية مثل هذا المنهج، استنادا ليس على تباطؤ الارسال الصوتي العضوي للصورة وفورية حصول الانطباع بالحاسة السمعية فحسب، وانما على ان السمعيات تمثل علاوة على ذلك القاعدة النظرية لأية نظرية من النظريات: «فالمعطيات السمعية موجودة لا شعوريا حينما نعرض الوحدات الصوتمية، ومن خلال الأذن نتعرف الى ماهية ب/ا/ و ت/ الخ».

وتعد اعمال جان بودوان دوكورتناي J.N.Baudoin de Courtenay، البولوني النشأة، واحد ألسنيي مدرسة كازان ذوي الصلة بسوسير، فاتحة حداثة نمطية بالنسبة الى المحاضرات السوسيرية.

من ذلك تمييزه الدقيق الى حد ما، بين الاختصاص الصوتي الفيزيولوجي - والاختصاص الصوتي السيكولوجي. وقد اناط بالأول دراسة الاصوات المنطوقة، فيما جعل دراسة الاصوات المنوية عند النطق موضوع الثاني. واذا كان الاختصاص الاول، اطاره المرجعي الفيزياء، فان السيكولوجيا هي اطار الثاني. ولم يصدف بودوان كسوسير عن المسحة السيكولوجية في معالجة قضايا الصوتيات بل اشرب بعض المصطلحات بهذه السمة كقوله «الصوتم هو المعادل السيكولوجي للصوت» وهو التعريف الذي سيستعيده من كروزفسكي بالحرف، وجميعه المنطلقة بإيلاء الطريقة التي تدرك من خلالها الاصوات بالغ الاهتمام، وما يترتب عن تحقق هذا المطلب من اهمال طبيعتها الفيزيائية...

على ان كورتناي سد احدى الثغرات المنهجية في عمل سوسير ان لم يكن نفسه قد خط فيها ببلورة ابعادها، بيد انه كان سيء الحظ، فقد بقي مغمورا في أوروبا، ولم تحظ اعماله النادرة بما ينبغي لها من الترويج الاعلامي، الا ان المانيا تشذ عن هذه القاعدة السيئة فتترجم فيها دراسته عن «الصوتم والتبادل» في نهاية القرن الماضي.. ثم ينهض بوليفانوف بنشرها في اليابان، الى جانب ظهور كتابه «Principles of romanization» بطوكيو في العقد الثالث من هذا القرن.

ويمجيء تروبتسكوي ينفسح الافق المنهجي للظاهرة الصوتية، كما يماط اللثام عن مجموعة من المزالق النظرية التي غاصت فيها اعمال سوسير وكورتناي وكروزفسكي Kruszewski وغيرهم. وعلى الرغم من وفاة تروبتسكوي المبكرة، ومهما تكن الحيثيات التي تلف علاقته برموز العهد القديم حيث يندفع جاكوبسون الى الاقرار بحقيقة لها تأثيرها المباشر على سير العملية التحليلية التي ستبنى على أنموذج معطى، يجري تفكيك اجزائه بغية تأسيس بديل نظري وليس العكس، يقول جاكوبسون في (رسالة خاصة) لتوليو دو موروا:

«Troubetzkoy's acquamance with Boudoin's ideas is very late and likewise with saussure. I must confess that, the early influence of saussurian -and Boudoin's or rather scherba's views were received by Troubetzkoy through mes. (e.l.g (p.433) Notes n.111)

«لقد كان ما تناهى الى علم تروبتسكوي من اطروحات بودوان وسوسير جد متأخر، ودعني اعترف صراحة بأني كنت الوسيط في نقل التأثير الاول لأفكار سوسير وبودوان او شربا، الى تروبتسكوي».

لقد خلف نفراني مجموعة من الدراسات الهامة في حقل الصوتمية والصوتيات. فقد شرع الى جانب اهتمامه بعلم الأنام الذي سيعرض له في «المبادىء» مقيما موازنة بينه وبين الصوتمية التعبيرية: - (حديثه في هذا السياق عن الملبس سوف يحفز دائرة العلاميات (Semiology) على اقتناء البعد الدلالي للأزياء، ويدفع العلامي الراحل رولان بارت الى الافادة منه في مشروعه «نسق الموضة»، على نحو ما اثبت ج-ل كالفيه في كتابه «نظرة سياسية الى العلامة». او كما يتكشف بشكل علني في دراسته «عناصر العلاميات» ص99 - مجلة «تواصلات»).

شرع تروبتسكوي في اجلاء الطبيعة السيكولوجية عن الدراسة الصوتمية والصوتم نفسه. واعتبر اقحامها في دائرة اختصاصه اجراءا فيه من العسف ما لا تطيق. وفي تقديره - الذي نتفق معه عليه - ليس ثمة «انجازات صوتية واعية واخرى لا واعية». «فالصوتم مفهوم وظيفي يتحتم تحديده من خلال وظيفته. اما الاصوات فليست الا رموزا مادية للصواتم»...

واذا كان مفهوم الصوتمية سمحا باقدامه على نكر الاوائل الذين اوحوا اليه بفكرة «التقابل الصوتي»، فانه يبدو متشددا في التركيز على دراسة الاسس الوظيفية لهذا النسق. والحالة هذه، فان الخواص الصوتية تنطوي على ثلاث وظائف مركزية: (Culminative) و (Délimitative) و (Démarcative) و (Distinctive) فالوظيفة التمييزية الاساسية تتيح للوحدة الدالة ان تتعارض مع رديفتها في سياق موحد، واصغر وحدة تمييزية هي الصوتم Le Phonème ومن هنا التباين القائم بين الصوت والصوتم، وبدقة اكثر بين الصوتمية والصوتيات. والى هذا التعريف يقصد «جاكوفليف» JAKOVLEV مضيفا الى الصوتم وظيفة تأسيس «المعيار الخلافي» بين وحدات الدوال.

ولا مراء في ان تروبتسكوي بمشروعه المتكامل، فضلا عن تسديده الضربة الحاسمة للطرح النظري عند كورتناي، كان له بالغ الاثر في المجال الابستمولوجي وكثير من حقول علوم الانسان.

ولئن اجتهد سوسير في ان يقحم الصوتمية (التي استعاض بها عن اصطلاح Sprachphysiologie) حاملها المشروع بجعلها خارج الزمن En dehors du temps بحجة بقاء آلية الابناء هي هي، مقابل الصوتيات التي تشير الى دراسة التطورات الصوتية وتحليل الظواهر تزمنيا. فان حلقة براغ - التي مضى تروبتسكوي يبلور فيها مآخذه وملاحظه السديدة - جعلت احد الاسس المنهجية للفقرة ب من الاطروحة الاولى (من اصل ثلاث اطروحات) اثناء جمعها المنعقد عام 1928 «تفادي الفصل بين الخاصيتين التزامنية والتزمنية، وتلافي توسيع البون - الذي كانت مدرسة جنيف خاطئة تكرسه - بينهما». وعلى هذا المستوى رسمت هذه الحلقة لنفسها طريقا منهجيا صارما، وعلميا واضح المعالم، لا يتعمد سلخ الصوتمية من طبيعتها الحركية، اذ ليس ثمة ما يقذف خارج الزمن في مدار العلوم الدراسية.

تمت الاستفادة - ان بالترجمة او بالتصيص - من المصادر والمراجع التالية:

1- HAÜSLER FRANK:
• Das problem phonetik und phonologie bei Baudoin de Courtenay und in seiner nachfolge. Halle, Max Neimeyer, 1968.

2- F. de saussure:
•Cours de ling. générale. Ed critique. Tullio de Mauro, Payothèque. 1982.

3- N.S. TRUBETZKOY:
•Principes de phonologie. Trad:J. CANTINEAU. Ed Klincksieck. Paris 1976.

4- G. LEPSCHY:
•La ling structurale. PAYOT. Paris 1969

5- E. Benveniste:
•Problèmes de ling générale. T.I Gallimard. 1966

Revue -6- COMMUNUCATION. N4 ed. SEUIL. Paris 1964

(1) - موضوع علاقة بودوان وكروزفسكي بسوسير قد لا يتصف منه الا كتاب بمفرده.

(2) فيما يتعلق بموقع مقولة الزمن في التنظير اللغوي العربي يراجع بحث، د. عبد السلام المسدي: مدارج التقطيع الصوتي في النظرية اللغوية عند العرب. م.آفاق عربية ع1 س 5. ص 74-79-1979.

(3) - اعمال حلقة براغ نشرت في مجلدات ثمانية من سنة 1929 الى 1938.

[illegible]

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي

السبت 10 مارس 1984 العدد : 686 السنة الخامسة عشرة

من التفكير الألسني الألماني :

● اضاءة نقدية لاطروحة سوسير

ترجمة : عبد الباسط لكراري

ان عالم اللغة أصبح ثاني المكتشفات التي ينزع الى اكتناهها رجل القرن العشرين بعد غزو الفضاء ، وما بحوث الحلقات والمعاهد الالسنية العالمية الا غيض من فيض . سوف لن يدخر أحفاد سوسير وسعا في استجلاء كوامنه بتوظيف الحاسوب وإعمال الفكر العلمي · ومساهمة منه في توسيع مجالات الادراك اللساني تقدم الالماني هوجو شوشارت بهذا المقال النقدى ، يتوخى فيه الدقة المجهرية في تقصي اطروحة سوسير ابان صدور مشروعه الالسني . وقد أقدمنا على ترجمته تعميما للفائدة وتقربا من التفكير الالسني الالماني ·

اقترح سوسير تمييز اللغة : التزامنية والتزمنية أو التارية والتطورية . او يمكننا استبدال هذا المفهوم الاخير بالديناميكية بالمعنى الذي ميز به أوجست كونت بين السوسيولوجيا الديناميكية والسوسيولوجيا الثابتة · هذا التمييز المتمثل لدى سوسير في شكل خطين يلتقيان عند زاوية قائمة : فالخط الافقي – أب – هو خط المتزامنات اما الخط العمودي – ج د – فهو خط المتواليات · ويرصد هذين الخطين علمان يشترط فيهما ان يكونا متباعدين بصرامة · ويمنع علينا كليا دراسة العلاقات في الزمن والعلاقات في النسق تزامنيا ، ... لكأنما في تصوري نقدم على تشطير نظرية الاحدثيات الى نظرية لحداثيات النقط ونظرية السينات · – (Ordonnées abscisses) ·

ان الثبات والحركة – على أن يفهم هذا المصطلح الاخير في امتداده الاقصى – لا يوجدان اطلاقا في موقع التضاد ، وليست اللغة هي التي تقدم على الانشاء في هذا الصدد · فالحركة وحدها واقعية ، والثبات وحده مدرك، وهذا الاخير يوازيه الآني الفوتوغرافي · أما الاولى فيوازيها توالي الآنيات التي ينزع اليها العرض السينمائي ... فما الذي يوجد – والحال هذه – خارج تاريخ اللغة، ويستحق عن جدارة مفهوم علم اللغة ؟ لن اجيب كما صدر ذلك عن بعضهم بنثر عشرات الاسماء ، بل أكتفي منها بمفهوم واحد هو : – سيكولوجية اللغة، ولنحترس جيدا من تضاده مع تاريخ اللغة ، بل أصرح – على العكس من ذلك – بتضامنهما الحميمي : فكلاهما يحيل على سيرورة اللسان (Sprachges-chehen) احدهما يحيل على ما تطلب زمنا للحدوث في أمم اللسان · والاخر يحيل على ما يحدث لدى الافراد ابان امتلاكهم للسانهم الاول فلسان أجنبي واخيرا حينما ينجزون تحويل المضمون من الفكر الى الخطاب · الكل يستند مبدئيا على هذه العملية التي تتمخض آنيا · ان سوسير على حق في قوله : « الكل نفساني في اللغة » ... اللسان نفسه يرتكز على سيرورة سرمدية · فكل لفظة مستقلة ليست في حد ذاتها سوى مجموع التكريرات الكثيرة لدى اشخاص كثر لسيرورة معطاة سلفا · والعلم الذي يرصد ايضا هذا الموضوع ألا تشجه بالثبات وشائج؟ ان نظرية أقسام الخطاب ، مثلا إما أنها تهدف الى تصدية اجرائية محض أو توضع رهن اشارة المنطق ·

فأقسام الخطاب معتبرة كشكل عناصر تشارك في حياة اللسان ، بيد انها لا تذعن لنا الا في حالة ما اذا اجهدنا أنفسنا في التنقيب فيها عن التكون والتطور ·

– هذا النص وارد في كتاب :
– تكون الفكر الالسني –

جاكوبسون في باريس !

بقلم: متسورونا
ترجمة : عبد الباسط الكراري

. تنبيــــه .

وقع في العدد الماضي خطأ تقني، اذ تم نقل العمود الثاني الى موضع العمود الثالث، والعكس، في نص ترجمة (جاكوبسون في باريس). وانا اذ نلتمس العذر من صاحب المقال، نعيد نشره نظرا لاهميته، رغم اقتناعنا بان القارىء المهتم قد ضبط عملية الخلط التي كانت واضحة.

تصدير :

منصبي الشهاري إذن . أليس كذلك ؟ عبارة تطمح الى أن تجد صدى غير عادي في أبيات تنتظر ؟ لا هذا ولا ذاك . بل حقيقة واقعة، وأجمل ما فيها أنها تحققت منذ سنين خلت !! لا سبيل الى تحصيل الحيثيات أو الملابسات. فنص متسورونا لن يكون في نهاية المطاف الا ذلك النص . النقطية الذي لا ينتظر منه طبعا أن يلم بأطراف الالسنية «الجاكوبسونية» . فما جاز لي هنا التعبير ، أو بحرق المراحل بغية الارتقاء الى نموذج النص . الموضوع . لكن يكون من قبيل السذاجة ، الزعم بأن جاكوبسون لم يعد مرغوبا فيه، في اللحظة الحاضرة، مادامت أطروحاته (وخاصة في جانبها الصوتي) قد أضاعت طراوتها والتماعها المنهجيين. وما أكثر أولئك الذين أصبحوا يفخرون هواماتهم وهوسهم في «مطاردة» أحدث النماذج، عابثين أثناء ذلك، بمفهوم «القطيعة» الذي أصبح يسعفهم . للأسف . في القفز على الاسس المنهجية ، وافتعال التشكلات الاصطلاحية، دون ممارسة حق «الفيتو» أو التنسيق بين الحدود والتصورات. فالتفكير الالسني يشكل كلا غير قابل للتجزؤ، وما عدا ذلك افتعال يتم بدعوى الاختصاص ...

الاختصاص ؟ تلك نزعة علمية عند البعض، وإيديولوجية عند البعض الآخر، لم تفعل شيئا غير مجرد تقتيل موقف دوغمائي [الاطاحة لمختبر في معصية النموذج] في ذاكرة أهل الاختصاص المتخصص ؛ وهذا موضوع آخر... أما نص الترجمة فقد خضع لاختيار حددته العناصر التي ينطوي عليها : [موقف فرنسا اللذ (الى حدود 1972) من أطروحات رومان جاكوبسون، فصيلتها... الخ]. والآن، ليس يهمنا أن نجرد عليه اسم (النص . الوثيقة)، غير أن أمرا ما يستوجب التصيص : . فصاحب النقطية «متسورونا» ليس هنا مغربيا، كما توهمنا إحدى الكتابات التي تسبح فيها الفواصل «المعارفية» [الابستمولوجية] للدرس الالسني الى سيناريو شبيه . في صياغته المسبوكة . بأدبيات المنفلوطي أو مذكرات جان كوكتو .

حاضر رومان جاكوبسون في الثالث والرابع والسابع والثامن من الشهر الماضي (فبراير) بالكوليج دو فرانس. وقد شوهد جمهور غفير يسارع باتجاه أبواب القاعة (8) قبل الموعد المضروب . تحجز مقاعد هناك. كان الامر اذن يعني فعلا بحدث من نوع خاص : انها أول مرة تصغي فيها الى صوت جاكوبسون بفرنسا، مع أن أكثر الدول الاوربية كانت السباقة الى استضافته منذ [illegible] .

لقد قدمت الينا خلاصة أعماله بطريقة مفارقة : أولا من قبل مضيفه اليوم كلود ليفي ستروس [illegible] 1942 [illegible] البنيوية [illegible] الوقت الذي أولى الالسنيون الامريكيون [illegible] الصوتية التوليفية خاصة]. لكن الجامعة الفرنسية ظلت تتجاهل أعماله باستمرار. لقد [illegible] تلك المحاضرات التي ألقاها جاكوبسون التوجهات والمنتخبات التي شغلت هذا منهجه ، وميزته عن باقي الالسنيين . نذكر منها على سبيل المثال : ذلك التمازج الثابت بين مختلف الاختصاصات (الالسنية والشعرية) متلاحقة مع الميل الانثروبولوجي للسنية الامريكية. وقبل أن نعرض لتلك السمات على نحو مفصل يجدر بنا أن نسجل المحصلات التي [illegible] من هذا الفعل . كانت انطلاقته الاولى من روسيا 1915 . الى هارفارد . الى معهد ماساشوسيت للتكنولوجيا . وفي حلقة موسكو (O.P.O.I.A.Z) ثم التصدي [illegible] الشكل المتقابلين : . التعبير العاطفي/ التعبير الشعري . اللذين تجمعهما [illegible] القيمات التواصلية . في عروض مويس هال أو أبحاث جاك روبير [illegible] . أما مقتضيات النحوي (التعبيري) الذي [illegible] المستقبليون في [illegible] بالتنظيمات الرمزية والانتقادات [illegible] الوضعية. [هذا الفن النحوي الذي [illegible] لانتصار المذهب [illegible] المذهب [illegible] الشعرية [illegible] وكان قد ظهر في دراسة جاكوبسون [illegible] الموسيقية [illegible] روسو [illegible]. أما تلك المقتضيات فستلقفها جيلا جديدا من منظري الادب ، هو جيل الشكلانيين. وقد شد كل اتجاه على حدة شكلا وتحولات، بعد أن [illegible] (كما يفعل الكيميائيون والفيزيائيون) على حد عبارة ايخنباوم. وهكذا جاز لنا أن نقول أن جاكوبسون قد تمكن [illegible] ترتيبه [illegible] التشكيلي من أن يصطبغ [illegible] جديدة بجوار [illegible] الذي كان يجمع [illegible] بمجموعة من الشعراء والمنظرين الطليعيين [الحركة «الشعرية» الشكلية المستقبلية الشكلية].

هنا تكمن أصالة جاكوبسون، وتميزه عن سوسير، أو على الاقل، عن سوسير كما تقدمه الينا «دروس في الالسنية العامة». تلك العروض [illegible] التي يعتبر قاصرا عن صياغته [illegible] النهائية التي تم استيفاؤها

بقراءة كلاسيكية للمستندات التي اسهمت بحق في تأسيسه من جديد . وعلى سبيل المثال فقد استبدل جاكوبسون ، بعدما اقتفى خطى أنطوان مييه ، بالتصور السوسيري للمصادفة في التحول الصوتي التاريخي ، تصورا آخر يرتكز على القول بالوجود النسق تنسق متطور باستمرار ، متحكم في ذلك النوع من التحول . يجب إذن البحث عن «تزامنية حركية» Synchronie dynamique ، لا عن ثنائية (التزامنية الاستاتيكية/ التزامنية الحركية) ؛ يضاف الى ذلك عدم ممكنة هذه «التزامنية الحركية» لاقتصاد التحولات الذي يفرض وجود «قوانين» [illegible] له التنبؤ بوجهة تحول ما .

وعلى المشكل الذي يقلق بال الالسنيين ، وحتى أولئك الذين لا يشكون في هذا الاختصاص [illegible] ، هو ذلك الذي أثير بحدة منذ المحاضرة الاولى ، وكان محط جدال صاخب . يتمثل في هذا السؤال : . هل يمكن اعتبار الدلالة موضوعا للالسنية ؟ ليس ثمة أدنى شك . بالنسبة الى جاكوبسون ، في أن الالسنية التي تقصي المعنى من موضوعها ، ألسنية «طرقاء» [لا معنى لها]... وهو نفس الرأي الذي أعرب عنه «الوظيفيون» . ففي تصور هؤلاء ، وجاكوبسون يشعر [ادهم بحاجة من التوافق ، من شأن المعنى أن يحدد الشكل ، مادامت «وظيفة» العناصر المميزة تتوقف بالتحديد على زرع التخالف بين الصرفيمات Morphèmes حاملة المعنى . وهذا المنزع يتعارض مثلا مع الموقف الذي صدرت عنه المدرسة «الهاريسية» التي نشأ فيها تشومسكي .

وفيما يتعلق بالخواص الاولية للغة ، شدد جاكوبسون على ما للتمييز «الثبوت/ التغير» (invariance, variation) من أهمية . فهذا التمييز تستفض عنه نتيجة مزدوجة من جهة الدال أولا ومن جهة المدلول ثانيا . ففي الالسنية البنيوية (ذات الصوت) يجب تمييز المستوى الصوتي موقع المتغيرات السياقية [البدائل اللفظية] الفردية والعرضية ، عن المستوى الصوتي Phonologique الثابت ، المنتمي الى اللسان الذي يعتبر مسؤولا عن كل المتغيرات . يجب أن نفصل الخصيصة الادراك السيكولوجية وتأثيثها الالسنية ، عن الخصيصة السمعية المحض (تسجيل الآلة) . وهناك أيضا حالة المعنى...

ويتصل التمييز المشار اليه بإشكالية عزيزة على المناطقة المشايعين للمذهب القائل بالـ (Modi significandi) ★ [شربعين القرنين الثالث والرابع عشر وأتباع «بيرس» و «جوالد روسل»] : فالثابت لن يكون الا ذلك المعنى المشترك ، الدلالة ، أما المتغيرات فتنشأ من السياق ، المرجع ... وهذا التصور يلتحق طبعا بتصور «إميل بنفنست» الذي اتضحت ملامحه خلال نقده لاعتباطية العلامة الالسنية السوسيرية . إنه النقد الذي حمل بصفة غير مباشرة على مفهوم «القيمة» ، التي لا تعزو الدلالة الى موضوع ما فحسب ، ولكن الى دلالة أخرى ، والتي تكشف القناع ، إضافة الى ذلك ، عما تتميز به اللغة من غموض وخداع . ذلك

الخاصيتان اللتان يمكن مقارنتهما بتغير الشكل في الشعرية . وقد سبق لجاكوبسون أن قرب الصورة بشأنه عام 1933 حين قال : «إن الشاعر الذي يزعم أنه يقترب من «الواقعي» أشبه بذلك الممثل الذي يكشف مساحيقه بعد أن يكون قد خلع القناع» .

الشعرية :

وارتأى جاكوبسون خلال محاضرته الرابعة أن يحدثنا عن بنية قصيدة «دوبيلاي» Du Bellay السونانية الـ XIII من «الاوليف» . وتبين لاول وهلة أن عملية من هذا القبيل غير ممكنة ، نظرا لكون عدد الحاضرين يربو بكثير على عدد النسخ الموزعة . وقد [illegible] التفكير بالمبادىء الكبرى للشعرية . وأردف قائلا : «إنه اذا كان الالسني يعتقد أن في الاكباب على الشعرية أهمية قصوى ، فعلى الشعري (دارس الشعرية) أن يكون بدوره ألسنيا ولو في حدود دنيا ، على اعتبار «أن كل لسان ما ، يتضمن شعرية معينة تشير الى نظامه الالسني الخاص» كما عبر عن ذلك بوليفانوف .

فإذن على الشعرية أن تدرس «الوقائع النحوية» ، أي انساق ومقتضيات العروض التي نالت من وعي الشعراء أنفسهم ، كما هو الحال بالنسبة الى تلك الجناسات التصحيفية التي اكتشفها سوسير ، وكذا مقتضيات الوقف والايقاع في الشعر الملحمي الصربي (Serbo-croate) الخ . وانتقل جاكوبسون بعد هذه الاطلالة العامة الى الافاضة في الحديث عن عوائق ترجمة الشعر : . «فالشعراء يعبثون دون غيرهم بما سماه ، استنادا على «بواس» و «سابير» «الدلالة النحوية» ★ ★ . ويراد بها ، ذلك النوع من الدلالة التي يفرضها الجنس والعدد على الاسماء الموصوفة ، والصيغ والاحوال على الافعال ؛ بحيث يظل كل شخص متكلم مجبرا أو مدفوعا الى أن ينتقي منها ما يسعفه في التعبير عن مقاصده» .

ومثل جاكوبسون لذلك بقصيدة الشاعر الالماني هاين : ★ ★ ★ (Ein Fichtenbaum steht einsam...) التي كانت آلة ترجمتها الى الروسية والفرنسية ، أن حول ما بها من التشبيب الى نوع من «الشذوذ المكشوف» ، بفضية بسيطة عكست وضع صيغ التذكير والتأنيث . فالكلمة Fichtenbaum هي مذكر «موصوفة» : (Palme) مؤنث (Pin) و (Palmier) أي (صنوبر) و (نخل) وهما مذكران في الفرنسية ، مؤنثان في الروسية .

★ ★ ★ ★

وهذه الملاحظ المتعلقة بالمنهجيات العطوية و«الرتبية» المتحدرة من اللغة ، تثبت ما نعرفه قديما عن الميثولوجيات المقارنة انه ليتعذر علينا طبعا في أسطر قلائل كهذه أن نعرض لافكار أخرى تطرق اليها جاكوبسون أو مستلحقات جرى التلفظ بها خلال ساعات أربع ، أو موضوع «فن القول» عند جاكوبسون المحاضر ... ولا نعرف تمام المعرفة ما أسداه هذا الشعري للالسنية من إمدادات . لنخلص الى القول بأن زيارته لباريس تعتبر تذكيرا أيضا بما يدين له الادب المعاصر من خدمات ، وربما أكثر من أي «ألسني آخر» كمالارميه ، مثلا ، الذي

أورد له رومان جاكوبسون ، في شكل عبارة توجيهية ، هذا المقطع من «أزمة النظم» : «هذا الاتجاه أسميه نقلا (Transposition) أما البنية فوجهة أخرى ...
إن العمل الادبي الصميمي هو ذلك الذي يفترض احتجاب الشاعر كناطق يدع المبادرة للالفاظ التي تتصادم بفعل تفاوتها الصارخ» .

○ عن مجلة لاكانزين ليتيرير من 1 الى 15 مارس 1972 ○

الهوامش :

1 . تراجع «دراسات في الالسنية العامة» . نشر مينوية ، 1963 . ابيوتيز (فرنسيات) .
2 . «من الوزن الى العروض» منشطة شالنج .
3 . تراجع «بيانات المستقبليين الروس» باكسيون بويتيك (الحركة الشعرية) . عدد (48) .
4 . ترجم «فرضيات» مذكورة سالفا .
5 . «حلقة براغ» و «براغ الشعر جبهة يسارية» (شالنج 3 . 10)
6 . «طبيعة العلامة الالسنية» بـ «قضايا الالسنية العامة» . غاليمار .
7 . في «ما الشعر ؟» مترجم بـ «الشعرية» عدد 7

II إشارات للمترجم

○ 1 . للتوسعة أنظر كتابه «دراسات في الالسنية العامة» منشورات مينوي 1981 .

★ 2 . وهو شيء كانت تقول به المدرسة «الصياغية» التي تفصل بين النحو والمنطق قبل مجيء بور رويال بأربعة قرون . للتوسعة يراجع كتاب (Die Modi Significandi des Martinus) لصاحبه روس ، صادر بكوبنهاكن سنة 1952 .

★ ★ 3 . للتوسع يراجع الفصل المعنون بفكرة الدلالة النحوية عند بواس ، ص 197/ 206 من كتاب جاكوبسون المذكور .

★ ★ ★ ★ 4 . هاين شاعر الماني مزدوج اللسان ألف (Franzosisch) و (Zustande) [شهادات شاعر] كتبه بالفرنسية . وتراجع حياته وآثاره بتفصيل في أطروحة السلك الثالث (هاين ، كاتب فرنسي ؟) لكلود بورسيل . 1977 [مراكونا] .

★ ★ ★ ★ ★ 5 . تعرض جاكوبسون الى مثلة من هذا القبيل في ص (85) من كتابه المذكور آنفا .

★ ★ ★ ★ ★ ★ 6 . فيما يتعلق بمالارميه ، يُنظر فصل (الرمزيات الفرنسية) في كتاب : .

A history Of modern criticism 1750-1950
René WELLEK. vol 4. Cambridge
University press. 1983

ويوجد به جزء من المثال الوارد في النص المترجم ، مترجما الى اللغة الانجليزية (ص 457) .

** [illegible] : نحت من وضعي ، يسد مسد المصطلح الركيك السائد «عبر لسانية» الذي لا سند له من التركيب أو النحت أو الاشتقاق ...

العلم الثقافي

ملحق اسبوعي

السبت 17 ذو الحجة 1406 23 غشت 1986 العدد : 790 السنه : 16

Scanné avec CamScanner

مناقشات :

رد على رد

بقلم : عبد الباسط الكراري

«إن أي نص يظل ... سوى نص جزئي أبتر، منحرف أو معاق ... إعادة النظر وفقاً ...»

(... «المعجم المختصر المقارن والنقدي للأفكار» ... لاروس، ص (68) 1974).

وماذا عن المتعة واللذة ؟؟ لقد قرر المترجمان استناداً على مراجع معدودة أن «المتعة» هي الترجمة الأمينة للفظة «Hédone» وبالتالي سيكون موقعها من النص بحسب السياق ...

... plaisir أو Jouissance ...

روبير الصغير الذي تغيب إبان ترجمة نص كوهن ليسجل الآن حضوره بين المصادر الأولى. إن «Cryptologique» تعني بحسب السياق الوارد فيه ... (Cryptologie) علم الرموز ... (Symboles) ...

« Serant ici appelées métaphores toutes figures Construites Sur trois éléments, le Comparé le Comparant, le point commun ... Comparaison, C'est-à-dire les métaphores, les comparaisons, les sens figurés»

«Le Kalâm, comme scolastique de L'Islam, se caractérise Comme une dialectique rationnelle pure, opérant sur les concepts théologiques» (Gallimard 1964)

(Voces significant res mediantibus conceptibus)

«Le signe, selon la vieille ... définition scolastique remise aujourd'hui eu honneur, C'est «aliquid pro aliquo»

C'est-à- dire deux termes dont l'un renvoie à l'- autre

Cryptologique ... Cryptographe ...

Illustration ... comparaison ...

Distinctive Features ... Pertinence ...

Violation ...

ا . خيانة اللغة . المصطلح :

توماس مان ... مات قبل الحرب العالمية الثالثة

عاش في القرن الماضي فائض الفلسفة وفي القرن الحالي فائض الموت

في هذه الأيام يحتفل الألمان، بل وأبناء العالم، بالذكرى المئة لولادة الروائي الكبير توماس مان التي تصادف أيضاً الذكرى الثلاثين لرحيله .

إنه كبير الكتاب الألمان في النصف الأول من هذا القرن، وقد حاز جائزة نوبل في عام 1929، فكان أول الكتاب الذين يشعرون بالمرارة «لأن ثمة من يقرأني بهذا اللهاث الضوئي» .

الشك بين الأسنان، بل لابد لها من أن تكسر هذا الإيقاع الشاحب .

ولهذا هرب من ألمانيا في عام 1933 . قال في تلك الحين : «هكذا نهرب من زمننا» . ومع أنه اهتم كثيراً بتفاصيل المكان واعتبر أن هذه التفاصيل تساهم، بصورة مباشرة، في تشكيل الحدث ...

الطحالب تأكل الحياة

العين الثالثة

يتكسر الزجاج ... الوجه

«ردّ على ردّ»

تتمة

تستند على معايير باتت عرفية، وتكتسي هذه المعايير صبغة خاصة تتمثل في كونها لا تستعمل سوى وحدات لسانية غير دالة. وعلى سبيل المثال، فإذا نحن شئنا أن نتخذ من البيت الشعري الفرنسي المطرد مثلا، ألفيناه يقوم على الوزن والقافية أي على المقطع والصوتم (La syllabe et le phonéme) والحالة هذه، فإن المقطع والصوتم وحدتان أصغر من الكلمة أو الكلمة (هذه الاخيرة بضمّ الكاف وتسكين اللام وكسر مابعدها) (le mot ou le monéme) أي أصغر حتى من الوحدة الدلالية الصغرى. ولا يغيّر شيئاً من دلالة المرسلة وفرة المقاطع أو قلتها، كما لا يؤثر في معنى كلمة معينة اتفاقها أو عدم اتفاقها مع غيرها في القافية.

الوزن والقافية إذن ليسا - فيما يبدو - بالخاصيتين المناسبتين (أو الصالحتين أو الناجعتين) لغوياً «أو» غيرها من التعابير الملائمة)

وإنما يبرزان كبنية فوقية لايتعدى مفعولها المادة الصوتية... (انتهى كلامه).

قد يتساءل القارىء عن الداعي إلى استعمال تعبير «ألسنيا أو من وجهة النظر الالسنية» (البديل رقم 18 ص 2 من الملحق 779) فأجيب :

1) إني أميز بين Langagier (لغوي)، فنحن نقول مثلا (outillage langagier)، والسني (linguistique) نسبة إلى الألسن (ج لسان) «glottique» ومنه (الالسنيه)، والنسبة فيها احتفظ لها بسداد معنى النعت ووظائف نحوية وسياقية أخرى. وهذا طبعاً مالم يستسغه المترجمان مع أن اقتراحي كان تقريبياً فحسب. واعتقدا - لاصابتهما بعدوى الألسنية - أن المراد بوجهة النظر الألسنية شيئاً اخر غير ما سمياه «وجهة النظر اللغوية» في ص (86) أي :

(Le point de vue linguistique) وليس (Le point de vue de la linguistique)

★ وإذا كان المترجمان قد ارتضيا معا أن يكون ج. كوهن حكما بيننا (وهذه أقصى درجات السخف) فإنني سأفعل وسأترك للقارىء حق الفصل. ولنبدأ إذن بالحرفية وركاكة التعابير :

- يقول كوهن : «Le poète se borne à choisir, parmi

Les formes qui lui sont offertes pâr la langue

celles, plus rares, qui sont marqueés du signe littéraire» P (46)

وتقول الترجمة : «إذ يقتصر الشعر (كذا) على الانتقاء من بين الأشكال التي توفرها اللغة، ومن بين الموسومة منها، في النادر، بالميسم الادبي (...)» (راجع البديل) .

- ويقول كوهن : «La stylistique moderne reconnait Sa dette envers cette vielle science, en même temps qu'elle tente de lâ renouveller...» p 48

وتقول الترجمة : «واعترفت الأسلوبية بدينها نحو هذا العلم العتيق، في الوقت نفسه والذي (لاحظ هذه الركاكة) تحاول فيه تجديده. وتطمح هذه الدراسة لأن تسجل ضمن هذه المحاولة...» (راجع البديل).

- ويقول كوهن : «La métaphore, à elle seule, aurait nécessité un gros volume. et que dire de la versification» p (49)

وتقول الترجمة الحرفية : «فقد تتطلب الاستعارة وحدها مجلدا ضخما، ثم ماذا يمكن قوله عن نظم الشعر» (لاحظ معي هذا الابتذال السخيف، وهذه البهرجة الفارغة)

ويقول كوهن :

«Dès lors, il existe une dominance du langage par rapport aux Choses» p (38)

وتقول الترجمة : «... توجد هيمنة للغة بالقياس إلى الاشياء» (وسر معي مختلف) بربك قل لي أليس بعد هذه الأمثلة (من أصل «8 مزلق ونيف) مايمكن أن نسميه «ترجمة» بالمعنى الصادق للكلمة ؟ هذا عدا الأخطاء والتحريفات التي يندى لها الجبين والتي أرجأت الحديث عنها إلى الجزء الثاني من هذا الرد.

- لقد تمنيت أن يتجه ردهما

- إذا كان في الأمر ما يستوجب الرد - إلى كنه الموضوع دون التماس وسائل الطعن، فأبيا

• لا يفوتني هنا أن أشير إلى الأخطاء المطبعية التي اتخذاها ذريعة للتشنيع. ومن بينها وضع كلمتي «أخضر» و «أزرق» وضع حكاية (أي وضعهما بين مزدوجتين بدل التعريف) في ترجمة نص هلمسلف. وإثبات الجزء الساقط من كلام لوي ماسينيون وهو :

«J'ai trouvé un jour, dans leur langue, leur structure de pensée Saisie dans son profil d'indentation»

وإن لم يكونا قد فطنا إليه. وقد عجبت للسيدين العارفين بأسرار الفرنسية وخبايا الاسبانية كيف لم يفطنا إلى هذا الاختلال. أليست أبسط قواعد اللسان الفرنسي تشير إلى أن «Saisie» كاسم مفعول، يتبع شيئاً سابقاً عليه في التأنيث (e) وهو كلمة : «structure» التي أسقطتها المطبعة ؟ وحتى إذا نحن اعتبرناها مجرد اسم بمعنى «الحجز» فماذا سيكون معنى الجملة ؟ وهذا ما لم يفطنا إليه .

وبعد، فإن الترجمة أصبحت منتجعاً لكل متطفل على الألسنة ★ يمارسها القاصي والداني على السواء، ولا أريد هنا أن أنهي القسم الأول من الرد دون أنصح السيدين ثانية وثالثة بمراجعة مصادر العربية، وكتب اللحون والاوهام وخاصة «درة الغوّاص في أوهام الخواص» رأفة بالقارىء المعرّب وإشفاقاً عليهما من اللحون التي عجّ بها ردهما. فليس المجال هنا مجال ارتزاق كما ليس السقوط في مطبّ الطعن والهمز الخبيثين بوسيلة ناجعة في إيقاف الحوار البناء. وعليه فإنني أتشبث في الحال والاستقبال بحقي في الرد إذا لم يبادر المترجمان إلى تنقيح مقالهما برمته، وإعادة طبعه طبعة أمينة غير منقوصة ولا محرفة، احتراماً للمسؤولية والنضيلة العلميتين، وانسجاماً مع أصول البحث الدقيـق. (وللموضوع صلة)

هامش :

★ نعد حاليا قراءة فاحصة للكتيب الذي سماه الأستاذ محمد البكري «مبادىء في علم الأدلة»، وهو أصلا ترجمة للفصل الأخير من مجلة «تواصلات» ع (4) الصادرة عن دار لوسوي 1964 من ص (91) إلى ص (135)، دائما في إطار مادة الترجمة.

1) فيما يخص scolastique ارتأينا الاحتفاظ بالمعنى الحقيقي للتسمية، دون المجازي الذي يبدو منطبقا أيضا على نص كوهن والذي يشير إليه كتاب «القاموس الفلسفي الحديث» لصاحبه أرمان كوفليبه ط.8 طبعة أرمان كولان 1963 ص (166) (165) بقوله : Scolastique:Hist 1: qui

se rattache a la philosophie de «L'école» i.e celle qu'on enseingnait au moyen âge et jusqu'au XVII• siècle dans les universités (celle d'Aristote adaptée au dogme chrétien).

— Ext. 2. (Péj). Formel, verbale et figé dans les cadres traditionnels.

★ لا أنسى ونحن بصدد الحديث عن الترجمة أن أشير إلى تطفل أحد الغرباء عن المادة الذي قفز فجأة إلى أعمدة مجلة رصينة (مجلة الفكر العربي المعاصر ع - 31/30 - 1984 .

متوّجا دوره بترجمة لمقال تودوروف (العلامة) استقاه من «المعجم الموسوعي لعلوم اللغة» وهي ترجمة لا أتورع في أن أقول إنها فاسدة بالكاد. وحسبي أن أشير إلى إسقاط أسطر كثيرة من الأصل لأسباب مجهولة (مثلا السطر الخامس عشر، والخامس والعشرون ص 131 والسطر العاشر ص 132 الخ) ناهيك عن الابتذال وانعدام الضبط وقلة المسؤولية.

1 - يقول تودوروف بالحرف : «فالنص نفسه في مادته وتنظيمه لم يكن محط دراسة، بل أكره على أن يكون ذريعة للتفكير في شيء اخر غيره. قد يكون هذا الشيء شخصية الكاتب مثلا، أو العصر الذي كتب فيه، أو موضوعاً فلسفياً اخر»

(LAMALif: (le langage et sa symbolique) N 91 1977

فكر وإبداع

□ الجمعة 21 ماي 2004 □ العدد :7587

الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي

قضايا

انطباعات مثقف حول السجون بين الحال والمآل

«ليس ثمة حسن أو سيء في ذاته، كل شيء رهن الفكرة التي نتشكلها عنه» هاملت
هاملت

د. عبد الباسط لكراري

في تصور الباحثين المعاصرين أن تاريخ الفكر السجني (أو الخطاب حول السجون) عرف ثلاث «لحظات كبرى» في التساؤل حول الجدوى الاجتماعية من إنشاء السجون والمعتقلات. تنطلق اللحظة الأولى من السنوات السابقة على الثورة الفرنسية. وقد لخص هذه اللحظة الموقف المتضامن لجماعة من القضاة (وفي طليعتهم «ماليشيرب» و «سيرفان») من نظام السجن باعتباره أسوأ من الموت القتال، فضلا عن كلفته الاقتصادية. وكشفت الدراسات التي ترشحت لمباراة أكاديمية «شارلون سورمارن» سنة 1777، ونشرت بالجرائد السيارة، عن أفكار متقاربة بهذا الخصوص. (1)

أما اللحظة الثانية، فانصبت على حصيلة تجربة السجون المغلقة في نشر وتوليد الجريمة، فهي لا تعدو كونها فضاءات، ومأوى للعدوى، والجنسية المثلية، والعنف المضاد، ناهيك عن تنشيط الاستيهامات السيكوباتية (Psychopathiques). وقد اختزل أحد القضاة، على نحو إجمالي، هذه التمثلات في الصيغة المأثورة «السجن مدرسة للإجرام». فلا عبرة، في هذا الشأن بأي تمايز من حيث النمط المعماري بين السجون البنسلفانية، والسجون الأوبرنية ونظائرها الفرنسية من جهة، وتقنية الجبّ (أو المطمورة) في الأزمنة السحيقة من جهة أخرى، مادامت تمارس قاطبة الوظيفة نفسها: عزلة قاسية وقتل بطيء.

وبدءا من 1944 تأسست اللحظة الأخيرة في تاريخ السجون على تبني نظام الحماية الاجتماعية الذي تراكمت نصوصه منذ سنوات 1870. فاستجاب تعديل Amoz 1944 لفكرة عدم نجاعة السجون، ونادى بالبحث عن حلول إجرائية بديلة (2). لكن نظام الحماية الاجتماعية لم يفعل سوى إبدال المنطق العقابي بالمنطق الطبي، فأصبح سجين الأمس، حسب المفهوم الجديد، مجرد مريض عقلي أو مختل اجتماعي يتعين علاجه، وتحولت المؤسسة السجنية، تبعا للمفهوم ذاته، إلى مكان للعلاج (3). هل تغيرت وظيفة السجون في المغرب عن هذه المحصلة، بتعقيداتها النظرية والميدانية؛ هل ترسخت القناعة المبدئية بضرورة البحث عن آفاق ومخارج جديدة في نسق الجزاءات الحديث؟

لنؤكد بداية على أننا مازلنا في طور الإصلاحات التدريجية للمؤسسة السجنية. وحتى الخطوات الإصلاحية العملية التي خطاها المشرع المغربي في سن قوانين جنائية وتدبيرية جديدة لا تواكبها دينامية إصلاحية هيكلية مماثلة ومسؤولة يضطلع بها الجهاز الإداري داخل المؤسسات السجنية. ثمة ما يشبه «ترك الحبل على الغارب» مخافة ردود فعل فئة من السجناء الذين يناوئون حركة الإصلاح مستغلين سلبية الإدارة في ممارسة نشاطات إجرامية داخل أسوار السجون (تجارة المخدرات، والتكتل في لوبيات إجرامية تنتهي أحيانا إلى القتل وتهديد الأمن الداخلي وافتعال الاحتجاجات الاعتباطية لشل حركة الحراس والمراقبين وإلزامهم بالصمت..). ويندر ألا تصطدم إرادة الإصلاح والتجديد بذهنية إدارية مشلولة، مسكونة باستيهامات العقاب. إنها تتذرع «بتضخم» الشرط الحقوقي، و «إكراهات» القوانين الجديدة، في ترتيب علاقة سلبية مع السجناء غالبا ما تفضي إلى منزلقات كارثية. وقد نبهنا - في دراسة سابقة (4) - إلى استشراء آفة القصور الوظيفي بصورة تعكس درجة ارتهان الذهنية الإدارية للأساليب السلطوية البالية في التسيير والإدارة. لقد أثبتت التجربة أن سلطة الإعلام تؤول إلى علاقة محاباة بين بعض مواقع المسؤولية التي تغض الطرف عن تجاوزات يبحث بعض المدراء عبثا عمن يؤدي ثمنها نيابة عنهم. لا مراء في أن ممارسات من هذا القبيل تضع حركية الإصلاح في نفق مسدود تنذر بانفلات حبات عقده، ويصيب مشروعية تطوير بنياته المؤسسية في مقتل.

إن رهانات التدبير الفعال تنطلق أصلا من الإعمال الصارم والحصيف لمنظومة القوانين الجديدة (قانون 23/98) والاجتهاد في استلهام آليات التحديث على الصعيدين العربي والدولي والتفاعل معها، في أفق تحصين المكتسبات وإثرائها كما وكيفا. هنا يكمن جوهر الإشكال المطروح.

ومن جهة أخرى، تقتضي المقاربة السوسيولوجية لمشروع الاندماج المدني أن يقع تعديل زاوية النظر التي تنتظم علاقة أولياء السجناء وذويهم بالمؤسسة السجنية. فمازال النظر إليهم يرشح بارتياب وتوجس وكأنهم امتداد طبيعي للداخل (Intra - muros). لا يسوغ تسريع الانخراط في وتيرة الإصلاح الهيكلي دون الحد من التشعبات الرمزية لهذا التمثل القاصر عن إدراك البعد الوظيفي لشراكة أولياء السجناء، إنهم «شركاء المؤسسة السجنية من غير أن يكونوا منتمين إليها بالضرورة» (5). ويمكن تعضيد هذه الشراكة عبر تأسيس جمعيات محلية ووطنية تنتخب فروعها من أولياء وزوار وأصدقاء نزلاء السجون، تضطلع بأدوار أساسية في كنف مجالس المؤسسات السجنية ذاتها، على صعيد متابعة اشتغال بنياتها النظامية (التعليم والتكوين المهني، التغطية الصحية، وتفقد الوضعية الاجتماعية والنفسية للسجناء عن كثب، وتوسيع أجنحة وفضاءات الاستقبال مع توفير الدعم اللوجيستيكي، وتشجيع الأعمال التطوعية والخيرية إلخ). ولا يخفى ما لإشراك بنيات المجتمع المدني من فاعلية في تحقيق التوصيف الديمقراطي للوسائط التواصلية بمعناه عن «مخزنة» قطاع السجون.

هل تهيء سجوننا - في وضعها الحالي - للانخراط مجددا في النسيج الاجتماعي؟ ربما يتسم هذا السؤال الإشكالي باختزالية وطوباوية (*) واضحتين، مردهما إلى شبه إجماع بتراجع الوظيفة الاجتماعية للسجون. وربما كان الأفيد - إجرائيا - التساؤل عن مدى وجود هذا التهييء أصلا؛ فرغم الإرادات والنوايا الصادقة في دعم مسارات «إعادة الإدماج» عبر مسالك التكوين والتأهيل والتقويم والإرشاد الاجتماعي، فإن المشروع يلبث انتقائيا ومحدود النتائج. وفي غياب فلسفة واضحة ومدروسة الأهداف حول مفهوم وآليات الإدماج، يظل السجن مؤسسة لإعادة إنتاج وتكريس التفاوتات الاجتماعية السائدة، وفضاء خصبا لعدم الاندماج (Désinsertion) في النسيج الاجتماعي - الاقتصادي، مما ينذر باطراد دورية العود.

> مازلنا في طور الإصلاحات التدريجية للمؤسسة السجنية. وحتى الخطوات الإصلاحية العملية التي خطاها المشرع المغربي في سن قوانين جنائية وتدبيرية جديدة لا تواكبها دينامية إصلاحية هيكلية

إن تضمينات مفهوم «إعادة الإدماج» مخادعة لأنها توحي بأن السجناء «كانوا أصلا مندمجين»، فيما يكمن المشكل بالنسبة للسواد الأعظم من هؤلاء، في أنهم كانوا يعانون أصلا من الإقصاء والتهميش في مجتمعهم قبل حبسهم» (6). إن مفهوم «إعادة الإدماج» انتُقي من مدونة التشريعات التي استُحدثت في المجتمعات الأوربية المتقدمة لإصلاح السجون وإعادة إدماج نزلائها في المنظومة الاقتصادية - الاجتماعية، ونُقل بصورة مجردة ومفارقة لتوصيف واقع سجني منظور كان حتى زمن قريب مهموما بخطاب «الأنسنة». وبين الأنسنة وإعادة الإدماج مسافة موضوعية بحجم مشروع مجتمع مازلنا نتلمس طريقه في أعتاب القرن الجديد. ولئن كنا نهيء بعض السجناء - طوباويا - للاندماج في مشروع مجتمع لم تتحدد معالمه الفعلية بعد، ففي سجون فاسدة ومأزومة (تقادم الهياكل والبنيات التحتية - الاكتظاظ - الارتشاء والابتزاز واستغلال النفوذ - استشراء الحالات الباتولوجية (الجنسية المثلية) وجرائم المخدرات - عدم تعميم معايير العزل والتصنيف - ضعف الموارد والإنتاجية والتأطير - اختزال التعليم والتكوين إلى تزجية وقت ثالث - Passe temps...) يصعب إقناع السجين بمشروعية «إعادة الإدماج» وجدواها الاجتماعية. وفضلا عن كوننا - كباحثين ومهتمين - لا نتوفر على إحصائيات حول الوتيرة الميدانية لآليتي الإدماج والمصاحبة، فإن واقع السجون يدلل على رجحان الهاجس الأمني على الوظيفة الإدماجية، ويعزز الشحنة الإيديولوجية لمفهوم إعادة الإدماج. أضف إلى ذلك أن الاستمرار في تشييد المؤسسات السجنية ومراكز التهذيب والإصلاح بعيدا عن المدار الحضري يشي - هندسيا - بتكريس التمثلات الإقصائية وليدة المرحلة الاستعمارية.

إزاء الإجراءات الهيكلية الكبرى المتمثلة في تأهيل الاقتصاد الوطني، وترسيخ دولة الحقوق والالتزامات، وبلورة نسيج المجتمع المدني، وإصلاح المنظومة التعليمية، يتعين «إعادة إدماج» المؤسسات السجنية في محيطها الحضري للتخفيف من غلواء الدونية والإقصاء والاغتراب النفسي والعزل وغيرها من المشاعر المحبطة التي تخامر نزلاءها، وتؤكد الاستمرارية التاريخية والرمزية «للعقل التأديبي». وفي المسار نفسه، ينتظر تدخل الفاعلين الاقتصاديين في الاستثمار الجاد في القطاعات الداخلة في تركيب النسق السجني، وتحيين آليات الشراكة المنتجة، وربط التكوين بالتشغيل (إحداث خلايا تابعة للمجالس الجماعية تتكفل بتوجيه المفرج عنهم إلى سوق الشغل) والتفكير الجماعي بمعية صانعي القرار، في بلورة مشروع وطني يثمر مدونة خاصة بالحماية الاجتماعية للعاطلين والعاجزين عن العمل.

هل تخلصت سجوننا من خاصيتها الاستهلاكية التي عفى عليها الزمن؛ ألم يأن لها أن تصقل مقوماتها الإنتاجية لمسايرة رهانات التحول الاقتصادي والثقافي المعاصر بدلا من أن تبقى عبئا ثقيلا على ميزانية الدولة؟

إن التأمل في واقع السجون - في دول المغرب العربي - يوحي بأنها مؤسسات كسيحة تجر خلفها أذيال القرن التاسع عشر، رغم «حداثة» النصوص التشريعية. إنها مفارقة عايشتُها شخصيا خلال عقد ونيف من المخضرمة بين عهدي سنوات الرصاص والجمر، وتجربة التحول الديمقراطي. والواقع أن التراكم التشريعي منذ الظهير المؤرخ في 11 أبريل 1915، وحتى المرسوم التطبيقي لقانون (23/98) الصادر بتنفيذه الظهير رقم 1.99.200 (25 غشت 1999) لم يسهم إلا نسبيا في تخليص المؤسسة السجنية من عجزها الإنتاجي الثابت. نصوص تدرجت فيها علاقة السجين مع المحيط الاقتصادي من حالتي «الوجوب والتكليف» إلى حالة «الإمكان» (7) ومن الضرورات الموضوعية التي أملاها الشرط الكولونيالي، إلى ضرورات التأهيل والإعداد القبلي لمرحلة «إعادة الإدماج» في الظرفية الراهنة. وفي غياب إصلاح جذري للمنظومة التعليمية، ومدونة الشغل، والقوانين الإدارية، وتحيين برامج التكوين وإعادة تأهيل المؤسسة السجنية تشريعيا وميدانيا، نظريا وتجريبيا، وتظافر جهود الفاعلين الاقتصاديين ومكونات الجسم السياسي الوطني، تظل حدود الاستشراف ضيقة.

إن القطع مع ما يسميه الأستاذ الحسين بوتلطيب «بالعقل التأديبي» (8) في مرجعياته القروسطوية، يتأتى بتسريع وتيرة الإصلاح الهيكلي مع إشراك المؤسسات الجامعية ومراكز البحث العلمي في فضاءات التفكير الخلاق في واقع وآفاق مخارج النظام الجنائي. لا

بقية ص 11

● المرحوم عبد الواقي رضوان

تصل. هل أبرق البن الأسود للشفاه

تابع ص 3

مماص، ايضا، من إعادة النظر في طبيعة برامج التعليم والتكوين عبر إقرار مبدأ التنسيب والملاءمة (Adaptation) مع خصوصيات الوسط السجني، وتعديل الخريطة الادارية، في إطار إصلاح شمولي يعيد النظر في التركيبة الادارية لمديرية إدارة السجون وإعادة الإدماج عبر تحديث بنياتها ونسيجها، وتكوين المكونين، وتفعيل حركة الإحالات التلقائية على التقاعد، وحركة التنقيلات الادارية الدورية ابتغاء تحقيق دينامية كفيلة بتكسير طوق النمطية، وإنشاط التسيير الاداري من عقال الرتابة والجمود. ومن نحو اخر، يتعين الاخذ بنظام تفريد العقوبات البديلة (Personnalisation des peines alternatives) كالإفراج المشروط والمؤقت، والإقامة المحروسة (Assignation à domicile)، والقيام باعمال ذات نفع عام (T.I.G) في إدارات او مرافق عمومية او جمعيات تحمل صفة النفع العام.. ويمكن ان يكون هذا العمل موازيا للعقوبة الحبسية او تابعا للعقوبات الموقوفة التنفيذ حتى يحقق الوظيفة التخليقية لجبر الضرر، فضلا عن منافعه الاجتماعية.

إذا استكملنا عناصر مشروع مجتمع ديمقراطي وحداثي متقدم فعندها يمكننا الحديث بثقة عن تهييء نوعين صحيين من الإدماج: إدماج المعتقل في مؤسسة سجنية ذات مواصفات حضارية، وإدماج المفرج عنه في مجتمع رحيم يحفظ له حقوقه وكرامته.

الهوامش:

1- La prison au cours des siècles: protéger la cité contre les hors - la - loi! par christian Carlier, La ville. La documentation française. Paris. 1995, p (184).

2 . نفسه ص: ((187

3 . نفسه، (ص. ن)

4 . عبد الباسط لكراري: فلسفة الإصلاح والتهذيب بالسجون/ الواقع والآفاق، جريدة العلم الثقافي، 11 يناير 2003، ص: ((2 ((6.

. استعمل هنا مفهومة الطوباوية بمدلولها الاشتقاقي اللاتيني ((U- topia التي تفيد ان الشيء غير متحقق او لا محل له.

5 Projet, n 269, 2002. Paris.- France, p (78).

6 . نفسه، ص: ((82

. إن فساد السجون ليس وليد الحقبة الاستعمارية، كما يحلو لبعض المؤرخين ان يصطنعوا، وإنما استشرى قبل ذلك بكثير. وتفيد الوثائق التي بين ايدينا ان العطب قديم، وتكفي الإشارة في هذا الصدد، إلى رسالة السلطان مولاي الحسن الأول إلى عامل مراكش احمد بن مالك البخاري (مؤرخة في 5 ربيع الثاني 1297 هـ) يلفت نظره فيها إلى ممارسات السجان المدعو الحاج علي القيم على سجن «مصباح» بمراكش، ونقتطف منها: «فقد بلغنا ان مساجين مصباح بلغ من الإضرار بهم ان صار الحاج علي السجان يبيع لاحدهم الشبر من الأرض بنحو 50 ريال على ان يجلس به مشتريه، ثم إذا جلس فيه هنيهة يباع لغيره بمثل ذلك، وبعدما بلغنا ذلك بحثنا فيه فوجدناه كما بلغنا وزيادة. إن الفريضة تقع عليهم من الجمعة الى الجمعة، ويقبض منهم عن كل ما يدخلونه من القوت وغيره كالبياض (اي الفحم)، ويُغللون بالسلاسل وسط السجن إلى ان يؤدوا الذعيرة، إلى غير ذلك مما يقع بهم من المكر. وهذا امر عظيم لا يقتحمه السجان المذكور جملة واحدة إلا ويغلب على الظن انه يبلغك ولا يخفى عليك، وهو إن اطلعت عليه واقررته عليه فهو من الإقرار على الباطل الذي لا يسع من قلد بامر السجن السكوت والتعامي عليه، لما في ذلك من الاستخفاف بحق الله». وشدد المولى الحسن الاول على العامل النكير محذرا إياه من عاقبة التواطؤ والممالاة. وبعث بمذكرة اعتقال السجان المذكور الى مولاي عثمان، وتوجيهه مكبلا لعامل الصويرة. وناشد العامل تنصيب سجان حسن الشمائل، مطبوع على العفة وطيب المعاملة. (انظر الوثيقة رقم ((892 من الوثائق الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية بالرباط، المجموعة السابعة، 1989، المطبعة الملكية). ويجدر التنبيه الى ان مشاريع إصلاح السجون وإعادة الإدماج قديمة اجهضها خصوم التحديث بتواطؤ مع الدولة المخزنية منذ حقب بعيدة.

وتكفي الإشارة إلى اللمحة الذكية التي اوردها محمد الصفار التطواني في تدوينه عن رحلته الى فرنسا ((1846/1845 قائلا «ومن حكمهم في بعض السجون وبعض المساجين، ان المسجون إذا كانت له صنعة، فإنه يجبر على خدمتها وهو مسجون. وما يستفيده منها يوضع له عند امين، فإذا تمت مدة سجنه وخرج فلا يجد نفسه فقيرا فيعود الى السرقة او نحوها». ص ((220 من: «صدفة اللقاء مع الجديد/ رحلة الصفار إلى فرنسا» لسوزان ميلار، ترجمة د. خالد بن الصغير مطبعة النجاح، البيضاء 1995.

ورغم محاولات الانفتاح المبكرة على النظام السجني الأوربي، فقد بقيت «تجارب التحديث اسيرة الطرح الطوباوي والسلوكات اللاعقلانية المنفصمة عن الواقع الموضوعي والمتجاوزة لحقائق التاريخ الصلبة» ص ((81، وهو ما افرزه ما يسميه ذ. عثمان اشقرا «بالعطب المغربي ماضيا وحاضرا» (ص. ن). «العطب المغربي - بحث في اصول التحديث وإعاقاته بالمغرب»، ط 1. 2003 - مطبعة النجاح - الدار البيضاء.

. في مداخلة المهندس المعماري دومونشي في ملتقى «الفضاء ومتخيل السجون» بدعوة من التجمع الطلابي الوطني لتعليم الاشخاص المعتقلين بفرنسا، اوضح عمق التلازم بين الاختيارات الهندسية في بناء السجون، وطبيعة الحياة داخلها. ويشير عالم الاجتماع فيليب كومبيسي في دراسته الموسومة بـ (المدينة والسجن: التعايش الصعب) الى ان «السجن يخفي السجين، ويقدم للمواطن العابر امام بوابته، وجه الجريمة البشع، فالسجن يسهم في حجب الخدعة ليمكن النسق من الاستمرار، ويغرق المواطنين في جهل تام بالتخمينات والاختزالات المبالغ فيها حول عمليات الزجر الجنائي». واضاف ان التصور الهندسي للسجون تتولد عنه منظومة من التمثلات المهمشة والقامعة للسجين. الهامش رقم 5، ص (76).

7 . تتعين الإحالة مع تدقيق النظر في عبارة «وجوب استخدام المسجونين لضروريات الناحية والمحل مثل الأشغال الراجعة للمصلحة العمومية واشغال الاستعمار الصناعي أو الزراعي واشغال المعامل المختلفة» في الفصل 4 من ظهير 1915، وتنصيصه في الفصل 5 على تكليف الادارة المساجين باشغال تعود بالمنفعة على إدارة السجون او على إدارات عمومية، ومقارنة ذلك بالمادة 25 من الفرع الثاني من قانون ((23/98 التي تنص على انه «يمكن ان يشتغل المعتقلون خارج المؤسسة في اعمال ذات مصلحة عامة، محددة شروط انتقاء المعتقلين. ولا يخفى الفقر التشريعي - في شقه السوسيو - اقتصادي - المتعلق بالسجون مما يزكي هيمنة «العقل التاديبي» والهاجس الأمني كما اوضحنا. فالنصوص التي تمس قطاع الشغل قليلة قياسا الى بنود تدبير علاقة السجناء بالنظام الداخلي بالسجون. ويمكن على سبيل الذكر لا الحصر، سوق الفصل الأول من ظهير 1943/03/18 (ج. ر: 1/592)، والقرار الوزيري 1931/1/8 (ج. ر: 958)، وبعض مواد المرسوم التطبيقي للقانون 23/98 (الفرع الثاني - المادة 26) وفقرة التكوين المهني، المادة 122، والقانون رقم 23/98 (الفرع الخاص بعمل السجناء، المواد 40 الى 45 مثلا. فضلا عن بعض المذكرات التوجيهية.

8 . مجلة فكر ونقد، السنة الثالثة، العدد 23 نونبر 1999، ص ((52/43 وانظر ايضا مقال فيرناندو رودريغيز ميديانو: «العدل والجريمة والعقاب في مغرب القرن 16»، بالفرنسية في: Annales HSS, Mai- Juin 1996, n3, pp(611/627

CS Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 26 ■ السبت 23 دجنبر 1995

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 ISSN0851-
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

مراجعات في كتاب «التلقي والتأويل» للدكتور محمد مفتاح

مبادئ التلقي والتأويل وآفاق التأسيس النظري

عبد الباسط الكراري

■ ننشر هنا الجزء الأخير من هذه الدراسة التي نشرنا جزءها الأول في العدد السابق من «العلم الثقافي».

■ - لقد ناقش الباحث مبدأ «لا تواصلية الأجناس»، ولكنه لم يناقش إمكانية التحويل المتصل الذي قد يمارس على حقل الأنواع داخل الجنس نفسه. ومعلوم أن «روني طوم» أثبت أن الجنس - بيولوجيا - ليس هو الجنس بالمفهوم الأرسطي. ففي جنس «طائر» مثلا، ليست هناك أي وسيلة لتحويل «دجاجة» مثلا إلى «بطة». لكن نظرية التطور تعتبر أن الجنس «طائر» أحادي التطور النوعي بحيث يمكننا الصعود بالدجاجة والبطة إلى جد أعلى مشترك وبالتالي بناء وحدة الجنس. وعندما يستعمل أرسطو كلمة «جينوس» (Yevos - باليونانية) للدلالة على نوعنا البيولوجي، فإنه يبدو، ولاشك، استعمالا مطابقا لتعريفه للجنس، ومطابقا أيضا لمفهوم التطور المشار إليه (32). ولهذا التصور أثر بالغ الأهمية في فقرة «النموذج الأمثل». وفي هذا السياق لم يخص الباحث فضاءات الأجناس بتناول ما رغم أهميتها القصوى - كما ينص على ذلك «روني طوم» 1988 - في «معرفة بنية فضاءات الجنس، مادامت هذه الفضاءات مشتملة «من حيث البناء» على بنية رياضية غنية جدا. وذلك بديهي بالنسبة إلى الأجناس الأحادية البعد، والمتولدة عن أزواج المتضادات من قبيل: بارد - حار، خفيف - ثقيل، تحت - فوق الخ. إذ تنطوي خلف هذه الفضاءات دينامية معينة للتنظيم قابلة للوصف الرياضي» (33).

وهذه الملاحظة المنهجية تدلنا على محدودية القطاع النظري الذي يعتمد كمرجعية في طرح إشكالية «لا تواصلية الأجناس» بعيدا عن نموذج رياضي دينامي ما.

وقد استوقفتني في فقرة (تداخل البعدين ص (75) (76) مراجعة الأستاذ محمد مفتاح للشاهد (بيت بشار بن برد) المستشهد به في «المنزع» ص (382) و«الروض المريع» ص (109) من جنس «التكافؤ». فابن البناء المراكشي حلل القول المركب في الشاهد بتوظيف النسبة على اعتبار أن «النوم يضاد اليقظة، وانتباه عمرو للحروب يضادها. ونسبة حروب العدا إلى زوالها بعمر، كنسبة يقظته إلى زوالها بنومه» (34). وتوالي هذا التخريج واطراده في النسبة الرباعية أو الثلاثية يتأديان إلى جعل «عمر» طرفا في علاقة التضاد - عمر - العدا، وجعله مقابلا للحروب أيضا. فجعل السجلماسي ينبه في قول مفصل على وجه الخطأ في جعل «عمر» طرفا في نسبة التضاد مع الحروب «لاختلاف مقوليتهما. ولأن عمر في مقولة الجوهر، وليس في مقولة الجوهر تضاد (...) فهو وإن لم يكن مضادها قبل التركيب، فهو قد أنزل مضادها وقد أنزلا معاً في الجنس التنافري من الأمور، وأخذا بهذا النوع من الأخذ وهو التقابل والتضاد (...) والوجه الثاني أن الجوهر لا يضاد الجوهر ولا غيره لوجوب اتحاد المقولة في المتضادين، غير أن التضاد في عمر كيفية من كيفياته وهو (صواب) رأيه (...) فكان حاصله راجع إلى تكافؤ لزومي لأن الرأي سبب نجاح الحرب والظفر» (35). فيكون ثمة اتفاق بين السجلماسي وابن البناء من بعده في نسبة التضاد على تأول حذف المضاف (فعل عمر - صواب رأي عمر) لكن السجلماسي تجاوز ماكان سيصنعه ابن البناء تقديراً، بالتوسع في مقولة الجوهر إذ الجوهر في الاعتراض المغالطي السوفسطائي لايضاد الجوهر، وإنما أنزل هنا منزلة المضاد في تركيب القول أولا، ثم إن المتضاد من جهة أخرى هو الكيف المحمول عليه في نسبة التكافؤ إلى الضرب المحذوف. ولست أرى مسوغاً لإدراج هذا النوع المسمى «مزايلة» من جنس «المظاهرة» تحت نوع «التشكيك» من نوع «التجاهل» من جنس «المبالغة» بجامع «تمكين الاستفزاز من النفوس الخ» سواء في دلالة مفهوم «التشكيك» أو في قوانين اشتغاله داخل الخطاب الشعري. ذلك أن التضاد واضح بخلاف حيرة النفس «في طرفي الشك وجزئي النقيض لشدة الالتباس والاختلاط بينهما» (36) كما قال السجلماسي. وربما ساغ اعتباره من المبالغة على جهة «الغلو» لا «التشكيك»، فيبقى الجامع هو هو مع زيادة التخييل الذي هو عمدة الصناعة الشعرية كما تقدم.

وقد استوقفتني من حديث د. مفتاح عن «التناسب» في جنس «الإيجاز» الملاحظات التالية:

(أ) - دقة تخريجاته في نوع «الاكتفاء بالمقابل» مع افتقار ترك الإحالة الموضعية رغم ضرورتها هنالك لاستيفاء التمييز بين المظان وتعقيب الباحث. أما تعديل موطن النسبة في أجزاء القول المركب فسليم لما في تقابل المتناسبين من عدم الوفاء بالرتبة الأصلية في التركيب تصريحاً وتقديراً. فالنسبة: [1-3]، [2-4] صحيحة أصلا لكنها تفترض ممارسة تعديل طفيف على الجزئين الأخيرين بتقديم الأخير على ماقبله ليسلم التناسب على قدر التقابل الاستحقاقي في اقتضاء الرتبة المعدلة. وفي إحالة الباحث على «الروض» مايفيد وقوفه على الشبه المنطقي بين السجلماسي وابن البناء في سوقهما لنفس الأمثلة، وتحليلهما لقضايا الشاهد (سورة الأنبياء، آية 5)، وتقديرهما المتشابه لمحذوفي النسبة [1 و4]. ولا مناص من الحفر في هذه الظاهرة استناداً على دراسة علمية مقارنة تحدد مرجعية التعارض المنطقي الذي لاتكفي لإثباته فرضية «نقل» ابن البناء ومسايرته لمصطلحات وتحليلات السجلماسي كما أقر ذلك محقق «المنزع البديع» الأستاذ علال الغازي (ص (52) من التحقيق). فابن البناء يقول: «... فاكتفى من المقدمة الأولى المتقدمة في الذكر بتاليها، ومن الثانية بمقدمها» (37). والسجلماسي يقول: «... فحذف من الأول ما أثبت في الثاني ومن الثاني ما أثبت في الأول...» (38) ومثل هذا أولى بالمدارسة والمناقشة لحل مشكلة «الأخذ» أو «النقل» تاريخياً ونظرياً علماً بأنها قضية تمس عناصر التركيبة النسقية في تحليل الخطاب وترتيب مبادئه.

(ب) - مناقشته المنطقية لتقديرات آية المحيض (البقرة/222) في «المنزع» مجانبة للصواب لأنها مبنية على قياس الغائب (الروض المريع) على الشاهد (المنزع) دون قرينة راجحة. ذلك أن ابن البناء لما فرغ من بيان النسبة المذكورة منذ برهة في سورة الأنبياء آية 5، وهي الآية المشتملة على حرف التشبيه المتصل «بما» المصدرية، قال: «ويدل على هذه المشاكلة في نظام المتناسبة حرف التشبيه في قوله تعالى «كما أرسل الأولون». فإن نظام المشبه به سابق على المشبه، وإنما يقدم المشبه به في اللفظ لأنه موضع الحاجة والاهتمام به. فكان من البلاغة تقديم النسبة الثانية على الأولى لفظاً، والحذف فيهما قرينة تدل على كل واحدة منهما بالمعنى، وقد أدت فيهما العبارة المختصرة عن المعنى بكامله، فهو من الطبقة العليا في الكلام» (39). وهذا قصد واضح أدى إلى تعميته قياسه - في كلام المعارض - على آية المحيض التي ليس في تجريد متناسباتها أبين ولا أبلغ مما قصد إليه صاحب المنزع. من ذلك تقديره للطرفين [2-3] في نسبة الأول (حتى يطهرن) إلى الثالث (فإذا طهرن)، ونسبة الثاني (ويتطهرن) إلى الرابع (وتطهرن) «فحذف الثاني لدلالة الرابع عليه لأنه مثبت، وحذف الثالث لدلالة الأول المثبت عليه. فحذف من الأول ما أثبت في الثاني، وحذف من الثالث ما أثبت في الأول» (40).

وينبغي التنويه بأن أبا محمد القاسم:-

(أ) - احتكم إلى السياق في التقدير الدلالي. وذلك نهج ابن البناء في آية الإرضاع مثلاً من سورة البقرة/233، وفي غيرها.

(ب) - قدر محذوفين: - لاتقربوهن حتى يطهرن (ويتطهرن) فإذا (طهرن) وتطهرن فأتوهن. حيث حذف الثاني (ويتطهرن) لدلالة الرابع المثبت عليه (تطهرن)، وحذف الثالث (فإذا طهرن) لدلالة الأول المثبت عليه (حتى يطهرن)، وحذف الثالث (فإذا طهرن) لدلالة الأول المثبت عليه (حتى يطهرن). بعكس ما تأوله د. مفتاح حين قدر في موضع الإثبات وأثبت في موضع التقدير فرأى أنه حذف الثاني (ويتطهرن) [وهو فعلا محذوف لدلالة الثالث عليه (؟)] [مع أن الثالث محذوف غير مثبت: فإذا طهرن]، وحذف الرابع (؟) [مع أن الرابع مثبت: تطهرن] لدلالة الأول المثبت عليه (يقصد: - حتى يطهرن). فقد افترض الأستاذ الباحث أن الطرفين المحذوفين هما: [2-4] بضد [2-3]. وانتهى به الاستدلال إلى التسليم بعدم حذف الطرف الثالث «لأنه مشبه به» ص (77) فأين التشبيه في آية المحيض؟ فهذا ماسميناه منذ قليل بقياس الغائب على الشاهد في الخطاب. والحق أن القسمة في الشاهد هي ما أثبته السجلماسي حيث «حذف من الأول ما أثبت في الثاني، وحذف من الثالث ما أثبت في الأول. ودلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات» (41). والتقدير بحسب السياق: «ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن» (42).

وإذا كنا متفقين على أن قراءة للإرث الأرسطي لم تتوفر بعد في المكتبة العربية، فإني أقول الشيء ذاته بخصوص الدراسات الأوربية والأمريكية المعاصرة باستثناء العمل الفريد والنوعي لروني طوم المومأ إليه سابقا (1988)، وهو عمل يحسن بالقارئ المختص أن يعود إليه لتكوين صورة واضحة ورصينة عن المفهوم العلمي للقراءة في منظور أحدث النظريات المطروحة على مستوى العلوم الإنسانية. ويبقى الحكم على النظريات البلاغية المحددة في الكتاب بأنها «تراثية» ص (58)، وعلى الدراسات البلاغية والدلالية في أوربا وأمريكا بأنها «إعادة قراءة» «لم تبتدع ابتداعا» ص (81)، وعلى القراءتين معا بأنهما «تتلاقيان في كثير من طروحاتهما رغم بعد الشقة الزمانية المكانية» ص (81)، أحكاما في حاجة إلى أرضية ابستمولوجية صلبة لخطورتها من جهة، ومظهرها غير المقنع والاعتباطي من جهة أخرى. إنها لاتعدو - في نظرنا - أن تكون مصادرات تشعرنا بحاجة المشروعات المماثلة إلى مزيد من إعادة البناء على أساس «نمذجة» (Modelisation) مغايرة وملائمة، وعلى قاعدة وصف وتمثيل أكثر إجرائية وتحوطاً من لغة الأحكام والمصادرات.

5 - قوانين التأويل:

أشرنا آنفاً إلى أن الأستاذ محمد مفتاح حدد القوانين المؤطرة للبنية التأويلية في ثلاثة أنظمة هي: التأويل بالبرهـ-ـان، والتأويل ببرهان البيان، والتأويل ببيان البرهان. ولكل نظام من هذه الأنظمة آلياته ووظائفه واستلزاماته النظرية والعملية. فالنظام الأول ينقسم عند الباحث إلى قسمين: التأويل بالبيان، والتأويل بالبرهان. وقد حدد الدارس في مقدمة القسم الأول من المقاربة الذي سيشكل موضوع اشتغاله (فصل وكشف ابن رشد، لباب المكلاتي، موافقات واعتصام الشاطبي)، ورغم مايبدو بين مكونات المتن من اختلاف في «الخلفيات الإبستمولوجية» «فإنها تعالج الإشكال نفسه، ألا وهو التأويل، وتتغيا الغاية نفسها التي هي الموافقة، وعليه فإنها تؤدي الوظيفة نفسها» ص (92). ولا تنطبق هذه المحصلة على نماذج المقايسة المعتمدة بنوعيها الطبيعي والاصطناعي، وأجناسها: الطبيعي الاضطراري، والاختياري، والاصطناعي اليقيني، والاستكشافي. فالنوع الأول بجنسه الأول متصل بحياة الكائن وتركيبه البيولوجي أو ما يدعى «بالترسخات الحيوانية» في نظرية الكوارث «ومن ينقب في الآثار اللغوية يجد ما أشرنا إليه هو النوى التي تفرعت عنها التعابير اللغوية المختلفة» ص (93). أما الجنس الثاني من النوع الأول فهو طبائع وأصناف أهمها التعليمي المتجسد في قياس الشاهد على الغائب ابتغاء تقريب المفهوم من الذهن. أما الجنس الأول من النوع الثاني بمعرفته اليقينية فمن فروعه النظرية الهندسة والرياضيات. والجنس الثاني من النوع ذاته «له وظيفة استدلالية استكشافية لأنه يتيح قياس المجهول على المعلوم» ص (94)، «وإليه ينتمي بناء القياس المنطقي على القياس الشرعي مثلا عند ابن رشد بل «إن ما نقوم به الآن في هذا البحث وفي هذا الكتاب - يضيف د. مفتاح - هو داخل في هذا النوع من المقايسة» ص (94-95).

والقسم الثاني (التأويل بالبرهان) تم فيه تحديد قوانين التأويل. وقد أوضح الدارس أن عملية النحت: «البرهـ-ـان» يسندها نظرياً انبناء القياس الأرسطي على نظرية التناسب الأفلاطونية من جهة، ووعي ابن رشد بقوة هذا الانبناء الذي أدى إلى أن يصير البيان عنده ممزوجاً بالبرهان، من جهة ثانية. ومن خلاصات هذا الفصل:-

(1) - مناداة ابن رشد بتوظيف التأويل المجازي لتقويم المعرفة بالنص. فالبرهان قد يخرق الإجماع السطحي فينتصب التأويل لسبر النص واستكناه دلالاته إلا في المبادئ الإيمانية فإنها لاتقبل التأويل.

(2) - للإجراء التأويلي مجموعة من الضوابط والقوانين التي بسطها ابن رشد في «الكشف»، واشتق منها الباحث قسمة نظرية تثير إشكالات جمة حول حدود المعرفة التأويلية وارتباطها بقواعد تداولية تتعلق بتفاوت أفهام وفهوم المتلقين. وهنا يطرح السؤال حول مدى إفادته من التجربة الصوفية (ابن عربي خصوصا) في إضاءة مكونات الحقل التأويلي (Herméneutique Mystique)

(3) - حصول توافق شبه تام بين ابن رشد والشاطبي في طبقات ومراتب التأويل، وفي البنية التأويلية أيضا.

(4) - كونية «نظرية الحد الأوسط» و«نظرية الطرف المحايد» «فهما عامتان شاملتان يمكن توظيفهما في حل مشاكل فلسفية وكلامية وسياسية وتأويلية (...) وفي تأويل النصوص» ص (99). فالنظريتان كلتيهما استلزامات منهجية على صعيد صياغة قوانين تأويل النصوص.

6 - التأويل ببرهان البيان:

بعد أن عرض الدارس لمحنة ابن رشد التي ترددت أصداؤها في «الذيل والتكملة» و«الغصون اليانعة» و«البيان المغرب» و«المرقبة العليا» ص (111)، وغيرها. انتقل إلى مقاربة المحاور النظرية في كتاب «لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول» لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي. وقد أبرز «أن الآليات التي وظفت في كتاب المكلاتي هي نظرية المقايسة التي تحولت إلى نظرية في المشابهة، وآليات نظرية المنطق الصوري والتأويل» ص (102). وأوضح الانتقال الطارئ في الفكر الإنساني من المقايسة الطبيعية إلى المقايسة الاصطناعية، وما يتعلق بهذا الانتقال من ارتباط بحاجات الأمة إلى الذود عن بيضتها وحماية مقومات هويتها. وقد استتبع هذا الإيضاح حديث مفصل عن مفهوم المقايسة وتطوره التكويني التاريخي واغتناء حمولته الوظيفية: (سياسة، اجتماع، تشريع، بلاغة، نظرية الفيض...). وفي سياق إنتاجية المقولات في المستوى القاعدي، ناقش الأستاذ الباحث بعض تصورات المدرسة الكاليفورنية (californian school) وخاصة «جورج لايكوف» (G.LAKOFF) (1980) في مباحثه السيكومعرفية «التي تعتمد على تفاعل الجسم مع العالم الخارجي، والتجربة الاجتماعية، والكفايات الفطرية على إسقاط بعض مظاهر الجسم الراسخة والتجربة التفاعلية على البنيات المفهومية المجردة. وهذه القدرة الإسقاطية التخييلية تسمح بتأويل التراتبات الموجودة في الثقافات الإنسانية وبخلق تراتبات جديدة حسب الثقافات والمعرفة الفردية والمقاصد» ص (105).

ومن الواضح أن «لباب العقول» من المحاولات الأساسية في توظيف الاستراتيجية الصورية في مقاربة الإلهيات. وفي هذا الصدد رفض «المكلاتي» قياس الشبه والاستقراء، واعتمد القياس الشمولي - البرهاني في المناظرة الكلامية. وقياس الشمول ينقسم إلى ثلاثة أقيسة أفاض فيها المتكلمون: وهي قياسات التداخل والتلازم والتعاند وهذا الأخير هو الذي سيمثل له د. مفتاح أثناء حديثه عن ردود «المكلاتي». والحق أن المفاضلة بين قياس الشمول وقياس التمثيل إنما تتم بالنظر إلى المواد كما أوضح ذلك «ابن تيمية» بقوله: «... فأما ما يقوله طائفة من النظار من أن قياس الشمول هو الذي يفيد اليقين دون التمثيل فهذا لايصح إلا بحسب المواد بأن يوجد ذلك في مادة يقينية وهذا في مادة ظنية وحينئذ فقد يقال بل ذلك اليقين دون هذا. وسبب غلطهم أنهم تعودوا كثيراً استعمال التمثيل في الظنيات واستعمال الشمول في اليقينيات عندهم، فظنوا هذا من صورة القياس وليس الأمر كذلك. بل هو من المادة» (43). وقد قصد ابن تيمية من ذلك غلط المجوزين لإدخال الذات وغيرها تحت قياس الشمول الذي تستوي أفراده ولا تحت قياس التمثيل الذي يستوي فيه حكم الأصل والفرع فإن الله تعالى ليس كمثله شيء» (44). وعلى كل فإن رفض «المكلاتي» توظيف القياس في الإلهيات له ما يسوغه ضمن بنية الفكر التأويلي عنده، وذلك يقطع بامتلاكه ناصية المنطق. ولعل ذلك يتضح أكثر في جهازه المفاهيمي بخاصة. وقد استعرض د. محمد مفتاح نماذج من ردود «المكلاتي» على

البقية ص 10

مبادئ التلقي والتأويل وآفاق التأسيس النظري

تابع ص 8

خصوصه في القول بقدم العالم، وذبول الشمس، وانقسام النفوس الإنسانية، وواجب الوجود بنفسه.. الخ، ووقف عند أمثلة من أقيسته مستظهرا في تحليلها بالاستفادة طورا على القدرة الجدلية التوليدية، وطورا آخر بالنقض الراجع (بفتح الجيم) لمقدماته، على الطريقة السقراطية، وأبان المصنف في كل ذلك عن قدرة حجاجية فريدة. والملاحظ في هذا السياق أن الباحث لم يناقش الأدلة الرياضية والهندسية والفيزيائية من أي وجه وقعت، وعلى أي أساس يصح اعتمادها في التوجه الجدلي، وما وجه الترابط بين مبادئها ومبادئ المنطق الصوري؟؟

ومن جانب آخر، أوضح الأستاذ الباحث أن قياسات «الغزالي» إذا نظر إليها من منظور حديث، في أزمنة الثورات المنطقية، صار أغلبها في حكم المرفوض، وهذا صحيح وإن كان في متناول قلة من المناطقة الذين خبروا المنطق الحديث بأنسقه النظرية الحديثة، ومدارسه واتجاهاته الجديدة، وقاده الاعتماد على «جورج لايكوف» إلى افتراض وجود نوع من المقايسة الخفية في عمل «الغزالي»: «مردها إلى تفاعل جسم الإنسان وفكره مع محيطه، وإلى قابليته التخييلية والفطرية»(116)، ثم انتهى به المطاف إلى القول بأن «كثيرا من الاتجاهات الإبستمولوجية المعاصرة هي علم كلام جديد (كذا)! وقد يكون إلهها هو المحسوب بذاته وصفاته وأفعاله (كذا)»، ص(118). والذي ينبغي التأكيد عليه هو أن هذه المقايسة ذاتها لا تسلم من الاختزال، وتدل من عدة وجوه على ضعف البناء النظري للمقاربة المعتمدة في هذا الفصل. وإذ نلح على ضرورة الفصل بين تلك الاتجاهات المتمايزة إلى حد الصراع والاختلاف، وحصر قطاع يسير منها في مرجعية الدكاء الاصطناعي، ننبه بالتبع إلى أنه لا الاتجاه الوضعاني (Positiviste) ولا الاتجاه التجرباني (Empiriste) بمقبولين راهنا في الإبستمولوجيا الحديثة. وحسب الدارس أن يعود إلى أعمال «روني طوم»، و«بنيتو لوكوربا»، و«جيرالد هولطون»، و«طوماس كون»، و«إيزابيل ستنكرز»، و«فيرابند»، وغيرهم ليطلع على خطورة التوجه التجريبي - الوضعي في النظريات العلمية.

7 - التأويل ببيان البرهان:

يقول الجابري (1986): «لا يمكن مناقشة نظام معرفي ككل إلا من خارجه، أي بالاستناد إلى معطيات نظام معرفي آخر، بصورة صريحة أو ضمنية»(45)، وهذا ما نلحظه في الفصل المعقود للتأويل ببيان البرهان، ولإدراك خطورة هذا الفصل لابد للدارس من الاستنارة بمقاربة د. محمد عابد الجابري لنظم المعرفة في بنية العقل العربي؛ ذلك أن في عملية المقارنة - وذلك ما أن أحاوله الآن - ما يشعر باتفاق الباحثين كليهما في حصول «الإدراك العميق (عند الشاطبي) لأبعاد النقلة الإبستمولوجية التي عرفها الفكر العربي مع ابن حزم وابن رشد والمتمثلة في نزعتها العقلانية الرامية إلى تأسيس البيان على البرهان»(46)، واتفاقهما أيضا في جوهر فلسفة المقاصد، وتجريدها على أساس البرهان بحيث تكون بنية الشريعة «مركز الدائرة البيانية» حسب مفهوم الجابري بنية علمية مؤسسة على البرهان قوامها جملة قيود ضابطة في حفظ المصالح، والإفهام، والتكليف، ودخول المكلف تحت أحكام الشرع. ولكن الباحثين - مع اتفاقهما في الدور التأسيسي لمشروع الشاطبي يتمايزان في استراتيجية الموقف التحليلي إزاء تداولية منظومته المعرفية والنظرية تمايزا يصل حد التباين. وذلك يعود حتما لاختلاف الأرضية الإبستمولوجية للقراءة والرؤية وحدودها أيضا. فكتاب «التلقي والتأويل» يتخذ مقاربة للمشروع التأويلي في أنظمة «برهان البيان» و«البرهان - بيان» و«بيان البرهان». مقاربة لا تقف فقط عند تحديد وضعية التراتبي في نسق البنية المعرفية الكبرى، ووظيفة تشكيله لمفاهيمه وقوانينه، وتكوينه لاستراتيجية الخطاب، بقدر ما تهدف إلى بيان تفاصيل الفرضيات الثلاث (فرضيات الانطلاق المشار إليها في مقدمة المقال) وتصحيحها في إطار منهاجية تفاعلية علائقية ذات حدس بنيوي/نسقي، تستدعيها معطيات مستوحاة من نماذج نظرية (MODELES THEORIQUES) محددة، واختيارات إبستمولوجية مركزية معللة، على نحو ما أبرز ذلك د. مفتاح. ومن ثم فإن البحث في المنظومة بحث «هادف» يقترن تلازميا وإجرائيا بإنتاجيتها في ضوء، وفي مواجهة المعرفة الإنسانية المعاصرة على أساس صريح من آليات ومعطيات هذه المعرفة ذاتها.

وعلى العموم، فقد أشار الأستاذ مفتاح، في الفصل الثالث، إلى استنصار أبي إسحق الشاطبي بالمنطق «لضبط التأويل، ولإنشاء التوليد»، ص(121)، ومع تأثره بالغزالي فإنه لم يقل مقالته في الفلسفة والفلاسفة فقد حمل عليهم في كتاب «الاعتصام»(47) كما حمل على المتكلمة من حرورية، وخوارج، وإمامية، وغيرهم. ولبناء الارتباط المفكوك من حيث المنطلقات والأطر المرجعية، اهتدى الباحث إلى مخرج هو الأخذ «بمنهجية ابن رشد الكونية خصوصا نظرية التوسط ونظرية الطرف المحايد» وإذا ما أخذنا بهما فلن يكون هناك تقابل بين ابن رشد وبين الشاطبي، وإنما ستكون هناك نقاط التقاء كثيرة، ص(122).

إن الشاطبي متفق مع مبدأ التراتبية في التبليغ وما يستتبعها من مطابقة الخطاب لعقل المخاطب «فالفلسفة - على فرض أنها جائزة الطلب - صعبة المأخذ، وعرة المسلك، بعيدة الملتمس، لا يليق الخطاب بتعلمها كي تتعرف آيات الله ودلائل توحيده للعرب الناشئين في محض الأمية. فكيف وهي مذمومة على ألسنة أهل الشريعة، منبه على ذمها بما تقدم في أول المسألة»(48). وعلى هذا الأساس «فإنه إنما يصح - في مسلك الإفهام والفهم - ما يكون عاما لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ والمعاني؛ فإن الناس في الفهم وتأتي التكليف فيه، ليسوا على وزان واحد، ولا متقارب، إلا أنهم يتقاربون في الأمور الجمهورية وما والاها، وعلى ذلك جرت مصالحهم في الدنيا، ولم يكونوا بحيث يتعمقون في كلامهم ولا في أعمالهم إلا بمقدار ما لا يخل بمقاصدهم، اللهم إلا أن يقصدوا أمرا خاصا لأناس خاصة، فذاك كالكنايات الغامضة، والرموز البعيدة، التي لا تخفى على الجمهور، ولا تخفى عمن قصد بها، وإلا كان خارجا عن حكم معهودها»(49).

ويرتبط مبدأ تراتبية التبليغ بالفلسفة العامة للمقاصد من حيث النظر في معاقد الشريعة بديلا عن اتباع الظاهر على غير تدبر؛ ومحاربة المتكلمة والشدة على أصحاب البدع وفقا لاستراتيجية محددة ومدروسة في الرد على «مخرصاتهم» و«شناعاتهم» بالتعيين حينا والستر أخرى مخافة نشر الوحشة والفرقة في صفوف الأمة. والخيار الثاني (الستر والسكوت على التعيين) هو عند الشاطبي أولى «إلا أن تكون البدعة فاحشة جدا كبدعة الخوارج، فلا إشكال في جواز إبدائها وتعيين أهلها»(50)، غرضه من ذلك جمع الشتات، ورأب الثأي، وحمل الكافة على مقتضى أصول الشريعة. أما مراتب المطابقة بين الخطاب وعقول المخاطبين فيرتكز عنده على ألا «يذكر للمبتدىء من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يربي بصغار العلم قبل كباره»(51). وحذر من الزيغ عن إعمال التناسب والتكافؤ بين الخطاب ومطالبه ومقامات المخاطبين، «وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري وفق المصلحة الشرعية والعقلية»(52). فهذه كلها عنده قواعد لا تنخرم في بناء تواصل منتج وفعال بين الخطاب والمخاطبين على اختلاف مداركهم وطبقاتهم، وهي القواعد نفسها التي رأى فيها د. مفتاح تأييدا لقوانين ابن رشد في تداول المعرفة، ومن ثم اتساقا وانسجاما في البنية الداخلية لخطاب الشاطبي المبني على مناهج البرهان «لأنه من الخاصة وليس من الجمهور تبعا لمذهب ابن رشد»، ص(122).

أما الخاصية الثانية لجوهر فلسفة المقاصد فتتمثل في إرسائها على قاعدة التداول الإجرائي كضابط عملي لأي اشتغال نظري وضرورة تعطيل ما لا يغني من العلم: فكل «مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي؛ وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا»(53)، ذلك أن «عامة المشتغلين بالعلوم التي لا تتعلق بها ثمرة تكليفية، تدخل عليهم فيها الفتنة(..) ويكون بينهم الخلاف والنزاع المؤدي إلى التقاطع والتدابر والتعصب حتى تفرقوا شيعا، وإذا فعلوا ذلك خرجوا عن السنة»(54). وفي تصوره أن «الفلاسفة تبرأ المسلمون منهم، ولم يكونوا كذلك إلا بتعلقهم بما يخالف السنة»(55). ولقد ناقش الأستاذ مفتاح في التأويل ببيان البرهان قضايا عديدة، أحرص منها على ذكر:

(I) - استصعاب أبي إسحق لباب الحد، وركونه إلى الصفات الذاتية والعرضية في استجلاء الماهية.

(II) - اعتماده على مبحث الكليات لحل مسائل فقهية وأصولية وشرعية أقام على أساسها تناظرات ومشابهات مستوحاة من عالم الظواهر!

(III) - استناده على نظرية التعريف ابتغاء الوصل بين المسائل الفقهية والأحكام الشرعية.

(IV) - توظيف الباحث، من جهته، لمكونات المربع السيميائي في مناقشته لجملة من المسائل المنهجية المرتبطة بعلائق قضايا الموافقات بعناصر المربع مما أدى إلى استنتاج انفتاح مجال العلائق على موضوعة الاجتهاد.

(V) - تناوله لآلية الاستدلال الذي يفيد جوانب شتى في أوضاع الخطاب الأصولي عند الشاطبي مستندا على بعض الأدوات التحليلية التداولية التي سبق للأستاذ محمد خطابي أن أثارها في كتابه «لسانيات النص»(1991) (الفصل الثالث).

(VI) - بناء الشاطبي لجهاز مفاهيمي يتعلق باستراتيجية التأويل، ولعل المبدأ العام - كما يقول د. مفتاح - هو ما يمكن أن نسميه بمراعاة المجال التداولي. ويمكن تفريع هذا المبدأ إلى عدة قواعد: قاعدة مراعاة أوضاع النزول، وأوضاع المؤول له [...] وقاعدة مقتضيات الأحوال ومجاري العادات، وقاعدة اتساق النص بما تعنيه من رفض التعارض بين النصوص والأخذ بعين الاعتبار تعالقها، ص(133).

وأوضح د. مفتاح سلطة المؤول وحملته على المتكلمة ممن يلقبهم «بأهل الزيغ» (انظر القسم الرابع من كتاب الأدلة الشرعية)، وعلى الفلاسفة منادياً بتجنب المغالاة في التأويل، ومراعاة تراتبية الأفهام، وموضحاً انعكاسات التقبض على فهم خطاب الشارع. وأبرز - نقلاً عن الشاطبي - فصل التفرقة بين شرائط ومجالات النصوص القابلة للتأويل أو تلك التي يتعدى معناها الحرفي الظاهر إلى باطن تحمله الضمائر مفترضاً في نهاية المطاف وجود توجيه لا تحتمل التأويل والمجاز - على أن هناك مرتبة وسطى بين هذين وهي ما يلزم تأويله إذا تعين الدليل قبل المتشابه الإضافي. وما لا يلزم تأويله مثل المحكم الإضافي، ص(133). ويظل المؤول حائزا على خلفية معرفية تجمع جملة من المعارف والمعارف القسمية الضرورية.

وقد استوقفتني - بالمقابل - ملاحظات أفرزتها المساءلة النقدية لهذا الفصل، منها:

(I) - تغييب خطاب ابن حزم مع أن «ظاهرية ابن حزم» منظورا إليها من الزاوية الإبستمولوجية المحض، هي مشروع فكري فلسفي الأبعاد يطمح إلى إعادة تأسيس البيان وإعادة ترتيب العلاقات بينه وبين البرهان مع إقصاء العرفان إقصاء تاما»(56).

(II) - إذا كان الاجتهاد من جهة طلب الحكم نوعين: عقلي (كحدوث العالم، وإثبات الصانع، وإثبات النبوة الخ) وشرعي يختص بالأحكام الشرعية وما إليها، فإن تناول إبستمولوجيا الاجتهاد في سياق متغيرات العلوم الإنسانية يفرض بالضرورة تحديد موقف الدارس من إجرائية التأويل وإنتاجيته الأونطولوجية في هذا النطاق مع إثارة الإشكالات الأساسية في بنية النسق لاسيما إذا علمنا مثلا أن الشاطبي شدد على دقة هذا النطاق «لا يلزم المجتهد في الأحكام الشرعية أن يكون مجتهدا في كل علم يتعلق به الاجتهاد على الجملة، بل الأمر ينقسم، فإن كان ثم علم لا يمكن أن يحصل وصف الاجتهاد بكنهه إلا من طريقه فلابد أن يكون من أهله حقيقة حتى يكون مجتهدا فيه، وما سوى ذلك من العلوم فلا يلزم ذلك فيه وإن كان العلم به معينا فيه ولكن لا يخل التقليد فيه بحقيقة الاجتهاد»(57). ولو عالج الأستاذ الباحث شيئا من ذلك لوقفنا على تخليط الشاطبي في بعض قوانين المنطق كقياسه حصول العلم بصحة الاجتهاد للمجتهد الجاهل بالمقدمات، على برهان الخلف في صناعة المنطق؟ وهاك تعريفه الشاطبي في «الموافقات»: «وبرهان الخلف مبني على مقدمات باطلة في نفس الأمر، تفرض صحيحة فيبنى عليها فيفيد البناء عليها العلم بالمطلوب»(58). ولاشك أن لفلسفة الاجتهاد عند الشاطبي صلة وثيقة يحتفظ به في الغائية السياسية كما لا يخفى.

(III) - لم يناقش د. مفتاح بعض الاعتراضات في أدلة الشريعة؛ ولا يخفى اعتراض ابن تيمية مثلا على المشتغل في الأصول (من ذلك مسألة القياس بالمسح في آية «إنكم وما تعبدون» سورة الأنبياء، آية 98 في «شرح العقيدة الإصفهانية») ومقاربة ذلك بكلام الشاطبي على الوضع الأصلي والوضع الاستعمالي. وإن غير ذلك كثير لم ينتبه إليه الأستاذ الفاضل رغم اتصاله بمنطق المقاصد وتطلبه إياه لمزيد من التعمق في فهم أوجه بنائه، وتطلبه أحيانا للظاهر.

(IV) - أشار الشاطبي إلى أن أفعال المكلفين في الشرع لها اعتباران: - الاعتبار العقلي «وبيان ذلك أن الفعل المكلف به أو بتركه أو المخير فيه يعتبر من جهة ماهيته مجردا عن الأوصاف الزائدة عليها واللاحقة لها، كانت تلك الأوصاف لازمة أو غير لازمة»(59)، فالاعتبار الخارجي «ويعتبر من جهة ماهيته بقيد الاتصاف بالأوصاف الزائدة اللاحقة في الخارج، لازمة أو غير لازمة»(60)، وقد قاده إلى هذا التفصيل التنازع في مسألة صحة الصلاة في الدار المغصوبة، فأدى به تقليب الأمر عقلي ووجوهه إلى تفصيل القول في ماهية الإنسان المعقولة من حيث اشتراط نقلها من الكلية إلى الخصوص عبر التشخص وزيادة امتيازها عما سواها بلازم من لوازمها الذاتية. فيظهر إذن أن «الأمور الخارجة العارضة لازمة لوجود حقيقة الإنسان في الخارج»(61)، كل ذلك لتثبت فقهيا ضرورة الرجوع فيما يخص الصفة الوجودية إلى ما يكون حاصلا في الخارج، وليس بهذه بالذات انقياس المسائل الفقهية على الظواهر الطبيعية كما تناول الأستاذ مفتاح.

(V) - حاجة الخطاب الشرعي إلى إعمال المنهج التاريخاني لتأطير مقصدية الخطاب تأطيرا بنيويا يعيد إدراجه في النسق ويخلصه من ضيق مقصدية الخطاب الشارح الذي يختزل شروطه وتشكيلاته المتنزلة بمعنى على الإطار العام لفضاءات المفاهيم والتصورات. والخطوة الضرورية في هذا التحليل هي العمل على تحديد الروابط الخطابية بين النظرية والأيديولوجيا مع إيجاد وسيلة علمية تمكن من دمج هذا التحديد عمليا في البحث عن البنية الأيديولوجية في الخطاب.

8 - خلاصة عامة

يعتبر الأستاذ محمد مفتاح أن «المشروع الفكري والسياسي» محدد مركزي في بنية التأويل إجمالا. فهو في النهاية تأويل موجه وهذه نقطة أولى أما النقطة الثانية فتتعلق بمكونات ومبادئ المنظومة التأويلية وهي القائمة على القول بأنه «مهما كانت أجناس النصوص وأنواعها وأصنافها فقد ترجع إلى القسمة الثنائية المعروفة من كون الكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز. فإذا كان الكلام حقيقة صرفا خالصة فإنه لا يجوز تأويله. وأما إذا كان الكلام مجازا فإنه يجب تأويله حتى تتلاءم دلالة تعابيره مع المعقولية. ولكن للتأويل مستويات. هناك مستوى لا يقوم به إلا الراسخون في العلم، وهناك مستوى لا ينجزه إلا خواص العلماء» ص(141). وبتعين احترام مراتب الأقيسة بالنسبة إلى المؤول له: البرهان ـــ الخاصة؛ الجدل ـــ الجدليون؛ الخطابة ـــ العامة. ولهذه القسمة استلزامات عملية بحكم ارتباطها العضوي والحيوي بالأمن الاجتماعي وتجاوز مظنة الفتن.

تستند البنية التأويلية عند ابن رشد والغزالي والشاطبي على تمثل الآليات المنطقية وتوظيفها توظيفا منهجيا في «ضبط الأجناس والأنواع والأصناف على المستوى العمودي، وضبط مستويات «المماثلة والاختلاف، والمشابهة والافتراق..» على المستوى التركيبي الأفقي، ص(142). وقد تأسس المنطق الداخلي في خطابات هؤلاء على جملة من العلائق المنطقية المتسقة والمتماسكة وذات الصبغة التداولية مما يسبغ عليها سمة التساوق النظري مع أحدث التنظيرات في مجالات تحليل الخطاب. ومهما بعد البون بين الأنساق والأنظمة التأويلية المعاصرة، فإنها تشكل - في نظر الدارس - امتدادا تحويليا أو تنظيريا للمرجعية الأرسطية، والمرجعية الهرمسية، على ما بين اتجاهات علوم التأويل قديما وحديثا من اختلاف في المقاصد والمواقف الفكرية إذ لكل «تيار تأويلي مشروعه الفكري والسياسي الخاص به»، ص(144). وعلى الباحث المعني بأي مشروع أن يبني قراءته بناء إبستمولوجيا ومفاهيميا يؤطر الخطاب تأطيرا علميا ويستند على لغة واصفة تحافظ على تماسك النموذج ومقولاته الإجرائية وتتيح إمكانية تقويمه وتحديد ملاءمته أو عدم ملاءمته وفقا للمعايير العلمية المعتمدة في ذلك.

وإذا كانت المقالات (الباب الثالث) إنما تكون تتميما للحد - كما قال «المكودي» - خلافا للشرح الذي يأتي بعد تمام الحد؛ فإن مساق المقالات هو عندي مساق الوصل والفصل، والوصل هنا وصل تفصيل بإيراد حدود ستتعقبها بالمساءلة والمراجعة، والفصل ثم فصل استدراك وتعقيب، وسيكون ذلك كله موضوع مقال تكميلي آخر ننشره في أجل قريب. والله الموفق إلى الصواب، والهادي إلى سواء السبيل.

سطات في 16-6-1995

هوامش

(32) - (م.ن) - ص (205).
(33) - (م.ن) - ص (200) وفيها تحديد لإطار الوصف الرياضي.
(34) - الروض للزبيع، ص (109).
(35) - النزع البديع، ص (383 - 384).
(36) - (م.ن) - ص (276).
(37) - الروض، ص (143).
(38) - النزع، ص (196).
(39) - الروض، ص (144).
(40) - النزع، ص (197).
(41) - (م.ن) - (ص.ن).
(42) - (م.ن) - (ص.ن).
(43) - شرح العقيدة الإصفهانية لابن تيمية تح الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، مصر 1329 هـ ص (43).
(45) - بنية العقل العربي للدكتور محمد عابد الجابري، ط(1) - 1986، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ص (243).
(46) - (م.ن) - ص (552).
(47) - الاعتصام لأبي إسحق الشاطبي، تح أحمد عبد الشافي ج(1)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط(2)، 1415 هـ ص(17) ومايليها.
(48) - الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، تح عبد الله ومحمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ج(1)، مجلد(1) ص (38).
(49) - (م.ن) - ص (65) ج(2) - مجلد (1).
(50) - الموافقات للشاطبي، ج (4)، ص (131)، مجلد(2).
(51) - (م.ن) - (ج.ن)، ص(138).
(52) - (م.ن) - ص (138-139).
(53) - (م.ن) - ص (31)، ج(1) مجلد (1).
(54) - (م.ن) - ص (34).
(55) - (م.ن) - ص (35).
(56) - بنية العقل العربي، ص (528).
(57) - الموافقات، ج(4)، ص(78).
(58) - الموافقات، ج(4)، ص(80).
(59) - الموافقات، ج(3)، ص (25).
(60) - (م.ن) - (ص.ن).
(61) - (م.ن) - ص (27).

العلم الثقافي

■ السنة 28 ■ السبت 21 فبراير 1998
ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب ■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله = الرباط ■ الهاتف : 73.02.37 ■ الفاكسميلي : 73.38.96 = ISSN 0855 ■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

مناقشات

ندوة النقد الأدبي في المغرب:
الأسئلة الغائبة

• عبد الباسط الكراري

في «مستقصى» الزمخشري مثل سائر يقول: «النقد عند الحافرة». والمعنى «أن السلعة إذا قلبت ونُظر إليها نظر تفتيش عنها وتأمل وجب أن ينقد ثمنها». وحيث إنه أتيح لي مؤخرا تصفح العدد الأخير من مجلة «فكر ونقد» المخصص لسؤال النقد الأدبي في المغرب، فمن أوجب الواجبات علي أن أسدد الحساب في عجالة مستسمحا الإخوة الأفاضل. ويعضهم أدرى باحتلاله سويداء القلب مني وإن كان لديغني إلا أحابي أحدا - أن أختلف معهم جذريا مع ملاحظة انحدار خط مقاربة أسئلة النقد في الندوة المذكورة.

■ تساءلت بداية عن وضعية النقد المسرحي، ونقد الشعر (الغائبين الأكبرين) أمام تضخم البحث السردي في المشهد النقدي المغربي، وتساءلت أيضا عن طرائق وكيفيات التأريخ للنقد الأدبي في المغرب، وعن المفاهيم الكبرى التي تنتظم بنية وتسيج خطابنا النقدي وطرائق تأطيرها مرجعيا ونظريا، وتساءلت عن الوعي ببناء النماذج (Modélisation) أحاصل هو لدى الشريحة المنتورة من النقاد المغاربة أم غير حاصل؟ وما هي تمظهراته في ظل افتراض إمكانية قيامه على أسس إبستمولوجية وفلسفية؟... تساءلت وتساءلت ولكني لم أظفر. فيما عدا بداهات وتصنيفات وترضيات. بما يشفي الغليل، ووجدتني أمام حيرة المتتبعين حيال مخاضات النقد الأدبي في المغرب، وجدتني أردد مع بشر بن أبي خازم:

فكانوا كذات القدر لم تدر إذ غلت　　أتنزلها مذمومة أم تذيبها

والحق أن كل المؤشرات تشعرنا بأننا إزاء ولادة قيصرية أملتها محض إرغامات بروتوكولية وإلا فما يمنع أصلا من مراكمة الشروط العلمية والتنسيقية الضرورية لإنجاز ملف متكامل يسم المادة يرقى حقا إلى تطلعاتنا الندية ويعكس بعمق ما يعتمل في أهضام المشهد النقدي المغربي من جدل واختلاف وحوارية.

حقا لقد بذل الإخوة مجهودا مشكورا في الإحاطة ببعض الأسئلة والقضايا الجوهرية في المشهد النقدي، ولكنه لم يرق. والحق يقال. إلى المؤمل من ندوة تنتظم للتداول في قضايا النقد المغربي.

ولقد حاولت أن أحصي أدواء الجسد النقدي تحت مشارط هؤلاء النطاسيين فأجهدني العد والإحصاء. ولا بأس أن أذكر ببعضها نصيبا. في قسمين: تغييب خصوصية النص/ النقص الحاصل على مستوى مراكمة معرفة جديدة بالدرس الأدبي /وفرة التنظير أمام شحة الأدب /تطبيق منهجيات من خلال نصوص ما تزال قيمتها مشكوكا فيها/ الوضع المفارق للممارسات النقدية في غياب النصوص الحقيقية التي تؤسس لتلك الممارسة. هذا فيما يتعلق بالنص، أما القسم الثاني المتعلق بسوء تمثل وتوظيف المناهج فقد أشارت المداخلات إلى: الالتباس المفهومي الناجم عن التمييز بين النقد والعلم الأدبي دون مرجعية واضحة/ التوفيق والانتقاء والانتشار والتجزيء (بالمعنى الإيجابي الديناميكي لهذه المزق!: ص (102)/ عدم توفر الحد الأدنى من التراكم الثقافي لدى المؤلف!! / العجلة والإزدراد بدلا من التمثل العميق والأني للأجهزة المفاهيمية والإصطلاحية / ارتباط الأزمة بشكل التمثل النظري للمناهج /تجليات السلطة المرجعية للآخر في المشاريع النقدية مع تلقي هذه المرجعية مجزوءة مشطورة/ التهاجوية/ التعدد غير المبرر (كذا) في المناهج والتنظيرات / غياب تعريب (كذا) المناهج والنظريات /غياب الابتكار في الخطاب النقدي الحديث.. على أن هناك من ذهب إلى حد الدعوة الصريحة إلى الضرب صفحا عن النظريات وجعلها وسائل للاستئناس فقط!

أمام تلك «المآزق»، من حق كل قارئ أن يتساءل عما إذا كان من الجائز أصلا الحديث عن ممارسة نقدية صحية في رزنامة الإنتاج النقدي في المغرب. أما التساؤل عما يكون قدمه هؤلاء النطاسيون الحكماء للخروج من واقع الأزمة فسيكون بالسلب قطعا. خلا وصف الظواهر وملامسة السطوح والنتوءات، واللياذ بالنقد الأبيولوجي للمناهج والنظريات والافتقار الواضح للمرجعية الإبستمولوجية.. لكن أليست مهمة الناقد، قبل كل شيء، ممارسة الحفر والتعرية لواقع الثقافي؟ ألم يقل «ت.س. إليوت» إن النقد ليس غاية في ذاته ولكنه مجرد وسيلة للفهم والتحليل والتبصير. وربما التظاهر بالتناول العقلاني للظاهرة وإخفاء التصور الأدواتي للمنهج خلف غطاء من المفاهيم المتفاقمة.

لقد ذكرتني مداخلات ندوة «النقد الأدبي في المغرب» بشبيهة لها في مصر، انعقدت تحت عنوان: «هل النقد العربي تابع؟»، والفرق بين الندوتين أن هذه الأخيرة التأمت حول ورقة نقدية قدمها د. سيد بحراوي أرضية للنقاش، مستوحيا مادتها من كتابه «البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث» 1993. فيما اقترحت الندوة المغربية محاور ثلاثة مفتوحة، فكانت التقاطعات أقل من علامات الاختلاف، وتواترت المداخلات التي شكلت نقاط ارتكاز مرجعية في وتيرة النقاش، حضرت لغة الأحكام وبريق الاستشرافات، وغابت أسئلة تمنيت لو كانت محاور ثابتة في كل ندوة تقارب واقع النقد في العالم العربي في علاقاته المتشابكة بذاته أولا (أي فيما يرتبط بعبير وجوده) وبالإبداع ثانيا (أي فيما يتصل بمجالات اشتغاله).

وحتى لا أتكا جروح علاقة الخطاب النقدي في المغرب بالإبداع الروائي والشعري والمسرحي. وهو موضوع سأتناوله لاحقا. أريد في هذه الشذرة التأملية أن أكشف عن بعض وجوه خطابنا النقدي في علاقته بمرجعياته علما بأن لهذا الجانب انعكاسا في المحصلة على طبيعة تفكير ذلك الخطاب في مسألة الإبداع ذاته.

ما أحوج القارئ الناقد إلى ندوات وأبحاث علمية تقارب التراكمات النقدية المغربية على اختلاف وتنوع مشاريعها ومرجعياتها مقاربة علمية تطرح عنها الانبهار العاجز، وخمول الازدراد والاجترار، واستمراء التلميع والمفاضلة. كم هو مهول فراغ الخزانة النقدية المغربية والعربية على السواء من أبحاث دقيقة في إبستمولوجيا المناهج النقدية، ناهيك عن إبستمولوجيا النماذج والنظريات. ولا يخفى أن بعض الذين صاروا مضرب المثل في قيادة قاطرة النقد الأدبي في المغرب، يتحملون مسؤولية أدبية جسيمة فيما آل إليه وضعه الآني.

ذلك أنهم لو تنافسوا. بموازاة إنتاجاتهم النقدية. في تأسيس وانضاج الشروط العلمية لمساءلة ومحاورة البناءات النظرية ورصد مفاهيمها على أسس نقدية، وركائز إبستمولوجية لكان للنقد المغربي مسار آخر. بيد أنهم كانوا يفكرون بعقلية تشابهية، يتحركون بإيعاز من خلفية بيداغوجية سكولاستيكية تروم التعريف بالمناهج الحديثة في صيغة اختبارية أو نظرية (فكروا معي في «سيمياء الشعر القديم»، و«استراتيجية التناص»، ومن أجل تحليل سوسيو بنائي للرواية، الخ.. والأعداد الخاصة من «آفاق» حول «البنيوية التكوينية»، ونظرية التلقي، الخ، فضلا عن سيل الترجمات منذ عقدين تقريبا). كان الحاضر الأكبر في هاجس الاشتغال والمقاربة هو الهيكل الترسيمي (Schematique) والأدواتي للمنهج، وكان المتحكم البارز في فكر النقاد هو قابلية التحقيق والتطبيق الميدانيين على نصوص الإبداع. وبدلا من الاعتراف بمبدأ «لا قياسية النظريات»، وجدنا الأستاذ محمد مفتاح يقول: «كل نظرية في العلوم الإنسانية والأدبية هي تلفيق بمعنى ما». متناسيا أن ثمة فرقا استراتيجيا بين التوفيق النسقي المنتظم والمحكم، المرتكز على وعي علمي بالنموذج وكيفية بنائه، والتوفيق الفوضوي العابث بالنسق، أو ذلك الذي يتوسل بالتناظر والتشابه المفهومي لتبرير التراكب والملغمة (AMALGAME)، أو ما أسميه بالخليط الكيميائي.

وغاب عن أذهان أولئك الذين سقطوا. عن حسن نية. في إعادة إنتاج الوصفات الجاهزة أن علوم الخطاب التي تنصب نفسها ناطقة باسم الخطاب العلمي في دائرة الآداب الإنسانية لا يمكن. على حد عبارة جان كلود كاردان. أن تكون بالفعل علوما إلا إذا مارست خطاب العلم، أما الباقي فليس إلا أدبا. ويغيب اليوم عن أذهان المشتغلين بعدُ وتصيد مازق خطابنا النقدي الحديث، أن البحث النظري حين يفتقر إلى دينامية باطنية تغذيه، وإلى قلق جدلي يفجر مكامنه الساجية، قد يتحول إلى بحث عن النظائر الجاهزة لتدعيم قدرته على الصمود بصلابة في وضعية توالد ذاتي ضمن ما أسميه «دورية الختم والابتداء». هل يجرؤ أحد على نفي خاصية الدورية الرتيبة عن إنتاجات نقادنا؟ حقا «لا يكاد يستقيم تصور منهجي على يد ناقد إلا ونجده في دراسة أخرى قد انتقل إلى منهج مغاير، كما لاحظ بدقة عبد القادر الشاوي، والأمثلة وافرة. لكن الأخطر في نظري هو لملمة النظريات من الهوامش والشروح، واللياذ بالصورنة الفجة، والترسيمات الباطلة، وترسانة المفاهيم المفارقة لأسيقتها وفضاءاتها المعرفية تظاهرا بالعلمية في الخطاب عوض تقصيهم التحقيق ورد الفروع إلى الأصول. ولقد أتيح لي المرار العديدة أن أشدد على أن أحد أسباب دورية الختم والابتداء، في المنجزات النقدية ذات المنزع التجريبي أو التنظيري، غياب الرهان العلمي المتعلق ببناء النماذج، وانفراط العقد الإبستمولوجي الرفيع بين كل طور من أطوار السؤال المنهجي في مسارات صوغ الخطاب النقدي لدى نقادنا. فتبدو إجراءات البلورة والتطوير، من ثم مجرد طفرات أفقية. سطحية، مفصولة عن أي اقتضاء داخلي يمليه المنهج أو الرؤية، أو تلح النظرية في طلبه لتجديد هياكلها وأبنيتها على ضوء ما تشهده ساحة العلوم الإنسانية من تطورات وتحولات. ومن نحو آخر، تبدو النقلات، من كتاب إلى آخر، فصامية مفصولة جذريا عن أسئلة الواقع الفكري والثقافي المحلي، فمركزها المنتظم تحكمه متغيرات مزاجية سباقها سباق نحو التبرج بآخر «الموديلات»، حتى صار من خصائص طرافة «الثورات النقدية» عندنا أن الإبدالات. بمفهوم طوماس كون. تتنامى بصورة تراكمية على رأس كل إصدار جديد!! فلقد كانت البنيوية التكوينية نموذجا نقديا مستقرا نسبيا في بيئة التداول النقدي خلال السبعينيات والثمانينيات، ثم انتقلت السيادة إلى البنيوية الشكلانية، فسيميائيات منقولة مبقولة، فنظرية التلقي، فعلم النفس المعرفي، فبنيوية دينامية (فيها ما تيسر من نظرية الكوارث، والذكاء الاصطناعي، ونظرية الحرمان، والنظرية السيميائية، ونظرية الشكل الهندسي، ونظرية التواصل والعمل / أو بعض من السوسيونقد، والتكون النصي..) ثم نظرية الأنساق، فنظرية السديم.. ويعلم الله بقية اللائحة! كل النظريات ناجعة، كل الخطابات صالحة، ولا شيء في نهاية المطاف يصلح أن يكون خطابا علميا. أليس ذلك التطور التراكمي الذي لم تكتمل صورته بعد حقيقا بأن يشكل موضوع مائدة جديدة؟ وما أكثر الموائد والمناظرات التي ينبغي أن نعدها للقرن المقبل! ليست تلك الطفرات. ولا يمكن أن تكون. إبدالات بالمفهوم الإبستمولوجي للمصطلح، ذلك أن النماذج الاستبدالية تقبل التعديل والصقل ولا تقبل إعادة الإنتاج، وتمتلك القدرة على حل المعضلات الحقيقية لا الوهمية، الفعلية لا المفتعلة، المطروحة على جمهور الباحثين في مجال معين. وإلى ذلك فهي أداة تطور عندما يعجز النموذج السابق عن الإضطلاع بوظيفته. لكن، يبدو أن العلم العادي. كما يلاحظ ذلك طوماس كون. يمتلك آلية داخلية تنزع إلى الحد من سورة القيود التي تحصر البحث متى توقف النموذج الاستبدالي الذي انبثقت منه عن الاشتغال بفعالية، (بنية الثورات العلمية، ص 47 - الطبعة الفرنسية). ليست تلك الطفرات إبدالات ولا ثورات لأن السلطة التي حسمت الاختيار لصالحها لم تكن أبدا موكولة إلى باحثين متخصصين مسلحين بالحجاج المستند على قواعد المعرفة العلمية، بل إلى زمرة من الذين يستكينون إلى نعشة العجز وخمول الازدراد والاجترار كما أسلفت. وهذه السلطة المدعومة مؤسساتيا «تخلق» فعلا منها ثورات، لكنها - في نظر طوماس كون - لا تستحق لقب الثورة العلمية إطلاقا، ولا الثورة النقدية أو النظرية، مادام وجود العلم نفسه يتوقف على واقعة كون سلطة الاختيار بين النماذج الاستبدالية إنما ينبغي أن توكل أصلا إلى أفراد ينتمون إلى مجموعة متخصصة (ص 229)، ولها من الكفاءة وشمولية الإحاطة، وقوة التجرد، ونكران الذات ما هو قمين بخدمة النقد وبلورة نماذجه ونظرياته ومناهجه فكان من نتائج إقصاء المعرفة في الممارسة النقدية:

البقية ص 10

بطولة الماء وبطولة الإنسان

تابع ص 3

إنه الحكم الأخير على البحيرة، وأهلها، بالموت أو العدم. ولم تجد الأرملة العائدة مفرا من العودة بعد استرجاع رفات زوجها الصياد العجوز وصندوقه. فهو لم يعرف إلا البحيرة، وقاربه، بالرغم من زواجه منها. كان لا يغادره في اليقظة أو النوم! أما أن تصبح البحيرة ميدانا فسيحا للمضاربات العقارية فالارتحال يسمح بالإبقاء على ذكرى الشيخ الطيب. «التفتت المرأة قبل أن تصعد القارب وأشارت بعصاها نحو البيوت. ونظر الرجلان حيث تشير. وانطلق القارب إلى عرض البحيرة» (4).

يبدأ هذا النص الممتع بالماء وينتهي بالماء، وكأنه صياغة لتشكلات الكون بمفردات الواقع اليومي، واقع عالم مهمش لا يحسن إلا لغة الماء. ولعل زاوية الرؤية التي اتخذها سارد يقظ الحواس، ذو عدسة عميقة، تسهم في نصاعة الصور المتلاحقة. هذه الزاوية التي - كما فعل «يوسف ادريس .. مع عمال التراحيل في روايته «الحرام» تعيد الاعتبار لفعل الإنسان الدؤوب لإعطاء وجود معنى معين (5). وليس من الضروري أن تكون وجوداً فلسفيا مجرداً، بل إن حماية أرملة بولدين يتيمين في مكان معزول عن الدنيا، يعد في حد ذاته، دلالة على بطولة الماء قبل بطولة الإنسان. هكذا تتحول البحيرة إلى أم رؤوم أو أب قاس! صديق يضعف أمام ضغط اليومي أو حكيم يحكي في سر الأزل!! المكان يصبح تجربة حضارية تداخلت فيها أصوات الماضي والحاضر... والمستقبل. وإصرار الموج على مخاطبة الشاطئ دلالة على أن الصخب، صخب البحيرة، لم يهدأ، في يوم من الأيام، بالرغم من الهجوم الخرساني على المكان.

هوامش:

1 ـ محمد البساطي: صخب البحيرة، شرقيات. ط1، 1994.

2 ـ انظر طبيعة العلاقة بين ساكني البحيرة و «النوة» أو العاصفة الموسمية.

3 ـ الرواية ص 139

4 ـ الرواية ص، 140

5 ـ والدلالة الفلسفية العميقة تنبع من بساطة الفعل الإنساني في علاقته بكون، خاصة البحر، مركب من لغات وحضارات وتجارب وحكم. البحر لغات عديدة تواجهها اللغة الإنسانية الواحدة. انظر على سبيل المثال: هيمنجواي: «العجوز والبحر»/ ملفيل: «موبي ديك».

ندوة النقد الأدبي في المغرب:

الأسئلة الغائبة

تابع ص 7

1 - تهميش الدور الوظيفي لنقد النقد (وإني لا أملك أن أكظم غيظي حين ألفي عمل د. محمد الخطابي «لسانيات النص» مقروءاً في المشرق بدءاً من لبنان، ولا يحظى هنا في موطن إصداره بقراءة نقدية وافية بالغرض. وقل الشيء نفسه عن «الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها» و«التشابه والاختلاف» و«المختارات الشعرية» و«الشكل والخطاب» و«الموازنات الصوتية» وهلم جرا، ناهيك عن الإصدارات النقدية المكتوبة بإحدى اللغات الأجنبية».

2 - ظاهرة المطابقة التجريبية في ثنائية المنهج والمتن حيث يعمد جل النقاد إلى اتخاذ النص أرضية للبرهنة على نجاعة وإجرائية المنهج المتبنى. فيتم - في ضوء الهاجس الأدواتي - فصل هذا الأخير عن سياقه النظري، وإفراغه من حمولته الأونطولوجية، وفي المقابل، إفراغ الكيان النصي أيضاً من المعرفة بحيث يصبح إطاراً أجوف قابلا للاحتواء والاستغراق. وأوضح شاهد على تغلغل النزعة التجريبية والتصور الأدواتي للمنهج، الخطاب السردي بخاصة إذ يندر أن تخلو الرسائل والأطاريح الجامعية مثلاً من ثنائية النظرية والإنجاز بتوجيه من مجموعة البحث أو باختيار.. فصار الاستسهال على هذا الصعيد أسلوباً في تفريخ نقاد لا يتميزون عن حفظة المتون في شيء.

3 - ازدهار آلية الانتقاء (ويؤدي إليها، في الغالب، الجهل بإبستمولوجيا النماذج والمناهج، فتسود معرفة عامية تحتطب الغث والسمين، المتلائم والمتنافر، المؤتلف والمختلف لإحراق عود النص كي تفوح عطوره. ويغيب عن أذهان العامدين إلى الانتقاء أنهم بصنيعهم هذا يسيئون إلى خصوصية النص من جهة، وخصوصية النموذج الموظف بتعطيل ملاءمته، وإهدار تماسكه وانسجامه حين يُحشر عنوة في محرقة المفاهيم والنظريات والمناهج التي لا رابط بينها (تمعنوا معي في قول ناقد مغربي يقدم لكتابه الجديد: «من واجبنا أن نجيب عن التساؤلات والاعتراضات الصريحة والضمنية بتقديم عناصر النظرية والمنهاجية اللتين تجمعان (لاحظوا الانتقائية) بين الوضعية والمثالية والشمولية والتجزيئية والعقلانية والتجريبية. وعلى أساس التقديم، يمكن للقراء أن يتقبلوهما عن طواعية واختيار أو يرفضوهما بحجج وبراهين، أو أن يوظفوا أثارة منهما (لاحظوا الدعوة إلى الانتقائية)».

4 - استهلاك المفاهيم وسوء تدبيرها، وفي الأغلب الأعم توظيفها معزولة عن أسيقتها السوسيوثقافية، وفضاءاتها الأونطولوجية والفلسفية بدعوى «كونية المعرفة» أو «مشاعية المناهج» أو «فطرية المفاهيم» وكان قانون الاستهلاك في اقتصاد المعارف يتساوى - بالنظر إلى هذا التصور «الكوسموبوليتاني» - مع قانون الإنتاج. والحق أن استشراء هذا الفهم العامي يعطل الفكر، ويصرف أنظار الدارسين عن تلمس الأسباب الحقيقية الماثلة في التخلف الاقتصادي والسياسي والثقافي في عالمنا العربي.

(ألم يلمح محمد بنيس إلى ذلك يوماً ما بقوله: «ولاشك أن وضعنا النقدي بحاجة إلى تعميق نظرته إلى البعد المعرفي للنص الأدبي، أما الخطاب العلمي فلا يمسنا كثيراً مادمنا لا ننتجه» (الثقافة الجديدة، ع (28) - 1983 - ص (69).

الواقع أن ظواهر الفكر النقدي في المغرب تجعل من إعمال المنهج التحليلي - النفسي ضرورة حتمية لا فكاك منها، إلى جانب المقاربة السوسيولوجية طبعاً (ألم يقل عبد الله العروي: «إن الحالة الثقافية التي يعيش عليها المجتمع العربي حالياً لا تنبئ بقرب انفجار ثورة علمية إذ النمط الثقافي المنتشر لا يلائم منطق العلم الحديث. ونعني بالثقافة هنا طبعاً السلوك الموروث. فنحن أبعد ما نكون من البحث عن أسباب التخلف العلمي في الاعتقاد أو اللغة أو النظام السياسي أو الانتماء الديبلوماسي، إنما نضعها بالدرجة الأولى في ميدان السلوكيات، وهو ميدان تحليله صعب وتغييره أصعب» (ثقافتنا في ضوء التاريخ. ط (2). ص (147) - 1988).

إن عدم تكافؤ جهاز القراءة «العالمة» مع النص واتخاذ هذا الأخير أرضية للرَّوز والاختبار، بل إن وفرة النماذج الاستبدالية لدى الناقد الواحد مقابل استمراء بعضهم للنماذج الثابتة (STEREOTYPED) «الموميائية» بتعبير دقيق، وانتشار «دورية الختم والابتداء» عند الكثير ممن ينطون من نموذج إلى آخر مدارين جهلهم بالأسئلة الإبستمولوجية المؤطرة لكل نموذج على حدة، مربعها جميعاً، فضلا عن الشرط السوسيوثقافي العام بإكراهاته وسلبياته، إلى تغييب الشرط العلمي المنظم لتداول النظريات. ومن ثم ذلك الجهل المركب - الذي لا يرتفع - بإبستمولوجيا النماذج. على الأقل، كم من نقادنا قرأ طوماس كون، أو كارل بوبر، أو فيرابند، أو لاكاتوس، أو لودان، أو كويري أو هولطون أو شالمرز، أو غرانجر، أو هولبنشتاين، أو ستنكرز.. أو سالم يفوت، ومحمد وقيدي وهما أقرب إليهم من حبل الوريد؟؟

إن ضمور الخلفية الإبستمولوجية في الحدس النقدي أولاً، وفيما ينتجه نقادنا من دراسات وأبحاث جامعية وغير جامعية ثانياً، يحول بينهم وبين الإدراك السليم والتمثل الواعي والرصد الحصيف للمناهج والنظريات والنماذج والمفاهيم. ويوم يتم تكريس الشرط الإبستمولوجي فيما يُكتب، سيتاح لنا - لا محالة - اكتشاف الخسارات التي ألقيت أعباؤها قسراً على الإبداع. يومها فقط سيتاح لنا التمييز ضمن ركام المؤلفات التي سلمنا بنجاعتها وصادرنا جدلاً على ميزتها الإجرائية، بين الذي يستأهل منها أن يحتفظ بمكانته الاعتبارية في مجال النقد المنهجي الحق، وتلك النسخ الهلامية، الخيميائية التي «تستحق» أن تطوى ويسحب من صاحبها «أجر» الاجتهاد المزعوم. فالشرط الإبستمولوجي - بهذا المفهوم - ضرورة حيوية لكشف الحساب، وتفعيل نقد النقد، وتحسين البناءات النظرية أو تقويضها على أساس فهم علمي معمق لنظام تحديداتها الذاتية، ومستوياتها البنائية سواء أتعلق الأمر بالمستوى المنهجي أم بالنسق الاصطلاحي أم باللغة الواصفة أم بالمحتوى الأونطولوجي... ويزداد الوضع تعقيداً وخصوصية حين تنضج - في بيئة الإبداع - شروط استبلاد المعرفة من الأدب، تلك المسافة اللامتناهية داخل اللغة، كما يقول فوكو.

مازال أمامنا طريق وعر وشاق علينا أن نقطعه للوصول إلى أسئلة النقد الحقيقية، وهذه خطوة أولى في ذلك الطريق، من أجل فهم آخر لعلاقة النقد بخطابه.

• سطات في 1998/2/1

حوار مع «روني طوم» حول الرياضيات والنقد واللسانيات

I التعريف بروني طوم (1):

■ روني طوم (René THOM) أحد مفكري الرياضيات المعاصرة، أستاذ كرسي بمعهد الدراسات العلمية العليا (IHES) بـ(Bures-sur-Yvette)، وعضو بالأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم منذ 1975 وأكاديمية العلوم بباريس منذ 1976 [illegible] الرياضيات [illegible] اشتغالا خاصا بفلسفة الرياضيات [illegible] (E.N.S). حصل على دكتوراه الدولة في العلوم عام 1951 [illegible] (COBORDISME) [illegible] في تطوير حقول الرياضيات [illegible] la théorie des catas-trophes [illegible] نظرية الكوارث [illegible] ثورة عارمة في العلوم الإنسانية التي [illegible] والبيولوجيا وعلوم النفس والاجتماع واللسانيات.

من مؤلفات روني طوم:

(1)- الاستقرار البنائي وتكون الشكل ط II انتيرإيدسيون باريس-1977
(2)- النماذج الرياضية لتكون الشكل ط- كريستيان بورجوا باريس- 1981
(3)- تماثلات وكوارث (حوار حول الرياضيات والعلم والفلسفة) من انجاز [illegible] ط I دار [illegible] ميلانو إيطاليا- 1980 وط II بالفرنسية دار فلاماريون باريس- 1981
(4)- الجمل في السيميوفيزياء (الفيزياء الأرسطية ونظرية الكوارث)- انتيرإيدسيون- باريس- 1988
(5)- [illegible] ط- هاشيت- باريس- 1990.

○ نص الحوار

■ [illegible]

■ عبدالباسط الكراري

[illegible] نظرية الكوارث [illegible] (GENETIQUE TEXTUELLE) [illegible] (MODELLES CRITIQUES) [illegible] نظرية الكوارث [illegible]

■ [illegible] (L.BLOOMFIELD) [illegible] (LUCIEN TESNIERE) [illegible] (HANSJAKOB SEILER) [illegible] (COLOGNE) [illegible] (GUY VINCENT) [illegible] (MANUSCRIPTOLOGIE) [illegible] (A,Z,A) [illegible] (ACTANT) من العوامل.

[illegible]

■ [illegible] (Chreode) [illegible] (CONRAD HAL-WADDINGTON) [illegible]

■ [illegible] (CANALISATION) [illegible]

•••

[illegible]

ويحلل «روني طوم» في حديثه عن البنيات [illegible] (Pt. Tesnière) [illegible] والأستبدال.

II بين يدي الحوار

لم تنل نظرية الكوارث حظها من الشيوع والمتابعة النقدية في الشرق العربي [illegible] «مجلة الفكر العربي المعاصر»، عدد 64-65 ماي- يونيو 1989 [illegible] (DEONTOLOGIE SCIENTIFIQUE) [illegible] (MORPHOGENESE DU SENS) 1985 [illegible]

[illegible] (ESPACE) [illegible] (STABILITE) [illegible] (PRE-LANGAGIERE) [illegible]

البقية: ص 10

حوار مع «روني طوم» حول الرياضيات والنقد واللسانيات

تابع : ....ص 6

ويأتي د. محمد بنيس الثائر على رياضيات اللغة، إلى نظرية الكوارث من بوابة الشعر، إنه يحدد مساراً آخر للخطاب العلمي بالشعر/حول الشعر، داخل سلسلة من القطائع اللانهائية. وفي ظل هذا الاستشراف العاشق لكونية الجدل الهيراقليطسي، وسحر الإبدالات، يؤسس بنيس إجرائياً لشعرية دينامية لها مداراتها ومبادئها الإبستمولوجية المنتمية- ظاهراتيا -إلى أسئلة الخيال الكارثي الخصيب. ومحمد بنيس، قبل ذلك، قارئ جيد لترسيمات نظرية الكوارث: يمتلك عبر آلية الخرق المتواصل لاشتغال الشكل في المعنى، قاعدة صلبة تكفل استشفاف القوى الكامنة في الطاقة الشعرية، وتؤمن استقرار الفعل التوليدي الخلاق بين ديناميتي الاستمرار والانقطاع، في لغة الشعر كما في لغة الخطاب، وللذكرى لم أكن أتصور- أنا المؤمن إلى حد الوثوقية «بلاقياسية النظريات» (INCOMMENSURABILITÉ DES THÉORIES) - أن هذه اللغة ذاتها، قادرة على فك أصول «نظرية التحاف» (THÉORIE DU COBORDISME) إلى إحداثياتها الشعرية الخالصة.

إنها مؤشرات على أن «العلم بالشعر» مسار منهجي آخر لإثبات فرضية التكامل المعرفي (INTERDISCIPLINARITÉ).

هامش:

(1)- يمكن للراغب في الاستزادة أن يعود إلى مقال «جان بتيتو كوكوردا» بموسوعة (UNIVERSALIA) 1987-س. 1- فرنسا- ص ص (636-638).

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي

العلم الثقافي

يصدر يوم السبت
كل أسبوع
عن جريدة العلم
11، شارع علال بن عبد الله
الرباط: ص.ب. 141
الهاتف: 19-324 /20-324
37-302

السبت 3 جمادي الثانية 1408
الموافق : 23 يناير 1988
العدد : 859 السنة : 17

حداثة التجربة وتجربة الحداثة في التكوينية النصية

القسم الثاني

(اللغة هي التي تتكلم لا الكائن) مارتن هيدغر

(إن الممارسة لتحتاج حين تتوخى انتاج معرفة بموضوعها، الى مركزات نظرية تنطلق منها، أو الى مفاهيم تستخدمها ;) يمنى العيد

توطئة :

هوامش التوطئة :

بقلم : عبد الباسط الكراري

تعتبر دراسة الاشاريات منطلقا اساسيا للتعرف على بعض المكونات الفاعلة في الخطاب، ومن ثم استشراف الافق المعرفي ...

تعريف الاشاريات في الاطار والمفاهيم

محاولة تعريف

الاشاريات من وجهة نظر وصفية :

الاشاريات: الموضوع، الاشكالية

النظام العام للواصلات عند جاكوبسون

الاشاريات في التكوينية النصية :

حداثة التجربة وتجربة الحداثة في التكوينية النصية

(تتمة)

النص.
والاحداث بخلق أسيقة متعددة لشرح الوقائع المرجعي للــ الماجريات، اي لضبط النظام قبل عملية القرب الذي لا يعرف عنه القارىء الراوي لخلق تلك الــ اي شيء. ان اضطرار ممكن من الادوات الاسيقة باستعمال اكبر عدد الأوفر من نشاطه، بـ يوحي بأن القسط التوصيفات والتمثيلات (39) ــ اساساً في إن للاشاريات دورا بالغ الاشارة اوجز نقول الفضاء والزمن في النصين المحكي في تنظيم معاً، وتلك خاصية نوعية مشتركة بين الشعري

1) L'énonciation de la subjectivité dans le langage. C. Kerbrat Orecchioui. Armand Glin, P (55) 1980. Paris.
2) Embrayeurs, Shifters, indices de L'ostension.
3) Brown and yule P (61).
4) Dubois (Dictionnaire) P. (184).
5) Dubois. idid P. (137) -
6) Brown P. (62).

(7) Parret (H) P. (93)
(8) Ibid. P. (94)
(9) Kerbrat (5) P. (69)

★ لا تنسى ان موقف الرفض هذا يصدر عنه ايضا (ديكرو) ـ وهرمـــان باريت نفسه) لكن (11) Brown. P. (60)-(1980 Tanz انظر)

(12) Todorov et Durcrot P. (323)
(13) Ibid (même page)
(14) Ibid P. (418)
(15) Emile Benveniste T. II P (82)
(16) Kerbrat (5) p. ( )
(17) Jakobson (Essai) p. (180)
(18) Lire Piaget. R. Droz et M. Rahmy. (82) (83)

★ فتاة بياجيه تطلق اسم Les jacquelines على كل البنات الكبار، لان هذا اسم اختها الكبيرة، ولذلك فهي تستعمله إشارة الى كل فتاة كبيرة، بينما تحتفظ لمَنْ هُنّ في سنها باسمها هي ! ص (82) .

(19) Kerbrat p. (66)
(20) Poetics-1984 vol 13 P. (352)

21) سيأتي بيان ذلك بتفصيل فيما بعد .
22) نخصص لهذا المصطلح لفظة (واصلات) .
23) جاكوبسون. ص (178) .
24) د. عادل فاخوري (الفكر العربي المعاصر) 4 ـ 2 ص 94 .
25) د. عادل فاخوري (دراسات عربية) ص 122 .
26) (نفسه) ويقصد المصطلح اليوناني المركب: ـ (ما يقع ـ مع) .
27) (نفســـه) .
28) (نفســـه) .

29) جاكوبسون (محاولات) ص (179) .
30) نفسه «وبراون» ص (57) .
★)مــــرادف تقريبــــــي ل: (Syncatégorématique).
★ ★) اكتفينا بعرض وترجمة الفقرات الخاصة بتصنيف المقولات اللغوية ولم نضف إليها شيئاً .

★) «عملية» هنا بمعنى «سيرورة» .
★ ★) محــددات نوعيــة/ كميــة ـ وسنستعمل احيانا وخاصة في الجدول بدلا منها: مخصصات الجنس/ النوع ـ لمزيد من الوضوح .
★ ★ ★) يضيف «جاكوبسون» أنّ الشخص سوف يشير الى تطابق واحد من محركي عملية العون مع فاعل الابلاغ القولي، وتطابق الشخص الثاني مع «المحرك» الجامد الآتي (راجع قسم الضمائر من هذا البحث) .

★ ★ ★ ★) من القواعد التي يحدد بها «بنيامين وورف» النوع المنطقي (او النوعية المنطقية) للعملية، مثلاً (في جيلياك (Gilak) قواعد الاستفهام، النفي، الاستفهام المنفي، الفرض والاثبات (عن جاكوبسون ـ نفسه) .

★) (الجيلاك) تميز بين ثلاثة انماط من الرُتْبَة مستقلة: فأحدها (أي احد هذه الانماط) يلتمس وثانيها يقبل، وثالثها يستثني، الرُتبة التابعة، وهذه الاخيرة تُعبّر عن علائق مع الفعل المستقل مختلفة: التوافت، صلة المتقدم بالمتأخر الانقطاع، الاتصال الاضترابي ألخ (جاكوبسون ـ نفسه) .

32) د. تمام حسان: اللغة العربية مبناها ومعناها. ص)89(.

★ لم نشأ أن نبسط الاختلافات القائمة بين ظروف الزمان والمكان وأسمائهما من حيث الاشتقاق والوزن الصرفي (قياساً وسماعاً)، والعاملية (النصب بالنسبة للظروف وانعدامها بالنسبة إلى الاسماء) وعوامل الظروف (المصدر، الفعل اللازم أو المتعدي، الوصف الحقيقي أو التأويلي ألخ) إلى غير ذلك. ونكتفي أن نحيل على المصادر الاساسية مثل :
مفصل الزمخشري/ وشرح ابن يعيش ج (6)/ ، وحاشية الصبان على الاشموني ج II و I وهمع الهوامع للسيوطي ج I / ومغني ابن هشام ..

وأما بالنسبة للدراسات الاجنبية فتراجع الدراسة التي انجزها «ريتشارد لارسون» حول ما يسميه (Bâre-NP âdiverb) وهي الجمل الاسمية التي لها قابلية الاشتغال والعمل كمحورات Adverbial modifier وهي التي تنظمها الانجليزية الحديثة عبر أصناف من الوظائف الدلالية. (انظر بتفصيل في قائمة المراجع (Richard) .

33) انظر بتوسعة في هذا الصدد Voir (33 Kerbrat p (60)
وراجع ايضا المشاكل التي يطرحها استعمال وتحليل الاشاريات في الصفحات (57) ـ (58) ـ (59)

34) M. Riffaterre. La Pensée (Revue) N 215 p (7)

★ ثمة مجموعة من التصورات الفلسفية المتصلة بالزمان والمكان منها فكرة «هايدغر» التي ترى ان الاول (اي الزمان) ليس وحده شيئا، انه لا يكون الا في ارتباط بما جرائه. فليس هناك زمن مطلق ولا اي تزامن مطلق.. وان الثاني (اي المكان) «ليس شيئا في ذاته، فلا وجود لفضاء مطلق مادام لا يتوجد الا بالاجسام والطاقات التي يشتمل عليها، ويعتبر «هايدغر» كينونة الكائن من حيث خواصها، وطبيعتها أداة لتحديد ماهية الزمن. فإذا. ثبث ان «الكائن» البشري كائن في الزمن بشكل متميز وبارز، بحيث ان ماهية الزمن يمكن ان تكتشف من خلاله، فينبغي إذن ان يعرف هذا الكائن هنا (être- la) بالخواص الجوهرية لكينونته»
(يراجع : In. cahier de l'herne M. Heidegger (Le concept de temps 1924) P (35) (38- 39)

وان ما يسوغ ـ من الناحية الشكلية formelle إيرادنا لموقفي «هيغل» و «هايدغر»، انّ هذا البحث يرمي الى التخلص من مرجعية بعينها ليلامس المفاهيم والتصورات التي تخدم القراءة الفاحصة للنص .

(35) K. Orecchioni p ()
(36) Litterature (Revue) P (73)
ولمعاينة اوضح لاشتغال الاشاريات في النصوص «الهاينية» تراجع في هذه المجلة الصفحتان 73 ـ 83 .

★ نجد عند مارسيل بروست مثلا، في مخطوطاته المحفوظة بالخزانة الوطنية الفرنسية]المخطوط تحت رقم N. A. 16672 F[بعض الاضافات المرتبطة اساسا بالاشاريات قوله :
وصلت اخيرا (مساءاً الى بونتافن وبنوديه وكيمبرلي) ..
(:) رمز يعني في المونوغرافيات التكوينية: «مضاف» او «مزيد» .

37) F. de sanussure. Cours P (41)
38) A. Martinet: Langue et fonction P (60)
39) A. Martinet OP. Cite m.P (39 ينبغي ان لا ننسى في هذا السياق ان الاشاريات نفسها ليست الا جزءا من وظائف واشكال كثيرة لربط المتحدث بإبلاغه القولي .

المراجع العربية :

1 ـ د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. الدار البيضاء .
2 ـ مقال د. عادل فاخوري بمجلة دراسات عربية ع. 6 السنة 22 ابريل 1986 .
3 ـ مقال د. عادل فاخوري بمجلة الفكر العربي المعاصر. العدد الثاني حزيران 1980. بيروت لبنان .

إقرأ في هذه السلسلة ضمن الملاحق القادمة :
1 ـ التكوينية النصية ونظام الضمائر .
2 ـ الموجهات في الخطاب التكويني .
3 ـ التكوينية بين ميشال فوكو وجاك دريدا .
4 ـ النص المقموع وسؤال الشهادة .
5 ـ التحليل الاوتوماتيكي للمسودات .
6 ـ الذكاء الاصطناعي: افق آخر لقراءة ما قبل النص .

حرر بسطات في 15/ 8/ 1987 .

المراجع الانجليزية :

1— G. Yule and Brown G. : Discours analysis. Cambridge University Press. 1er Ed. Reprinted in 1984 (Twice) 1985.
2— Poetics. Vol. 13. 1984. North Holland *Amsterdam* (Psycho analysis in search of the Hidden Rh*etoric*.
— Barend Van Heusden.
3— Richard K. Larson : *Bare-NP* adverbs. (P. 595-620). Linguistic Inquiry. Vol. 16. *Number* 4. Fall. 1985. By The Massachusetts Institute *of Technology*.

المراجع الفرنسية :

1— *André Mar*tinet : Langue et fonction. Ed Gonthier 1971. *Paris*.
2— Catherine K. Orecchioni : L'énonciation de la subjectivité dans le langage. Armand Colin. 1980 Paris.
3— Cahier de l'HERNE : M. Heidegger. Ed de l'Herne. 1983. Paris.
4— E. Benveniste : — Problèmes de ling gle. T.II Ed Gallimard 1974 — France.
5— F. de Saussure : Cours de ling.gle. Ed Critique par Tullio de Mauro. Payothèque. 1982.
6— H. Parret. (Langages N° 70. Juin 1983). (La mise en Discours).
7— J. Dubois : - Dictionnaire de ling. Larrousse. 1973 — Paris.
8— *Littérature* (Revue). N° 28. Décembre 1977. (Genèse du texte). Larousse — France.
9— Michael Riffaterre in (La pensée). Octobre. n° 215 — 1980.
10— O. Ducrot et T. Todorov : - Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. *Ed. du Seuil*. 1972. Paris.
11— R. Jakobson : *Essais de ling. gle*. Traduit par Nicolas Ruwet. Ed. de minuit. *1981*. France.
12— *R. Droz* et M. Rahmy : Lire Piaget. 3 éd. Pierre Mardaga Editeur. Psycho et sciences humaines. 1978. Bruxelles.

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 27 ■ السبت 7 دجنبر 1996

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 - ISSN0851
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

العلم الثقافي

البنية الدورية

عبد الباسط الكراري

قرأت بشغف وإمعان كبيرين ـ كعادتي دوماً ـ العمل الأخير الذي أصدره أستاذي د. محمد مفتاح «التشابه والاختلاف»، وقد لفت انتباهي في مواضع من هذا الكتاب استعمال مفهوم «البنية الدورية» (Structure Cyclique) مجرداً من أي تصيص مرجعي. ولما كنت من جملة المناقشين للكتاب السابق «التلقي والتأويل»، بل والمنافحين عن هذا الطرح الجديد بالنظر إلى أنه «عمل يقدم تصوراً نظرياً يتأسس في ديناميته الباطنية على ما للمفاهيم من قدرة توليدية في بناء الأنساق، وتحديد رؤيتنا للعالم» (1)، فإن التحليل الأونطولوجي للمكون المفاهيمي في «التشابه والاختلاف» يتجاوز عندي إطار «تبيئة المفاهيم» الى ما يشبه قلق البحث عن التلاؤم المعقول الذي يضبط العلاقة بين الخطاب الواصف (MÉta -Discours)، والمنهج، والمجـــال النظري ـ التجريبي. وفي ضوء هذه العلاقة ذاتها، إذا كان بإمكاني أن أفهم العبارة الأخيرة التي ختم بها «كلود ليفي ستروس» كتابه «الأنثروبولوجيا البنيوية»، فإنني مقابل ذلك أقف مشدوهاً إزاء الاختزالات الأسلوبية ـ السياقية التي تمارس على الكيانات النظرية باسم «الفتوحات المنهاجية»، وكأننا تلقاء «نموذج جديد» مفصول عن أطره المرجعية وسياقه الأونطولوجي العام. وأعني هنا بالضرورة مفهوم «البنية الدورية» بالذات، وهو المفهوم الذي كان لروني طوم قصب السبق العلمي الى اجتراحه في سياق تطعيم أطروحة «بتيتو كوكوردا» (1982)، كما كنت بدوري ثاني المعالجين له في رسالة جامعية (2).

يقول روني طوم بصدد «البنية الدورية» في مقاله: ـ (Cyclical Structures in Semiotics) (1989) (3): ـ

« By cyclical structure I mean any geometrical object (any topological space E) With a continuous overlap mapping p: E1 S1 on the circle S1.
When the object E is a spatio-temporal morphology (immersed in space-time) R4 = R3 X T, the overlapping p. in simply the temporal co-ordinate t (time) modulus one (the axis of the times T taken as universal surface of the circle S1 of length one). In this case We can speak of a cyclical periodic structure. »

وفي الجزء الأول من رسالتي الجامعية، فقرة (2-3-3)، بعنوان «البنية الدورية»، كتبت ما يلي: ـ «من خلال مراجعة روني طوم لأطروحة بتيتو (1982)، اتضحت له إمكانية التكثيف الرياضي للخطاطة العواملية، وإنجاز قراءة أكثر سبراً لتوليدية المربع السيميائي بناء على مفهوم «البنيات الدورية» (Structures cycliques)، ونظريته السابقة في الترسخ والتمدد. وأمام ثراء هذه الإضافة النوعية، وتشعبها الرياضي ـ المواقعي المعتمد كثيرا على ... وتحقيق المعادلات بواسطة الرسوم البيانية التي أفرزتها بنية الكوارث الأولية الآنفة الذكر، سنقتصر هنا على الخطوط العريضة لتقريبها من الافهام، بعد أن نحدد مفهوم «الدورية».

ـ نقول عن خطاطة الحكي بأنها ذات «سيرورة دورية» إذا أسفرت دورة الحكي عن تشابه ما بين بدايتها ونهايتها. وهكذا فمن البنيات الدورية المتواترة ما يكون قابلا للمعكوسية، أي (La reversibilité)، ومنها ما يكون بخلاف ذلك، أي أنه يمضي في خط متصل، أو وجهة أحادية لا تنعكس، مما يعني أن بعض البنيات لا يقبل المعكوسية. وإذا نحن خلعنا عن المربع السيميائي خلفته المنطقية على نحو ما فعل بتيتو، تبقت لنا منه تلك الخاصية المعيارية المتعلقة بخط سير الموضوع القيمي (157)، وحصلنا بالتالي على الشكل أسفله:

وبهذا الشكل يبدو المربع السيميائي كبنية دورية بالنظر الى إمكان تكرير المسار، أي العودة باستمرار الى نقطة الانطلاق. وعلى هذا النحو أيضا يصير المربع السيميائي «قابلا ـ بتحويل الدور ـ لتلقي إنجازات عواملية» (158). وإذا نحن ألقينا نظرة على مدارات واتجاهات الأسهم، تبين لنا أن الانجازات الممكنة تثبت «في مجموعها لا دورية وغير قابلة للمعكوسية. وللإيضاح، ففي أسطورة سان ـ جورج، تتم التصفية الجسدية للفاعل المضاد (التنين) ويختفي كعامل (Actant). غير أننا نتساءل، مع ذلك، عما إذا لم يكن هناك في ثنايا هذه المظاهر «السطحية» البارزة، بنية ديناميةٍ «عميقة» وباطنية، تتصف بالدورية التامة، وتكون قابلة ـ بصورة مشروطة ـ للمعكوسية؟» (159).

ما من شك في أن المصادرة على وجود هذه البنية أمر في غاية الصعوبة، لأنه يقلب فهمنا لحدّ العلاقة وآليتها القارة. لكن روني طوم يعتقد بإمكانية وجودها لأنه واثق من نجاعة البرهنة الرياضية التي توسّل بها فعلا لتعزيز الاعتبار النظري، مع سوق مثال من العلوم الطبيعية يكثر تردده في المعجم الكارثي، وتوفير الشروط الإجرائية الضرورية لتأمين نقله الى الإطار السيميائي. فأما المثال الفيزيائي فيتجلى في ما يسمى «بدورة التخلفية» (Hystérésis) ومعناها «تخلف المعلول عن العلة في تصرف الأجسام المعرضة لفعل متفاقم أو متناقص، كتخلف الآثار المغنطيسية بعد زوال أسبابها» (160). وظاهرة «التخلفية» تطابقها كارثة «الطية» في نموذج الكوارث الأولية.

وفي هذا السياق نفسه، أثبت استثمار نظرية الترسخ/ التمدد، القدرات التوليدية للعلاقات العاملية ضمن المربع السيميائي، كالتأكيد مثلا على أن فعل العامل يخلق الفاعل المضاد، وأن جنس الفعل يخلق شروط الصراع، وأن انفعال العامل يخلق العامل الفاعل، وهكذا دواليك. والدورية تتأسس على الإتصال الفعلي الذي يعقب الانقطاع الكارثي. وهنا يتضح عمق الانسجام مع مبدأ الاستمرار عبر الانقطاع، الذي سبق لنا الوقوف عنده في القسم المخصص له. وبهذا الشكل يثبت روني طوم، ليس فقط إمكانية وجود البنية الدينامية العميقة المتصفة بالدورية بل أيضا إمكانية البرهنة العملية على تجاوز الفصل الاعتباطي بين «علوم الطبيعة، وعلوم الفكر» أو «البالطا المتعالية» على حد تعبير بتيتو كوكوردا (161)».

ولقد أحلت ـ خلال ذلك ـ على المصدرين (المقال المذكور آنفا (1989)، وكتاب Apologie du logos (1990) اللذين كان روني طوم زودني بهما مشكوراً. ولست أعرف لهذا المفهوم الاجرائي استعمالاً سابقاً على روني طوم. ومن ثم فالأمانة العلمية تقتضي ـ في بحوث ودراسات مماثلة ـ أن تقع الإحالة على المصدرين، وكلاهما واحد، أو على المرجع (الرسالة الجامعية) رغم اختلاف زاوية النظر، حفاظاً على الحق الشرعي للمؤسس الحقيقي الذي ندين له معاً بتخليق المفهوم، وتأصيلاً له أيضا في تربته النظرية قبل أن تتبلور قاعدته المفهومية وتتسع بواسطة إجراءات النقل المفهـــومي (Transfert conceptuel) لتستوعب مجال التفاعل الدينامي في الصيغة الموسّعة للطرح النسقي ضمن كتاب «التشابه والاختلاف»، علما بأن «التشابه أسبق من الاختلاف». إن المفهوم المذكور ليس «معنى مطروحا في الطريق» تلقفه مؤسس نظرية الكوارث «روني طوم» و«وظفه في سياق الترميق النظري» (Bricolage Théorique)، ولكنه جزء من لغة واصفة هي قوام البناء النظري العام للنظرية المذكورة، اقتضته مرحلة محددة في سيرورة محددة ضمن نسق تنظيري محدد. حقاً لقد أثار الباحث (PER AAGE BRANDT)، وهو أحد أعضاء مجموعة السيميائيين الكارثيين الجدد، خلال بحثه الموسوم «بالسيمياء: الدلالة والرمزية» الصادر عام 1976 مفهوم «الدائرية» أو «الحلقيـــة» (circularité) التي تتحكم في عـلاقـة الدلالة بالسيميولوجيا في النحو السردي عند غريماس، وأثار زميله «بتيتو» (1985) أسئلة منطق الانفتاح في المربع السيميائي بناء على نظرية الترسخ/ التمدد، ولكن في إطار بعيد عن محيط فكرة روني طوم (1989 ـ 1990) التي تقصد الى بيان أن تحكم «لا تواصلية الأجناس» الأرسطية في القاع العميق للمربع السيميائي (وهو مبدأ سبق لي أن ناقشت في ضوئه فكرة النموذج الأمثل في مقال سابق (4)) من شأنها إذا خضعت لافتراض إقامة جسر تفاعلي رابط بين حدي الجنس المتضادين، أن تحقق مشروع «الجنس الأعلى» الذي بموجبه يتم احتواء الحدين كنوعين، ومن ثم قابلية المربع لحمل صفة الدورية كما أوضحنا ذلك آنفا. وروني طوم يميز في هذا الصدد بين مفهومين للدورية: دورية مرحلية، وتكون كذلك إذا تماهى أو تطابق الوضع البدئي مع الوضع النهائي تطابقاً صارماً (ص 1989/214)، ودورية غير مرحلية تقيد التفاعل الدينامي. ويميز أيضا في البنيات الدورية بين الدورة القابلة للانعكاس، والدورة غير القابلة للانعكاس (ضدها)، فالأولى تتحقق في كل البنيات الدورية القابلة لتكرير المسار، والثانية تطابق ـ مورفولوجياً ـ البنيات الدورية المتعذرة الانعكاس. وفي هذا السياق، أوضح روني طوم (ص ـ ن) أن النوع الأول من البنيات الدورية يتوافر ـ حسب المصطلحية الكارثية ـ في «كارثة العطاء» التي يمثل لها عادة بالبيان المعياري للتواصل (THE STANDARD GRAPH OF COMMUNICATION) الذي يفترض استقرار طرفين متفاعلين (غير متنافيين). فقاعدة العطاء (Le Don) من ثم مباينة ـ بما تتضمنه من دلالة التبادل والتفاعل ـ للقاعدة الدلالية لفعل (Gift) في اللغة الألمانية بالنظر الى أن الرسالة (Message) في هذا الأخير قد تحتمل معنى «الإفناء» الذي يمارسه الباث على المتلقي بوسيلة قاتلة لا يمكن حصولها من استيفاء التفاعل الضروري المطلوب. وقد أعاد د. مفتاح صياغة ذلك بقوله: «تتكون هذه البنية من عناصر متكافئة لا يهيمن أحدها على الآخر من حيث المبدأ، ولكنها متفاعلة (..) متمايزة في نسق مغلق تتحكم فيه عملية الضبط بالاسترجاع، أو الذهاب والإياب في إطار بداية ونهاية وضمن تسبب ثنائي متبادل قد يتجه من اليمين الى اليسار، أو من اليسار الى اليمين.» (ص (13 ـ 14) من «التشابه والاختلاف»/ قارن بما قلناه في فقرة (2-3-3) من الرسالة).

إن النموذج الفيزيائي للدورة التخلفية (Cycle Of Hysteresis)، هو الأداة الوحيدة التي توسل بها روني طوم للمصادرة على قبول بنية المربع السيميائي العميقة تلقي صفة الدورية القابلة للانعكاس والتي لا تتيحها بنيته السطحية مطلقاً. وهذا يعني أن مفهوم الدورية مغاير من حيث الواقع لا من حيث المبدأ، للوضع الأصلي ـ الطبيعي للمربع السيميائي. والفيزياء إذ تمدنا بأداة التحويل، تصير بدورها موضوعا له. ذلك أن روني طوم لا يكتفي بطرح الافتراض المبدئي فقط، بل يذهب أبعد من ذلك الى تسبيب طرفي المعادلة: ـ تحويل الدورة التخلفية الى بنية سيميائية متوفرة على جاذبات خاصة تؤمن استقرارها الذاتي، وتحافظ على توازنها بين حدي الترسخ والتمدد. إنه، بعبارة أعم، يستقرئ البنية الدينامية من الداخل بواسطة آليتي المقايسة وتبادل المواقع، في مجموع نقاط المسار العواملي مؤسساً «نحواً» فيزيائيا للمعنى تشد تركيبه الأساس على طرفين أدنى (Minima)، وأقصى (Maxima).

يتضح لنا إذن أنه لتحقيق معرفة علمية بمفهوم «البنية الدورية»، لابد من:

ـ 1 ـ إحاطة شمولية بنظرية الترسخ/ التمدد، وهي نظرية كلية كونية (Universelle) تعمّ الكائنات الحية والمجردة على السواء.

ـ 2 ـ صرف اهتمام خاص ـ فيما يتعلق بالمربع السيميائي ـ الى موضوع القيمة (Theobject Of value) الذي ـ إذا ما تم استيفاؤه ـ اعتُبر محدداً رئيساً للبنية الدورية، كما ينص على ذلك روني طوم (1989 ـ ص 232 ـ 233) خلافاً لبعض موضوعات التفاعلات البيولوجية في الطبيعة التي غالبا ما يجري فيها التخلص من «الطريدة» (موضوع القيمة).

لقد أوردت هذه الشروح الاجمالية للتنبيه الى إشكالية كبرى في «التشابه والاختلاف» هي تلك المتعلقة «بالخطاب الغائب» أو «المغيب». ولاشك أن من شأن تعاظم وتيرة تردده في الدراسات والبحوث العلمية أن يحيلها الى ما يشبه صناعة السؤال بدلاً من إنتاجه. ولقد ثبت عمليا أن «موضوع القيمة العلمية» إذا صادف الحرص على الاستيفاء وفاقا لشروط التفاعل والتحاور، كان مجديا وعم نفعه، أما إذا استخلص بغير وجه حق، لم يعد حينئذ للخطاب العلمي الحق (خطاب التحاور والتواصل) أدنى قيمة أو جدوى، وهذا ما لا نتمناه قطعاً.

هوامش

1 ـ مبادئ التلقي والتأويل وآفاق التأسيس النظري ـ العلم الثقافي (السبت 16 دجنبر 1995)، الجزء الأول. ص (8).

2 ـ الخطاب التكويني: محاولة في تأسيس نموذج لماقبل النص: رسالة مرقونة، خزانة كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ الرباط (نوقشت بتاريخ 4-7-1995).

3 Cyclical structures in semiotics (SEQUEL TO JEAN-PETITOTS THESIS)
OFFPRINT FROM PAUL PERRON and FRANK COLLINS (EDS) : PARIS SCHOLL SEMIOTICS - VOL I: THEORY John Benjamins Publishingco Amsterdam / Philadelphia.1989 P (213)

4 ـ مبادئ التلقي والتأويل.. / الجزء الثاني ـ العلم الثقافي (السبت 23 دجنبر 1995) ص 8.

Scanné avec CamScanner

العَلم الثقافي

مُلحق أسبُوعي

يصدر يوم السبت
كل اسبوع

عن جريدة العلم

11، شارع علال بن عبد الله
الرباط.ص.ب. 141
الهاتف : 19 ـ 20/324 ـ 324

السبت 13 رجب 1407
الموافق 14 مارس 1987

العدد : 817
السنة : 17

موت المؤلـــــف والنص من منظور التكوينية النَّصِّيَّة

بقلم : عبد الباسط الكراري

«عندما تصير الانا واعية، يلزمها بالتالي ان تكون اكثر من ذات بسيطة. علينا ان ندعوها شخصا اذا ماشئنا ان نأخذ بعين الاعتبار كونها سيدة وليست رهينة ما أعطيته» . لوسين (In memory of Miss STEFANIE MAIORELLI)

* * *

يعتبر مالارميه من الأوائل الذين أذاعوا فكرة موت المؤلف موتا اسطوريا على الطريقة الاورفيوسية (انسحاب المؤلف وصعود اللغة أو الخطاب) . اما بارت فقد حدد طبيعة كنائه في نسبة النص اليه كما رسخت ذلك اعراف الكتابة . هذه الاخيرة لن تكون بدورها سوى «كتابة مطبوعة» او اداة يها يتحقق وجود النقد البيوغرافي والشكل التأويلي الوثيقة الصلة بصاحب النص . إنه «التملك الشيئي» . موت المؤلف لايعني موت النص، والنصوص المينة لاتنتمي الى دائرة الاداب لسبب بسيط هو افتقادها المتوقع «بلاغة الحياة» . لكن أليس لنا الحق في ان نتساءل عن المؤلف من اين أتى والى اين يمضي ؟ الشق الاول من هذا التساؤل سنترك لبارت حيز الاجابة عنه بطريقة ميداكتيكية :

«المؤلف شخصية حديثة النشأة، وهي من دون شك وليدة المجتمع الغربي من حيث إنه تبيه، عند نهاية القرون الوسطى، ومع ظهور النزعة التجريبية الانجليزية، والعقلانية الفرنسية والايمان الفردي الذي واكب حركة الاصلاح الديني، الى قيمة الفرد، او «الشخص البشري» كما يفضل ان يقال . من المنطقي اذن أن تكون النزعة الوضعية في ميدان الادب، تلك النزعة التي كانت خلاصة الايديولوجية الرأسمالية ونهايتها، هي التي اولت اهمية قصوى «لشخص المؤلف» ص (٤٢) (درس السيميولوجيا ت. عبد السلام بنعبد العالي . ط ١ . ١٩٨٦) قارن بنظام الخطاب لفوكو ص (٣٨) .

ولعل هذا ما حدث في العالم العربي في فجر النهضة بالخصوص حيث جرى الحديث، في اوساط البورجوازية الصغرى وفئة الكومبرادور، عن المؤلف ودوره في ترسيخ تقليد معين في الكتابة ... إنه المصير الذي بات مشتركا بين إرادة الفعل في مسار الثقافة وضراوة الصراع من أجل تخليد الاسماء !! من هنا ان يترسخ ذلك الانطباع العرضي بأن عملية الخلق فعل خاضع ابدا لاحداثية الزمن .

وهنا تشتغل عملية طمس مزدوجة تمارسها [illegible]

بشكل واف بالغرض حصيلة من الامتيازات والضمانات التي يختص بها المؤلف دون غيره، فذلك يعني أن مفهوم «المؤلف» لايفسر حضمه بسهولة لانه يمثل رصيدا من المعطيات الفلسفية والتاريخية . إنه مفهوم ينتمي حقا الى مؤسسة قائمة بذاتها، تستطيع ان تميز فيها بين بناءين متكاملين شكلا، متعارضين جوهرا، او متكاملين شكلا وجوهرا حسب (ورغم) طبيعة توجه الكاتب : - بناء طولي يشمل قطاعات الانتاج والتسويق وتقنيات الصيانة والتسيير ... وبناء عرضي (او شاقولي ان شئنا) يؤشر على الغايات والمقاصد التي ينشدها الانجاز الذي ينشره صاحبه في الناس . وهي تلك التي يمكن اختزالها عموما في خانة (الاعلام والثقافة) .

ويظل السوق الحدث الرائج المهيمن والمكرس تبعية النموذج او الشكل السائد اقتصاديا وطبقيا . وكلا البناءين السابقين يشكلان بنية متضمنة تطرح مشكلات اخرى في الاطار التنظيمي لمشروع التفويض والتغيير .

ميشال فوكو وعقدة المؤلف :

يتميز ميشال فوكو بنظرة خاصة لمفهوم المؤلف . فهذا الاخير - في تصوره - وجود [illegible]

[illegible]

خطاطة II نفس الكاتب

★ التناص الذاتي
بين شيات متنوعة الاجناس مختلفة لكن لنفس الكاتب

[illegible]

خطاطة III

تصوص مختلفة لنفس الكاتب، سواء أكانت شعرا أم تراجيديا أم أقصوصة في 30 دقيقة أو غير ذلك . وهذا النوع من التناص يتأخر في مدارج الترتيب عن النوع السابق لكونه يحوي خليطا من النصوص وأنواعها (Genres) لامتجانسة كذلك . (أنظر خطاطة II) :

[illegible]

عن الكتابة الجميلة

عبد السلام المفتاحي

[illegible]

مجمع أبيسي (البيدوي) أنقطب المشترك

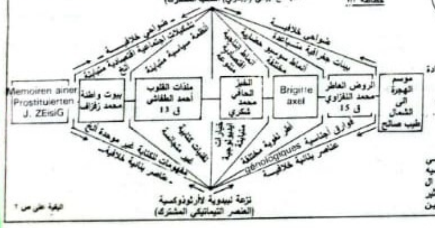

نزعة ليبدوية لأيروتوكسية (العنصر التيماتيكي المشترك)

[illegible]

موت المؤلـــــف والنص «تتمة»

اقتصرنا في هذه الخطاطة على (الجنس) كمحور، وكان بامكاننا ان ان نجد محاور أخرى لو لم يكن هذا المحور المشترك أول ما يقفز الى ذهن وبديهة القارىء عند استعراض الآثار المسطورة أعلاه . ويمكن تصور هذه الخطاطة معكوسة، بل يجب تصورها كذلك، مادام ما يوحد تجربة الكتاب مرجعه الواقع المعيش لاالعكس . وما يميز هذا النوع من التناص عن غيره هو أنه : .

1 . يمارس بصورة جماعيـــة (Collective) بخلاف النوع الثاني .

2 . يضم خليطا من الأجناس والكتابات المتباعدة الصياغة، لمؤلفين كثر .

3 . لايوحد عنصره التيماتيكي المشترك مرجع او نموذج يحتذى كما هو الشأن بالنسبة الى النوع الثالث مثلا .

وهذا الطراز من التناص يمكن الاحتفاظ له بمكانة خاصة في معجم «المتعلقات التناصية» التي يختلف عنها إختلافا بينا . ونعني أقصد بالمتعلقات التناصية، الفئات الكلاسية المعروفة التي تشير اليها النعوت والمصطلحات التالية : (Imitation و Compilation، و prillage و larcin، و emprunt، و Pastishe، و copie، و calque وغيرها) . إنه يتيح للمقارب إمكانية قراءة أفقية - عمودية، تغوص في أغوار النص ساحبة معها مركز ثقلها الاجتماعي والحضاري . ولعل حاجتنا الى التمثيل لبعض أنواع التناص السابقة، ماسة لتتضح الصلة التي ترمي الى ربطها بين النظرية العامة للتناص والتكوينية النصية .

فيما يخص التناص الداخلي يمكن ان نمثل له بمسرحية «الخبز القاسي» Le pain dur لكلوديل التي تعرضت مرات لتعديلات كثيرة، ورواية «الشره» لموبواك التي بلغ عدد نسخها المجددة الصياغة اربعا، وكذلك «صراع الخير» لنفس الكاتب على ان أوضح نموذج يمكن تقديمه هو (Le malfaiteur) لجوليان غرين الذي بلغ عدد تعديلاته خمسا في سنة الألف !!

وفيما يخص النوع الثالث من التناص نستأنس بنموذجين ساقتهما «ليلى بيرون مواثيه» L. Perrone Moisés (من جامعة ساوو باولو) في مقال لها بمجلة «بويطيقا» : .

أ . «حكايات عجيبة» لميشيل بوتور الصادرة عن غاليمار 1961، في 270 صفحة، تصلها ليوتلير !!

ب . «س/ز» لبلزاك : «سقفي س/ز تناص بلزاكي الشخوص التي تتنقل من رواية الى أخرى) يمكن بالنسبة لموضوعنا إدراجه تحت النوع الثاني من التناص ★ . وتناص حضاري بلزاكي أقرب ما يكون الى مقرر القرن التاسع عشر المدرسي(حيث تاريخ الأدب (بيرون، ألف ليلة وليلة، آن رادكليف، هو ميروس)، وتاريخ الفن (ميشال انج، ورفائيل، والمعجزة اليونانية) ومقرر التاريخ (حقبة لويس الخامس عشر) ومختصر الطب التطبيقي (المرض، العجز، الشيخوخة)، ورسالة في السيكولوجيا (العاطفية الخ) ومصنف الأخلاق (المسيحية أو الرواقية . الأخلاق المترجمة الى اللاتينية) والمنطق (القياس مثلا) والبلاغة، ومقتطفات من المأثورات والحكم الواردة في موضوعات الحياة والموت والمعاناة والهوى والنسوة والاجيال الخ) والى هذا النسيج ينضاف النسيج البارتي المحمل بزخم من نصوص أخرى : . بوفار وبكوشيه ومالارميه وروسو وستندال والخطابات التحليلنفسية والاسطورية والالسنية والعلامية الخ» ص (283) .

التناص المكمم : .

الجديد فيما نحن بصدد رصده الآن، يتمثل بالخصوص في مقتضيات التناص كموضوع للاحصاء، او كموضوعة إحصائية اذا شئنا ان نعبر بدقة . كيف يتم تكميم" التناص " ماهو المعطى الابستمولوجي الذي يؤازر مثل هذا الطرح ؟ ماهي حدود المنهج ؟ أي تطوير يمس تاريخية التكوينية النصية عند تطبيق مثل هذا المنهج ؟

كل هذه التساؤلات المتفجرة في صمت ترتبط بمجال التحليل، وتستدعي بعض الدقة عند الأخذ في معالجتها . قبل ذلك ننبه الى ضرورة الربط البنيوي بين التناص التكويني والفقرة الأولى، ذلك أن إقصاء العنصر الذاتي من حظيرة النص فرض علينا بالضرورة مراعاة هذه التقدمة النظرية في مجال التناص التكويني الذي يمثله النوع الأول من تقديماته (أي ما سميناه : التناص الداخلي) . وذلك يحيد بنا عن الرؤية اللانسونية الساذجة التي تضع الذات موضع النص . تقلص من حدود فعله في النوع، لانها لاتتصوره إلا كمصب لتجارب ذاتية . والكتابة عندها تمرين قاس لاستكرار وتحفيز الذوق : . هكذا يعبر «ج. لانسون» عن التناص في زمنه : «.. فأكثر الكتاب أصالة هو الى حد بعيد راسب من الأجيال السابقة وبؤرة للتيارات المعاصرة، وثلاثة ارباعه مكون من غير ذاته، فلكي نميزه، أي نجده هو نفسه . لابد من أن نفصل عنه كمية كبيرة من العناصر الدخيلة . (أقترح تعبير «الدخيلة» بدلا من «الغريبة» الذي استعمله مندور في الترجمة العربية «لمنهج تاريخ الأدب» 1910) يجب أن نعرف ذلك الماضي الممتد فيه وذلك الحاضر الذي تسرب اليه، فعندئذ نستطيع أن نستخلص أصالته الحقيقية وأن نقدرها ونحددها، ومع ذلك فإن نعرفه عند تلك المرحلة الا معرفة احتمالية ...» (13) وإذن «الأصالة» هي ما يبقى بعد ان نكون قد خلصنا المؤلف من المؤثرات المسؤولة عن التناص . وبالتالي ليس التناص سوى عنصر النقاص !

هكذا إذن تظل الذات الوجه الاخر للكتابة وهي إذ تتقمصها، تبلور عبرها ميتافيزيقا النموذج، وتقدم أكثر من باب للنقد الشخصي الذي سمي تجوزا : النقد التأثري الانطباعي .

هذا ما يقتضي التنويه في سياق الحديث عن التناص التكويني وغياب الذات . وقبل ان ننتقل الى إجراءات تكميم التناص، أرى ان نقلل من احتمالات القصور عند مباشرة القراءة البصرية للمسودات . فإذا كان عدم الوضوح طابعا مميزا لاغلب المسودات المحررة يدويا (المسودة «Brouillon» معناها الاشتقاقي : «شيء ماء مضبب «Brouillée» ومنه الضباب «Brouillard» . فإن عملية تيسير قراءتها منوطة . في الحالات الجد معقدة . بالحاسوب . ويمكن الارتكاز على النتائج الهامة التي توصل اليها في هذا الصدد، مختبر البصمات الذي مقره حاليا «بيزانسون» (Besançon) تلك النتائج المتمثلة في ايجاد حل علمي لهذه الظاهرة، حيث يصار عند الفحص المتعلقة بشأنها الى طيف من أجل تحليلها، وهو الذي يمدنا بعد ذلك بالقيم العددية أو الرقمية التي يجري استغلالها أو توظيفها بواسطة الحاسوب . (14) هذا من جهة، أما من جهة أخرى فأرى من الضروري تقديم نموذج «حي» لما سميناه «بتكميم التناص» : . يتعلق الأمر باحدى تجارب الشاعر الروسي الراحل «سيرج ايزنان» Serge ESENIN (+ 1926) حيث يبدو واضحا مدى خصوبة التوظيف الآلي للحاسوب في استخلاص القيم العددية للقوائم النصية المشتركة بين المسودات . فقد أشار «جاك فيرانك» J. Vevrenc في كتابه : «الشكل الشعري عند سيرج ايزنان»، وعنوانه الفرعي : «الايقاعات»، وهو في الأصل أطروحة فرعية لنيل دكتوراه الدولة سنة (1962) (تحت إشراف «بيير بسكال» «P. PASCAL»)

أشار في الفقرة المخصصة «لمختبر ايزنان الشعري» الى تلك الظاهرة (موضوع التكوينية النصية) ظاهرة الشطب (أي التشطيب) وإعادة الكتابة التي يسميها «جان بيلمين نويل» : «الوضع الأفضل للنص» . واورد «فيرانك» شهادة السيد «م. موراسيف» «M. Murasev» أحد المقربين الى الشاعر «سيرج» «بيتروغراد (وهي لينينغراد حاليا)، جاء فيها : «يكتب سطرا، يشطب، يكتب ثانية ثم يشطب . يضع الورقة التي تحمل بداية قصيدته جانبا يأخذ أخرى ويكتب تقريبا من غير شطب، وبعد هنيهة ينشأ يوم كل ذلك . يبدأ أولا بوضع التمسات بحذر شديد، وقد يحدث بعد ذلك أن يغالي في التغيير بحيث لايبقي (بضم الياء) للمسودة الأولى على أثر . وكثير من وثائق الرواية . بصرف النظر عن تلك التي فحصها«أ . نوموف» «E. Naumov»، تقيم الدليل على ما أشار به موراسيف هنا . وعلى كل حال فالأمثلة متوفرة بكثرة . وما يهمنا نحن من ذلك كله هو اثبات جدوى ما اصطلحنا على تسميته «بالتناص المكمم» أي اضفاء خصيصة كمية على تعاقب المحاولات الأولى المنتهية الى النص المطبوع . فاذا كانت مسودات قصيدة «Pugacov» تمثل كثلة تكبر القصيدة النهائية بنحو (خمس مرات)، فإن هذه الاضعاف الخمسة أي : (م - ن أ) + (م - ن ب) + (م - ن ج) + (م - ن د) + (م - ن ه) تمثل متغيرات (Les variantes) النص المكتمل (ن - ج) أي القصيدة . وهي بالتالي . ويتوافر الحاسوب . تكثر الأصول الأولية للقصيدة المطبوعة التي يتعين علينا إفرازها وفق برنامج محدد الى معطيات معينة . لكن ماهي الخطوات المنهجية المعيارية (Standard) التي ينبغي اقتفاؤها في أي تناص كمي ؟

نقوم بشحن ذاكرة الحاسوب ب (م - ن . أ) و (م - ن . ب) و (ن . ج) مثلا وتزويده بمختلف البيانات العرفية المتعلقة بها فيقوم الحاسوب استنباطا ببرمجة هذه المعطيات، وينتظر منا حينئذ أن نحدد الهدف من وراء هذه العمليات . فنحن لانقصد الى قياس تواتر أو نسبة تردد وحدة معجمية بعينها وإنما ننشد أساسا تكميم مجموع البيانات المراد معرفتها وهي على التوالي : . البيانات الضافية والمحذوفة (المطروحة) والمعدلة، في كل مجموعة على حدة، أي في ن][أ . ب . ج][، ثم تصنيفها بحسب الحضور (ونرمز إليه في الجدول الآتي بعلامة omega (ω)، والغياب (ونرمز اليه ب ‖)، والنوع وخصائصه، ومتوسط الطول، ونسبة الورود ومعدلاته . ويتعين علينا وفق هذا النسق، أن نقوم بتوضيب وحدات القوائم أو الجداول على النحو الآتي : .

البيانات التي نعرضها	—	{ }	العناصر التركيبية ⊙			متوسط الطول	نسبة الورود	معدلاته
البيانات الضافية	×	×	●	▲	●	×	×%	× و×
البيانات المطروحة	×	×	●	●	●	×	×%	× و×
البيانات المعدلة	×	×	●	●	●	×	×%	× و×
مجموع البيانات	×	×	●	●	●	×	×%	× و×

ملحوظة ● الخصائص التركيبية أقصد بها المقولات والجمل (الفعلية والاسمية والرابطية)، فيما يخص هذه الأخيرة تراجع الصفحات (78) الى (82) احمد المتوكل (1985) «الوظائف التداولية في اللغة العربية» . ونقصد أيضا هنا أن يتحصر العمل الاحصائي في (الأسماء والأفعال والظروف والصفات) كما يفعل «غيرو» .

عود الى الجدول وقضاياه :

لايحتاج الجدول أعلاه الى تفسير، لكن من المؤكد أن في مكنته أن يدلنا على مدى وجود اقتصاد نظمي لتوزعه النصوص جميعها على وتائر مختلفة كما في وسعه ان يعين بالدقة المرجوة، فعاليات الكتابة، سواء الكتابة، سواء تمثلت هذه الفعاليات في أشكال الاستزادة والاضافة أم في أشكال الاختزال والحذف، أم في الشطب والتعديل . وتبقى القيم والمضامين الاستطيقية والاسلوبية المتعلقة بهذه الفعاليات مناط دراسة أخرى مستفيضة تهتم بالتكيف وإصدار الأحكام وتستوحي من منهجيات التأويل السائدة، وأساليب مقاربة الخطابات، ما يمكنها من ابراز تلك المضامين وكشف أبعادها ودلالاتها .

ان نهوض تجربة رائدة على هذا النحو المتماسك لتسهم . فضلا عن تلمس مائية التناص وبنائه السطحي . في التقاط مجموعة من العلاقات والانماط التي تحكم الظاهرة التناصية في وحدتها وتعددها . ولربما صار في إمكاننا . في اطار نظام ما . أن نتحدث عن نوعين من التناص : . بسيط ومركب . لكن ! لابد من الحذر . لعل الضرورة الابستمولوجية تقتضي أولا أن يحصر الباحث مجال عمله بدقة متناهية بحيث يحصل التمييز بين عمل يستجيب لشرائط الاختبار وعمل شاذ عن القيود أو الضوابط المنهجية . وتقتضي ثانيا بتوحيد المنظور والشفرة حتى لاتقع المزج اعتباطا بين الشتات وفئات ليست بينها أية قواسم مشتركة الى غير ذلك من الاجراءات الاحترازية المنهجية البالغة الأهمية .

ولنا ان نشدد في هذا السياق على ملاحظة «ريفكا فرومكينا» . (R. FRUMKINA) مديرة جماعة الاحصاء الألسني بمعهد الألسنية التابع لأكاديمية العلوم بروسيا .

«إذا قياسات معينة لم تأت بمعلومات جديدة في بحث معين، فذلك يعني ببساطة أن الباحث اختار قضية لاطائل تحتها . بعد أن وضع القضية بما هي كذلك، خارج عن كفاءة مناهج الحل، احصائية كانت أم غير إحصائية . وبالتالي فإن وجهة النظر الشائعة الذاهبة الى أن غاية استعمال المناهج الاحصائية في الأسلوبية، هي الحصول على جواب عن السؤال : . «كم ؟» صائبة وخاطئة في ذات الآن . صائبة لكونها تعكس الوضع الراهن للأشياء، وخاطئة لأن توظيف المناهج الاحصائية في الأسلوبية كما في أي علم من علوم الملاحظة والتجريب، الممكن بمآل أن يختزل الى قياسات» .

ان من شأن ضبط لوغاريتمات الاحصاء في الجدول أعلاه، أن يفرز معادلة مفادها أنه كلما تجلى تمايز (ن . ج) عن (ن . ب) وهذه الأخيرة عن (ن . أ) وتبدى بوضوح للعيان، كلما تقلصت حدود التناص التكويني وضعفت حظوظه وانشلت كثافته وغدت الاحالة على المظان ممارسة خصبة تصب فيها الطاقات السالبة متنوعة وتأخذ فيها القراءة شكل مثلث ذي زوايا وأضلاع . فالتناص التكويني إذن جانب استشرافي (Prospectif) يتسلم سلمية الأهميات . وهو بتعبير باحث معاصر «شيء لامناص منه، لأنه لافكاك للانسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته» . (15) .

الخطاب : .

ان مصداقية المنهج الاحصائي، وكل المناهج فيما اعتقد، ليست فيما تعطيه أو ما تسفر عنه من نتائج، ولكن فيما تطرحه من قضايا وإشكالات . وإحدى هاتيك القضايا . فيما يخص الاحصاء . ضرورة التنسيق مع أنظمة التحليل الاوتوماتيكي، التي تضع موضع تساؤل طبيعة الخطاب الأدبي نفسه . (16)

حديثنا هنا عن الخطاب يستدعي منا، لامحالة، وقفة متأنية نثير فيها الشيء هو أيضا وإن كانت الأهمية التي تكتسيها الملاحظة التي نحن بصدد إثارتها، تقتضي بحثا منفردا يستأنس بدراسات «تحليل الخطاب»، ويمتح منها ما يسعفه في النفاذ الى صميم الاشكالية .

لاشك أن مفهوم الخطاب غير جذريا منظورات الألسنية المعاصرة : . فقد جدد تحليل الخطاب إشكالية المعجمية La Lexicologie برؤيته الى الجملة كوحدة، وإعادة ادماجه لفاعل المقال والصيغ الايديولوجية إزاء المتكلم . السامع المثالي، حسب تصور تشومسكي . وبذلك انتهى تحليل الخطاب الى ملاحظة ضرورة قيام دراسة مجددة للروابط الناشئة بين اللسان والمجتمع» (17) لكن . أليس لنا أن نتساءل عن موقع الجملة باعتبارها الوحدة التحليلية من أنظمة التحليل هاته ؟

. التحليل التوزيعي «يتوقف عند الجملة، وقد يجاوزها الى ما عداها . في حالة حصر واختزال القواعد التوزيعية لمجموعات خصائصية من المتواليات الجملية الى تمثلات مفهومية . وذلك حسب وجهة نظر هاريس (1969) الذي يرى أنه على تحليل الخطاب أن يعنى :

أ . بالروابط التوزيعية التي توحد الجمل .

ب . بظائف اللسان والوضعيـــة الاجتماعية .» (18)

لما وقد تبين الاتساع المفهومي لمصطلح «الخطاب»، فإننا سنضطر الى تجاوز الجملة كوحدة الى النص . ذلك أنه «لاالعلامة (سوسير)، ولاالجملة (تشومسكي) يمكن أن يكونا الموضوع الوافي بغرض نظرية الخطاب فالجملة لاتشكل أصغر ولا أكبر وحدة لغوية، مادام في الأدنى يوجد الصوتم (الفونيم) وفي الأقصى النص . » (19) ولن تدعو الحاجة الى

البقية في عدد قادم

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 27 ■ السبت 20 أبريل 1996

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 - ISSN0851
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

قراءات

صدر مؤخرا للناقد عبدالفتاح الحجمري عمل يحمل عنوان «عتبات النص: البنية والدلالة» قدم له الأستاذ سعيد يقطين. اقتراب منهجي من عتبات النص (الهامش - المركزي جدا) من أجل تحديد الوظائف البنيوية لاشتغالها، وتعيين مدخل آخر لتماسك النص وتعالق مكوناته «ضمن بنية دلالية شمولية تراعي سياق وشرط إنتاج الخطاب وتداوله» ص (11).

في كتاب «عتبات النص: البنية والدلالة»

عبد الباسط الكراري

1-1-1 في المبحث الأول (عتبات النص في رواية «الضوء الهارب» لمحمد برادة: البنية والوظيفة) يسعى الناقد إلى استجلاء قوانين التجنيس، والأنساق الداخلية لتنظيم النص واستلزاماته المرجعية والتخييلية من خلال رصد يمتلك أدواته ويعي حدودها متخذا من «الضوء الهارب» شريحة نصية سردية لاشتغاله. شريحة يطبع تكويناتها البنيوية التعدد المنفتح على أسئلة الكتابة، وأبعادها النظرية، ورهاناتها التاريخية، واختياراتها التصنيفية أيضا. وتحضر مرجعية «العتبات» (SEUILS) كما نظر لها جيرار جينيت بخاصة لتؤسس علاقة توليدية مع مبدأ اختيار شروط تأطير المحكي في «الضوء الهارب» في مستوياته التخييلية والتأويلية والتداولية على حد سواء.

يتحدد منطوق العنوان - العتبة (الضوء الهارب) داخل عملية إنتاج المعنى في الخطاب. وهو معنى استعاري متشعب تشرطه مقصدية ترتب عليها الدينامية البانية لعوالم النص ككل «ولذلك كانت موضوعتا (الضوء) و(الهروب) تتجهان، على امتداد مقاطع وفصول الرواية، نحو تنظيم العديد من الصور الحكائية مراعية في ذلك خصوصية الأبنية الزمنية وتأطيراتها الفضائية وأوضاع ذواتها السردية» ص (20-21). ومن خلال رصد هندسة الفضاء الدلالي المتشعب للعنوان يتكشف مساعدة الحجمري «بالمسار الدائري» كإحدى الآليات التي تنظم / تكثف بنية المحكي وتحكم تناسل ملفوظاته السردية وأدواره العواملية عند محمد برادة ليس فقط في رواية «الضوء الهارب» وإنما في «لعبة النسيان» أيضا.

ويمنحنا المحتوى الفضوي لمكونات جملة الغلاف بمفاتيح أخرى لولوج عتبة أساسية في النص. وهنا تتسع مدارات المساءلة في مستوى تراتبي أوسع يشمل الخطاب «إنه جوهر التشكل الخطابي للعمل ضمن النص» ص (23). وتتأسس البنية الافتراضية للمساءلة على إعادة بناء الاستلزامات الدلالية التي تتيحها عتبة العنوان، وموضعة إشاريات (DEICTIQUES) الملفوظ السردي في إطارها التواصلي مع القارئ (إطار له محددات سطرية يجليها النص المحكي؛ واستبدالية تصادر على وجود ميثاق مفترض بين التحقق السردي - النصي، والتحقق الفعلي - الواقعي لصوت السارد كما تظهره بعض المقاطع). وهنا أيضا تلوح آلية أخرى يسميها الناقد «بتبادل الأدوار» في صوغ الخطاب. إنها استعارة تتأسس على استبدال كامن موكول تفكيكه إلى المتلقي الذي يطلب منه، بما تستضمره خلفيته المعرفية من أنظمة دلالية، أن يتبنى موقف المشاركة والتساؤل.

وبالتمعن في الصيغتين الداخلية والخارجية لكلمة الغلاف، وتمثل قوانين لعبة الترقيم (Ponctuation)، يتاح للمتلقي، مرة أخرى، أن يمتح من منظومة تلك الأطر (FRAMES) المركوزة في واعيته النقدية أساسا، ما يسعفه على تحديد «خصوصية قصدية التوظيف» ص (25).

1 - 1 - 2 - بعد تأطير نظري مختزل لأساسيات العتبة الثانية: (الإهداء)، يخلص الناقد في خاتمة المساءلة إلى أن الحضور الصريح لشخص المهدى إليه (صنع الله إبراهيم) - بما يشف عنه ذلك الحضور من حمولة رمزية (ثقافية)، وسيميائية (تواز نصي) - إنما «ينم عن اختيار هاجس تبرره تمثلات الكتابة باعتبارها همّا ثقافيا مشتركا. خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة الإضافة النوعية والبينة التي تراهن عليها كتابة صنع الله إبراهيم ومحمد برادة الروائية الطامحة» ص (29). وهذا الافتراض - بعيدا عن مظهره الإطرائي التعييني الواضح - يسعى ضمنيا إلى تسمية المسار الدائري لطبيعة الإهداء، وانفتاح دورته على استيهامات القارئ المشارك المفترض، الذي يندغم متخيله في مبنى المحفل السردي بوجه عام.

1 - 1 - 3 - ومن نحو آخر، تمنحنا الشذرة الاستهلالية بما هي عتبة نصية إمكانية صوغ افتراضات بخصوص طبيعة البناء الداخلي للخطاب السردي. وقد كشف التحليل الممارس على الاستهلال في «الضوء الهارب» عن التجليات الأساسية لهذا البناء متمثلا في كونه «يشكل مقترحا إضافيا لمقاصد الخطاب الروائي تصورا وتمثلا وتحققا» ص (32)؛ وفي طابعه التوجيهي من حيث هو «موجه نصي للقراءة يظل القارئ مستحضرا له ومتمثلا لمضمونه» (ص ن). ومن ثم خاصيتا الانغلاق (الحكاية) الذي تؤطره التحديدات البرنامج السردي بوجه عام، والانفتاح الذي يتيحه الأثر في تنضيد علاقاته الإنتاجية مع مبادئ منظومة القراءة الممكنة. ويتعين التأكيد، في هذا السياق، على ضرورة إدماج هاتين الخاصيتين المتضامنتين في فضاء أكثر سعة هو فضاء التكون النصي الذي يشتغل بدوره كمولد أساس داخل بنية التعدد السيميائي لحقل الاستهلال.

1 - 1 - 4 - وتأتي العتبة النصية

الثالثة: (كلمة الشكر والتنويه) في «نهاية المادة الحكائية» للضوء الهارب، إلا أن لها مع ذلك ما يؤسسها في مدارات الحكي الباطنية بالنظر إلى توافر محددات تناصية وتعليقية وظيفية مصاحبة «تجعل من توحد السياق التضميني للحكاية خاصية مميزة في التوظيف والاشتغال» ص (35). فالنص إذ ينفتح على البنيات الحكائية يدعم قوة التوازي التي تجنح أحيانا إلى جعل خاصيتي «الانغلاق» و«الانفتاح» اللتين ألفيناهما أنفا متعاضدتين في الاشتغال الحكائي. وهذا ما «يجعل من عتبة الشكر والتنويه مكونا مرجعيا مدمجا ومنصهرا ضمن نص الرواية، متصلا غير منفصل عنه...» ص (38).

2-1-1 - «يحمل التقديم كل خصائص الخطاب» و«يسعى في الآن ذاته إلى استخلاص نموذج لإنتاج النوع الذي يتحدث عنه، ونموذج لقراءته أيضا» كما يوضح ذلك «هنري ميتران» (ص «26» من «خطاب الرواية» - م ج ف - 1986، باريس)، واستنادا على دراسة «جاك دريدا» الشهيرة: «La Dissemination» يؤكد ميتران - وهو أحد السباقين إلى نمذجة مبادئ الخطاب المقدماتي - على أن التقديم الأدبي بميله إلى اختزال وإجمال دلالة الأثر الممهد له؛ والكشف عن القواعد الخفية للتنظيم الذاتي، يعتبر «كذبا أو وهما حول النص، ميزاته، تحديدا، التعدد الدلالي، والتعدد الصوتي، ووفرة الإمكانات الدلالية...» (ص (32) المرجع نفسه)، ومقابل هذا «النص الغائب» ينطلق عبد الفتاح الحجمري في المبحث الثاني المخصص لعتبة المقدمات في كتابات عبد الفتاح كيليطو، من تساؤلين مركزيين: «لماذا دراسة المقدمات المتصدرة للكتب النقدية (والإبداعية أيضا)؟ وماهو التصور الذي يحكم خلفياتها باعتبارها نصوصا موازية؟» ص (40)، ليرصد مجمل الاعتبارات النظرية المتحكمة في مقصدية خطاب المقدمات أطروحة، ومفاهيم، وتصورا. ويشرع، في تحديد مختزل للحقل الدلالي للمفاهيم المقدمة في الخطاب المقدماتي الذي يتصدر إنتاجات كيليطو النقدية (1982 - 1985 - 1987 - 1988) بالنظر إلى صدورها «عن وعي خاص ببناء المقدمة» ص (62)، قبل إجراء تأطير نظري للتقديم الذي استهل به عبد الكبير الخطيبي كتاب «الأدب والغرابة»، مع الوقوف على مقاصده المنبثقة من أسئلة العمل النقدي المقدم له؛ والمستندة على جهاز واصف يروم تجريد منطق العمل ذاته. «بهذا المعنى، يمكننا القول، مبدئيا، أن تقديم الخطيبي يسعى نحو الإمساك بخيوط التصور النظري (النقدي والتحليلي) الذي ينجزه كيليطو، وعليه فإنه تقديم تركيبي» ص (47). ويحاول الحجمري جاهدا أن يضيء مناطق التوازي والتناظر - أفقيا وعموديا - بين محمولات المتن المقدماتي، والتمثلات النظرية للأطروحة النقدية وإشكالاتها عند كيليطو، فيما تكشف الافتتاحية - إلى جانب طابعها التوجيهي و«تعدد مستوياتها التركيبية» - عن سعي المؤلف إلى تشكيل لغة واصفة يشتقها من الحقول النظرية لمقارباته النقدية تمهيدا للمساهمة في صياغة نسق القراءة الممكنة.

2 - 1 - 2 - ويقوم الشق الثاني من المبحث على استقصاء تمظهرات الخطاب المقدماتي في التمهيد (تسع صفحات...) الذي استهل به عبد الفتاح كيليطو عمله حول «الكتابة والتناسخ» (مفهوم المؤلف في الثقافة العربية الكلاسيكية (!) علما بأن العنوان الأصلي للكتاب: - L'AUTEUR ET SES DOUBLES، هو من اقتراح «تزفتان تودوروف». وقد حال هذا الإنجاز النقدي بمتغير جديد هو ما سماه «بالتشخيص الحكائي» ص (51) عبر توظيف الزمن الاسترجاعي للذاكرة الساردة. فضلا عن بدائل أخرى اعتبرها الناقد قانون التمهيد «الخاص ونظامه المؤطر الذي يسعى كيليطو إلى الوقوف عند ثوابته من خلال بناء مشروع نقدي ومعرفي حول المؤلف في العديد من الأنواع التي عرفها الخطاب العربي الكلاسيكي» ص (52). وبقدر ما ينشغل كيليطو في هذا العمل بمفهوم المؤلف «كإبستيمة» تؤطر نظام الخطاب في الثقافة العربية حيث «لا يكفي لقول ما أن يتوفر على انتظام خاص كي يعتبر نصا (بل) ينبغي، فضلا عن ذلك، أن يصدر عن، أو يرقى به إلى قائل يقع الإجماع على أنه حجة (و) حينئذ يكون النص كلاما مشروعا ينطوي على سلطة، وقولا مشدودا إلى مؤلف - حجة» (الكتابة والتناسخ - ص (13 - 14)، بقدر ما يسهم في إقامة صرح رصد جنيالوجي للمفاهيم النقدية الفرعية الثانية أساسا من عامل التشعب الذي يطال وظائف - سلطة المؤلف في اشتغال تلك الثقافة ذاتها: - (أنظر مثلا مقال: ما قبل النص كعملية أدبية - رد على «جان إيدين اليه» (بالفرنسية) لكراري عبد الباسط. جريدة ALBAYANE، عدد (3833)، ص (5) - 18 فبراير 1988 - ومقال عبد السلام بنعبد العالي: المؤلف في تراثنا الأدبي، مجلة الوحدة عدد (8) ص (144) رأس العمود الثاني، 1985 - و«موت المؤلف، موت النص من منظور التكوينية النصية» لكراري عبد الباسط، العلم الثقافي، العددان (817) (818) سنة 1987).

يكتسب التمهيد /العتبة، في «الكتابة والتناسخ»، كل معايير التقديم النظري لانفتاحه، من جهة، على بعض أسئلة الثقافة العربية «الكلاسيكية» التي تمت مقاربتها في الكتاب، وعلى آليات الخطاب الواصف بحمولتها المرجعية المؤشر على تجلياتها في الإحالات على المظان النقدية الأوروبية، من جهة أخرى. وقد نبّه الأستاذ عبد الفتاح الحجمري إلى هاتين السمتين الدالتين، بما يكتنفهما معا من تنوع إجرائي، على مستويات: أفق الانتظار؛ لغة التمثيل والاستعارة؛ خلفية التوازي النصي. وهي «بدائل تسعى إلى تبيان بعض ملامح المجال القرائي الذي يرتاده كيليطو بلغة واصفة لها قانونها ووضعها الاستثنائي في مجال الكتابة النقدية العربية» ص (55).

2 - 1 - 3 - إذا كانت صيغة التمهيد (1985) قد بنيت على أساس التكثيف النظري لحمولات النص وتيماته * فإن «الصيغة القديمة (للغائب)» تؤسس تميزها عن بقية الصيغ من حيث إنها «تظل مختفية ومتوارية خلف الاستعراض التحليلي الشمولي لموضوعات المقامة الكوفية، وتأبى أن تكشف عن بعض من ملامحها، ولا تُنْبي عن أولى خيوطها إلا في الأسطر القليلة والأخيرة المخصصة لها» ص (55). وقد حاول ذ. الحجمري الكشف عن تجليات اندماك النص لتلك الصيغة، من خلال ثلاثة محاور رئيسية: (الزمن - الشخصيات - النص المسرود) منتهيا إلى مجموعة من الخصائص المنهجية المشكلة للخلفية المعرفية التي تحكم مسارات الكتابة بمنحاها الافتراضي - المنفتح، وتشغيله الخطاب التأويلي - الحواري (لضمان الإشراك الفعلي للذات القارئة في سيرورة البناء والتأويل) في مشروع «الشعرية المفتوحة» عند عبد الفتاح كيليطو. (تستحسن العودة إلى مقال: «القراءة مستودع الفكر واللذة»، محمد عفط، ملحق الاتحاد الاشتراكي، عدد (429) ص (4) - سنة 1994 للمقارنة).

2 - 1 - 4 - في عتبة التقديم «للحكاية والتأويل» تلوح معالم أخرى لاستكشاف قوانين السرد عبر إثارة أسئلة نظرية تخص واقع السرد في بنية الثقافة العربية، والضمور الذي يعانيه خطابه الواصف تحت ضغط وهم التخصص، وإعراض الدارسين عن تجسير الهوة بين الأنواع الأدبية والعلوم الإنسانية... وإذا كان كيليطو يراهن في مسلك القراءة الذي يتبناه منذ «الأدب والغرابة» (وهو ما يظل مطروحا للمساءلة والدرس النقديين في ضوء معطيات «نظرية النماذج» الحديثة)، فإنه سعى، من نحو آخر، إلى البرهنة على ملاءمة (PERTINENCE) مقولات تحليلية جديدة؛ وتبيان حدودها التجريبية (ممارسة تحويل إجرائي مثلا على طبيعة «النمط» في كتابة «الجرجاني» «ذاهبا إلى أن كتاب «أسرار البلاغة» يروي حكاية من الحكايات» ص (6)). وفي تصور الدارس أن المقدمات المنهجية التي يرصدها العمل في عتبته التقديمية تنتظم حول ثلاث علاقات / مفارقات جوهرية: - مفارقة القراءة في إطار البنيتين الثقافيتين العربية والغربية - مفارقة عدم تكافؤ الوضع الاعتباري للنوعين الشعري والسردي - مفارقة قيود الأنواع، ووجوب الحد من سلطتها المرجعية لإثراء المقاربة السردية. و«تشكل هذه العلاقات، مجتمعة، بعض مجالات البرنامج الذي أشر عليه كيليطو في تقديمه. خاصة وأنها -

البقية ص 10

في كتاب «عتبات النص: البنية والدلالة»

تابع ص 3

يقول الحجمري - علاقات تلتف حول قضيتي: - المنهج والتأويل اللتين تأخذان بعض مواصفاتهما من النصوص السردية الستة المشكلة لمتن القراءة» ص (61).

3 - 1 - 1 - وفي المبحث الثالث المخصص «لعتبة الحوار والاستجواب عند عبد الكبير الخطيبي: - المفترض والقضية»، يستعيد الحجمري مرة أخرى تصنيفات جيرار جينيت ليحدد مفهوم عتبة الحوار ووظائفه، والفرق بين الحوار والاستجواب، فيبرز أن تصوره لهذين الشكلين التعبيريين يندرج «ضمن ملمح نظري شمولي حدده في ما أسماه بـ (épitexte public)، أو ما يمكن ترجمته مؤقتاً بالنص العمومي المصاحب (أو النص العمومي العارض)، وهو كل نص مواز لا يوجد مادياً ملحقاً بالنص ضمن نفس الكتاب، ولكنه ينتشر في فضاء فيزيائي واجتماعي غير محدد بالقوة...» ص (63). ولهذا النص الموازي ترتيب زمني، ومرتكزات تداولية، وسياقات تواصلية (استغلال الوسائط Les MEDIAS) تنظم علاقة الباث برسالته وبالجمهور. ومقابل ذلك تتم الإفادة من بعض التحديدات التمييزية بين الحوار والاستجواب بهدف بلورة «قراءة إنتاجية» لها اقتضاءاتها النوعية المستمدة من طبيعتهما النصية الأصلية والفرعية؛ وفي سبيل التوصل أيضاً إلى صياغة عدة فرضيات تحليلية من شأنها أن تساهم في تأطير متن الاشتغال المطبوع بالكثافة والخصوبة والتضافر الصميمي بين مكوناته ومحمولاته. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار «الحوار والاستجواب عنصراً من عناصر إنتاج المعرفة» ص (64)؛ و - ضمنيا - إنتاج معنى يشكل خطابا حول هذه المعرفة. وهذا الخطاب وذاك المعنى هما بؤرة المبحث الثالث وعصب موضوعه. فمساءلة أطروحات الخطيبي (بخصوص فكر الحداثة وحوار حقول المعرفة الإنسانية)، والإنصات إلى نبض قراءتها الحميمية... فضاء آخر يلذ للناقد الحجمري السياحة في أقاليم متخيله بحثاً عن قوانين غرابته وانزياحه. ويتضح من قراءة المبحث الثالث أن الناقد لا يُعنى في المقام الأول من الاعتبار بإنجاز دراسة أكاديمية عن فكر الخطيبي (كما فعل ذلك الأستاذ حسن وهبي في كتابه: «كلمات العالم» 1995) من خلال كتاباته النظرية والإبداعية على امتداد أربعة عقود. وإن كان قد توصل في انتخاب شديد إلى تلمس شرائح من أسئلة الخطاب الفلسفي ومجالات الفكر المعاصر عما تبدت في فسيفساء تلك الكتابات الخطيبية؛ ولكنه يسعى في خط منهجي موحد، إلى الوقوف على القوانين والآليات الضمنية (Sous - Ja - cents) المتحكمة في اشتغال الحوارات وتوالد قضاياها وعوالمها «بحثاً عن تواصل ممكن، بل وبحثاً أيضا عن شكل تعبير لإنتاج المعرفة وصوغ المفاهيم» ص (65 - 66). وتتحدد تبعاً لطرائق الصوغ وأشكال العرض والتقديم «ثلاث إمكانيات أساسية: - الوصف، الشرح، التأويل. على أن تحديد هذه الإمكانيات يختلف من موقع حواري إلى آخر، بما أنها إمكانيات تتكلم مرجعيتها النظرية انطلاقاً من شبكة مفاهيمية تجعل منها نواة لوصف الظاهرة أو شرحها، أو تأويلها...» ص (66) كما أن ثمة تناظرا مع باقي العتبات التي عرض لها الكتاب في مسألة المقصدية.

3 - 1 - 2 - لا ينطلق المبحث الثالث المخصص لعتبة الحوار والاستجواب، ولعبة تبادل المواقع في إنتاجات الخطيبي المحاور والمستجوب، من متن محدد ومعطى. إنه يسعى، في الواقع، إلى أسئلة فكر ما عبر أنسجة حوار عدة نصوص. ولعل القارئ أن يستشف من سيرورة الدرس والتحليل نوعاً من الاستراتيجية منبنية على اقتراح نواة كتابية معينة يتم تشعيب مسالكها ومتاهاتها لملامسة بعض مظاهر تقاطع خطوط الفعالية الإبداعية - بنيوياً - في فكر عبد الكبير الخطيبي: «مواقف الكتابة» مثلاً، نواة أساسية لملامسة امتداداتها التصورية في حقول السوسيولوجيا، والسيميائيات، والفلسفة، والتحليل النفسي، والفنون الترسيمية، والسيرة الذاتية باعتبارها «نصا يعتني بتشغيل المواقف. مواقف الكتابة نفسها في ارتباط بموجهات الواقع والمجتمع والتاريخ» ص (74). ونعني أيضاً تلك النواة «بالطريق الضروري» - حسب المفهوم الماركسي - يوجه سيرورة النسق النظري برمته. ويؤسس الشرط الأساس لحواريته الصميمية. وفي أعقاب تلك السيرورة، تتحطم البنيات السائدة (جذور قيم السيادة الميتافيزيقية)، وتتفتت النظم الاصطلاحية بقوة، وعنف أحياناً (تحت المنظار النيتشوي تحديداً)؛ بحيث يبدو فكر الخطيبي في المحصلة بحثاً حثيثاً عن الطاقات المفجرة للانقطاعات النوعية. وبهذا المعنى، بحثاً عن «مواقعية» (Topologie) جديدة لعنف المعنى، و «جراح الاسم»، كما يفضل الخطيبي أن يقول. (أفكر هنا في مسألة «الهوية والاختلاف» في الذاكرة الموشومة، ومسألة «النص والجسم» في الاسم العربي الجريح، والحمولة الدلالية لمقولات من قبيل: «تفكيك التراثية في مستوى القيم والأخلاق والمفاهيم الموجودة في هذه التراثية (...) في سبيل مشروع نظري جديد (...) في سبيل موت جديد» ص (30) من مجلة «فلسفة»، العدد الأول، السنة 1992 - وقوله: «نعتقد أنه من الواجب التخلي عن الدراسة النمطية في السوسيولوجيا لأنها تخفي وراءها ميتافيزيقا «الكليات»، في حين أننا نود أن نقضي على تمركز المعرفة الغربية ونزعها شيئا فشيئا عن ميتافيزيقاها الأرسطية» ص (158) من «النقد المزدوج» - وأفكر في قوله: «إني لا أدرس فلسفة الكائن إلا من أجل الإحاطة، بجدارة، باللامفكر فيه في كتاباتي. وليس بهدف مجرد التفكير فلسفيا» ص (10) من مجلة (PRO-Culture)، حوار مع الأستاذ عبد الله بنسماعين، عدد (12)، خاص بالخطيبي - «المثال (Le Simulacre) ليس انعكاساً بسيطاً للنموذج، بل هو ضعفه القاطع» ص (5) نفسه - «أعيد التأكيد على أن الأنا هو تعدد الأصوات، ولا أحد يمكنه توقيف الحوار مع الذات ما دام الأمر يتعلق بتجريب على الذات نفسها، أي على الآخر... لأن أنا هو الآخر كما يقول رامبو. وهذا الأنا في حواراته هو ما يعطي لما أكتب شكل جنس ما...» ص (5)، ملحق الاتحاد الاشتراكي، العدد (219)، السنة 1988، حوار أنجزه محمد بهجاجي وحسن نجمي، على إثر صدور كتابه «من فوق الكتف» - «... مشروع مقدمات لم تستثمر لفكر يجهر بأنه لم يقرأ بجدية بعد» (راجع الحوار نفسه، (ص. ن).

هل يمكن اعتبار زوايا النظر في «المفترض والقضية» مجرد «تعتيمات أعراضية» (Des scotomisations symptomatiques) كما يقول الأستاذ عبد الله بونفور بشأن القراءات الاختزالية التي تستبيح لا مقروئية النص الخطيبي. تلك اللامقروئية (ILLISIBILITE) «التي ليست سوى صمود النص أمام عمليات الترجمة»؟ (PRO-CULTURE - مرجع مذكور - ص (43)). إن الحوارات المختارة في هذا المبحث الثالث تبدو لي وكأنها استجابة طبيعية لمقصدية «سكولاستيكية» مسبقة تتقمص لغة الشرح (لغة التقديم بامتياز) لإثبات شرعية الخطاب الواصف (أي مرجعية «العتبات») دون الوعي بالحدود النظرية القائمة بين لغة الحوار، ولغة الخطاب المدروس. وهنا تتبدى مظاهر الهاجس التجريبي الذي أكدنا المرار الكثيرة على أنه «عقبة ابستمولوجية» تحول دون إحراز تقدم ملموس ونوعي في الدرس المنهجي المعاصر. إن ثنائية: نظرية ——— تطبيق، إذ تتهدد خصوصية البناء الافتراضي للنماذج، وتقلص حمولتها الأونطولوجية، تحت ضغط آلية التحقق التجريبي، تطرح على الناقد إشكالية المزج الاختزالي بين الفكر الخطابي (PENSEE Discursive)، والخيال النظري الخلاق. كل ذلك، في غياب قوانين فاصلة تُنظم تداول المعرفة النقدية في ظل طرفي الثنائية العصية على التحليل. إن الأستاذ الحجمري لا يعنى - كما أسلفنا - بفكر الخطيبي إلا بالقدر الذي يسعفه على تجريد قوانين الحوار كما حُددت نظريا واستدلاليا أيضا. وهو ينطلق إذن من نواة تعدد مواقف الكتابة، في لزومها (مواقف الكتابة من الكتابة ذاتها)، وفي تعديها (مواقفها من الكائنات والأشياء) ليتنهي إلى مجموعة «شروط واقتراحات» حصرها في:

«(أ) - التأكيد على أن «الذاكرة الموشومة» هي مجرد لبنة في عمل طويل يستهدف الخطيبي من ورائه اغتصاب المحرمات وتحطيمها، ثم الإسهام في خلق قيم جديدة...

(ب) - التأكيد على أن الكتابة هي وسيلة من بين وسائل أخرى لبلورة القيم التي نعمل على إيجادها.

(ج) - التأكيد على ضرورة الاقتناع بتغيير القيم القائمة في كل المجالات، والعمل على خلق قيم جديدة عميقة الأسس والمرتكزات...» ص (78).

3 - 1 - 3 - ويفسح الناقد حيزاً آخر لمسألة الخصوصية كما قاربتها أعمال الخطيبي ميدانياً عبر الدرس السوسيولوجي، ونظرياً عبر معالجة حداثية متميزة للقضايا الفكرية والثقافية المعاصرة الكبرى مغربيا وعربيا: إشكالية التراجع الفكري - وضعية الاستشراق وتحولاته - مفهوم المركزية الغربية إثنوغرافياً وفلسفياً - موقع المعرفة العربية في المشهد الإنساني - .. «بهذا المعنى - يقول الحجمري - يتحدد تصور الخطيبي للكائن والكينونة في علاقتهما بمفهوم الهوية» ص (82)؛ ويبلور ممكنات الانفتاح على المعرفة الكونية من خلال آلية متقدمة جدا في النقد والنقد المزدوج أيضا.

وإذا كان الخطيبي يقر بأن حوارات الأنا هي «مايعطي لما يكتب شكل جنس ما»، فإن الحوار التصعيدي المعلن والكامن لا ينفصل عن موقف خاص من التأويل (أو إذا شئنا: من «السيمياء التفاعلية»، كما يسميها الخطيبي (L'INTERSEMIOTIQUE))، وفي هذا السيمياء يلوح أفق مواز يتعين رصده في «تمثيلات الكتابة» عنده؛ ويبرز بخاصة في المنظور المطعم بالتصورات التي «تتخذ من الازدواجية والاختلاف منطلقا لتحديد المنطق الدال لكل حوار مع الذات ومع الآخر» ص (83). وهنا تُطرح قضية النهج في تناول مسألة «الازدواجية والاختلاف» باعتبارها مسألة كلية. فجُرح الازدواج، ومعاناة الانتماء - في لغة الكتابة - إلى الآخر، لا يتم استقبالهما سلبياً أو بنوع من الرضوخ الانقيادي لوضع يبرز أيديولوجيا خارج وضع الذات نفسها في علاقتها بذواتها الأخرى (أي بتعددها الحواري القائم الثابت)، وإنما يفترض «تحويلها، مساءلتها ضمن تفكير بمحتويها، تفكير جمع، مميز، يقظ للحركة العالمية الشاملة» ص (81 - 84). وأطروحة التفكير الجمعي بقدر ما تحررنا من ثنائية الذات، بقدر ما تسمح بتغيير منظورنا لكينونتنا الجوانية على أساس رؤية فاحصة لأبعاد اختلافها المنتج والممتد في مساحة عريضة من البنيات الرمزية (وضمنها «التمثيلات الكتابية»). وهكذا، إذن، فمسألة «الازدواجية اللغوية» - فضلاً عن كونها واقعاً لسانياً؛ سياسياً، ثقافيا - تظل موضوعاً لتشغيل ما أسماه الخطيبي آنفا «بالسيمياء التفاعلية»، بدءاً من: «الحب المزدوج اللغة»، وانتهاءاً بإصداره الأخير: «حضارة تفاعل العلامة». تتحول تلك الازدواجية «أو التبلّي المزدوج للغة» حسب عبارة حديثة للكاتب، إلى سيرة ذاتية ترتبط «بتمثيلات كتابة أدبية مغاربية» ص (84) لها وضعها الرمزي، وحركيتها المنفتحة على أسئلة الراهن والممكن أيضاً**.

3 - 1 - 4 - في الشقين الأخيرين من المبحث الثالث، يواصل عبد الفتاح الحجمري قراءة الخطاب الفكري ووصْل أجزائه بنفس الرؤية الحوارية التي صدر عنها في باقي أقسام الكتاب. ويتأمل في «السياسي وسؤال الديموقراطية» لتأطير المعطيات من خلال مؤشرات دالة تشي بحضور الآلية التفكيكية في التصور والخطاب؛ فسؤال الديموقراطية ركن ركين في المشروع الفكري عند الخطيبي؛ يلح في الارتباط بمجمل القضايا الفلسفية والجمالية والاجتماعية ضمن نسقه العام تنظيراً وممارسة. إنه واجهة أخرى لسيرة ذاتية. وإذا كان المغرب «أفقاً للفكر» مطالباً بأن «يكون - كما يقول الخطيبي - في مستوى جذرية الوجود.. أي أن عليه أن يتجه نحو الزمن الجمع لمغرب لا ينتهي». «مغرب جذري تخلص من القانون اللاهوتي ومن سلطة العلموية» (النقد المزدوج - ص (24)): فإن عليه، في هذه الحال، أن يصوغ إطارا لنموذج السياسة الممكنة (السياسي الممكن)، في سياق التحولات العارمة التي تشهدها الساحة الدولية. وتنطلق مهام التفكير في قواعد المجتمع المدني - مبدئيا - من حتمية توافر الشرط الديموقراطي والقدرة على تعميمه، ليس مؤسسيا فحسب، بل وأيضا على سائر أصعدة الحياة التي يحياها الفرد، في انفتاح واع ونقدي مدرك لأبعاد مشروع المجتمع التقدمي المؤمل. مشروع يعطي للمفاهيم الجهوية والوطنية والعالمية أبعادها الجذرية من خلال المشاركة الجماعية في تأسيسها. و «كل جهة بإمكانها - يقول الخطيبي - أن تقدم قوة (غير منقطعة) لبناء أمة في صيرورة، ونفس الشيء بالنسبة لسؤال الديمقراطية ضمن إطاره الوطني والدولي» (ص (87) نقلاً عن الخطيبي). وفي سياق تناوله لجدلية الحوار (3 - 1 - 2)، وانفتاح الخطاب على التحليل النفسي باعتباره «مرجعاً يحتكم إليه الخطيبي لرصد مواقف الذات والكتابة» ص (88)، بل «ضوءاً» (REPERE) تحدد دينامية الحوار مع الذات أيضا (سبق للخطيبي في حواره مع محمد برادة، مجلة مواقف، عدد 15، 1971 أن صرح «بأنه يستحيل نفسانيا القيام بالتحليل الذاتي...» ص (140)؛ لكنه عاد في حواره (1988 سابقاً) ليؤكد حصول هذه التجربة، ص (4)).

3 - 1 - 5 - الأثر بيني، يؤثث فضاءات عتباته: والقراءة تقتحمها لتعيين سنن النص وعلاقاته وأنظمته الدالة. وإذا كان لهذه النقلة الجديدة التي اقترحها علينا الأستاذ الحجمري ما يبررها مرحليا؛ فيبقى من الضروري - إبستمولوجيا - تجاوز المنزع التجريبي الذي يتخذ من النص أرضية للتحقق من إجرائية النظرية المطروحة، ويبرر الاختبار في ضوء هذه العملية الاختزالية (3-1-2)، وتحديد الأهداف المنهجية التي تفرض قراءة معللة من هذا النوع، بعيداً طبعاً عن عبارات من قبيل «رد الاعتبار» ص (41) وما يدور في فلكها. فإذا كانت الشروط المنهجية واردة في المرجعيات التي نظرت لعتبات النص في النقدين الفرنسي والانجلوسكسوني مثلما هو الشأن حتى بالنسبة إلى تنظير سؤال الهوية في الدراسات الأخيرة لجوليا كريستيفا (J.KRISTEVA)، وتنطلق من وعي متقدم بالإشكال الإبستمولوجي المطروح حديثاً على النماذج النقدية برمتها، فإننا نرتب على هذه الملاحظة تساؤلاً مضاعفاً حول مدى ملاءمة قطاع البنيوية الشكلانية، في غياب صيغ إنتاجية لتطعيم إجرائية الوصف قبل الاكتمال المفهومي للنظرية بنماذج سيميائية صلبة المبنى (أفكر هنا في «بيرس» (C.S. PEIRCE) أساسا). أما مباحث «روجي لوفر» (R. LAUFER) في «علم النص» (اعتبار النص فرعا من علم التواصل والدعوة إلى سيميولوجيا عامة للنصوص) ص (14)، فتنتمي إلى إطار نظري مغاير هو التكون النصي وصناعة النص؛ وهو إطار لا يقدم في سياق تحليلي كالذي اعتمده الناقد، الإضافة القيمة التي يمكن أن تمنحها إياه بعض أعمال «دريدا» (أفكر هنا أيضا في كتابيه: Marges de la philos - ophie، و La Dissémination)...

- إن هذه الملاحظات لا تمس فلامة فكر صميم العمل الذي أنجزه الناقد، والذي أعتبره بحق إضافة نوعية إلى حقل الدراسات النقدية المغربية الجادة والمتميزة.

سطات في 26 - 3 - 1996

هامش:

* «التلخيص عملية بروكستية عنيفة» يقول عبد الفتاح كيليطو في (ندوة المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية - دار توبقال، 1986، ص (20)، وإني لا أشك في أن التصدير النظري المحذوف من المبحث الثاني عشر بعتبة العنوان الأصلي بالفرنسية، علماً بأن كيليطو غالباً ما يصدر - نقديا وإبداعيا - عن استراتيجية تأويلية مفرضة لها مسوغاتها الثاوية في بنية مشروعه النقدي. راجع مثلاً فصل: «مغامرة الصورة والحكاية» ضمن كتاب: الحكاية والتخيل - دراسات في السرد الروائي والقصصي للأستاذ فريد الزاهي - أفريقيا الشرق، 1991، ص (111).

** أثناء قراءاتي المتكررة لكتابات الخطيبي، أثارتني قولته (1978) ص (50)، التي تلخص وضع الأدب المغاربي: «يمنع علينا

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب ■ السنة 34 ■ السبت 28 شعبان 1424 الموافق 25 اكتوبر 2003

فكر

الخيال والوهم والفكر من ابن سينا إلى طوما الإكويني

• دة. كارلادي مارتينو
جامعة بادوفا/ إيطاليا، والمدرسة التطبيقية للدراسات العليا/ باريس
• ترجمة عن الإيطالية:
د. عبد الباسط الكراري

إلى البروفسور محمد المصباحي

أطروحتي دراسة لمذهب القوى الباطنة عبر أربعة أعلام غربية - لاتينية تنتمي إلى العصر الوسيط: ابن سينا، ابن رشد، والبير الكبير، وطوما الإكويني. لقد تناول مبحث القوى الباطنة أو الملكات المعرفية - همزة الوصل بين الإدراك الحسي والعقل - وتطورت وقائعه في الشروح العربية للفصل الثالث من كتاب النفس الأرسطي والطبيعيات الصغرى، حيث وردت وأعيدت صياغة التتميمات الكبرى التي أفرزتها الشروح الأفلاطونية المحدثة لرسائل الأرسطية مصطبغة بالتعاليم الطبية الجالينوسية.

في كتاب «النفس» عرض أرسطو بإسهاب للكيفية التي تفعل بها الحواس الخمس في الأشياء الحاضرة لديها، مستمدة منها عناصر مخصوصة مثل الكيف. وهو المحسوسات الخاصة بكل حاسة كاللون والطعم والرائحة وقلم جراً والكم. وهو طائفة المحسوسات المشتركة أو الموضوعات المرتبطة بالحواس. غير أن الحواس قد تدرك بالعرض. أن تلك الكيفيات منبثقة في مادة. وحسب المثال الأرسطي فإذا كان ابن كليون أبيض أمكن للبصر أن يدرك بياضه لا شخصه كيفيته لا ماهيته. على حين يتصل العقل من حيث كونه ليس بجسم ولا مادة بالقيم والصور الكلية اللامادية. ونجد عند أرسطو كلاما طريفا عن توسط ملكتي التخيل والتذكر للحواس الجسمانية والعقل يناط بهما حفظ واستعمال المعطيات المحسوسة حتى في غيبة الشيء المحسوس الذي استمدت منه. وهما مقصورتان دوما على معرفة الخاص. وقد أسهب أرسطو في تمييز هاتين الملكتين الوسيطتين عن الحس الظاهر والعقل في الفصل الرابع من الكتاب الثالث في «النفس». ولسنا نعثر عنده على اسم يخصص صنف هاتين الملكتين اللتين تعقبتان طور الحس. لكن النصوص والشروح العربية والعبرية تطلق عليهما إسم «الحاستين الباطنتين» أو «الحاستين الروحانيتين» بضد الحواس الجسمانية الخمس أو الحواس الظاهرة.

ولئن توسلت الحواس الظاهرة ببعض أعضاء البدن في تحقيق غايتها - حيث العين للإبصار، والأذن للسماع الخ. فإن الحواس الباطنة ليست بذات عضو وإن كان لها مركز في البدن به تتمايز عن العقل، وهذا الموطن هو الدماغ لا كما ذهب إليه التقليد الأرسطي حين اعتبر القلب مركز الحس بصورة بائنة عما تقرر في الموروث الطبي.

ويعد ابن سينا، بحق، أول كاتب بسط مذهبا نسقيا حول الحواس الظاهرة، ثم جاء بعده ابن رشد معارضا نظريته في الحواس الباطنة. وحظيت آثار ابن سينا بالترجمة في توليدو وفي نفس الفترة تقريبا انتهى «جياكوموفينيتو» أول ترجمة يونانية - لاتينية لكتاب «النفس» الأرسطي سماها «الترجمة القديمة» (translatio ve-tus) . ووصل النصان كلاهما متقاطعين أحيانا، في سلسلة الشروح التي تناولت الترجمة القديمة. وبعد أقل من قرن أي حوالي 1225، نقل «ميشال سكوت» إلى اللغة اللاتينية، المصنف الرشدي الموسوم بالشرح الكبير لكتاب أرسطو طاليس في النفس (Averrois Commentarium magnum In Aristotelis De Anima librum) ولعل استطلاع أمهات الأصول اليونانية - العربية - اللاتينية، وقراءة النصوص في مظانها اللغوية الأصلية أن يكشفا عن بعض المفاهيم - المفاتيح لتاريخ الحواس الباطنة فضلا عن التراث العربي - اللاتيني المتعلق بشروح «النفس» مثل مفاهيم «المعنى» و«الوهم» و«الصور الروحانية» و«الاستعادة»، بل من شأنها - في الآن ذاته - أن تبرزا بجلاء راهنية الفلسفة الوسيطية بخصوص القضايا الجوهرية المثارة في حقول علم النفس والبحث العلمي وفلسفة اللغة.

وفي نهاية الثلاثينيات ألفت دراسات «وولفسون» (H.A. Wolfson) الرائدة حول مذهب الحواس الباطنة انتباه الباحثين المستعربين وغير المستعربين. لقد رسمت أبحاثه منحنى تطور هذا المذهب منذ أصوله اليونانية المفترضة لدى الرواقيين وجالينوس وانتهاء بالبير، وطوما، وبايكون في أواخر القرن الثالث عشر. كما تناولت بالدرس مصطلحية الحواس الباطنة، والتأليفات بين وظائفها المختلفة عند جمهور المصنفين في مبحث الإحساس الداخلي، ناهيك عن التاريخ الجامع لهذا المذهب، لكن دون أن يخص «وولفسون» أيا من هؤلاء الأعلام المذكورين بدراسة مفردة مستفيضة أو معمقة. وكان لابد من انتظار نشر «ابن سينا اللاتيني» (AVICENNA Latinus) مصنفا بمدخل كتبه «فيربك» (G. Verbke) للتزويد ببحث منثور للمذهب السينوي في الحواس الباطنة.

وتشكل الصفحات التي ولفها «فيربك» على الحواس الباطنة عند ابن سينا، وصفا جيدا لرسالة «النفس» اللاتينية، رغم كونها لا تقدم عنها إلا صورة مقتضبة. ولعلها لم تتصد، في الواقع، للمعضلات الجمة التي تثيرها القوة الوهمية على وجه الخصوص: مثل وضع هذه القوة في علاقتها بموضوعها (المعنى)، ودورها في مختلف الآليات النفسانية المرتبطة إلى حد ما بالحس وإن كانت تعدو طور الحس الخالص إلى الحس بالعرض والحكم، والاستدلال القياسي، ناهيك عن العلاقة الملتحمة بين الوهم والعقل والنبوة. ومقال «ديبوراه بلاك» (Deborah Black) 2 الموسوم «بالوهم عند ابن سينا» يرصد شطرا من هذه القضايا. ولا

ابن سينا

مراء في أنه أهم عمل مخصص حتى الآن للمذهب السينوي في الحواس الباطنة. وحقيق بنا أن نشير أخيرا إلى مقال «العمراني جمال» 3 «حول تعدد أنماط النبوة عند ابن سينا» إذ يبسط القول في تفسير تأدي الحواس الباطنة في الفكر السينوي وخاصة القوة المتخيلة، إلى مرتبة النبوة، والعقل الفعال والعقل القدسي.

وحالة ابن رشد أشد استرعاء للاهتمام. فكما تقدم التنويه به في مقالته، صنف ابن رشد ثلاثة شروح لكتاب النفس الأرسطي: شرح كبير لا تتوفر لنا إلا ترجمته الوسيطية بقلم «ميشال سكوت» (M. Scot) وشرح أوسط وتلخيص وصلا إلينا باللغة العربية.

ورغم الكثرة الكاثرة من الدراسات والمقالات التي خصصت للجانب الفكري من جهة، ولاختلاف منهج الشروح الثلاثة من جهة أخرى، فبعد أبحاث «وولفسون» المشار إليها، لا تستأهل التنويه، من ذلك الركام الفكري، إلا عناوين ثلاثة رئيسة تدور في فلك الحواس الباطنة: أولاها لديبوراه بلاك عن «الذاكرة، والأشخاص والماضي في سيكولوجيا ابن رشد» 4، وثانيها لطايلور بعنوان «ملاحظ عن الفكر في شرح ابن رشد الكبير لكتاب أرسطو طاليس في النفس» 5، وأطروحة دكتوراه أنجزها «بلوستاين» (M.A.Blaustein) في موضوع «الخيال والعقل عند ابن رشد» (1984). ونفس الخصاص الببليوغرافي نلمسه فيما كتب عن الآثار اللاتينية أيضا. فبعد دراسة «كلوبرتانز» G.P. Klubertanz «القوة الاستدلالية» 7 (1952)، ومقالتي «ستينيك» 8 N.H. Steneck المنشورتين عامي 1974 و 1980، لم يصدر سوى عنواني فريدين كلاهما «لبوتالاز» F.X. Putallaz عن «معنى التفكير عند طوما الإكويني» (1991) 9 و«الحس العقل والخيال عند البير، وطوما، وسيغير» المنشور في طبعة كمبردج لتاريخ الفلسفة 10. ينضاف إليهما بحث طريف يشكل مدخلا لطبعة كان قد أعدها للنشر «كارلوس بازان» C. bazan 11 عام 1998. بيد أن هذه الأبحاث رغم قيمتها القصوى لم تستنفد بعد مجمل القضايا التي ما انفك يطرحها بإلحاح هذا المجال النظري المتشابك.

وواضح أننا في مسيس الحاجة إلى أبحاث أخرى كثيرة تثري هذا المجال، ولقد آن لي أن أعرض الطريقة التي انتهجتها في بناء أطروحتي لنيل الدكتوراه:

1) فيما يخص ابن سينا، لجأت إلى عقد مقارنة بين النصين العربي واللاتيني لكتاب النفس مع اللياذ عند اللزوم

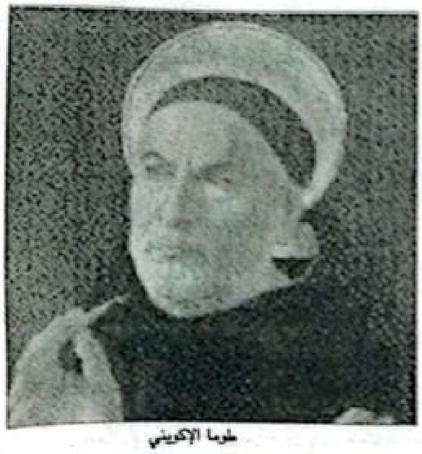

طوما الإكويني

بالنصوص النفسانية السينوية التي يجهلها لاتينيو العصر الوسيط ككتابي «النجاة» و«الإشارات والتنبيهات». وبالنسبة للمصادر، عمدت إلى استقراء معجم الترجمات العربية لكتاب النفس، مشفوعا بنصوص الفارابي. وقد اتضح لي أن الحواس الباطنة عند ابن سينا خمس: هي الحس المشترك، والخيال أو القوة المصورة، والقوة المتخيلة التي تسمى مفكرة بالقياس إلى النفس الإنسانية، والتي من شأنها أن تدرك وتتصرف وتحفظ ما يتأدى إليها من الصور. أما الوهم والقوة الحافظة الذاكرة فبهما يكون إدراك وحفظ المعاني. وتتجلى أصالة ابن سينا، على الخصوص، في إضافته إلى لوحة الحواس الباطنية ملكة جديدة هي «الوهم» القادر على الفعل المباشر في العالم الخارجي، وليس فقط في المعطيات المحسوسة المدركة - من قبل - بوساطة الحس. ومن ثم قسم ابن سينا ملكة المحسوسات إلى صنفين: «الصورة» أي تلك الإحساسات الخاصة والمشتركة، حسب المنطوق الأرسطي، كاللون والرائحة والهيئة والطول وسائر ما تدركه الحواس الظاهرة وتؤديه إلى الحواس الباطنة. و«المعنى» وهو كيفية وجودية - إذا جاز القول - مثل عداوة الذئب للشاة يدركها وهم هذه الأخيرة مبرزاً من وساطة الحس مجرداً عنه. وعلى هذا النحو، أثبت ابن سينا وجود خواص وجودية في العالم، لها أهمية تجريبية وبيولوجية ليس بوسع الحس معرفتها، ولخصوصيتها يعجز العقل عن إدراك كنهها. وقد اختار لها «بايكون» (Bacon) اسم «الخواص المكونة». يتعلق الأمر، إذا جاز التعبير، بصنف معين من الفكر الاستدلالي الحسي، ولا نستغرب إذا وجدنا «طوما الإكويني» يسمي الملكة المسؤولة عن اشتغاله «بالعقل الخاص» (Ratio Particularis).

2) فيما يخص ابن رشد، انجزنا قراءة مقارنة للشروح الثلاثة لكتاب النفس، مع التركيز على الفصول المخصصة للحواس الباطنة والعقل، والاستعانة «بجوامع الحس والمحسوس» وجرى الاعتماد في المصادر على أعمال الإسكندر الأفروديسي، وثامسطيوس، وابن باجة ذات الصلة. والظاهر أن أبين فرق عن ابن سينا، يكمن أولا، في أن مذهب ابن رشد يمثل عودة إلى أرسطو، وثانيا، في رفض أبي الوليد إقحام القوة الوهمية في قوى النفس باسم الوحدة الكلية واتصال سيرورة الإدراك. ولذا فالحواس الباطنة عند ابن رشد أربع هي: الحس المشترك، والمتخيلة أو

البقية ص10

الخيال والوهم والفكر من ابن سينا إلى طوما الإكويني

تابع ص 2

المصورة، والمفكرة أو المميزة، وأخيرا الحافظة أو الذاكرة. وهي تفعل في المحسوسات، في مساق موحد ومتصل. ويختص الحس المشترك وحده . بعدد من الحواس الظاهرة . بالنفاذ إلى العالم الخارجي، ثم تأخذ كل واحدة من الحواس الباطنة بالتصرف، في منتوج الحاس الذي يسبقها في مراقي التجريد. وفي تصور ابن رشد أن الحس المشترك، يفصل في الصورة المدركة بالحس الظاهر، ما يكون روحانيا عما هو هيولي، فيدركه، ثم يأتي التخيل فيجرده ليدرك منه الصورة، وتتلقفه المفكرة فتجرد المعنى من الصورة، وتؤديه إلى الذاكرة فتحفظه. وعند الاسترجاع تعرض الذاكرة ذلك المعنى، فيما تعرض المخيلة صورته، وتؤلف المفكرة بينهما فينشأ من جماع ذلك فعل التذكر.

وإذن، فالحواس الباطنة تفعل في ثمرة الإدراك نظير استخلاص اللب (النخاع) من اللحاء (قشرة الدماغ) حسب الاستعارة الرشدية، وقس عليه في أي نوع خاص يندرج تحت هذه الأعراض. وذلك ما يسميه ابن رشد «بالمعنى». ومع ذلك، تلبث جملة من الإشكالات مطروحة. فما الرابط بين مفهوم المعنى هذا، والفكر النظري؟ وما صلته بالعقل؟ وما الجامع، في هذا الصدد، بين التفكير والعقل، وبنحو خاص بين العقل الهيولاني والتخيل؟.

لا سبيل إلى استبعاد الاختلافات الملحوظة بين الشروح الثلاثة التي تستلزم فيضا من التحليل والمقارنة، واضعين نصب أعيننا اختلاف المناهج الثلاثة التي أثمرتها. ومؤكد أن المضاهاة بين تلك الشروح قد تؤتي أكلها أكثر، في ضوء مصدر يقل تناوله هو ابن باجة.

وأخيرا، لئن تقاطعت نظريتا ابن سينا وابن رشد في المعجم، بتوظيفهما مصطلحي «المفكرة» و«المعنى» فإنهما لم تتماسا في المنزع النظري. وإذا كان اللاتينيون قد تمسكوا، إجمالا، بالإطار السينوي في التفريق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى، فقد جنحوا بالتدريج بعد 1220 إلى اختيار التركيب: فالمعنى يستمد خواص المفكرة عند ابن رشد، كما يستمد من القوة المفكرة عند ابن سينا . وهي التي سماها أيضا بالقوة المتخيلة . خواص القوة الوهمية. وأحيانا تتولد عن هذا التركيب نتائج بالغة الأهمية.

3) وفيما يتعلق بالبير الكبير، فحصنا رسالته في «النفس» وبخاصة القسم المسمى «بالإنسان» ((De Homine من «مجموع المخلوقات» ((Somma de Creaturis وتناولنا في المصادر معظم شراح «الترجمة القديمة» للنفس، مع التركيز على «أغوسطين».

4) وفيما يخص طوما الإكويني، طالعنا جل أعماله النفسانية، وأساسا مصنفه الموسوم «برأي في كتاب النفس» ((Sententia Super liber de anima ، فضلا عن الأعمال الأخرى التي تدور في فلك الحواس الباطنة. وطوما خير مثال على مساوقة مذهبي ابن سينا وابن رشد، صهرهما بنجاح في بوتقة تأويل جديد ومتماسك لنصوص أرسطو.

وفي ختام هذه الدراسة، أظن أنني أفلحت في التأطير التاريخي والمذهبي الدقيق للمفاهيم المفاتيح حول تاريخ انتقال علم النفس الأرسطي عبر المحطات اليونانية والعربية واللاتينية، وخصوصا مفاهيم «المعنى»، و«الوهم»، و«الصورة الروحانية»، و«الاستعادة». وهو عمل يشق طرقا عديدة أتمنى أن أتابع، في السنوات الآتية، أشواط التنقيب في مسالكها.

هوامش:

• مصدر الترجمة ورقة مقدمة إلى المؤتمر الوطني الثاني عشر لدكاترة البحث الاكاديمي في الفلسفة.

XXII Convegno Nazionale Die Dottorati Di Ricerca In Filosofia/ Reggio Emilia 11.12. 2001

1) H.A. Wonfson, the internal senses in latin, arabic and Hebrew philosophical texts, in harward theological review, XXVII, 2, 1935, pp 69 - 133, maimonides on the internal senses, in studies in the history, I pp 344-379, Isaac Israeli on the internal senses, in studies in the history, I pp, 315-330, notes on Isaac Israeli S internal senses, dans studies in the history, IP p 331-344, studies in the history of philosophy and religion, 2 voll, Cambridge 1973-1977.

2) D. Black, estimation in Avicenna, the logical and psychological dimensions, in dilogue XXXIII 1993, Pp. 219-258.

3) A. Elamrani-Jamal, de la multiplicité des modes de la prophetie chez Ibn Sina, In Etudes sur Avicenne, par J. Jolivet et R. Rashed, les belles lettres, Paris 1984, Pp. 125-142.

4) D. Black Memory, individuals, and the past in Averroes psychology in Medieval philosophy and theology, V 1996, Pp. 161-187.

5) R.C Taylor Remarks on cogitatio in Averroes commentarium magnum in aristotelis de Anima Libros dans Averroes and the aristotelian tradition. Brill, Leiden, Boston, Koln 1999, P. 217-58.

6) M.A. Blaustein, Averroes on the imagination and the intellect, Harvard, University (Ann Aarbor MI/Un. Microfims International, 1984).

7) G.P. Klubertanz, the discursive Power. sources and doctrine of the vis cogitative according to St. Thomas Aquinas, St. Louis 1952.

8) N. H. Steneck, Albert the great on the classification and localization of the internal senses, in Lsis, LXV 1974, pp. 1974, pp. 193-211, Albert on the psychology of sense perception, in albertus magnus and the sciences. Commemoratives essays, Ed. J. A. Weisheipl, Pontifical Institute of Mediaval Studies, Toronto 1980, pp. 263-90.

9) F..X Putallaz, le sens de la réflexion chez Thomas D'Aquin, Vrin, Paris 1991.

10) Sense, Intellect and imagination in Albert, Thomas and Siger, in the Cambridge History of philosophy, Ed N. Kretzman - A. Kenny - J. Pinborg E. Stump, Cambridge Universtiy Press, pp. 602-622.

11) Anonymi Magistri Artium, Sententia Super II et III de Anima Edition, étude, critique et doctrinale par B.C. Bazan, Leuven - Paris, Peeters 1998.

• المثير للانتباه أن الباحثة الإيطالية كارلادي مارتينو لم تطلع على الأسئلة الفيلولوجية التي أثارتها بيبليوغرافيا ابن رشد، في هذه النقطة بالذات، عند العلامة المرحوم جمال الدين العلوي ، والأستاذ عبد القادر بن شهيدة، والبروفسور محمد المصباحي. ولذلك لا نرى غضاضة في التنصيص على هذا التقصير الواضح - المترجم.

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 28 ■ السبت 24 مـــاي 1997

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 ISSN0851=
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

Scanné avec CamScanner

الأفق العلمي لممارسة النقد الابستمولوجي

مدخل كتاب «الكوارث: مطارحة علمية» لتيتو طونييتي

• ترجمه عن الإيطالية: عبدالباسط لكراري

I- تقديم:

القول والنقد يلملم أشلاء وجوده المسفوك على نُصُب المديح والمختصرات وحواشي الحواشي، هناك فسحة لتنفس الضوء في مسارب المعرفة، فرصة أخرى لإعلان التواطؤ الجميل مع الخطاب العلمي، مع اللغة المنسية، الهامشية في محارق الكلام وحشود الرؤى والتصورات.

والكتاب الذي أقدم بين يدي القارئ ترجمة لمدخله، يندرج ضمن فضاءات إبستمولوجيا النماذج في الثقافة الإيطالية الحديثة. تلك الفضاءات التي تأخذ فيها وتيرة الانفتاح الآني على أسئلة الاتساق بين العلوم الإنسانية (Geisteswissenschaften) وعلوم الطبيعة (Naturwissenschaften) إيقاعا متسارعا، بعيدا عما يسميه «جان بتيتو-كوكوردا» «جمهورية الفيوداليات» في إيماءة موحية منه الى انغلاق العلوم على ذواتها وتصديها لمحاولات ردم الهوة الفاصلة بين تخومها المحكمة التسييج. وفي تلك الفضاءات، تحتل أعمال «تيتو طونييتي» (T. TONIETTI) وترجمات «فيلتريتيلي» و«تجوريلو» و«موريني» و«بوريجييري» و«كامبيلي» وغيرهم، مركز الصدارة في رسم منعطفات تنظير مفارق: لاتجريبي، مناقض للوضعانية... كارثي بامتياز.

برز كتاب «الكوارث- مطارحة علمية» (أنظر تحديد مفهوم «كارثة» في الهامش 1) في أوائل الثمانينيات، ومازال يحظى بقيمة اعتبارية بوصفه مستندا مرجعيا لا غنى عنه للباحثين في مجالات العلوم الإنسانية قاطبة. وإذا كنا، بحكم مواكبة أحدث المستجدات التي يتطلبها عامل الاختصاص، نعتبر كلاسيكية النظرية [illegible] التعريف بترسانتها الرياضية، ولغتها الواصفة للظواهر والسمات والأشكال، بل تفسح نفسها حتى للقراءات والتوظيفات الاختزالية المشتغلة بالتقليد والتطبيق، كما هو الحال بالنسبة الى بعض المحاولات ذات الصبغة «السكولاستيكية» التي ظهرت هنا في المغرب؛ فإن طفرة نوعية ما أخذت تتراءى، في السنوات الأخيرة فقط، على سطح هذه النظرية الى حد القطيعة (في نظر البعض) ممثلة في «ديناميكا الأشكال»؛ وخاصة بعد صدور «فيزياء المعنى» (1992) ثالثة الأثافي في مشروع «جان بتيتو» الرائع والضخم، بدءا من «كوارث الكلام: من رومان ياكوبسون الى روني طوم» (1985)، ومرورا بكتاب «تشكل المعنى» (1985) (2).

إن أهمية هذه الإضافة تكمن أساسا في ثلاثة محاور يمكن حصرها في:

I- انفتاح النماذج الدينامية على العلوم المعرفية (Sciences Cognitives)، ونظريات الإدراك (THÉORIES DE L'APERCEPTION) باختلاف مشاربها وتوجهاتها (وخاصة أعمال رونالد لانكاكير، وجاكندوف، وطالمي، وسميث، ومار، وسمولنسكي...)

II- تطبيع البنيوية الدينامية أخذا بمقولة: «العلوم الإنسانية إما أن تكون علوما طبيعية أو لاتكون» (3).

III- توسيع القاعدة النظرية لعقلانية كانط النقدية انطلاقا من النقد الكانطي الثالث (نقد ملكة الحكم (CFG) باعتباره نصا تأسيسيا) فضلا عن ظواهرية هوسرل، وتوظيفهما في الهيكل البنائي العام للنظرية الخاصة بديناميكا الأشكال، والنظرية العامة المتمثلة في «فيزياء المعنى». ولاشك أن الجيل الثاني من الباحثين في «البنيوية الدينامية»، أمثال PER AAGE BRANDT، و OUELLET PIERRE، و J.F BORDRON، و JOELLE PROUST، تشكل كتاباتهم امتدادا وتشعيبا لنواة هذا الإبدال الدينامي الجديد الذي مهدت له أعمال «روني طوم» منذ عقدين ونيف. ولسوف يسعفني المقام، لاحقا، لسبر بنية هذا الإبدال على نحو مفصل توسيعا لدائرة النقاش.

أخلص من هذه العجالة الى دعوة أوجهها الى المشتغلين بإبستمولوجيا المناهج النقدية، بضرورة تدبر هذه الأصول والمشارب التي لئن كانت ماتزال أرضا بكرا في مشهدنا العلمي- الأكاديمي، فإن لها من نجوع الاستلزامات مايكفل بحق صوغ القطيعة المطلوبة على صعيد مناهج العلوم الإنسانية. أما في مجال النقد الأدبي فلا احتاج الى التذكير بأن القراءة النقدية لاتتولد عندها فعل الحاجة الى التجاوز إلا إذا تعددت مسارب الكلام [illegible] وبين الوضعيين مسافة معرفة مازال خطابنا النقدي يذرع بداياتها [illegible] هذا التشبيه.

- تيتو طونييتي من مواليد 1941 بتريستو (نوفارا)، تلقى تكوينه العالي بجامعة طورينو، وزاول منذ سنوات تدريس تاريخ الرياضيات والأنساق الدينامية بجامعة (...) يجمع في نشاطه الفكري بين تاريخ العلوم الدقيقة والبحث في مشكلات العلوم الرياضية والموسيقى المعاصرة. نشر، فضلا عن كتابه «كوارث» الذي صدر عام 1983 عن دار النشر ديدالو (مدينة باري BARI) ضمن سلسلة «مشكلات العلم» التي يديرها «جياني فيرارو» و«فرانكو سلبيري»، مؤلفات أخرى نذكر منها بخاصة «الرياضيات والفيزياء» (باري 1977)، و«الفيزياء والمجتمع في السنوات القادمة» (ميلانو 1980) ناهيك عن وفرة من الأبحاث والدراسات والمقالات المنشورة في الدوريات المتخصصة، كما ساهم صحبة ثلة من المهتمين بإصدار سلسلة «نصوص وسياقات».

الهوامش:

1- مفهوم «الكارثة» الذي سميت نظرية «روني طوم» باسمه، لايحيل كما قد يتبادر الى الذهن خطأ، على الحوادث الطبيعية أو على الخراب والدمار. فالكارثة التي نقصد إليها لاتقتل، كما يقول «طونييتي»، ولكنها تعني ذلك التحول التدريجي لمتغير ما، يحدث داخل ظاهرة معينة؛ أو تعني بصفة عامة تلك الطفرة الاضطرارية التي تقع داخل نسق معين على إثر توتر حاد في مداراته الباطنية.

2- كتاب «فيزياء المعنى: من نظرية التفردات الى البنيات السيميوسردية» صدر عن منشورات المركز الوطني للبحث العلمي- باريس 1992، في (449) صفحة. أما كتابه «الفلسفة المتعالية ومشكلة الموضوعية» (1991) فقد تحاشيت ذكره لأنه لايشكل سوى ركن تكميلي لبرنامج البحث في فيزياء المعنى.

3- فيزياء المعنى، ص (XIX)، من المدخل، ومجلة «لغات» ع (103) السنة (1991) لاروس، فرنسا، ص (97).

II- نص المدخل المترجم.

نعيش اليوم مفارقة فريدة: كلما أوغلت العلوم والتقنيات في اقتحام مناحي وجودنا اليومي، وتحمل أعباء مستقبلنا الآخذة في التعاظم، كلما صارت، بالطبع، عصية على التحكم والفهم من لدن السواد الأعظم من الناس. إنها تقتفي اختيار طريق تخصص مافتئ يزداد تعقيدا وتجويدا من الدقة بحيث تظل الشروط التجريبية خارج حدود المدرك مباشرة بواسطة الحس. أما اللغة العلمية التي تتشكل من الرموز والتقنيات الرياضية المتناهية التعقيد، والرطانات المحظورة المحفوفة من ذوي الاطلاع فتتخصص هي الأخرى، مالقا تحول دون مجرد قراءة نص في حقل علمي ما. ولقد أصبح من النادر في هذا الإطار أن تمارس نظرية علمية حديثة العهد، أو أن الباحثين المتخصصين في تصبح موضوع نقاش واستقطاب على نطاق واسع وإن كان بعضها قد أفلح في تحقيق ذلك الانعتاق نظير الهندسة الوراثية التي خلخلت مصيرنا البيولوجي، أو ظاهرة الثقوب السوداء في فيزياء الفلك، التي ألهبت خيالنا المجمع لاستكشاف فضائنا الكوني. لكن ماذا لو وجدنا بأن شيئا من هذا القبيل قد يصدر عن الرياضيات، ذلك العلم الذي درج الناس على اعتباره مغرقا في الإبهام، والاستغلاق على الأفهام بسبب من صوريته المجردة؟

على خلاف هذا الحكم، أصبحت «كوارث» روني طوم خلال السنوات الأخيرة، موضوع جدل حاد تزايد صداه في كثير من محافل الحياة العلمية والثقافية، وامتد إشعاعه الى صفحات الجرائد والإصدارات، بل تعدى ذلك كله الى إثارة مواقف متضاربة في الحقل السياسي أيضا.

وفي بلد معروف بحساسيته المرهفة إزاء كلاه الفلسفة والسياسة مثل إيطاليا، تؤشر هذه الشعبية المتنامية الا بتساوقها فقط مع نماذج من التصدي بوضوح للمسألة لكتاب طوم الموسوم بـ «الاستقرار البنائي وتكون الشكل»، يصعب في الواقع قراءته، وسيكون ضربا من الاجتراء في حقه ألا تقع الإحاطة الشمولية بما يحتويه من تصورات، أو بعثورها زيغ قد يتأدى إليه تأويل متساهل.

لقد أتى كتابنا هذا ليسدي، قبل كل شيء، خدمة جليلة من الاستيضاح والاختصار للمضافين الى رصيد الجدل الدائر؛ وسيجد القارئ فقراته المتعلقة بنظرية الكوارث مبثوثة طيه، وهي من الوفاء بالغرض بحيث أزعم أنها تصلح في الغالب مدخلا لقراءة نصوص أخرى، تقودها جميعا نحو مطارحة مستفيضة على نحو مايبدو في إبانه. والعمل قدم، أصلا، في سياق الدروس الجامعية التي تشكل القسم الأقل فنية (Meno tecnica) في الكتاب، إلا أنه مع ذلك، ليس بحال كراسة في نظرية الكوارث. فهنا لايتعلق الأمر باستعراض نظرية استقرت معطياتها منذ أمد بعيد، في حقل معرفي محدد، بقدر مايتعلق أساسا بمطارحة علمية مازالت في مساراتها الأولى مع مايستتبع ذلك من مظاهر وتجليات. وهذا الاختيار أملاه أولا كون «الكوارث» ليست نظرية علمية بالمفهوم الاعتيادي للمصطلح، كما فرضه أيضا يقين راسخ لدينا بأن النقاش طريقة مثلى لإضاءة جوانب القضية المطروحة، وأسلوب أنجع من أي عرض سطحي نسقي وصوري يدعي تلقين الناس حقيقة الأشياء كيف تكون. وفي اعتقادي أن منحى وتوقيتا من هذا الطراز يحسن بي ألا أنتهجه مطلقا أيا كان الموضوع العلمي المطروق. وعلى كل حال فمن المتعذر قطعا ممارسة شيء من هذا القبيل في مضمار «الكوارث» التي ماتزال نظريتها في حالة تخمر وتوهج، ناهيك عن أن العلوم الحديثة لاتتلقى من كراس في الميكانيكا، وإنما تطلب في «حوارات» و«خطابات» غاليليو (GALILEO). على أني لم أسقط في صلب المطارحة أي خطة، لاعتقادي الجازم بقيمتها القصوى. وقد اعترضتني في ذلك مشكلات ليست بالهينة، ولسوف يلقى القارئ منها العنت الشديد. ومبعث ذلك أن الكتاب لم يصنف خصيصا لجمهور ضليع في حقل معرفي محدد من غير أن يمتلك بالضرورة معرفة رياضية، تاريخية وفلسفية تخصصية محكمة، قد لاتجتمع للبعض إلا في القليل النادر. فصعب علي أن أتبين المظان التي يفترض في المتلقي أن يكون على سابق إلمام بها، وتلك التي لاتدعو الحاجة الى تفصيل القول فيها إطلاقا. وإني لأرجو المعذرة من أولئك الذين ليست لهم ألفة بالرياضيات ذلك أنها ستعرض في العمق، وبمعية زمرة من زملائي

البقية ص 11

الأفق العلمي لممارسة النقد الابستمولوجي

تابع .... ص 7

الرياضيين طلبا لمزيد من التمحيص. ورهان العرض بعض من الكوارث الأولية * التي اجتهدت في قهرها متوسلا في ذلك بمجموعة من الرسوم التوضيحية التي شفعت بها نص الكتاب عند الاقتضاء. وإذا صح أن علم الرياضيات لايمكن أن يختزل الى رسوم، فإن روح الهندسة الكوارثية تجيز لنا، مع ذلك، اتخاذ المبادرة.

بعد كتاب طوم، يعتبر كتابي هذا أول عمل منظم باللغة الإيطالية عن نظرية الكوارث. لهذا الغرض فقد جاء طافحا بالنصوص التي يعز العثور عليها في إيطاليا. وهو بذلك أشبه مايكون بالأنطولوجيا (ANTOLOGIA). وفي محاولته إرساء أسس المطارحة، يتوق الى امتلاك وظيفة اكثر شمولية. بمعنى أن وقوفه في منتصف طريق البحث، يعتبر انطلاقة من شأنها أن تحفز جمهور المهتمين على بلورة محاولات أخرى لفهم مسار المعرفة راهنا. داخل أو خارج دائرة مجموعة البحث العلمي الضيقة. لذا فنظرية الكوارث جديرة باسترعاء اهتمام اكبر لأنها أحق بذلك، وليس فقط لأنها الأقدر على تخليص دارسي العلوم من شطر من وعيهم الزائف. والحق انه ستتاح، عن كثب، لعلماء الاجتماع، والظاهرة آخذة في التطور - فرصة متابعة الكيفيات التي يتولد بها النقد في كنف مجموعة البحث العلمي، بل ترصد ردود الفعل التي قد يثيرها داخلها أو خارجها على حد سواء. إنها أيضا رائز نادر لتسليط الضوء في حل من التحفظات والتكتمات المفرطة، على الطرائق الواقعية لإنتاج وإثبات النتائج العلمية في المجتمعات الرأسمالية [مابعد الصناعية) - [POSTINDUSTRIALI] بكل ما ينجم عن ذلك من محددات لمصالح هياكل مؤسسية قائمة، اكثر من مجرد قاعدة معيارية مفترضة أو فضلة معرفية ما. وسيكون على الفلاسفة بدورهم أن يتعلموا مواجهة الإجراءات الواقعية للبحث، وليس فقط عمليات إعادة البناء العقلاني لحصلاته. وبمواجهة قضايا الاكتشافات العلمية - ولاسيما الاقتضاءات الداخلية والخارجية لمجموعة البحث العلمي المنتمي إليها - فضلا عن سيرورة التحول الجذري، فإن وظيفة البروتوكولات المعيارية ذات التوجه الوضعاني (POSITIVISTICO) ستنحصر في عمليتي الكبح والتصفية فحسب. بل إن سلوكات الباحثين أنفسهم ستغدو أشد خصوبة وتعقيدا بمناى عما كان مطاقا عنهم من انتحال وظيفة الدرك واللهاث وراء معايير مجردة لتعيين مايكون عليه أو لايكون - بالضرورة - علم الفيزياء، أو الرياضيات، أو البيولوجيا.

وسيكون على جمهور المؤرخين الإفادة من مواقف «طوم» في تصفح حلقات التطور العلمي المتواترة ليعيدوا النظر - تحت أضواء جديدة - في نماذجه وموجهاته. ولعمري أي قيمة ستبقى لخطاب التقدم العلمي إذا المواقف المعتقد انحلالها على محك الممارسة العقلانية المحض عاودت الظهور مجددا وجرى تسويغها في السياقات العلمية والاجتماعية البديلة؟ لامحالة أن سيقصى، عندئذ، ذلك المفهوم الذي تقدمه العلوم في صورة تطور خطي تراكمي، يتقدم باندفاع منحيا اللاعلوم من طريقه تنحية نهائية. وسيعجز المؤرخون أيضا عن تقديم التفسيرات الكافية حول التطور مقتصرين على شرح الفرضيات، والنظريات، والتجارب، حسب ترتيب منطقي مدرسي.

لابد إذن من شيء مضاف كما يقترح ذلك كل من طوماس كون (T.KUHN) ولاكاتوس (LAKATOS) دونما مضي الى أبعد من تقرير الحاجة. وذلك الشيء المضاف هو نظرية الكوارث التي تدلنا على كيفية سد الثغرة، عبر تأمل حصيف في نظام البحث وجملة التفاعلات التي تنشأ بين مجموعة البحث العلمي والمجتمع بوجه عام.

* لمزيد من المعلومات حول مفهوم «الكوارث الأولية» (CATASTROFE ELEMENTARI) يمكن الرجوع الى أدبيات النظرية وهي كثيرة وفي متناول القارئ، منها كتاب روني طوم:

MODELES MATHEMATIQUES DE LA MORPHOGE-NESE

(2E éd christian Bourgois-PARIS- 1980)

وقد أتى «تيتوطونيبتي» على ذكرها جميعا في كتابه المذكور، ص (67،66).

كما يمكن العودة الى نص الحوار الذي أجريناه مع روني طوم، والمنشور نصه في ملحق «العلم الثقافي» بتاريخ 6 يناير 1996، ص (6)، الهامش الأول. [المترجم].

né avec CamScanner

العلم الثقافي

■ السنة 28 ■ السبت 10 يناير 1998

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب ■ الادارة والتحرير: ١١ شارع علال بن عبد الله = الرباط ■ الهاتف : 73.02.37 ■ الفاكسيملي : 73.38.96 = ISSN 0855 ■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

«سفر التكوين»

نظرية التواصل التفاعلي

الابدالات النوعية وهاجس تحديث المقاربة

في كتاب

«المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب» للدكتور إدريس بلمليح

عبدالباسط الكراري

■ «قال: وسأل رجل من أشراف البصرة عن معنى قول زهير قال: أوجزوا التفسير (..) فذهبوا في التفسير كل مذهب» نور القبس للمرزباني، ج (1)، ص (151)، تحقيق رودلف زلهايم فيسبادن 1964.

«إني امرؤ تجد الرجال عداوتي ... وجد الركاب من الذباب الأزرق

الركاب: جمع راحلة والذباب الأزرق يلسعها. يقول: فمن عاداني لسعته كما يلسع الذباب الأزرق الركاب» كتاب الحماسة بتفسير أبي فارس، ص (127)، تحقيق د. هادي حسن حمودي، عالم الكتب، بيروت 1995.

«قال الشيخ المرزوقي - دام عزه - قدر هذا الإنسان أن أبا تمام جعل المناسبة التي بين ماوصف من الألفاظ وبين لآلئ العقد بدقة النظم، لأنه خفي عليه أن التشبيه باللآلئ إنما يقصد فيه إلى الصفاء والرونق (...) وأبو تمام لم يخف عليه ماذكره، وإنما قصد في التشبيه قصدا لم يخطر ببال هذا المنكر ولا اهتدى إليه» النظام في شرح شعر أبي تمام والمتنبي لابن المستوفي، ج (1)، ص (655) (مايكرو فيلم). ■

... فيه» ص (8). وقد اثبت البناء الاستدلالي أن هذه الوظائف الثلاث لايمكن أن تستوفى إلا إذا تجاوز الإطار النظري إجرائيا بعض مقولات الفكر الخطابي ومزالق الاختزالية التجريبية وعلى رأسها:

من جهة أخرى: عملية الانتاج إلا بإدراج نظرية التلقي داخل نسق أوسع وأشمل هو «نظرية التواصل» ويقتضي هذا الإجراء التمييز بين نموذجين تواصليين:

أ. نموذج تواصلي عماده التداولي تقني

الهوامش

نظرية التواصل التفاعلي

تابع .... ص 8*

I - اننا بصدد مستوى ما وراء العلاقات الدلالية اللغوي تحديداً.

II - ان هذا المستوى يشكل ركناً اساسياً في تاويل خلاصات المعرفة الخلقية ومقولات الإنساق المعرفية الإدراكية.

III - ان المبادئ الإستعارية والكنائية تدخل في هيكلة النسق التصوري وتحقيق انساقه (يراجع بهذا الخصوص فصل «مبادئ تصورية» من كتاب «التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم» للأستاذ محمد غاليم. دار توبقال. ط (1)، 1987) وهي نفس المبادئ - القيود التي اسفرت عنها - في المحصلة - مقاربة د. بلمليح لعلاقة الحقول المعجمية بالحقول التصورية في «المعاني الثواني».

في «الدلالة الشعرية وتحديد المعنى» ينحرف الباحث عن الصوى التقليدية المبثوثة على قارعة المعنى الشعري (المستوى الدلالي للخطاب الشعري) بفعل مراكمة القراءات الاختزالية الدورية المتوازنة. تلك القراءات التي تقيم حدوداً متوازنة بين المعنى و«السيمولاكر»، حيث تغدو الرسالة مجرد ظلال للخطاطات التصورية المشتركة بين الباث والمستقبل. إننا إذ نعمد إلى اختزال الرسالة إلى الأطر المشتركة تلك، نلغي «تأسيس عالم مخالف لها»، ص (359). ها هنا لا تزيد القراءة المرجعية عن مجرد «قراءة تعبر عن افق انتظار مرتبط باللغة اليومية وبالحياة المتداولة»، ص (360). إنها قراءة لا تتعدى حدود التفكك المعجمي، والتجزيء اللغوي، اي حدود التمثيل الحرفي الذي لا يقوى على «استيعاب الدلالة الشعرية بحسب ابعادها الإيحائية المضاعفة»، (361) تلك الأبعاد التي تتولد عن فعل التخييلي اللامدرك في اللغة، او بتعبير تداولي: [illegible] نطاق التأويل في علاقاته الظاهرة والخفية المستوعبة للواقع الحسي مادام «التأويل يستوعب التمثيل ويدخله ضمن مكوناته»، ص (393). إن القراءة المرجعية من ثم قراءة احادية / اشتراطية «فيلولوجية»، ليس إلا. وربما دلتنا بإيجابيتها على أن «تشكل المعنى» (MORPHOGENESE DU SENS) ظاهرة حوارية معقدة كما يتبدى من القسم الذي افرده الباحث لإنفلات المعنى.

3 - 2 - مجرة الشعر وانفلات المعنى:

يتبين أن جهاز التلقي ذا السمة المرجعية، ينتمي - من حيث هو فضاء إجرائي ممكن - إلى تلك النوع من المقاربات المشدودة إلى «افق انتظار جاهز، تغذيه ذاكرة رتيبة متشبعة باللغة الطبيعية وبنظام التواصل اليومي»، ص (366) بوصفهما جهازاً للتحليل والتركيب والتصنيف. تلك هو - باوجز عبارة - نسق المشابهة والمحاكاة المنغلقتين داخل منطق تحاولي (LOGIQUE COREFERETIELLE)، بين ثالوث واقع النص، والمعجم والذاكرة الحافظة. قراءة من هذا القبيل ينقصها البعد الثالث الذي تتفجر بواسطته إمكانات اللغة، وعوالم الدلالة الموسعة في فضاء المتخيل. وما تفتقده - حسب عبارة الأستاذ بلمليح - هو ذلك المنظور الدينامي الذي يؤسس حركية الامتداد على قاعدة «الطاقة التخييلية لدى الباث»، وهي بطبيعتها «طاقة كامنة خلف الألفاظ وليس داخلها»، ص (367). ومثل هذا الانقطاع في مجرى المقاربة ضروري للحيلولة دون انفلات المعنى أو حصره في مقولات صناعية تتهدد استلام الأنطولوجي. هذا التوجه الظاهراتي الذي تتلمس أصوله النظرية في المشروع النقدي الكانطي الثالث الذي تمت بلورته على يد «دوفرين» (M.DUFRENNE) بعد «ميرلوبونتي» و«هايدغر»... يفسح مجالاً هاماً للحدس السابق على كل معنى منطقي، ويرى أن «المعنى إذا كان قابلا للقبض في حيز الكلام، فهذا الأخير ليس سوى الوجود الخارجي للمعنى»، بل يذهب إلى حد اعتبار التخيل - كما جاء على لسان ماري كلوتيلد روز ** - مسؤولا عن «انبثاق الصور التي تتم ترجمتها إلى مفردات شعرية»، (مجلة لوفان الفلسفية. ع (4) نونبر 1996 بلجيكا ص: (650 - 664). وعلى هذا الأساس، يبالغ من يتوهم أن بالإمكان الحديث ببساطة عن «معنى الشعر»، إذ ما من معنى إلا «في» الشعر، او مناخم له، ولا يتحقق سبر جوهر «المعنى الشعري» إلا في حدود نادرة جداً، عادة ما يصعب ترجمتها إلى مقولات ومفاهيم الفكر الخطابي -PENSEE- DISCURSIVE - وذلك ما يقصد إليه د. إدريس بلمليح حين يؤكد على ان «البعد الإيحائي» على الأقل، يتأبى على التطويق «إلا في حدود عامة ومصطنعة»، ص (360) ناهيك عن جوهر «معنى الشعر».

ومن نحو آخر يتضح ان القبض على بعض سمات الدلالة الشعرية وإهمال بعضها الآخر، برهان قاطع على عجز المقاربة المرجعية عن تجاوز رد الفعل الجزئي إزاء «الفعل الكامن في الرسالة الشعرية»، وذلك أحد الأسباب الطبيعية المتولدة عن إقصاء حركية الفعل الخيالي، واختزال مفعولاته عمداً في دائرة المقولات التحليلية السطحية الثابتة. بل نكاد نجزم ان هذا الوقع (استباق القصدية الجاهزة التي تعمد عنوة إلى إفراغ المعنى في سبيكة مرجعية معطاة) قاسم مشترك بين وفرة من المقاربات الاختزالية مهما تنوعت وتعددت أسماؤها. ولعلنا نلاحظ ايضاً ان هذه المقاييس التي عرض لها الباحث في غير قليل من التشريح النقدي الواعي بالحاجة التاريخية إلى تكافؤ الخطابين النقدي والشعري وتقاطعهما الخلاق، تصلح ان تكون خلفية ليس لقراءة القصيدة العربية القديمة فحسب، بل لإعادة النظر ايضاً في ركام الخطابات النقدية التي بسطت سلطانها على الشعر المغربي (والعربي) مدعومة «لوجيستيكياً» بأدبيات المؤسسة الأيديولوجية. ومازال بعض تجلياتها بارزة للعيان في الخطاب النقدي الحديث مجسدة بخاصة في «التوتاليتارية» (او الكليانية - TOTALITARISME -) منزعاً وسلوكاً إلى درجة العدمية او في سمتي الدورية اللاجدلية، والتجريبوية السائجة اللتين تتنازعان جل مناهج مقاربة النص الفني، مع استثناءات طفيفة لم يلتفت إليها الدارسون بالحدة المطلوبة.

4 - القراءة التفريضية: -

يصح هنا رصد التشكيلات النظرية لأجهزة التلقي، على هذا النوع الثاني من القراءات المشتغلة على نصوص المختارات، وهو المتمثل في «القراءة التفريضية» عند ابي تمام في حماسته خلافاً للقراءة المرجعية المعتمدة لدى المفضل وغير المفضل من الشراح واللغويين.

وقد استند منظور ابي تمام الجمالي المتحرر من إسار مذهبه ومفهومه الخاص للإبداع الشعري على مجموعة من المبادئ سنعرض لها فيما بعد.

نسجل، اولاً، خلخلة الباحث للوضع الاعتباري السابق لمفهوم «الجنس الأدبي» معتبراً إياه «لغة واصفة لكمون نصي اي سنناً ثانياً يلخص نظاماً من رد الفعل بإزاء سنن اولي يعكس نظام الفعل»، ص (386). والحق ان الحديث عن «لغة واصفة» يفترض - فيما يفترض أصلاً - تحديد خاصيات النموذج المعتمد في «السنن الأول» و«السنن الثاني»، وتنظير التقاطعات القائمة بين سنني الباث والمتلقي على السواء كيما نتحقق من المستويات المنهجية التي تتيح بصورة متضافرة الانتقال من وضع نظري إلى آخر في المنظومة الأجناسية. وفي غياب هذا الإجراء الأساسي، يتعذر، في تصوري - فهم طبيعة هذا الاستعمال والردود المسجلة بشأن خلاصات «تودوروف» في مدخله إلى العجائبي (ص (18) وما بعدها من كتاب تودوروف) الذي ينبغي ان نقر مقدماً بأنه محكوم بسياقه النظري التاريخي الخاص.

إن ما انتهى إليه د. إدريس بلمليح (التفاعل التفريضي المنبح بين وعي الباث ووعي المتلقي في الحدث التواصلي) بعد محاورات نقدية ...

اما الأفق الثاني (أفق المقصد) فهو القائم على افتراض إمكانية إعادة بناء «الإطار التنظيمي للقيم الفنية المتداولة» المتعلقة بالغرض بناء على تصور إضافي خاص للبنيات المركزية والنظام الدلالي. اي أنه يميز بين الثابت والقابل للتحول في ضوء خصوصيات ومفاهيم الممارسة الفنية، فتختلف استجابته تبعاً لذلك. وقد تبين - في ظل تصور د. بلمليح - ان استحضار المقصد من لدن الباث يقوم على تعويض السياق الفعلي بسياق متخيل ضمن السياق التواصلي العام، وأن التفريض الضمني مشترك بين الباث والمتلقي المثالي الذي يعتبر مقصداً متخيلاً على مستويي وجوده التاريخي ووجوده الفني، مما ينشأ عنه افتراض وجود نوعين من القراء: قارئ خاضع للسمات المركزية، وقارئ غير خاضع لها (402). وفي الحالتين كلتيهما لا يفقد النسق التنظيمي قيمته الجمالية. وفي سياق هذا التصور يختلف تفاعل ابي تمام في «حماسته» عن انظمة التفاعل السابقة عليه في كونه «لا يقف من علامات التفريض موقفاً محايداً او سلبياً وإنما (..) يخضعها لسنن تفريضي جديد يهدف جعلها متضمنة لفعالية ثانية هذه الفعالية التي رغب فيها المرسل»، ص (407). وما ذلك إلا لكونه عمد إلى إحلال السياق المتخيل الخاص به محل السياقين الفعلي الجاهز، والتخيلي الأول. ولقد اقام الباحث الدليل على الاختلاف الجذري في رد فعل ابي تمام إزاء اشكال الاستجابة التي افرزها التلقي المرجعي مبرزاً في هذا الصدد أن علاقة الشاعر ابي تمام «بالذخيرة الفرضية» اولاً، مبنية على «طريق ضروري» آخر حسب المفهوم الكارثي - CHREODE - أنتجته بنية النظر والتاويل لديه، ومعنى ذلك ان علاقته تلك، قائمة على «تنظيم نظري وتطبيقي للعلامات التفريضية بنحو يكاد يكون مفصولا عما قدمه نقاد الشعر من تنظيمات مخالفة»، ص (411) على اساس جهاز قراءة جديد للمتن الشعري وللتفريض الكامن فيه، يتجاوز كماً وكيفاً قوالب واطر المفهوم التفريضي السابق عليه، ويتقاطع ايضاً مع بعضها في ضوء افق انتظار مفتوح.

[illegible] تخطت التواصف للأنظمة الدلالية والبنيات المركزية في «اختيار» ابي تمام، تتركز من جهة ثانية، على القول «بصراع النماذج» مع عدم إلغاء إمكانية التفاعل البناء: (التوافق في الشاهد الأمثل لا ينفي المخالفة وتصادم الأطر المشروطين ببنية المجال السوسيوثقافي الجديد)، إضافة إلى القول بصياغة «الوضع التواصلي الجديد» في إطار من الخصوصية التي تتفاعل في ظلها الذات بالموضوع تفاعلاً تنصهر تراكماته داخل وحدة جديدة تختلف عن الأصل الذي انحدرت منه، وعن المقاييس الثابتة التي تحكم وصفه داخل الخطاب النقدي. ويرى د. إدريس بلمليح ان المقاييس التي تداولها «علماء النقد الأوائل، وتلقفها عنهم مؤرخو النقد في العصر الحديث إنما تقوم على المفاضلة بين القديم والجديد «في نوع من التمايز الحاد الذي لا يفيد الإنتاج الفني والنقد الأدبي بقدر ما يغذي الصراع السلبي حولهما»، ص (434). وهذا الوضع يؤكد ان كثيراً من القراءات المتلفعة بمسوح الحداثية تتقاطع في الصميم مع مقدمات القراءة المرجعية للتراث من حيث تشييد مفهومها للخصومة على تصور يؤمن بالقطيعة التامة بناءً على مقاييس جاهزة لا تأخذ بعين الاعتبار طبيعة التواصل في الحقل الفني، تلوذ بالأطر النقدية الموروثة لتقصي الذخيرة المشتركة من سيرورة التفاعل التاريخي. وابو تمام كان يمتلك من الوعي النقدي بهذا التفاعل ومن الحس المرهف بتداخل اطر الذخيرة المشتركة ما جعله حريصاً على المزج بين «أفق الانتظار الجاهز والمحافظة عليه بأفق الانتظار الجديد»، ص (435). ويمضي الباحث في نوع من الاستدلال المنطقي متسائلاً عما إذا كان ابو تمام ...

هذا الفهم الإجرائي يحاور الدارس مفهوم الشعر عند المرزوقي في علاقته اولاً بالتمثيل التاويلي من حيث إن «مرور وجوده انزياحي: تخييلي فني»... يضاف إلى ذلك حضور سنن اجناسي يؤطر الخطاب الشعري ويحدد علاقته بمنظومة إنتاجه وتلقيه وتاويله. ولاشك ان المرتكزات النظرية التي انبنى عليها عمود الشعر تستجيب وتؤسس لسمة «التمييز النوعي» الذي شغل النقاد العرب في استشرافهم لسؤال «الشعرية» والقوانين الداخلية للخطاب الشعري دلالة ومعجماً وتركيباً وتداولاً (انسجاماً واتساقاً ومقصدية***) وعلى مستوى الإيقاع باعتبار «الفعالية الإيقاعية فعالية لابد من أن تمتد امتداداً أفقياً وعمودياً في آن واحد. اي أن تنعكس عبر تركيب المتتاليات المقطعية، وعبر تركيب الخطاب أو متتاليته العمودية»، ص (454). وتلك جميعاً إحدى «السمات المميزة» التي تتعدى المستوى التواصلي في بنيتيه العميقة والسطحية، إلى المستوى التكويني (GENETIQUE) الذي يستغرق النص الشعري إنتاجاً وتوليداً. هذا وإن كنت اعتبر ان تحليل الأستاذ بلمليح - في جملته - لم يلامس علاقة تلك المستويات، والتصوري منها على وجه الخصوص بهندسة الفضاء في جوانبه التركيبية [فضاء الأفعال والجهات (MODALITES)]، والفيزيائية (الميزان المعياري للتواصل مع الاشتغال على الامتدادات التواصلية لخطاطات مدرسة BOOT STRAP مثلاً)، والتداولية (الارتباطات المعلقة نظرياً بين القرائن اللغوية والحجاجية من جهة، والفضاءات الذهنية من جهة اخرى). وكل هذه الجوانب لها مرجعيات فرنسية وانجلوسكسونية معلومة ومتداولة في البحوث العلمية المعاصرة.

وفي سنن القراءة التاويلية عند المرزوقي، يحدد د. إدريس بلمليح باستفاضة وعمق مظاهر اشتغال جهاز القراءة عند هذا الناقد، وصور انفصاله عن مرجع الرسالة الشعرية. فيعالج بالترتيب: - 1 - تغير محتوى الوحدات المعجمية (موقع قراءة المرزوقي قياساً إلى التوافقات الدلالية الرباعية ضمن علاقة الدالات المعجمية بدالات اللغة الطبيعية: تطابق / تعدد / لا تطابق/ تعدد مرجعي في محتوى الدال).

2 - البيت الشعري وأبعاده التاويلية (وحدة البيت الشعري تمثل في النسق التركيبي للمتن او الخطاب الشعري ما تمثله الوحدات المعجمية في اللغة السامية بمفهوم «جان كوهن». وهذا التكافؤ الظاهري يحكمه تقاطع بنيوي عميق مداره على اعتبار «تغير محتوى الوحدات المعجمية حين تستعمل استعمالا شعرياً، تغيراً يلحق المحتوى التركيبي لهذه الوحدات. وهو محتوى مرتبط بالبيت لا بالجملة»، ص (475). وللبيت الشعري في جهاز التلقي عند المرزوقي ابعاد تاويلية تقترن بطبيعة احتمالاتها ومفعولاتها الدلالية التي يسندها المؤول الدلالي للجملة الشعرية، ثم يعتمد التمثيل النحوي سنداً لاستيفاء شرط

5 - القراءة التأويلية:

الية التفاعل بين القراءة التاويلية والرسالة تتأسس على قاعدة الوضع التواصلي الناظم لتركيبة عناصر وإحداثيات الفعل القرائي والاستقرائي بوجه عام. وبخصوص المجالات التصورية للمرسل - الباث، يتعين افتراض وجود نظام إخباري ونمذجة تصورية يحكمان الواقع الذي تشكل «اللغة الطبيعية نفسها جزءاً منه». وفي ظل هذا الاقتضاء النظري النوعي الجديد والمنسجم يفترض الدارس إمكانية «انعكاس الوزن في نظام اللغة»، ص (444) ضمن التواصل الشعري، وإمكانية تفاعل وضعية ...

الاتحاد الاشتراكي

● الجمعـة 28 ماي 1999 ● العـدد : 579

AL ITTIHAD AL ICHTIRAKI

□ دراسات

الوجود اليهودي في الشاوية

(للباحث عبد الباسط الكراري)

(ص: 5/4)

عدد : 579

الوجود اليهودي في الشاوية

هذه محاولة في الاقتراب السوسيو - تاريخي من تشكل الوجود اليهودي في الشاوية، مع تحديد بعض تجلياته وامتداداته في الزمان والمكان. والجدير بالذكر أن هذا الرصد الأولي انجز بتكليف من ذ.حسن نجمي، وقد ظهرت مسودة غير مكتملة منه عام 1991 ضمن أعمال ملتقى الشاوية

عبد الباسط الفزاري *

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي

يصدر يوم السبت
كل أسبوع

عن جريدة العلم

11، شارع علال بن عبد الله
الرباط. ص. ب. 141
الهاتف : 19 ـ 324/ 20 ـ 324
/37 ـ 302
السبت 20 رجب 1407
الموافق 21 مارس 1987
العدد : 818
السنة : 17

موت المؤلف والنص من منظور التكوينية النصية

بقلم: عبد الباسط الكراري

وهذا الجزء الثاني والاخير من البحث.

الاحصاء الاوتوماتيكي ومشكلة الخطاب:

Die Sprache Liegt nur in der verbundenen Rede, Grammatik und Wörterbuch sind Kaum ihrem todten Gerippe vergleichbar (21)

الخطاب الادبي بعد التكوينية:

المهيمنة والجنس

خلاصة أو خلاصات:

موت المؤلـــــف والنص «تتمة»

تزدوج الدلالة ويتسع حقل المدلولية La Signifiance.

ان النقد المحكوم عليه بالموت، وبالخيبة من منطلقاته قبل موته، هو ذلك الذي يطمح الى استشراف افق، هو اصلا ميتافيزيقي، لممارسة الغياب والتغييب: غياب الفعل (في البدء كان الفعل) وتغييب الانساق التي ينتظم داخلها فعل الكتابة (كتابة النص)، بدون الوقوع طبعا في قبضة الازدواجية «الميتافيزيقية». النص في الاصل نصان: واحد في ذاته، والاخر كموضوع للقراءة. لقد أتت المساهمة التكوينية (القصد التكوينية النصية) لتخرج النص الاول من ظل النسيان، وتزج بالنص الثاني في دوامة الاسئلة الصعبة: اسئلة التأويل والجنس والعلوم الانسانية. انها ليست «فتحا جديدا» من حيث المنظور، ما دمنا نلتمس قضايا من محض اختصاصها، عند «فوكو» و«دريدا» مثلا، ولكنها مؤشر - على الاقل فيما يخص النقد الادبي - على تحول نوعي في اسئلة الابداع وميكانيزماته.

حاولت، اذن مساهمتي هاته - في حدود ما هو ممكن - كشف القناع عن سلطة المؤلف (**). ذلك «العنكبوت» الذي فيما هو يعرض مهاراته: (بيته المنسوج بحذق)، يخفي غاية تحفه الذكية: (الايقاع بالقارىء - الضحية في مصيدة الاطراء واللاعلمية). وصار ضروريا ان تجرد هذه المساهمة، النص من مفهومه كوحدة متماسكة لها بداية ونهاية في نفس المكان او الفضاء المطبوع، واستقلال عن ما قبلها، واعادت النظر في مجموعة من التصورات والمفاهيم السائدة، مثبتة في نهاية المطاف، ان الادبية ممارسة لا مفهوم، وهي باعتبارها كذلك، تمثل القلب الجذري للعلاقات القائمة بين «الشعرية» و«الالسنية»، وعلى رأسها «العلاقة المرجعية».

انتهى

الهـــوامـــش:

(1) Théorie du texte: R.Barthes. p (1017). Volume 15 de l'Encyclopedia Universalis.
. من المستحسن ترجمة «... ... ...» «بعبرانية» في سياق آخر.

(2) عن مجلة (المواقف الادبي) حيث النص الكامل للاتفاقية. ص (160 الى 171) س 4/ع 10 - 11/ ايار 1974.

(3) l'archéologie du savoir. M.Foucault. p(123/124) Ed: Gallimard. 1969.

(4) La quinzaine littéraire (Revue). F.Châtelet p.(3). N°72. 1er au 15 Mai 1969.

(5) Les états de la poétique. H.Meschonnic p (37)-P.U.F/Ecriture 1985 Paris. France.

(6) التكوينية (génétique) من اللاتينية جينوس واليونانية جينتكوس (من (γένος) وتعني الاصل والفروع والنشأة كما تعني الجنس والنوع والفصيلة. وردت في الانجيل اولا بمعنى التكوين وبدء الخليقة، ثم عند فونتانيل سنة 1611 بلفظة (génétique) ثم استعملت بلفظها الحالي (genèse) سنة 1660 وفي اواخر القرن XIX بمعنى «التشكيل» (الخلق) وجاء استعمالها العلمي بمفهومها الاحيائي (البيولوجي) سنة 1936. فالمصطلح اذن له تاريخ عريق، وامتداد مفهومي يشمل الفلسفة وعلم الاحياء والسيكولوجيا (كما عند جان بياجيه) والنقد الادبي (لوسيان غولدمان في الاتجاه البنيوي التكويني وجان بلمين نويل في التكوينية النصية). يراجع في هذا الصدد المعجم الاشتقاقي للسان الفرنسي لوبلوش وفارتبورغ ص (291) - ط 5 المطابع الجامعية الفرنسية 1968 باريس.
- والمعجم الاشتقاقي التاريخي (تأليف جماعي) ص (318) ط 1 طبعة لاروس 1971 باريس.
- والمعجم اللاتيني الفرنسي لصاحبه ف. غافيو، ص (709) طبعة هاشيت، 1934 باريس (والمراجع كلها بالفرنسية).

(7) La quinzaine. op.cit p.(3)

(8) نظام الخطاب وارادة المعرفة، م. فوكو، ص (19/20) ترجمة أ. السطاتي و ع. بنعبد العالي. ط دار النشر المغربية. 1985.

(9) (ن.م) ص (18).

(10) درس السيميولوجيا: رولان بارط، ص (84). ترجمة: ع. بنعبد العالي. ط 1. دار توبقال 1986. (المغرب).
* البروتاغوراسية نسبة الى بروتاغوراس السوفسطائي القائل بقدرة الانسان كمقياس لكل شيء.

(11) الدرجة الصفر للكتابة: رولان بارت، ص (94)(95) ترجمة: م. برادة. ط 1. دار الطليعة. 1980. بيروت - الرباط.

** بلوغ ان هم البحث في المسودات عند فوكو ليس وليد كتابه «اركيولوجيا المعرفة» (وبخاصة، ص (55) التي يتساءل فيها عن امكانية جمع المسودات والمشروع الاول والتعديلات والتشطيبات في النص المطبوع...) وانما يرتقي الى اعمال سابقة، اشير بخاصة تأويله للقراءة عند فلوبير في دراسته المهمة الموسومة بـ «المكتبة العجيبة» (انظر رولان بارط - ع (59)/1967) التي اعادت بموجبه نوبيرك جنيت صوغها باحكام في كتابها عن فلوبير. ط. نيلينية. 1970.

(12) Langages II es Rencontres psychanalytiques d'Aix-en-Provence p (284) Société d'édition «les belles lettres» 1984. Paris.

(13) منهج البحث في اللغة والادب (مدخل كتاب النقد المنهجي لمحمد مندور) دون تاريخ طبع. دار نهضة مصر. القاهرة.

(14) للاستزادة تحيل المهتم على البحث القيم الذي انجزه الاستاذ «لويس هاي» مدير البحوث بالمركز الوطني للبحث العلمي، المسمى «محاولات في سبيل التشخيص، والتأريخ، والتحليل الآلي للكتابات المعينة» (اعمال ملتقى (ما قبل النص/النص/ما بعده) ص (47) (اعمال ملتقى مانز/فورد - يونيو/جوان) 1982. هنغاريا.

(*) من المعروف ان بيير غيرو (P.Guiraud) حصر الغاية الاحصائية في دراسة المعجم، وركز في كتابه «خصائص المعجم الاحصائية» الصادر سنة 1954، بالخصوص على دراسة ظاهرتي تمركز او تشظر المعجم (Concentration ou dispersion et richesse du vocabulaire) وثرائه ايضا، مهملا دور ما سماه بالفضلات (Les outils) التي لا معنى لها، وهو ما لا يمكن يحال اقصاؤه في الاحصاء التكويني. ومن المعلوم ان (ب. غيرو) راجع ابحاثه فيما يخص (المعنى) في اكثر من مرجع، انظر على سبيل المثال (La sémantique) سلسلة ماذا اعرف، الذي ترجم حديثا الى العربية في هذه السنة.

(*) Les méthodes statistiques et l'analyse linguistique (articles) R.FRUMKINA (Revue: Sciences sociales. N° 4(26) p (154).Publications de l'Académie des Sciences de l'URSS. 1976.

(15) تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. للاستاذ محمد مفتاح ط الاولى 1985. المغرب.

(16) فيما يخص الطفرة التحليل الاوتوماتيكية والمفهومية وعلاقتها بتحليل الخطاب يراجع بخاصة كتاب: Les analyses de discours: J.C. Gardin Ed: Delachaux Niestlé. 1974.

والدراسات التي انجزت في العقد الاخير، وهي كثيرة جدا.. ولسنا بحاجة الى التذكير - في الجانب التقني - بما قطعته الجامعات الانكلوساكسونية من شوط بعيد في توظيف الحاسوب في مختلف الاختصاصات. وحسبنا ان نشير فقط الى شعبة «اللغة والالسنية» التابعة لجامعة «إسكس» الانجليزية المجهزة بمركب (U of Essex. co4. 3SQ) علمي مختبري دقيق، وشعبة خاصة بعلم الكومبيوتر، في حين نعيش نحن بدايات «الكوليج دوفرانس» ومرحلة التلقي البيغاني التي يبدو لي اننا لن نتخطاها ابدا.

(17)- Régine Robin dans: LANGAGE ET IDEOLOGIE. Le discours comme objet de l'histoire. (Collectif). p(5). Edts ouvrières. 1974. Paris.

(18)- Linguistique et discours littéraire: J.Michel ADAM, J.Pierre Goldenstein. coll.L - ed Larousse. 1976. p(195). (Voir aussi nota Bene)

(19) Id.p (195). sq

(20) Ibid.

** هذا عن نظام التحليل اما عن المنهج الاحصائي فان المشكلات التي يطرحها على مستوى المعجم فمعروفة ويحددها م. مفتاح في «استراتيجية» في كونها «تعزل الكلمات عن سياقها وتتعامل معها كشيء، فاقد للتواصل مع ما يتقدمه وما يلحقه، واهمالها للمقصدية (؟!) وتقصيرها في العلية «بمشكل الخطية وخطية المعاني وبالونية الكتابة» الخ. ص (59) (60). (م. سبق ذكره في الهامش رقم (15). اما جان كوهن فيجعل اللجوء الى المنهج الاحصائي واردا عند الاقتضاء! كالتحقق مثلا من فرضية نعن التحقق عند تقليره في بعض الامثلة المنتقاة. (راجع حدود هذا المنهج عنده في ص (16) من الاصل الفرنسي لبنية اللغة الشعرية، طبعة فلاماريون. 1966 - فرنسا.
- ولا أرتاب في ان القارىء الفطن قد ادرك شساعة البون بين ما لهجت به في - تقديمي - لترجمة (التلازم والتضايف) م.ث للعلم - ع. 720/ السنة 1984/ ص - (7)) فيما يخص منهج الاحصاء، وما اصدر عنه هنا في شيء من الاعتدال المتحفظ!

* في اسفل المشجر تمت مراعاة قواعد الرتبة في البناء الجملي العربي حيث الاسبقية للفعل على الاسم.

** - القصد بالبناء السفلي المكونات الدلالية والصوتية والمعجمية والتركيبية والصرفية.

(21) حسم هـ. ميشونيك ترجمة هذه القولة في ص (142) من المرجع المذكور في الهامش رقم (5) وعليه، فترجمتها الى العربية تكون: «يتمركز اللسان (او يقوم في) الخطاب الشرايط فحسب، اما النحو والمعجم فشبيهان تمام الشبه بهيكله العظمي».

22 - نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، ت. الاستاذ ابراهيم الخطيب. ص (35). الطبعة الاولى 1982. (ش.م ن.م) و(م.أ.ع).

(23)- Dictionnaire raisonné de la théorie du langage /J.A GREIMAS et J.COURTES Coll: Langue. /Hachette. 1979. p (214)

(24)- Ibid. p (214).

(25) - مجلة فصول (المقال من ترجمة وتقديم: الفت كمال الروبي) المجلد الخامس ع. الاول 1984 الجمهورية المصرية.

(26) - ارى فيما يخص هذه النقطة مراجعة ردود «ف. لابوف» على (نوام تشومسكي) في «علم الاجتماع اللساني» طبعة مينوية 1976 (بالفرنسية).

(27)- Communications (Revue). N° (4) éd. Seuil. 1964 p (36)

(28) (نصوص الشكلانيين) (س.ذ) ص (36-37). (راجع ملاحظتنا على الترجمة في (Nota) بعد الهوامش).

(29)- (Geschich te der arabischen litteratur). Von Prof Dr. C.Brockelmann/Erster Supplement band. Leiden. E.J.BRILL 1937//ch: Die Anfänge (und) die formen der A.Poesie. p (17) p (24)

(30)- Lapaud (Langage et mythe) / ERNEST Cassirer. p(13) ed de minuit. 1973 Paris. france.

(31) - راجع الصفحة (18) وما يليها في الكتاب المذكور. طبعة فلاماريون 1979/ وراجع (Nota) من المقال الحالي، في نهاية الهوامش.

(32) - تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) للاستاذ د. محمد مفتاح، ص (111)، ط 1. 1985. المغرب.

(33) - يراجع كتاب: «Dé... le réel» للتمية لاكان، (الوكلير - س.ج) ص (102) طبعة سوي. 1971.

(34) (نصوص الشكلانيين) (س.ذ) ص. (81).

(35) - (ن.م) ص (83)

(36)- la psychologie de l'art par j-p.WEBER p (104). 3e ed. P.U.D.F. 1966 PARIS.

(37) - يعتبر جان بول ويبر بالتماثله للموجة الجديدة وقد احال بنفسه على مقال يقع في المجلد الخامس من دراسة صادرة بالايطالية، والمقال عنوانه: «Saggie ricerchi di letteratura francese/pise. 1965 (Ottis لصاحبه fellows)

(38) Op. cité p (130) voir (Nota) aussi

(39) - (نصوص الشكلانيين) (س.ذ) ص (81)

(40) - (ن.م) ص (214).

(41) Dictionnaire encyclopédique (T.Todorov et O.Ducrot) ed du seuil 1972

(42) - (نصوص الشكلانيين) (س.ذ) ص (82).

(43) - (ن.م) ص (81)

(44) - الممارسة هي التحويل المادي لامكانيات التصور على مستوى التكوين النصي حيث تتداخل الانظمة الدالة. والخطاب الادبي على نحو قد يجعله حتى في عملية القراءة نفسها. وقد فاتحت استاذي (جان موليتو) في هذا الموضوع، كما ناقشته صحبة (جورج موران) و(فرانسوا ووفل) - انظر السؤال والاجابة (المقترنة الى حد الاخلال من طرف المطرقة) بمجلة (حوليات كلية البيضاء) ص (128) (شعبة الفرنسية) العدد الثاني.

- NOTA BENE -

I. أ. - منهجنا في اطروحة (موت المؤلف) يختلف بعض الاختلاف عن منطلقات جماعة (تل كل).. وللمزيد من التفصيل تلح على مراجعة حوار (فليب سولير) مع (جاك هنيك) في: (Tel Quel) -
- Théorie d'ensemble (choix) p (69—83). ed du seuil. 1968.

I. ب. - جاء الحديث عن مفهوم الخطاب مختزلا في الفقرة الموسومة بالاحصاء الاوتوماتيكي ومشكلة الخطاب ليس لان نظرية الخطاب لا تمس موضوعنا الا مسا رقيقا كما يتوهم البعض، فذلك يعني بصفة مقلوبة السياق وراء هامش التخصص الذي اصبح ورقة يلوح بها الخطابيون. فاذا لم يسلم بسطا لمسالة الخطاب في هذه التقدمة الموجزة، من عموميات فليس لسبب الاغفال، ولكن لان لهذه التقدمة ما بعدها. وقد جعلنا المقال الذي نعده حاليا بعد هذا، وقفا على التنظير لتكوينية الخطاب والخطاب الواصف.

II ج. - (هامش 28) استبدلنا في نص الترجمة (المقتبس من الانجاز الهام للاستاذ ابراهيم الخطيب) كلمة «اللسانية» بـ«اللغوية»، في موقعين اثنين، مراعاة للاصل الذي يريد بهما ظواهر الحديث والتخاطب وهو ما لا يتناسب ومصطلح «لسانية» الذي يعزى اساسا الى الموضوع العلمي المحدد والدقيق. كما استغنيت عن مصطلح «الموتيفات» بمصطلح معادل انسب، وضعته بين معقوفتين. وبجدر التنبيه الى ان ترجمة الاستاذ عبد السلام بنعبد العالي لدرس السيميولوجيا لم تخل بدورها من هفوات تجاوزت المصطلح الى التركيب وأتت في بعض المواضع على جمل باكملها وعلى سبيل المثال اسقاط «Dévoyée» الخ في (ص (14). س (11)). والتصرف السائغ فيه، والخلط بين اللسان واللغة في مواضع كثيرة. وان عقد مقارنة بين النص الاصلي والترجمة، يبرهن بوضوح عن ما نقصد.

III د. - (هامش (31)) هنا تطرح قضية سياسية واجتماعية قبل كل شيء. فثمة نمط فني ادرجت الثقافة الرسمية على تسميته بالشعر العامي تمييزا له عن الشعر الفصيح وهي لا تمنحه صفة «شعر» تلي الا ان تجعله في الدرجة الرابعة من سلمها السفلي. والقضية ماتزال ايضا - وعلى المستوى العربي - تغلي في قدر النزعة القومية التي ترى في «الترويج» لذلك الشعر المهمش، مسا رهيبا بالقيم اللغوية العربية حيث اللسان الفصيح هو العروة والمثل الاسمى الذي يعتبر الشذوذ عنه تكريسا للنزعة الانعزالية، وتعميقا للتباعد اللهجي بين العرب. واعتقد ان الاختلاف مع هذا الطرح السائد، ضرورة لا فكاك منها فالطروحات التي ترى في «بيتوكلاند» لويس عوض، و«رباعيات» نجيب سرور، و«جلنار» ميشال طراد الخ، خطرا يتهدد الكيان اللساني الموحد للشعوب العربية (وهذه حقيقة لا مناص من ذكرها) ان تلك الطروحات تمثل ذلك الخطاب الميت الذي يقصد الى مصادرة ثقافة باكملها، متناسيا ان المنطوق الشعري العامي والغير الخاضع منه للكتابة بخاصة، انما هو تعبير عن آهات الكادحين، وانتاج في الشيحة حرمت قسرا من التمدرس، تغني لتنسى السلب، وعن طريقه تعكس تطلعاتها لوضع افضل. وعلى مستوى آخر، وباستعراض امثلة من هذا الشعر اللاحن، يقوم دليل قوي على استهدافه لشرائط «اللغة الشعرية» وامتلاكه لخصوصية خطابية توظف ادوات مماثلة لها، وتمثل النموذج اللاحن بامتياز.

□ عن كتاب: «La forme poétique de Serge Esenin - Les rythmes 1968. Mouton. The hague. Paris. لصاحبه: Jaques Veyrenc.

ونأسف لكونه لم يعرض بالدقة المرجوة للمنهج التكويني النصي، ولم يحل على المظان.

* يعتبر سارتر من الذين تنبهوا الى هذه النقطة حين رفض في 22 اكتوبر 1964 جائزة نوبل، وصرح قائلا: «على المؤلف ان يرفض التحول الى مؤسسة، وسأكون مجبرا على عدم قبول جائزة لينين اذا ما اراد بعضهم تسليمها لي...».

هامش (38) كتاب ويبر نعكف حاليا على وضع ترجمة له، سنصدرها اذا ما توافرت امكانيات النشر.

هامش (18). ثمة دعوة في حقل الالسنية الى المزج بين الدلالة وتحليل الخطاب في نطاق لسان ما، عن طريق فسح المجال للتحليل السيمي ليشمل ليس فقط دلالات التقسيمات بل الدلالة الشمولية لمقاطع القول والسيميم نفسه. ويترتب على هذا - على الاقل فيما يخص موضوعنا الحاضر - ضرورة التوافق بين مطالب السياق، والعناصر المكونة للخطاب في شموليته، وهو ما يتعين اخذه بعين الاعتبار في اطوار الفرز النصي بخاصة.

روما في 1986/12/18

العلم

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب ■ السنة 33

■ السبت 12 شعبان 1423 الموافق 19 اكتوبر 2002

دراسات

دينامية التفاعلات الثقافية

بعض مظاهر نشاط علماء فاس في حاضرة سطات خلال الأربعينيات
(سكيرج، وبوعشرين، وبركاش نماذج)

الى أستاذي د. عباس الجراري، عرفانا بأفضاله على الأدب المغربي وذكرى لرحلة والده العلامة عبد الله الى سطات.

عبد الباسط الكراري

[illegible]

سطات الأربعينيات والجامع الكبير في وسط الصورة

[illegible]

II ـ الفقيه عبدالمجيد بركاش المعروفي

[illegible]

أحمد بن الحاج العياشي سكيرج

[illegible]

III ـ القاضي أحمد بن العياشي سكيرج

[illegible]

دينامية التفاعلات الثقافية

تابع ص 6 و 7

احقــا بنــا منــا الإمــام سكيــرج
وإلا فمــا هــذا الشــذا المتــارجُ؟

بلــى هــذه انفــاســهُ وفنــاؤه
فيــا طــالبــي نيْــل المــعارف عرجوا!

ومــدُّوا اكــفُ المستميحيــن للنــدى
فهــذا هــو البحــرُ الــرُّوا المتمــوجُ 32

ويقول ايضا:

فــإذا مــررتَ علــى حمــى زطــاطــة
فاشفــعْ لــروحــي عــند روحــي الثاني

واربــع على ربْــع الامــام سكــيــرج
متــادبــا فــي الســر والاعــلان

وقــل الســلامُ عليــك يابــدر الدجى
مــن رقّ نعمتــكَ الخــديم فــلان

واجــعــلْ مــروره إن مــررت على حمى
زطــاط حيــث الــريّ للظمــان

واشكــر وسيلتــك الإمــام سكيــرجا
واســالــه لايسلــو ولاينســانــي

فانــا الغليــل الى ارتشــاف زُلالــه
وانــا الفقيــر بــل الاسيــر العاني 33

ولامراء في أن الشاعر - كعادة المتكسبين - كان يخلط الخز بالخشف، ويمزج الدرّ بالمخشلب، وقارىء شعر الايفراني يلحظ هذا التفاوت الذي مرجعه من جهة الى غزارة البديهة فضلا عن الاثر الواضح للنظم التعليمي في ديباجة شعره، من جهة اخرى. فهو تارة يسمو في ذرى البيان، فيشتغل على مكونات الصورة الفنية اشتغالا ابداعيا مضنيا ينساب في غير تمحل ولا كلفة، وتارة اخرى ينكص الى نثرية تقريرية سمجة تمحو محاسنه، وتغيض مائيته ورونقه كما يتبدى مثلا من هذه الابيات:

ذاك الإمــام الشيــخ سيــدنا ابــو العبــا
س احــمــد قــامــع العــدوان

بسكيــرج يدعــى ونسبتــه الى الانصــا
ار لاتخفــى عــلــى الاذهــان

منشؤه من فــاس ولــكــن قــام فــي
زطــاطــهم يقــضــي برغــم الشــانــي

لازال يــرتــق فــتــق هــذا الدهــرفي
يمــن وإسعــاد وطــول زمــان 34

النتيجة التي تنتهي إليها مقاربةُ دينامية التفاعلات الثقافية عبر ثلاثة نماذج من علماء فاس اثروا في البيئة الفكرية السطاتية، تقر باستصحاب الاثر لفاعلية جذب اصوات فنية وشعرية ساهمت في تثوير الحقل الاجتماعي والثقافي، وتحويل المدينة الى حاضرة علمية تضج بالحركية واستقطاب اعلام سنخصص لهم مقالات تعريفية اخرى.

هوامش

1 - وقد ساعدت هذه الاقامات، وخاصة إقامة القائد داخل القصبة الاسماعيلية، على تركيز التدبير الاداري للشأن الجهوي والمحلي منذ النشأة الأولى للمدينة. ولسنا بحاجة الى التذكير مثلا بأنها شكلت مقرا دائما لسلطة القواد منذ تأسيس الاكدال الاسماعيلي، مما ساعد على تشجيع التعمير في محيطها خاصة بعد صدور اوامر القائد الغازي بن المدني لمزامزي الى شيوخ القبائل المجاورة بضرورة تعمير الدار الحضري المحاذية. انظر مثلا: /.L. delhomme : Notice sur Settat: et la région de settat
B.S.G et Archéologique . ORAN 1913 p 10
وهذا ما يفسر ايضا تمركز الممتلكات العقارية للقائد المعطي بن عبدالكبير المدني لمزامزي، في محور المدينة وشماعها. انظر نصي الإراثة المؤرخين في 2 ربيع الاول 1341 ، و 12 رمضان 1355، والجريدة الرسمية عدد 1801 / 2 مايو 1947 التي تشير مثلا الى ممتلكاته بدار الصابون، ومقهى التجارة، وحومة السماعلة، ونزالة سيدي لغليمي، وحتى مقر إقامته بالقصبة الاسماعيلية فقد حازه ابنه القائد عبدالمجيد بموجب الظهير الشريف المؤرخ في 17 فبراير 1931 (28 رمضان 1348) وهو في حوزة ابنائه.

2 - إتحاف اعلام الناس لعبدالرحمن بن زيدان، ج 4، ص 316.314 الوطنية 1990 الرباط BARROQUERE CLARET:
Settat , centre historique de la Chaouia Ed larose , Paris, 1919 pp 141-142

3 - [illegible] 127

4 - باروكير، م. م، ص 143.

5 - الوثائق، المجموعة الثانية، 1976، المطبعة الملكية، الرباط ص 410.409

6 - المعسول للمختار السوسي، ج 8 الدارالبيضاء 1961 ص 19.

7 - مجلة دار النيابة، عدد 11، صيف 1986، وتاريخ وفنون الشاوية، الملتقى الثاني، 1990، سطات (مداخلتا ذ. هلال لخديمي والعلامة محمد المنوني) منشورات وزارة الثقافة

8 - الروضة المقصودة والحلل المدودة في مآثر بني سودة لسليمان الحوات، ج 1 مطبعة مؤسسة احمد بن سودة، فاس، ط 1 ، 1994، ص 286.282.

9 - نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري، مط دار الطالب الرباط ج 1، 1977، ص 133.132.

10 - ورد في نص الظهير الحسني لتعيين القائد المعطي لمزامزي (1909.1832) سفيرا الى فرنسا في 27 ذي القعدة 1306هـ: «ومززناه بكاتبنا الارضى الانجد الطالب احمد الكردودي وبخديمنا الارضى الامين الحاج محمد بن المدني بنيس» (الاتحاف، ج 2، ص 318 . وبنيس المذكور هو أبو عبدالله محمد بن المدني الامين المفوض بفاس. اما الفقيه الكردودي فهو احمد بن محمدبن عبدالقادر الكردودي الكلالي الحسني الادريسي الفاسي الكاتب الديواني الشهير المولود بفاس عام 1240هـ. كان عدلا موثقا بسماط عدول فاس، واستخدمه الحاج موسى بن احمد، وعند تعيين السفير المعطي انتظم في زمرة البعثة المغربية، كما عين رفقة القائد عبدالصادق بن احمد الريفي في سفارة مغربية لدى البابا ليون الثالث عشر بالفاتكان، بمعية الاب الراهب خوسي ليرتشوندي في 5 شعبان 1302هـ. وكانت وفاة الفقيه الكردودي يوم الثلاثاء 15 محرم 1318هـ ومن مصنفاته: «التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الاصبنيولية» المطبعة الملكية، الرباط 1963 . انظر ترجمته فيها. ص (101.100).

11. لاستيفاء ترجمة البوعزاوي المفصلة ينظر مخطوط «الكوكب الضاوي»، ومخطوط «نشر المحاسن» للعزوزي. وترجم له باقتضاب العباس بن ابراهيم في «الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام» ، ج 7 ، المطبعة الملكية 1977، الرباط ص (188). والزركلي في «الاعلام» ، ج (6)، طبعة دار العلم 1992، ص (178).

12 - التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب للحسن بوعشرين، ط (1)، (1994) دار المعرفة. ص 158 (السفر الاول)

13 - دليل مؤرخ المغرب الاقصى لعبدالسلام ابن سودة، ج (2) ، 1960، دار الكتاب، الدارالبيضاء ص (438)، وتوجد نسخ من مخطوط «الانتصار» منها النسخة المحفوظة بخزانة ال سعود بالبيضاء بخط محمد الامغاري.

14 - (م. ن)، ص (472).

15 - الاعلام (م. م)، ص (188).

16 - بطلب منا انجز د. راوخنبر غر (Rauchenberger) وهو احد المختصين الالمان في تاريخ المغرب الوسيط ومهتم بتحقيق ليون الافريقي، تنقيبا مطولا عن اسم محمد بن الطيب البوعزاوي في ارشيف الخارجية بها مبورغ وبرلين، ضمن قائمة المحميين والحمايات الالمانية، فلم يعثر له على اثر. وابلغني بنتائج بحثه بواسطة السفارة الالمانية يوم 1998.5.6 قبل زيارة شخصية يوم 98.5.16 وهذا يكذب الأطروحة الاستعمارية الفرنسية عن حصول البوعزاوي على حماية المانية، وهي مزاعم ما فتىء يرددها بعض المتطفلين ممن لاتحقيق لديهم ولامنهج. وينتظر ان يتصدر الباحثون وطلبة الجامعات للبحث في حياة وآثار ومواقف هذه الشخصية التي تستحق التفاتة خاصة.

17 - اعتمدنا في صياغة الترجمة على مؤلف ابن الشيخ: السعيد بوعشرين: مقتطفات من حياة احد علماء سطات الفقيه محمد بن الحاج بوعشرين. ط (1) - 1996 . مطبعة يوسف، مراكش، ص (117.12) وصورة القاضي المرفقة منه.

18 - (م. ن)، ص (194).

19 - (م. ن)، ص (103).

× - راجع بخصوص هذا الاصطلاح تعريفات الجرجاني

20 - جاء في «المرشد المعين»

مصرفها الفقير والمسكينْ
غاز وعتق عامل مدينْ
مؤلف القلب ومحتاج غريبْ
احرارٌ اسلامٌ ولم يقبل مريبْ

مجموع المتون، مطبوع على الحجر بفاس، ص (14) وبناء المدارس يندرج تحت حكم «في سبيل الله» من مصاريف الزكاة.

21 - محمد المختار السوسي: المعسول ج (9) ، الدارالبيضاء 1961، ص (215) ومولاي عابد التافراوتي من مواليد 1925م، بقرية اكرض اوضاض بنواحي تافراوت، وترجمته في ص (220.212) من الجزء المذكور.

22 - الربع الثالث من رفع النقاب بعد كشف الحجاب لاحمد بن العياشي سكيرج، ط (1) 1971 ، مطبعة الأمنية، الرباط ص (1) من ترجمة المؤلف بقلم ادريس العراقي.

23 - الادب العربي في المغرب الاقصى لمحمد بن العباس القباج، ج (1)، ص (56) مطبعة فضالة، المحمدية 1979.

24 - مواكب النصر لمحمد بن عبدالصمد كنون، مط سوريا، طنجة 1400هـ، ص (59)

25 - الادب العربي، ص (56).

26 - اجاز بسطات مقدم الزاوية التجانية بفاس الفقيه ادريس العراقي، انظر الربع الثالث، ص (4).

27 - المعسول، ج (7)، ص (138).

28 - راجع ذكريات محمد المختار السوسي، مطبعة الساحل، الرباط ط (1) 1984، ص (40) ودليل مؤرخ المغرب، ج (2) ص (380).

29 - المعسول، ج (7)، ص (137).

30 - نفسه، ص (81) وسطات أبدالٌ صوتي من «زطاط» التي لايخفى اصلها الاشتقاقي الطوبونيمي ولنا بحث في هذا الباب سننشره قريبا معززا بالوثائق.

31 - نفسه ص (138).

32 - نفسه، ص (137).

33 - نفسه، ص (145).

34 - نفسه، ص (143).

مالقة - اسبانيا في 21 غشت 2002

أعمال تحت المجهار (2)

بقلم : عبد الباسط لكراري

ـ أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث

+ دكتور البدراوي زهران + ★

أ ـ دوافع تأليف البحث : ـ

يحددها زهران في نقط محدودة هي : 1) انه بلغه ان الباحثة الفرنسية أوديت بيتي، صاحبة «الصوتية الفرنسية والصوتية العربية» تقوم بتطبيق طرائق الالسنية على أيام طه حسين وأشار البدراوي الى كونها «تولي مثل هذا الموضوع عنايتها» وأنه قد توصل «الى كشف الابعاد اللغوية لفكر عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني» ص 3. فأراد بهذا العمل أن يبرز متابعته لتلك الطرائق . وند عن ذهنه ـ او فاته ـ ان أوديت بيتي قد شرعت في هذا العمل منذ 1977 (او قبل ذلك) حيث طبقت المنهج البنيوي الالسني على الفصل الاول من الايام، اي قبل ادلائها بالتصريح الشفهي لجريدة الاهرام بسنتين. ـ 2) تقديمه «من حقل الدرس اللغوي اسهامة في احياء ذكرى عميد الادب العربي» يشارك «من خلالها في بعث أفكار سلفنا الصالح من علمائنا الذين قدموا للفكر الانساني خير ما نعتز به ونفتخر» ص 4

3) إرادته «من وراء هذا العمل» ان يضع «التصور العملي لتطبيق منهج ذلك العالم (يقصد الجرجاني) الذي أراد ان يخدم به الدراسات اللغوية، وفي مقدمتها القرآن الكريم» ص 4.

وقد سلك د. البدراوي سبيل التواضع فقرر ان بحثه هذا «محاولة» ولعل في ذلك مايدل على نزوع الباحث الى معاودة الكشوف وتكرير المطارحة بغية اكتمال التجربة في هذا اللون من المعرفة، كما انه جعل دراسته هاته مشرعة أمام النقد والتفصيل وفي كل ذلك ما يدل على مقصده العلمي. وأريد قبل التعرض الى هذا الكتاب سلبا وايجابا ان أتطرق الى هفوة مازالت المباحث الحديثة لم تتحرر منها. أقصد مسألة السبق. يقول البدراوي في مقدمة الكتاب «وقد ثبت البحث العلمي ... أن عبد القاهر الجرجاني قد توصل منذ ألف سنة ... ما توصل اليه اللغويون المحدثون في هذا المجال» ص 4. ويقول المرحوم محمد مندور «مذهب عبد القاهر أصح وأحدث ماوصل اليه علم اللغة في أوربا لأيامنا هذه، وهو مذهب العالم السويسري فرديناند دي سوسير» ص 5 (الهامش). هذه الرؤية التي انتقلت عدواها الى بعض الدراسات الغربية اذ نجد Jacques- Langhade يصر على سبق الفارابي لسوسير فيما يتصل بنسق اللسان منذ ما يقرب من عشرة قرون (1). وقد تبين بطلان مثل هذه النظرات وظهر ان ترجيح النكت والمتفرقات على النسق المنهجي المتكامل واستطاء الزمن الرجوعي واجتثات النظريات من ملابساتها وسياقها المرجعي، خرافة. ومن ثم فلا محيص من التزام المنهج المقارن .

لقد عني البدراوي في صدر كتابه بحصر موضوع الاسلوب في ضوء الدرس اللغوي الحديث فحدد المصطلح وحاول أن يرفع ما يحيط به من لبس لاستعمالاته المتعددة. وليته انصرف توا الى التحديد الالسني دون توزيعه اصطلاحيا على المدارس التقليدية العربية (الجرجاني ـ ابن قتيبة ـ الخطابي ـ الباقلاني) اذ يلزم ان نتوخى اصالة وخواص البحث الاسلوبي في الدائرة الغربية. وقد استتبع عرضه لتعريف الجرجاني المزج بينه وبين التعريف الحديث دون وضع مقاييس محددة للافادة من هذا النموذج الذي لم يخرج من دائرة الجدل، ومازال لم يتلمس طريقه الى المنهج اللغوي المتكامل/ الجاهز. على الرغم من إثرائه لحقل اللغة. وقد أهمل البدراوي الجانب النفسي وغيره في تعريف الاسلوب مستندا الى اكثر التعريفات صلة بالجانب الشكلي وعناصره الاربعة (الكلمة والعبارة والجملة المفيدة والنص بتمامه) فانصرف عن تعريف شارل بالي الذاهب الى ان مهمة علم الاساليب هي استخراج ماهو عام في نزوات التعبير الشخصي، وفرز مافيه من ميول مشتركة. بل يمكن القول ان هذا العلم يبحث في الكلام ـ وعلى وجه الدقة في الاعمال المكتوبة ـ عن أبعد مصابيهم الناقد ومؤرخ الادب، اي عما يتفلت به الكاتب من زمام نفسه، وينقاد بلا وعي منه لقوانين لغته » (2) ورأى ان يدرس الظواهر اللغوية في أسلوب العميد بمعزل عن الشروط الموضوعية (3)

أي دراسة اللغة باللغة على حد تعبيره .

الجانب الصوتي في أسلوب طه حسين : ـ

لم يعتمد البدراوي على مقاييس دقيقة، واضحة المعالم لتحليل الظاهرة الصوتية في أسلوب العميد، فقد تراوح التحليل بين الوصف العام «سرعة استجابة الاذن للنغمة الصوتية العامة المنبعثة في أسلوبه، مع تنويع في التيار الصوتي يحتفظ معه بمستوى موسيقي يتلاءم مع مايريد التعبير عنه » ص 25 (تكررت الجملة بتعديل طفيف في ص 12)، يتحقق هذا التناوس بأشكال صوتية تركيبية كالترديد والمخالفة بين الجمل عن طريق التضاد والتقابل والتطويل والتكرير .../ والباحث في كل ذلك حريص على إيراد نموذجات من المتن لتعزيز الوصف، دائب على البحث عن الانعكاس الصوتي والنفسي لها «فيجيء أسلوبه متزنا كاملا، يرضي الاذن ويتغلغل في جوانب النفس، ينبيء عن ذاكرة حافظة، وذوق سمعته الاذن المدربة والحس اللغوي الدقيق في الملاءمة بين الالفاظ » ص 27، وذوق نحوي يحسن التأليف بين الكلمات، مع اعطاء فواصل هي أدل مايكون على مايريد » ص 28/ وفي الوصف الخاص حاول البدراوي ان يستعين بما حلله في كتاب له موسوم ب «عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها ». وقد عرض لاحرف العلة التي شغف العميد بالاسراف في مدها. ومبعث ذلك ما تتميز به العلل من انفراج اذ العلة في الكلام (كما يقول أبده وورد)صوت يمر الهواء في نطقه خلال الفم في تيار مستمر، لاتصادفه عقبة ولاتضييق ينتج عنه احتكاك مسموع ...

(4) ثم يعرض لبعض الاحرف المفخمة « .. اسكت ياخاسر ، اسكت ياخنزير ، وكان يفخم الخاء في الكلمتين الى أقصى ما يستطيع فمه ان يبلغ من التفخيم » ص 30. ويتطرق الى ما يلحق الخاء من التفخيم الاقصى بأن هي لحقتها ألف مدكما في «خاسر»، وجنوحها الى الرقة ان هي فصلها عن المد حاجز كحرف النون في «خنازير» . ثم يتطرق الى رغبة العميد في اشراك القارىء معه في نطق بعض الاحرف (القلقلة القاف وتفخيم الضاد ومد الالف والياء) ويطيل البدراوي الوقوف على القاف فيعترض على صفة القلقلة مثبتا ان صوته «انفجاري مجهور، او شديد مجهور ...» ص 32، والحق ان نسبة القلقلة الى القاف لاسبيل الى دحضها اذ وصلنا ان العرب جمعوا القلقلة في «قطب جد»، وأما ميل الاستاذ الباحث الى صفة الجهر فخطأ لان القاف «صوت لهوي شديد مهموس له بعض القيمة التفخيمية، ولكنه لا يوصف بأنه مفخم، ويتم نطقه برفع مؤخر الطبق، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ورفع مؤخر اللسان، حتى يتصل باللهاة، وهي الزائدة التي في النهاية الخلفية للطبق، وحتى يتصل كذلك بالجدار الخلفي للحلق، في الوقت الذي تنفتح فيه الاوتار الصوتية في وضع تنفس، لافي وضع جهر (5)، ولم يك البدراوي محقا في سلخ الصاد من صفة التفخيم وان كنا لانختلف في نسبتها الى الاطباق . ومبعث ما أشرنا اليه سلفا من عدم التدقيق في المقاييس في تحليل الظاهرة الصوتية ان تقاليد السماع في الكلام بحكم قدمها وحداثة تقاليد الكتابة جعلت الكلام المسموع يبدو اكبر أهمية من الكلام المنظور . (6) وكان البحث سيغتني أكثر لو أنه أفاد من النموذجات العليا لاسلوب العميد وهي تلك التي تجسدها محاولاته الشعرية الاولى، ففيها من الصفات والعادات النطقية المشتركة مايرسخ تقليدا ما ينسحب على إبداعاته اللاحقة، ومنها رائعته هاته، التي أخضعها الباحث للتحليل الاسلوبي .

★ ★ ★

وانتقل الباحث الى موضوع اختلاف «العادات» النطقية بحسب الالسنة، واستفادة طه حسين من ذلك في اسلوبه «باعطائه دفعات تلوينية» ص 37. فيتحدث في أيامه عن المستشرقين الالمان والطليان والفرنسيين وما يشوب تلفظهم من نكهة الطرافة والتنكيت وكذا سعيه الى توظيف بعض الخصائص اللهجية الاقليمية المصرية (المنياوية والقاهرية) ومزجه بين تينك العادتين. (أقول مع زهران «العادة» تجوزا لان موقف تشومسكي من هذه الموضوعة مشهور).

وقد أفصح الدكتور البدراوي في مناقشاته عن إلمام بالخصائص الاصواتية العربية بيد أنه ـ كعادته ـ يغرق تحليلاته في الاطراء، ونادرا ما نعرف هذه السمة طريقها الى الاقتصاد. ومن ذلك قوله «وقد أوتي في هذا المجال وحده براعة فاقت كل براعة على نحو ما مضى من التحليلات » ص 42. «وفي براعة من طه حسين اعطى أسلوبه النماذج الملائمة لطبيعة كل نسيج ولون » ص 46. وهكذا دواليك. وانربما ضحى بالقواعد لصالح الانطباعات. يشهد بذلك قوله : «والدراسة التحليلية لمكونات ألوان التأثير الصوتي قد تشق على نفس من يحب ان يتلقى المتعة، ويحظر صفوه ان يتتبع مصادرها ويحلل لها .. لذا فلن نسرف .. ومن ثم فهي اشارات سريعة تلمح الى بعض المواطن » (نفس الصفحة).

وفي الفصل الخاص بدراسة جانب التراكيب في أسلوب العميد، يتناول د. البدراوي ظاهرة اشراب العميد لاسلوبه بنفحات قرآنية كريمة .

«فلدى طه حسين مقدرة بارعة على الاستفادة من التراكيب التي حفظها من التراث، وفي مقدمتها القرآن الكريم، ويميز التراكيب عنده أنه يصوغ على شاكلتها وينسج على منوالها، وان كان من المقرر ان الذي ينسج على منوال غيره لم يكن قد جاء من عند نفسه بشيء». فليست اللغة كلاما وصورة معنى من أجل معاني الالفاظ المفردة مجردة معراة من معاني النظم والتأليف، بل منها وهي متوخى فيها معنى النظم والتأليف » ص 50 ومن الامثلة على ذلك « ... اذا أصبحت يابني فاستقل من الامتحان ولاتحضر من عامك هذا، فإن القوم يأتمرون بك ليسقطوك » والنص القرآني يقول «ان القوم يأتمرون بك ليقتلوك. فاخرج اني لك من الناصحين »، ويؤكد الباحث على خلو الايام من العيوب في البناء التركيبي، ويوسع صاحبنا العميد اطراء ومديحا، فيتفلت كل سالب من قبضته. واني أنبه الدارس الى ان الايام ليست خلوا من اللحن والاضطراب، وحسبي سندا مؤلف الدكتور سعيد علي (من جامعة شكاغو) الذي احصى فيه مايقارب مائتي لحن !! ولذلك دلالته الالسنية والنفسية التي لاتعزب عن المهتم بهذين الميدانين .

قوالم باستعمال بعض العامي في أسلوب طه حسين : ـ

لقد كانت أصداء تصدي العميد لموجة العامية تصلنا. وما كان هذا الموقف ليزرع في نفسه الصدوف عن تضمين بعض العامي في أسلوبه، فقد فزع الى اطلاع القارىء على كيفية «تفاعل العامي في حيوية داخل أسلوبه، فأمد الاسلوب بخصوبة وثراء، ولم ينقص من قدره كونه عاميا، ومرجع ذلك طريقة التصرف في الوحدات اللغوية داخل التراكيب » وقد مثل البدراوي لذلك بمفردات ك « دولتو، أفندم، دولاب، إرسالية » ثم عرج على الدخيل ومبلغه من بعض فصول الايام، ونبه الاذهان الى ضرورة اخضاع هذا الدخيل الى نظام العربية المقطعي لكنه يلاحظ ان «طه حسين» يستعمل الدخيل بخصائصه الصوتية وبمقاطعه مهما خالفت النظام المقطعي العربي وبأبنيته مهما خالفت الابنية العربية، وليس في ذلك مايزعج ولاضرر منه » ص 64، شيء جميل ان يستحضر الباحث شرائط التعريب لما في ذلك من غيرة عن الحصانة اللغوية العربية، لكن ان يستبيح لشواهد العميد ترخصا، ويستشهد ضيرها على اللغة، فمذهب مردود، واني استغل هذه الفرصة لانوه برأي الاستاذ راغب الطباخ عضو مجمع اللغة في هذا الباب (يراجع موقفه في مجلة المجمع العلمي العربي 489/ المجلد 8).

وقد رأى البدراوي بعد ذلك ان يتعرض لبعض «الملامح التعبيرية ذات الوظيفة التركيبية » اذ أن «عناصر الالوان التي صيغ بها أسلوبه هنا هي تلك الطاقات الاولية المنظمة للعالم الداخلي في نصه الادبي، والتي عن طريقها اصطبغ الاسلوب بتلك الانمطة البنائية المختلفة . ومن بين تلك العناصر الفونيمات والمورفيمات والكلمات ذات الدور الصرفي البنائي المؤثرة على شكل ونوع بناء العبارة ونمط الجملة » ص 85

واهتم الباحث بظاهرة البناء للمجهول وايثار العميد لها، فتطرق الى اختلاف صيغة البناء للمجهول في العربية واللغات الاوربية مستندا في ذلك الى مرجع يحتاج عينه الى مراجعة خاصة . (7) وقد ربط هذا الايثار بذاتية العميد «في اختيار أساليبه » فأورد مجموعة من الشواهد «فأنبىء الصبي بعد درس الفقه انه سيذهب الى الامتحان في حفظ القرآن» « .. وأخذت لهما تذكرتان ثم دفعتا اليهما، ثم وضعا في عربة ...» الخ. وبعد هذا يقع البدراوي في حيرة : . فهو يلتمس العذر للعميد في ايثار صيغة البناء للمجهول على المطاوعة، ثم ينتقد استمراره في استعمال هذه الصيغة وما تجره على تراكيبه من التعقيد والاسراف في التعبير » وان تدارك ذلك فهو الامر اليسير، والا فلن يكون أفضل من المتنبي وأبي تمام. فقد رميت أساليبهما بالفساد وسوء التعقيد » ص 84. ولو نقب في هذه الصيغة عن الاواليات النفسية وحاول ردها الى سياق كتابة الايام لانكشفت له حقائق وعلل. وقد امتد سلطان هذه الظاهرة «التركيبية» عليه وصار لها تأثيرها على اختيار أنواع من المشتقات، وأنواع من المصادر، وأنواع من الجموع تقوم بنفس الدور » (نفس الصفحة). وقد أورد بدران شواهد من المشتقات والمصادر وروافدهما (مع نعت العربية بالعبقرية. وموقف د صبحي صالح من هذه القضية معروف .

وأرصد البدراوي زهران آخر فصل من الكتاب للظواهر التركيبية العامة في أسلوب العميد فعرض لما حظيت به بعض الاحرف لديه من ايثار ومالها من وظائف. ومنها أحرف الجر وأدوات الربط، وحلل عينة مبرزا ما خلفته من الاثر على مداركه. ثم عرض لحضور التراكيب الممتدة المتداخلة، وأنماطها في أسلوبه. وأشار الى ان ثمة نوعا آخر من «تأليف الاسلوب لدى طه حسين في كتابه الايام يتناول المعاني العامة للجمل، اي يتعلق بمجموع الجملة من حيث التقرير والنفي والاستفهام والتأكيد والشرط والجزاء والتمني والرجاء ـ أو قل تعلق بالجملة في مجموعها» ص 104 . وهذا التحليل لايفي بالحساب التركيبي الدقيق ـ على الرغم من رصانته ـ ولو أفاد من طرائق التحليل التركيبي الالسني (النموذج الوظيفي أو التوليدي التحويلي) لافاء بما ينبغي لهذه الظاهرة من البيان والدقة .....

وأما بعد، فهذه هي منعرجات المنحى المنهجي الذي رسمته هذه الباكورة الاسلوبية وقد راجعنا الافكار في مظانها وليس لنا الا ان نشير الى خصاصة الباحث الى أساسين : ـ أ ـ إهمال آثار العامل النفسي (والعوامل المرجعية الاخرى) في صوغ التراكيب والانماط الاسلوبية، وحصر الاهتمام في نوع الاستقبال عند المتلقي .

ب ـ الخلط المقصود بين الاسلوبية وموضوعات فقه اللغة (اللهجات، الصوتيات، العامية، الدخيل ...)، وقد أخرجه ذلك من دائرة المنهج ليضعه بين يدي الاختيار العام مما خلق نوعا من الارتباك في تناول المادة الماثلة. ★

وأرجو ان توضع تلك المآخذ مستقبلا في الحسبان، مع العناية بظواهر أخرى في الطبعة القادمة كما وعد بذلك صاحب الكتاب .

[الهوامش]

★ أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث. دكتور البدراوي زهران/ دار المعارف ـ 1982

(1) Quelques aspects de la pensée linguistique Farabienne- A.LEKRARI (article) à paraître.

(2) الفكر العربي ـ معهد الانماء العربي ـ مارس ـ أبريل ـ 1980، السنة الثانية ـ ع 14

(3) ـ تقول سوزان زوج طه حسين في كتابها «معك»: «ان الهزات التي سببها كتاب (الشعر الجاهلي) قد أساءت الى وضعنا من جديد، فالقضية التي اقترنت بهذا الكتاب وثورة الجهل والتعصب التي أعقبت صدوره نعرفها جميعا أما ما لانعرفه فهو ماكانت هذه المحنة في نظر زوجي ـ ولكي يتمكن طه من التغلب على مرارته واستعادة صحته التي ساءت صحبته الى فرنسا (...) وهناك كتب خلال تسعة أيام كتابه الذي يحمل اسم الايام ..» (راجع الكتاب في (الحياة الثقافية) ص 17/ ع 22 ـ 23/ 1982).

(4) ـ مناهج البحث في اللغة ـ دكتور تمام حسان ـ ط. دار الثقافة ـ البيضاء، ص 148.

(5) نفس المرجع ـ ص 124 .

(6) اللغة العربية معناها ومبناها ـ د. تمام حسان ـ ط. دار الثقافة ـ البيضاء ـ ص 46.

(7) أشتات مجتمعات في اللغة والادب ـ عباس محمود العقاد ـ دار المعارف ـ ط 3/ 1982.

موضوع : الفاعل في اللغة العربية بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول. ص 62، 63 . في الصفحة 63/ س 3. جهل لنسبة التأنيث والتذكير والافراد والجمع، ومالها من تأثير على صيغة الفعل .

★ مسألة الاختيار بالمصادفة تكشف عن غياب الضبط الصارم والحصر الموضوعي، لاحظ ذلك في ص 42 ـ ص 67 ـ 90.

سطات في 1984/3/23

Scanné avec CamScanner

السبت 9 جمادى الثانية 1405 الموافق 2 مارس 1985 العدد : 730 السنة :

* نشرنا في الملحق السابق القسم الاول من الوثيقة الهامة عن حوادث تطوان (8 بيراير 1948)

وننشر في الصفحة الثالثة بقية الوثيقة .

الحلم بعيون مفتوحة

ما فعلته وزيرة الاعلام الاردنية السيدة ليلى شرف ، لم يكن فقط ادانة لكل مثقفي السلطة الذين يحسون موائدها كالذباب ، والذين يقبلون النوم على ضيم .

ليلى شرف ، وزيرة الاعلام بالاردن ، حين قدمت استقالتها ، فانما كانت تعلن السقوط الرسمي لكل «الطوباوية» التي يغرق فيها كثير من المثقفين .

إنها ، من داخل المثاليات التي تعلمتها في الكتب ، كانت تظن ان بالامكان ان يستقيم لحرية الرأي مكان ، من غير أن تتوقع أن حرية الرأي هي جزء من الكل ، وأنها لا يمكن أن تنهض بمعزل عن التوجه العام للسلطة .

حلم ليلى شرف التي « آمنت باحترام الانسان وعقله » وآمنت « بكرامة الانسان التي لا تتحقق الا اذا تحقق له قدر معين من حرية الفكر والتعبير » ، بعيدا عن التدخل اليومي « المحبط والمقيد » . ينكشف عن كابوس . لأنه كان حلما يجتزىء الصورة ولا ينظر إليها في كليتها . لذلك تعترف انها كانت ساذجة ومثالية .

إنها ، في داخل السلطة ، تكتشف التناقض بين المعلن والمسكوت عنه . لكنها تكتشف أيضا وبالخصوص ، الفجوة العميقة بين الافكار والمثاليات وبين حقيقة الواقع .

لنحلم اذن ، اذا كنا نستطيع ان نحلم بعيون مفتوحة ، كما فعلت السيدة ليلى شرف . واذا كانت لدينا أيضا الشجاعة لتكسير الحلم حين يتكشف عن لعبة .

العلم الثقافي

حوار مع الأديب الليبي عبد الله القويري:

مجالات التعاون الثقافي ذات أفق تنطلق من موقعين قريبين يتواشجان ولا يتنافران.

ص 3

الى جامعة القرويين

صدر للدكتور أحمد بوذروة عن دار ابن خلدون ببيروت كتاب « الاقتصاد السياسي في مقدمة ابن خلدون » . وهو بحث أكاديمي توثيقي في 244 صفحة بخمسة فصول .

وقد أهدى المؤلف كتابه « الى جامعة القرويين تقديرا لعطائها ووفاء لذكراها وذكرى أعلامها » .

تشومسكي يتحدث عن الألسنية

ترجمة: عبد الباسط لكراري.

* بروفسور تشومسكي، إسمكم وأبحاثكم غدت معروفة في فرنسا... أعمالكم تظهر مترجمة بين الفينة والأخرى وقد نبهنا على أهمية مفهوم النحو التوليدي الذي فسحت له مكانا في حقل الألسنية، ذلك الذي يقترح مستويين ركنيين تنبجس منهما عملية التوليد هما: البنية العميقة والبنية السطحية. ألا ذكرتنا بهذه الفكرة الجوهرية للتوليد؟ وأي فرق تمثله مقابل المقاربة الآلية أو السبرنتيكية للغة؟

ن.ش. لن أفرغ الى التمييز بين شكل المقاربة والمقاربة الآلية أو السبرنتيكية للغة، لأن بعضا ما بمعاصري حول إمكان تطوير مقاربة سبرنتيكية تتوفر على هذه المميزات. والنتيجة العامة لهذه الأبحاث هي أن اللغة توحي من جهة بأن الفكر يستخدم مبادىء مجردة وبنى نائية عن الانجازات الفيزيقية، ومن جهة ثانية، فإن العلاقة بين هذه البنى الموظفة في التجريد والانجازات الفيزيقية هي بمعنى ما علاقة آلية، علاقة شكلية توظف خواص وعمليات مجردة يمكن توصيفها بشيء من الدقة، أو إذا شئنا أن نتحدث بطريقة مجملة، يمكن إيداعها في برنامج للحاسبات الالكترونية. فالتباين الكائن بين هذه المقاربة والتصورات السابقة يكمن في افتراض عادة ما نكونه عن علاقة بين الشكل والمحتوى.

مع هذه الأعمال وخلافا لما نتصوره، يستوي نظام مستقل ذو طبيعة مجردة يتبوأ علاقة بين الشكل والمحتوى. ومفهوم «العمليات العقلية» هنا سيبدو بل ربما غريب ومختلف كليا عن المقاربات السالفة. وقد عدا مهما التنبه على المعنى الدقيق للتوليد. ولـ (engendrer) من شأن هذا المصطلح أن يوحي بتضمينات مثيلها قد تكون مصدر مماحكة وغموض. فالانشاء هنا génération أو التوليد engendrement يستعمل هنا في معناه الرياضي mathématique ويراد به التعيين بصورة اطرادية. أما (engendrer) فيعني الاظهار، التمثيل بشكل محدد وظاهري، وليس بينه وبين أفكار الانتاج أو التشكيل الممتد عبر الزمن من المنظور الشعوري أي صلة.

* هل لكم أن تلخصوا لنا المطاعن التي وجهتموها حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية إلى المقاربات الشكلانية في اللغة والتي تتعرضون فيها المفترضات السلوكية الظاهرة أو المضمرة؟ ثم ألا جرم في تطبيق هذه المطاعن على المقاربات النظرية الفرنسية المنبثقة من البنيوية المندرجة تجوزا تحت ملدعى بالبنيوية؟

ن.ش. النقطة الجوهرية التي أخالف فيها المقاربات الأمريكية الأخرى في الألسنية تتمثل في الطرح الذي تقترحه تلك المقاربات عن اللغة كنظام من العادات système d'habitudes والمهارات savoir-faire مستخلص من التطبيق وأيضا في اللازمة التي نتمثلها من خلال ذلك: يمكن اشتقاق اللغة من مجموعة من العمليات الاستقرائية والتحليلية المطبقة على سلوك ملحوظ. وفي تقديري أنه بمقدورنا في يسر أن نقيم الدليل على استحالة التعبير عن معرفة اللغة (Knowledge of language) بمصطلحي «العادات» و«المهارات».

البنيوية

يعد استعمال اللغة ضربا من الخلق والابداع. أنها تنحدر من جهاز مفهومي عقلي مستقل لا يمكن بحال اختزاله الى مجموعة من السلوكات. واذا نحن تتبعنا الموقف السلوكي الى نهاية مطافه، وهذا ما لم يحصل بالقدر المطلوب، فاننا سنصل الى نسق من النماذج التي تتحكم بالسلوك، ونحن نعلم مسبقا أن تمثيل هذه النماذج يتحقق بواسطة الرياضيات. والحالة هذه، فاننا بمقدورنا أن نستدل على أن اللغة مميزات شكلية يستحيل التعبير عنها بواسطة هذه النماذج. وهذا يعني أن التنظيم العقلي للانسان ليس نسقا من بنى السلوك، ومن ثم استحالة اختزاله الى أشرطة من العادات والمهارات. انه بالأحرى نوع من الكفاءة المجردة، المستعملة في السلوكات، بيد أنها تمكن من تعبير حر وابداعي للفكر. فهي تدعي حقا الى افتراضات هي حصيلة مبادىء تجاوزية وتحددها، ولكنها مستقلة عن الاكتساب وعن حصار الحوافز (Stimuli). فالكفاءة تستمر عصية وعصامية متخطية بذلك التعريفات المعروضة سالفا « بالطرح السلوكي » المسؤولة عن المضايقات والانحرافات.

أما البنيوية القارية (continental) ، فقد أحدث أشياء عنها بيد أنني أعتلها عن عدم مزاوجتها للسطحية في معرفة البنى. إن غاية البنيوية استخلاص عدد معين من العناصر الموصولة بعضها بعض من العلاقات في نماذج شكلية، من

الكفاءة. وهذا الضرب من تنظيم العناصر في نماذج شكلية، هو الذي يكون بنية اللغة. وقد كانت نظرية جاكوبسون في الفونولوجيا مثالا على ذلك. فخلال أعماله كان يستخرج الصفات المميزة التي درس بنياتها. لكن السير بالبحث الى أبعد الأشواط يجعلنا نكتشف أن عددا من المبادىء والقواعد المفرطة في التجريد، كامن في نسق المميزات والخواص المنظمة بطريقة خاصة. وتلك المبادىء والقواعد تصل الأنساق بالبنى الشكلية التي درسها البنيويون.

لكن ما الذي يظهر كظواهر عارضة (épiphénomènes) ناتجة عن عمليات أبعد عمقا؟ انه اذا ثبتت أهمية دراسة « الظواهر العارضة » فالحري أخذ بالسير والعرض هو المبادىء العميقة المتميزة بخاصية الاطرادية، بمعنى أنها تميز وتولد بدورها مجموعة لانهائية من البنى الممكنة. وهذه الخاصية لم تحض بما ينبغي لها من الكشف في أبرز الدراسات الجارية في اطار البنيوية. وفي تقديري أن توليدية اللغة ليست بالخاصية الهامشية.

ولذا فانني أوافق البنيوية ولكني آمل أن نبني على أساس هذه النتائج وندفع بالدراسات الألسنية الى أبعد مدى.

فلسفة القرن السابع عشر

* لقد اقتادتكم مناظراتكم مع المقاربات السلوكية في اللغة ومعاودة اقراركم لخصوصية الظاهرة البشرية الى اعادة قراءة فلاسفة ونحاة القرن السابع عشر : ديكارت ، ليبنتز ، بايل Bayle ، جيرو Géraud de cordemoy... فهل لكم أن تحددوا لنا مكانة هذه الآثار بالنسبة الى أعمالكم ؟

تشومسكي يتحدث عن الألسنية «تتمة»

ن.ش. - لقد صادفت في هذه الدراسات كثيرا من الموضوعات الوجيهة. أولا: ان مقاربة مشكل الفكر في الفلسفة العقلانية والقرن XVII هي مقاربة علمية محض، لأنها تمكنت من ملاحظة ظواهر مهمة جدا. وهؤلاء المفكرون توصلوا بطلاقة وبمعزل عن اي فكرة مسبقة الى التساؤل عن المعرفة والمبادىء الصالحة لشرح هذه الظواهر. ومن ملاحظاتهم الوجيهة: ان اللغة والفكر البشريين يشكلان الشرح الآلي الضيق بالمعنى الشائع في عصرهم. لنقل بالأحرى تصور اضيق للشرح الآلي. ولكني ارى - بنزاهة - وجوب الأخذ بالأبعاد الأقصى لظواهر اللغة والفكر وشيجة انحصارها بالكلية، بالتفسير الفيزيقي الرائج حاليا. وهؤلاء المفكرون وقفوا في شأن الجانب الابداعي الحر للسلوك البشري والتنبه على مشاكل الوعي والحرية التي يعتبران جوهريين بالنسبة الى الناس. ولم يكونوا ليصغروا الى تصوراتهم عن التفسير الفيزيقي او الى تصورنا نحن. علاوة على ما نجده من تصورات موجهة عن نسق اللغة ليس عند كورديموي فحسب، وانما عند ارنو (Arnaud) في مدرسة بورت رويال ايضا.

في تصوري مثلا، ان نحو بورت رويال عبر بوضوح تام عن فكرة البنى العميقة والبنى السطحية بصورة ليست بالبعيدة عن شكلها الحاضر. بل انه عبر عنها في سياق واقف بالمراء. في شكل نظرية علمية من نوع خاص. انها تتحدث عن بنى عميقة كثيرة ما حاضرة في الفكر في الوقت الذي تكون فيه البنية السطحية قد انمحت. يعني بذلك مقاربة جد مغرية. واظن ان مفهوم «الانسان والطبيعة الانسانية» الذي راج بقوة في فلسفة القرن السابع عشر بأشكال شتى مهمة وشهد تطورا في عصر الأنوار والمرحلة الرومانتيكية، له اهمية قصوى. ولذا صار لازما ان يحصل على محمل الجد لأنه يمنح وسيلة لمعالجة الخواص الأساسية للكائن الانساني. اما الظاهرة الأخرى الحادة لفلسفة القرن السابع عشر والتي يرجع الى اتراجها في عصرنا الحاضر فهي ما نشهد عليه من نمو التخطيطية الغرزية (SHEMATISME INNE) والمبادىء الفطرية والبنى الفطرية التي تحدد نمط التجربة الانسانية على العموم، عمكا عن النظر السحيقة في الانساق الادراكية التي يمكن للناس ان يشتقوها من هذه التجربة. واظن محقا انها مدعات مهمة باستخلاصات تخالف عن ان تكون ميتافيزيقية.

مقاربة ديكارت تمثل في شأن ذلك سلوكا علميا، ذلك انه بين ان الفكر قابل للبحث واننا اذا ما فكرنا مليا فانه يصير بامكاننا استقلال خصائص الفهم او على الأقل الفحص على مبادىء التنظيم العقلي. وقد كان ديكارت مقيدا في مقاربته باستعمال مفهوم الجوهر. لكن التطورات التي حصلت منذ قرنين سارت على النهج الذي رسمته هذه الفلسفات.

ليبنتز

*** تركنون في الأغلب الى المصطلحات الليبنتزية. وبخاصة يبدو ان التصور الليبنتزي للخصيصة الكلية Caractéristique universelle قد أوحى الى اقراركم للنحو الكلي. ومن زاوية اخرى الاحظ ان جل الاسئلة التي تقدمونها مستقاة من الانجليزية. فهل في وسعكم ان تحددوا فكرة النحو الكلي وتشرحوا نظام الانجليزية؟ هل هي لسان ذو قيمة نموذجية؟**

ن.ش. - ان ليبنتز في نظري فيلسوف ألمعي، بما اقتدر عليه من اقرار وجود مبادىء لاشعورية كامنة في العمليات العقلية، تضطلع بدور ترتبط فيه بها على نحو مبهم. في وسعنا - حسب ليبنتز - ان نعيها بواسطة الاستبطان. اذا نحن اعرناها خالص انتباهنا. اما عقد الامل على امكانية جعلها خاضعة للتحليل فمتهافت وميئوس منه. ويرتكز وعيها - في الواقع - على اعتقاد كون مصادر الفكر مبدأ قبلا للكشف. وفي تقديري فان محاولات جادة في السيكولوجيا الفرويدية تسير العمليات الادراكية اللاشعورية مازال في طي الغيب. واظن ان النهوض بمهمة توحيد هذه المقاربات، اللاشعور والعمليات النفسية والعقلية، شيء لامناص منه. وليس مستبعدا ان نقف على التعجيزة المشتركة، ومحصل او نسق المبادىء التي من شأنها ان تؤلف بينها بطريقة معينة.

وان مصطلح (Gramnière) الذي آخذ به مشابه شيئا ما على طرح ليبنتز وعن الابحاث اللاحقة في النحو الكلي. ويبدو لي ان الابحاث المعاصرة قد اوضحت انه كانت ثمة شروط شمولية للغاية، ومقيدة ومبادىء شكلية يجب ان تخضع لها انحاء كل الألسن. بيد ان هذه المبادىء تحدد فئة من الانحاء الممكنة ومن ثم جاز لنا ان نقول ان جميع المبادىء تؤلف فئة الانحاء الممكنة فلا محيص الى من استخراج القواعد النحوية لأي لسان من هذه الفئة اذا هي انصاعت لهذه الشروط الكلية المقيدة. ويجب الالماع الى ان هذه الشروط جد مقيدة، بمعنى انه من السهل تصور انحاء تنتهك هذه الشروط. ولكن من الضروري الاشارة الى ان الألسن البشرية لا تنتهك ولا تستطيع ان تنتهك فكرة مؤداها ان حدودا Entités مخصوصة تظهر بشكل جد محدد في كل نحو. والرأي عندي ان ذلك صادق الى حد ما. لكن واقعة وجود بعض الشروط الشكلية العامة والمجردة التي ترضخ لها الانحاء، والطريقة التي تشتغل وفقها، اهم بكثير؟

هنا يكمن في اعتقادي التطور الجذاب في حقل النحو الكلي والذي ازعم انه يغايره عن الانموذج الليبنتزي. انني اريد الآن بالنحو الكلي، مجموعة الشروط التي يستجيب لها بالضرورة كل لسان بشري. وطبعا فكل فرضية تخص النحو الكلي يجب ان تلبي الشرط التجريبي القائم على استبعاد تخطيء اي لسان بشري لها. ولعل في هذا ما يجعل دراسة التنوع الكبير للألسن البشرية امرا ضروريا.

النحو

وعلى الرغم من كون ذلك يبدو مفارقة، فانني ارى اننا نملك تصورات كثيفة عن النحو الكلي عندما ننطلق من دراسة لسان ما في العمق. وتعليل ذلك بسيط: لنفترض جدلا اننا ندرس لسانا، وليكن الانجليزية مثلا، ووصلنا الى نتائج معينة فيما يخص بنيتها. فانه يصير ممكنا حينئذ طرح السؤال عن كيفية حدوث معرفة لدى شخص معين بهذه الاشياء.. وكيف وفق بنجاح الى التحكم في النحو الانجليزي. فيصير بمقدورنا بسط انماط البداهة التي فيحث له عن تعلمه هذا اللسان. ها نحن نجمع اليد على معضلة باتت مألوفة عند رجال العلم والخبراء. انها معضلة الـ (input) الى (output) «الانتاج والاستهلاك» يتعلق الأمر بمسألة منظومة نعرض فيها معطيات معينة (data)، وعلى مستوى هذه المعطيات تتخذ مادة معينة: نحو اللسان. لكن في هذه الحالة نستبطن مادة الانتاج في صورة مجموع العمليات التي يمكنها ان تنجزها. ولنا ان نتساءل عما صارت اليه بنية العمليات لانتاج هذا النحو وبلورة معرفته على مستوى المعطيات التي عرضت عليها. وعلينا ايضا ان نثري هذه العمليات في بنيتها ليتيسر لها الاضطلاع بهذه المهمة.

وأما الخاصية التي نضطر الى ان نخص بها هذه العمليات فسوف تكون خاصية «النحو الكلي». وبتعبير آخر، اذا نحن قربنا ان هناس غير مهيئين قبليا ومنذ نشأتهم الاولى الى تعلم لسان دون آخر «مما يعد في نظري تقريرا مشروعا». فان ذلك يدل على انه بالدراسة المعمقة للسان معين سوف نصل الى نتائج تخص التخطيطية الغرزية الكامنة، وتخص اكتساب اللغة. وطبيعي ان تكون هذه التخطيطية الغرزية تمييزا النحو الكلي. وانني اعد الانجليزية لسانا بعيدا «اي نموذجا اصليا»، وقد اسعد كذلك بدراسة اي لسان آخر. ومع ذلك فانني بدأت اعمالي الألسنية في حقل لغات لم اكن افقه فيها شيئا. بيد انني توصلت من ذلك سريعا الى التنبه على النتيجة التي وضعتها اعلاه. ومنذ ذلك الحين اوقفت قصارى جهدي على دراسة الانجليزية، مفكرا في ان المميزات التي اضطررنا ان نخص بها التخطيطية الغرزية ترضيها سائر الألسن.

*** هل ثمة علاقات ضمنية «واذا كانت فما هي؟» بين مقاربتكم النظرية في اللغة واهتماماتكم السياسية، مثلا مواقفكم الشجاعة حول الفيتنام ومواجهاتكم لميثولوجية العنف في المحارم الجامعية؟ هل ثمة نقط التقاء ممكنة بين هذه العناصر؟**

ن.ش. - يجب ان نكون حذرين في هذه النقطة. لعلنا من غير ادنى شك، نتوقع من كائن انساني مماثل، منهمك في انشطة متنوعة وممارس لعديد من موضوعات الفكر ان يستخرج النواة المشتركة بين سائر هذه الانشطة. واعتقد انني تمكنت بحق من الكشف عن خيوط «هشة» لكنها - يمكن ان تكون - مهمة بين هذه الحقول. ومن جهة اخرى فانني ارى من اللازم ان اشير ثانية الى ان كلا من هذه الاهتمامات ينفرد بأسبابه الخاصة، فحقيقة افكار النحو التوليدي، والنحو الكلي، مستقلة تماما عن التصورات السياسية بيد انني «اعتقد» ايضا ان نهضة دراسة اللغة، التي تعثر على فكرة الشخص المتحدث الحر والمبدع بالرغم من العوائق ذات النمط السلوكي، تمثل رؤية للانسان الذي يصوغ نقدا سياسيا للاستلابات.

ان نمط التنظيمات الاجتماعية الذي اميل الى تصوره سوف يكون بنية فوضوية Anarchiste اعني امكانية قيام مشاركة حرة وطوعية تحتفظ لنفسها بمراقبة المؤسسات السياسية. ضرب من الاشتراكية الفوضوية التي تمكن المرء من ان يفيد من كل الامكانيات التقنية المستقرة في عقر المجتمعات الصناعية الحديثة.

المرجع: La Quinzaine littéraire N.74-1969/propos recueillis en *anglais et traduits par Jean - Marie* Benoist, retraduits en arabe par L.Abdelbassit.

وثيقة جديدة حول حوادث تطوان (8 فبراير 1948

ثم قدمت رسالة الى سكرتير معالي رئيس الديوان بخصوص تسليم الوسامين الى كل من كريم ثابت بك ومحمد حلمي حسين بك.

القاهرة 3 جمادى الثانية / الاثنين 12 ابريل 1948

قمت في المكتب (مكتب المغرب العربي) حفلة للصحفيين كان نجاحها متوسطا. وفي نفس اليوم استلمت خطابا من كبير (كذا) الامناء في تحديد المقابلة الملكية في الساعة الخامسة و50 دقيقة من مساء يوم الثلاثاء 13 ابريل من الشهر الحالي في قصر القبة.

وقد ذهبت الى القصر قبل الميعاد بربع ساعة فلما دخلت الى صالة الانتظار وجدت هناك عزام باشا وقد فوجىء بوجودي هناك وسألني في دهشة هل جئت لاتشرف (كذا) بالمقابلة الملكية. وما كنت ألقي عليه اول سؤال عما تنوي ان تفعله الجامعة في الوقت الحاضر ازاء قضية المغرب حتى جاء التشريفاتي (كذا) ونادى للمقابلة

وبعد ذلك طلبت للمقابلة وعندما اجتزت باب الصالون طالعني وجه الفاروق وقد ارتسمت على محياه ابتسامة عريضة وكان واقفا الى جانب مكتبه ولما رأيته يتقدم ثلاث خطوات نحوي اسرعت في التقدم نحوه والسلام عليه ثم قال وهو يضحك

- انت روحت هناك نعمل ثورة ولا ايه؟
- والله يا مولاي ذي صورة من صور الاعتداءات المستمرة علينا من الفرنسيين والاسبان.
- على كل حال الحمد لله على السلامة ثلاثا (كذا) كنت خايف لاحد يموتوك وضحك عاليا. ثم اضاف انا بلغني ان هناك مؤامرة خطيرة تحاك لجلالة الملك ولكن الحمد لله ان جلالته بعد كل شيء عنها وعن ظروفها فهذا مهم
- شرحت له تفاصيل المؤامرة
- عرف ان كم طرق (كذا) خاصة لارسال خطاباتكم واحب ان ترسل تحياتي الخالصة الى جلالته وتبلغه من قبلي ان يحتسب في الوقت الحاضر على نفسه وقد بلغني ايضا انه من ... جلالته ان يخطو خطوة ايجابية في تنسيق السياسة بين المغرب والبلاد العربية الاخرى. وكنت قد قلت ذلك لكريم ثابت فيبلغه لجلالته

العربية وانا من بينهم عندما اجتمعنا في (قصر) انشاص كنا قد اتفقنا على كثير من المسائل والزمنا انفسنا بالقيام بها لصالح البلاد العربية. ومن ضمن ذلك مساعدة المغرب في حصوله على استقلاله ولازال هناك كثير من هذه المسائل لم نقم بتنفيذها بعد ويرجع ذلك الى عامل الزمان ففي ذلك الوقت كنا نرى من الواجب علينا ان نقرر مهمتنا (كذا) وجوب الاهتمام بقضية المغرب ولكننا كنا نرى في نفس الوقت ان الوقت لم يكن قد حان بعد لمباشرة هذه القضية بصفة فعلية. وانا مؤمن كل الايمان بان المغرب لابد وان يأخذ استقلاله. وقد يكون الوقت الآن ملائما بعض الشيء لاثارة هذه القضية وانما تزاحم القضايا هو الذي يوجب علينا ان نباشرها شيئا فشيئا حتى تأخذ كل قضية حظها من العناية اللازمة. وانت ترى الآن قضية فلسطين والدور الحاسم الذي دخلت فيه وقضية ليبيا وما يتهددها من ظروف يضاف الى ذلك بعض المشاكل التي تأخذ منا كثيرا من المجهودات بين الدول العربية وانا لا اقصد اظهار اي تعمر (كذا) من كثرة هذه القضايا وانما اعني انه من صالحها وصالح البلاد العربية العام ان نباشر بانتظام حتى تأخذ جميعها ما تستحق من عناية لتضمن نجاحها

- ان الحالة في بلاد المغرب تستلزم ان تعمل الجامعة اي شيء ايجابي لقضية المغرب وذلك ان الوعي القومي والتعلق بالجامعة العربية يزداد قوة يوما عن يوم كما يزداد ظلم الاستعمار وطغيانه ونحن نخشى ان يحصل انفجار في الوقت الحاضر يفسد على القادة خططهم وهذا الموقف من الجامعة يشعر الشعب ان قضيته تسير وفي ايدي امينة عليها معتنية بها وفي ذلك ما يجعله يهدىء من روعه ويقوي روحه المعنوية

- عندما كان عندي بالامس رؤساء الوفود العربية مجتمعين اغتنمت هذه الفرصة واكدت عليهم وجوب الاعتناء بقضية المغرب وقد كان عندي قبلك عزام وعرضنا ايضا لقضية المغرب واكدت عليه وجوب العمل لها
- شكر والتماس لتوجيهاته للحكومة المصرية
- تأكدوا باننا سوف لا ندخر جهدا في مساعدة المغرب ومؤازرته
- ان جلالة الملك (محمد الخامس) يعمل بصفة

- وهنا ضغط بشفته السفلى على شفته العليا ولم ادر ما اذا كان قد اظهر بذلك رأيه في ان الظروف غير ملائمة في الوقت الحاضر ام انه يعني اظهار عدم ثقة في الهيئة.
- شرح للمركز القانوني للقضية ثم ذكر الاعتداءات الارهابية.
- تونس والجزائر ومراكش (المغرب الاقصى) في الجنوب والشمال.
- تجهم وجهه وسأل باهتمام بالغ عن اسباب هذه المذابح المباشرة.
- في حوادث الدار البيضاء كان الغرض منها عرقلة رحلة الملك والسبب المباشر هو دخول جندي سنغالي الى بيت احد الاهالي...
- اظهار الاشمئزاز ثم قال واحنا كما بانا شفنا من الاستعمار. الواقع ان الاستعمار كله فظيع ولكن سيقوينا الله على التخلص منه في القريب العاجل.
- ان الشعب المغربي ممتن لجلالتكم على عطفكم الكريم على الامير عبد الكريم. وعندما كنت في طنجة حضرت حفلة عيد الجامعة العربية كان الخطباء ينوهون بفضل جلالتكم وكانت هتافات الجماهير تشق عنان السماء لحياة جلالتكم.
- ربنا يساعدنا على القيام بالواجبات وانا لاحظت ان عبد الكريم قد رجع الى صباه وضحك. الحقيقة ان هناك فرقا كبيرا بين حالته عندما وصل وحالته الآن.
- ذلك من اثر عطف جلالتكم والقطر التونسي الشقيق يزال ينتظر من جلالتكم مثل هذا العطف.
- انه يسعدني ان اقدم جميع المساعدات لانقاذ جلالة محمد المنصف وان شاء الله ربنا يقوينا على انقاذه.
- شكر.
- بلغني ان الاميرات يقمن بنشاط اجتماعي موفق.
- شرح لنشاط الاميرة للاعائشة
- هذا جميل

واخيرا اكد على ابلاغ تحياته الى جلالة الملك ثم قال وبلغ ايضا تحياتي الى عبد الكريم لاني زمان ما شفتوش.

وبهذا انتهت المقابلة

Scanné avec CamScanner

CS Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

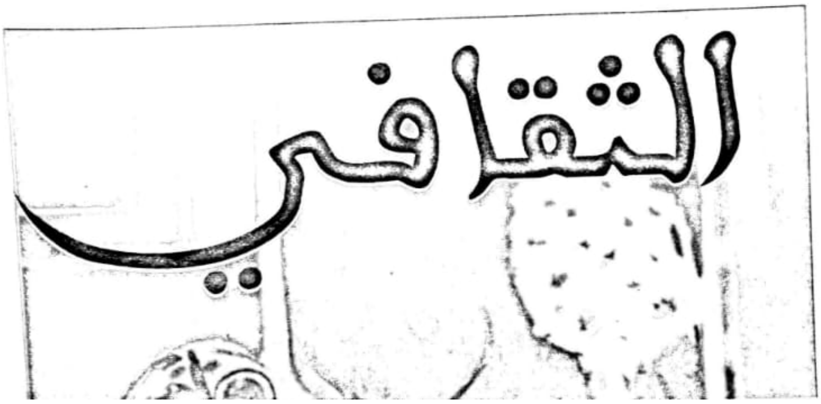

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب ■ السنة 33

■ السبت 9 جمادى الأولى 1423 الموافق 20 يوليوز 2002

الظاهراتية والعلوم المعرفية

دينيس فيزيت*
ترجمة: عبد الباسط الكراري

أن تعمّر الظاهراتية على مدار القرن العشرين، وأن تفرض نفسها بوصفها ثاني تقليدين مهيمنين على الحقل الفلسفي، فهذان إنجازان جديران بالاهتمام. غير أن الأخلق باهتمامنا هو كون الظاهراتية حفرت اسمها عميقاً في غيبة أي إجماع حول مبادئها أو مناهجها. ويخامرنا اعتقاد بأن انتساب مفكرين متبايني المشارب نظير «هرمان فايل» و«جاك دريدا» إلى الظاهراتية إنما مرده إلى طابعها العصي على التحديد. وربما بسبب غموضها النسبي أيضاً، انفتحت على قائمة من القراءات، بدءاً من الهرمنوطيقا، فعلم نفس الشكل، مروراً بعلم اللاهوت من سبرنار بولزانو» إلى «غوتلوب فريجه»، فضلاً عن «فرانز برنتانو». ربما يتعين التماس الجواب الشافي عن ذلك باستحضار طابعها النوعي، وإبراز أن فعل الاستهلاك بفضل المؤسسات التي تضمن رواجها - وهذا عامل لايمكن أن نبخسه قيمته - لايجعل الظاهراتية بمنجاة من التبعات المعهودة في القيم المتقولة. والحق أن التوهج في هذا القرن البالغ إنما تدين به الظاهراتية، بصورة أوضح، لآثار الفيلسوف «هوسرل» باعتبارها تمثل مرجعاً مشتركاً بين معظم فلاسفة القرن العشرين الذين نهلوا من حياضها، وتضفي أيضاً تماسكاً ما على حركة هذا الفكر. فهذه الآثار الأصيلة - على نزارة المنشور منها إلى يومنا هذا - تنافس كبرى الفلسفات الكلاسيكية، سواء بتعقدها وتنوعها أو بطابعها الكوني. من مميزاتها البحث عن فلسفة صارمة، فلسفة تضع دوماً مصالحها الخاصة فوق اعتبارات المصلحة العلمية المحض، عندما ترهف السمع لأسئلة العلم، وعلوم عصرها علّها تسهم برصيدها فيها.

ولم يحل ذلك دون الاهتمام النشيط بانشغالات علماء العصر وبناء الظاهراتية على أساس الاعتقاد الراسخ بأن قيمتها توازي أيضاً قدرتها على الخوض في المشكلات العلمية. ومع ذلك، فقد أبانت الظاهراتية، بعد هوسرل، عن نكوص في الاهتمام بالعلم بسبب انكبابها طوال القرن العشرين، على شرح آثاره التي لم يزنها أسلوبها المتفرد وتعقيدها النظري وبعض التعديلات التي أصابت المسار التطوري لفكر واضعها إلا عسراً واعتياصاً. لكن، وراء هذا العمل الذي لاغنى عنه، ما الذي تمثله قيمة الظاهراتية ومصادرها بالنسبة إلى الأسئلة الفلسفية الجوهرية التي تثيرها إمبراطورية العلوم المعرفية المتعاظمة، بخصوص «الإبستيمة» المعاصرة، على سبيل المثال؟ مارأيها في الفلسفة التحليلية التي أدركت، في زمن يسير، أنها تمتلك أداة ناجعة في بلورة فلسفة الفكر الكفيلة بقهر المعضلات التي شيد هوسرل الشاب، في سبيل حلها، بنيانه الظاهراتي الخاص؟

سنشير، فيما يلي، إلى الباعث على اهتمام الظاهراتية لزوماً بالنزعة المعرفية، وإلى الكيفية التي مارست بها هذا الاهتمام حتى اللحظة الراهنة، وإلى الشروط التي في ظلها يمكنها أن تشارك أيضاً في التناول.

لنستبعد منذ البداية أي شيء يتعلق بإنجاز «قراءة معرفية» للظاهراتية الهوسرلية. الأجدر أن ننطلق من الاهتمام المشترك بين الظاهراتية وفلسفة الفكر بالظواهر الذهنية وعلم النفس بوجه عام. هذا الاهتمام الظاهراتي ليس بالعرضي مادام حقل الظاهراتية، في بداياته الأولى، متقاطعاً مع حقل النفسانيات. وواقع الحال يشهد أن الكتاب الذي نحتفي بمئويته هذا العام، وهو الموسوم بـ «أبحاث منطقية»، حدد فيه هوسرل ظاهراتيته بوصفها علم نفس وصفي. هذا العلم الذي ينبغي تمييزه عن السيكولوجيا العلمية المعروفة عهدئذ، استعاره بصورة مباشرة «فرانز برنتانو» الذي تتلمذ عليه هوسرل في فيينا أواسط سنوات 1880؛ ويراد به عند إطلاقه ذلك المجال الفلسفي الذي انبثقت منه دراسة العقل والفكر بشكل عام. وكانت أفكار «برنتانو» وراء ظهور مدرسة في النمسا وألمانيا وأوربا الوسطى، ولقحت إلهاماً مبدعه في مرتبة «ألكسيوس ماينونغ»، و«كارل ستومن»، ناهيك عن «كازيمير تفاردوفسكي»، و«أنطوان مارتي»، و«كريستيان فون إهرنسفيل» مؤسس علم نفس الشكل.

قد نكون مبالغين إذا قررنا أن أعمال هوسرل الشاب الفلسفية بما فيها كتابه «أبحاث منطقية»، سعت، منذ البدء، إلى أن تشكل إضافة إلى علم النفس الوصفي ومدرسة برنتانو. وليس ينبغي إسباغ دلالة وثوقية على هذه الملاحظة الأخيرة، فهي تشي فقط بثقة هوسرل الشاب في السيكولوجيا الفلسفية إزاء الأسئلة المتعلقة بالأساس المنطقي والتحليل المفهومي. لعلها تنحو أيضاً إلى التذكير بسياق اختيار الظاهراتية وهو نفس السياق الذي كان وراء نشوء علم النفس كما نمارسه اليوم. ونحن نزعم في هذا الصدد أن نشأة علم النفس العلمي قد استقطبت اهتمام فلاسفة نهايات القرن التاسع عشر بنحو يضاهي العناية التي نذرها الباحثون أواسط الستينيات للعلوم المعرفية. ويمكننا أن نوسع مجال المقايسة بإقامة نوع من التوازي بين هذين التقليدين في رصد مسألة الرهانات الفلسفية الثاوية خلف المطارحات التي دارت حول مجال علم النفس، ونخص منها بالذكر مسألة تقسيم العمل - في دراسة الفكر - بين السيكولوجيا الفلسفية وعلم النفس من حيث هو علم طبيعي، ويتعلق أحد الرهانات المركزية بطبيعة التصورات الفلسفية حول النزعة الطبيعية. ولنسجل، أخيراً، أن التقليدين كليهما استندا على مفهوم موحد عن «القصدية»، في سبيل تفسير وتوصيف طبيعة الفكر.

ومع ذلك فقد هيأ القرن العشرون لعلم النفس الوصفي نفس المصير الذي رتّبه لكبار مناصريه حين نكص به القهقرى، على هامش التيارات الظاهراتية المهيمنة. وقد تطلب إدراك قيمة الظاهراتيين الأوائل وطليعة قراء «الأبحاث المنطقية»، ردحاً من الزمن. لنتذكر «كارل رايناخ»، و«جوهان دوبير»، وبقية أعضاء حلقة ميونيخ الذين ندين لهم بأعمال جليلة عن الظاهراتية وعلم النفس الوصفي. فعلى أيدي هؤلاء لا على يد هوسرل تلقى فلاسفة أمثال «ألكسندر كويري» و«جان هرينغ»، تكوينهم الفلسفي، وندين لهم أيضاً بالإيحاء النافذ إلى فلاسفة من عيار «ماكس شيلر» و«رومان إنغاردن» الشاب، اللذين أثرا الظاهراتية على الفلسفة المتعالية. وفضلاً عن هذه الوجوه الهامشية نتذكر مثلاً أن في فرنسا شكلت الموضوعة النفسانية بؤرة أساسية في أول أعمال «سارتر» الظاهراتية، وبخاصة دراساته حول الإحساسات والخيال.

في هذه الحقبة بالذات عرف علم نفس الشكل أزهى لحظاته، فاستقطب اهتمام «هارون غورفيتش» و«ميرلوبونتي» الشاب. ولولا سرعة المنية التي اخترمت هذا الأخير في مطالع الستينيات لخلفت أعماله النموذجية في المجال النفساني من البحث الظاهراتي بما هي به أخلق وأجدر. وكان لابد من انتظار مجيء عالم نفساني من طينة «جيمس ج. غيبسون» المتأثر بزميله الجشطلتي «كوهلر»، حتى نقدر تناول الظاهراتية الميرلوبونتية الدقيق للتجربة الظاهراتية حق قدرها. واللافت للنظر أن فرعاً من الظاهراتية، سواء من حيث تفضيله للسيكولوجيا الفلسفية، أو من حيث انشغاله بمحور الوعي القصدي، يتقاسم نفس حقل الدراسة مع فلسفة الفكر والعلوم المعرفية. فكان تلاقيهما جميعاً، من ثم، أمراً محتوماً. والتأمت الوشيجة أواخر الستينيات في منتدى سيريزي (Cerisy) بين من نعتبره عادة أب فلسفة الفكر المعاصرة «جلبير رايل» و«ميرلوبونتي». بيد أن المناظرة المؤملة بين فيلسوفين معروفين بشغفهما بالظاهراتية ودراسة السلوك، لم يكتب لها التحقق. واتسعت دائرة الاهتمام بهذا المحور الأثير لدى هوسرل وميرلوبونتي في فضاءات أخرى، في الساحل الأمريكي الغربي مثلاً حيث قدم الفلاسفة أواخر العقد السادس مقاربة جديدة للظاهراتية، واقترحوا تأويلاً أصيلاً لتصور القصدية عند هوسرل. ونظراً لصعوبة وضع موجز مركز بهذا الخصوص(1) حسبنا أن نشير إلى أن هذه المقاربة التي تمحورت بصورة خاصة حول المبادئ التي وجهت الفلسفة التحليلية، أسهمت في إبراز قيمة هذا المذهب المتعلق بالقصدية واختبار إجرائيته على صعيد نسيج متنوع من الإشكاليات التي تستغرق المنطق والإبستمولوجيا وفلسفة الفكر. ولعلنا ندين أيضاً لهذه المقاربة التحفيزية في إعداد الظاهراتية لمواجهة حقيقية مع العلوم المعرفية.

والحق أن أولى هذه المواجهات قادها «هوبير دريفوس» تلميذ غورفيتش الذي نافح عن الأطروحة الجريئة الذاهبة إلى اعتبار هوسرل رائد الأطروحات الكلاسيكية في الذكاء الاصطناعي. ومضى «دريفوس» - منتهجاً في ذلك بشروح المدرسة الكاليفورنية للقصدية - يوضح أن هذا المذهب، بخواصه الصورية والدلالية على السواء، مهد على نحو استباقي ومن عدة وجوه لتصورات الذكاء كما تبلورت في أعمال الباحثين الأوائل في العلوم المعرفية. ومع ذلك فهذه الأطروحة لاتنطوي البتة على أي مظهر تقريظي، مادام «دريفوس» قد سدد نقوداً للصيغة الهوسرلية للظاهراتية، والتصور الكلاسيكي للذكاء الاصطناعي الذي نرج البعض على إلحاقه بالنزعة الديكارتية. ونحن نعلم أن هذه الأطروحة كل أدلى بدلوه فيها، غير أنه يبدو من خلال التزام مسافة موضوعية منها، وباستحضار الانشغالات الراهنة للعلوم المعرفية أن فائدتها تكمن أساساً في دوافعها. فمن جهة يعتبر دريفوس ممثلاً لاتجاه في الظاهراتية المعاصرة انتقد بعض مسلمات العلوم المعرفية باسم تصور في الفكر يستعير تارة «الدزاين» من «هيدغر»، وتارة أخرى فكرة الحقل الظاهري كما نظّر لها ميرلوبونتي، ناهيك عن أفكار هوسرل الأخيرة حول القصدية. وفي جميع الأحوال، يتعلق الأمر بتقديم تصور ينبني على القول بأن الفكر يشكل وحدة عضوية مع الجسد ومحيطه. ومن جهة أخرى، يلتحق هذا التصور بأحد الانشغالات المركزية في فلسفة الفكر المعاصرة المتعلقة بمسألة الوعي الظاهري؛ وهي المسألة التي يكشف عنها مايسميه «ناجل» بالمعقول الحادث عن كوننا كما نحن (2).

إن السواد الأعظم من الفلاسفة أمثال «طوماس ناجل» و«فرانسيسكو فاريلا» و«جون هوغلاند» متفقون على أنه لمواجهة هذه المسألة لامناص من اللجوء إلى الظاهراتية. وفي هذا السياق انخل الباحثان «جان بتيتو» و«فرانسيسكو فاريلا»، ومن نحا منحاهم برنامجاً علمياً أصيلاً تحت مسمى «تطبيع الظاهراتية» **، وهو برنامج يستند على الظاهراتية الكلاسيكية. والظاهر أن أهميته إنما تكمن، ليس فقط في محاولة تحويل الظاهراتية إلى علم طبيعي، أو «ظاهراتية عصبية»، لكن في السعي الحثيث إلى استغلال المصادر التصورية في مجال العلوم المعرفية. فالفيلسوفان المذكوران تنبها إلى حقيقة ارتهان غنى التحالف القائم بين الظاهراتية والعلوم المعرفية، بشكل جوهري، لاختبار الجهاز المفهومي الذي يسعف على التوصيف الظاهراتي للوعي وللتجربة الظاهراتية بوجه عام. والحال أن معظم الباحثين في حقل العلوم المعرفية يرون أن بعض النماذج الدينامية إذ تمد الدارسين بجهاز من هذا القبيل فهي تضمن له مستقبلاً واعداً. ومع ذلك فالبرامج التي تتوسل بالظاهراتية في مقارباتها مدعوة - لزوماً - لمواجهة مشكلات تتعدى رهاناتها الفلسفية حدود الأسئلة الإبستمولوجية. لاينبغي أن تعزب عنا الأسئلة الأونطولوجية التي يثيرها الانخراط في صيغة من النزعة الطبيعية دون أخرى؛ وهو الموقف الذي يدافع عنه معظم الباحثين في العلوم المعرفية. ولنضع في الحسبان، أيضاً، المسألة الهوسرلية الخاصة المتعلقة بالالتزام الأونطولوجي للظاهراتية ومساوقتها للميتافيزيقا الطبيعية. ومؤكد أن الواقعية المباشرة المنحدرة من الظاهراتية، ومن مدرسة «برنتانو»، تمثل في هذا الصدد اختياراً حاسماً، على أنه ينبغي أن يظل مسنوداً بجهاز وصفي واف بالغرض. وعلى أي حال، ستجانب الظاهراتية الصواب إذا فوّتت على نفسها فرصة اختبار مواردها الخاصة فيما يتصل بالأسئلة الفلسفية والعلمية الراهنة، ومن ثمّ تجديد ارتباطها بميولها الأصلية.

الهوامش:

* - دينيس فيزيت: أستاذ الفلسفة بجامعة الكيبيك بمونريال، وهو صاحب مؤلف مشترك مع بيير بوارييه عنوانه «فلسفة الفكر» عن منشورات فرين 2001.

1) أنظر د. فيزيت: قراءة فريجية للظاهراتية، منشورات إكلا 1994.

2) أنظر د. فيزيت وبيير بوارييه: فلسفة الفكر، منشورات فرين 2001.

توضيحات من المترجم:

- جان بتيتو كوكوردا هو تلميذ روني طوم، ومدير أبحاث بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس (E.H.E.S.S). وفضلاً عن تكوينه العالي في الجبر والهندسة التفاضلية الدقيقة، فهو يعتبر من المؤسسين للسيميائيات الدينامية والسيميائيات المعرفية الحديثة. من أعماله الأخيرة التي بسط فيها بتفصيل موقفه من وظائف وأدوار الظاهراتية في علم النفس المعرفي الحديث: «فيزياء المعنى» الصادر عن المركز الوطني للبحث العلمي بباريس 1992.

- قبل فرانسيسكو فاريلا، ثمة العمل التأسيسي لدافيد مار (D.Marr) في مجال البصريات الموسوم بـ: «الرؤية» الصادر عن فريمان 1982 بسان فرانسيسكو.

- تلته بصدور عدد خاص من مجلة «دفاتر الفلسفة» عدد 58-1995/4 حول تطبيع الظاهراتية. كما ظهر كتاب جماعي عنوانه «تطبيع الظاهراتية» بالإنجليزية ضمن إصدارات جامعة ستانفورد بكاليفورنيا 1999.

** تطبيع الظاهراتية هو إكسابها بُعداً علمياً شبيهاً بالعلوم الطبيعية.

- المصدر - ماغازين ليتيرير، ع (403) نونبر 2001، ص ص (44-47).

العَلَمُ الثَّقافِي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 26 ■ السبت 16 دجنبر 1995

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 ISSN0851-
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

مبادئ التلقي والتأويل وآفاق التأسيس النظري

عبد الباسط الزرازي

د. محمد مفتاح

■ علاقة المنطق بالرياضيات بين الاجتهاد النظري وأسئلة المعرفة المعاصرة.

■ الحلقة المفقودة في أعمال ابن البناء المراكشي.

■ هل يمكن تريض البلاغة العربية؟

■ هل يمكن الاستغناء عن ظاهرية ابن حزم في مشروع إعادة تأسيس البيان؟

■ مستقبل أرسطو في حاضر البحث العلمي.. الى أين؟

مراجعات في كتاب «التلقي والتأويل»

تابع ص ٩

قرن له طاقة أن يقسم ويفصل» ص (47) مع أن السجلماسي حدد منهجيته في فاتحة مقصدية الكتاب تحديدا علميا دقيقا ينم عن رغبة أكيدة في إضافة لبنة جديدة إلى الخطاب البلاغي العربي، فترتيب أجزاء الصناعة على جهة الجنس والنوع وتمهيد الأصل للفرع، وتحرير تلك القوانين الكلية وتجريدها من المواد الجزئية بقدر الطاقة، واتباع الشريطة المرسومة إرسالا في بقية الأجناس. ووجدناه يقول في سياق المجاز: «اعتمدنا في صورة الخاصة، ومثله الجزئية من قبل أن المثال مثبت للقاعدة الكلية والقانون، وقائل بوجه ما للتصور» (21). فهذه كلها موجهات أساسية لإعمال المقاربة النسقية إعمالا توليديا واستقرائيا بعيدا عن الأحكام الخارجية أو ما يشعر القارئ بوقوف الباحث من المنطق الداخلي للخطاب موقف «الإسماعيليين» من الإضافة الكلية.

أما بخصوص «الإتساع» فينبغي التذكير بأن معناه العام - «اسم مثال أول منقول إلى هذه الصناعة، ومقول بجهة تخصيص عموم الإسم على إمكان الاحتمالات الكثيرة في اللفظ الواحد بحيث يذهب وهم كل سامع سامع إلى احتمال احتمال من تلك الاحتمالات، ومعنى معنى من تلك المعاني» (24)، ومعناه الاصطلاحي «صلاحية اللفظ الواحد بالعدد للاحتمالات المتعددة من غير ترجيح» (25)، وقد اشترط السجلماسي [illegible]

[illegible]

- البقية في عدد قادم -

هوامش

(1) - نحيل هنا على: «الخطاب التأويلي - محاولة في تأسيس نموذج» رسالة جامعية مرقونة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط.

(2) شرح الشيخ الدمنهوري على متن السلم في المنطق للأخضري، طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - مصر 1939 ص (40) (41).

(3) - تحرير القواعد المنطقية لقطب الدين الرازي، طبع مصطفى البابي الحلبي ط (2) 1948 القاهرة - مصر ص (36 - 37).

(4) المرجع نفسه ص (44).

(5) - الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي تح رضوان بنشقرون 1985 - دار النشر المغربية - الدار البيضاء ص (20).

(6) مقال: «مؤلفات ابن البناء المراكشي وطريقته في الكتابة» لرضوان بنشقرون، مجلة المناهل عدد (33) - السنة (12) دجنبر 1985 ص (223 - 224).

(7) الرسائل المنطقية هي: رسالة الجدل، رسالة الكليات، رسالة شرح الكليات، وستنشر قريبا بتحقيق الأستاذ عمر أوكان، وقد أطلعني عليها مخطوطة فاستحق الشكر.

(8) - عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل لابن البناء المراكشي تح هند شلبي دار الغرب الإسلامي ط (1) 1990 ص (7 - 8).

(9) - Voir entre autres: "Schema induction and analogical transfer" By Mary L. Gick and Keith J. Holyoak, Cognitive Psychology, N(15) 1983.

(10) - [illegible]

(11) - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم السجلماسي، تح علال الغازي ط (1) - 1980 - مكتبة المعارف، الرباط ص (180).

(12) - المرجع نفسه ص (182).

(13) - (م ن) - ص (180).

(14) - (م ن) - (181).

(15) - (م ن) - ص (185).

(16) - (م ن) - ص (186).

(17) - (م ن) - ص (187).

(18) - (م ن) - ص (218).

(19) - (م ن) - (ص ن).

(20) - (م ن) - ص (230).

(21) - (م ن) - ص (236).

(22) - (م ن) - ص (235).

(23) - (م ن) - ص (269).

(24) - (م ن) - ص (429).

(25) - (م ن) - (ص ن).

(26) - (م ن) - (ص ن).

(27) - (م ن) - ص 437.

(28) - البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ج (4) - 1972 - ط (2) - دار المعرفة بيروت ص (444).

(29) - المنزع البديع - ص (350).

(30) - (م ن) - ص (441).

(31) - René THOM: Esquisse d'une sémiophysique 1988 - Inter Editions - Paris France p(203)

مراجعات في كتاب «التلقي والتأويل»

تابع ص ٩

[illegible]

[illegible]

- البقية في عدد قادم -

هوامش

(1) - أحيل هنا على «الخطاب التأويلي - محاولة في تأسيس نموذج» رسالة جامعية مرقونة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس. الرباط.

(2) شرح الشيخ الملوي على متن السلم في المنطق للأخضري. طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - مصر 1938 ص (40) (41).

(3) - تحرير القواعد المنطقية لقطب الدين الرازي. طبع مصطفى البابي الحلبي. ط (2) 1948 القاهرة - مصر ص (36 - 37).

(4) المرجع نفسه ص (44).

(5) - الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي تح رضوان بنشقرون. 1985 - دار النشر المغربية - الدار البيضاء ص (20).

(6) مقال: «مؤلفات ابن البناء المراكشي وطريقته في الكتابة» لرضوان بنشقرون. مجلة المناظر عدد (11) - السنة (12) يونيو 1985 ص (223 - 224).

(7) الرسائل المنطقية هي: رسالة الجدل، رسالة الكليات، رسالة شرح الكليات، وستصدر قريبا بتحقيق الأستاذ عمر أوكان، وقد أطلعني عليها مخطوطة فاستحق الشكر.

(8) - عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل لابن البناء المراكشي. تح هند شلبي. دار الغرب الإسلامي. ط (1) 1990 ص (7 - 8).

(9)- Voir entre autres: "Schema induction and analogical transfer" By Hary L Gick and Keith J Holyoak. Cognitive Psychology Nr(15) 1983.

(10) - حسبه [illegible]

(11) - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم السجلماسي. تح علال الغازي ط (1) - 1980 - مكتبة المعارف. الرباط. ص (180).

(12) - المرجع نفسه. ص (182).

(13) - (م ن) - ص (180).

(14) - (م ن) - (181).

(15) - (م ن) - ص (185).

(16) - (م ن) - ص (186).

(17) - (م ن) - ص (187).

(18) - (م ن) - ص (218).

(19) - (م ن) - ص ( ).

(20) - (م ن) - ص ([illegible]).

(21) - (م ن) - ص ([illegible]).

(22) - (م ن) - ص ([illegible]).

(23) - (م ن) - ص ([illegible]).

(24) - (م ن) - ص ([illegible]).

(25) - (م ن) - ص ( ).

(26) - (م ن) - ص ( ).

(27) - (م ن) - ص 437.

(28) - البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي. تح محمد أبو الفضل إبراهيم ج (4) - 1972 - ط (2) - دار المعرفة بيروت ص (444).

(29) - المنزع البديع - ص (450).

(30) - (م ن) - ص (441).

(31) - René THOM. Esquisse d'une sémiophysique 1988 - Inter Editions - Paris France p(203).

كلمة وزير الدولة في الداخلية بكلية العلوم بسطات

اليهود المغاربة يجددون ولائهم لصاحب الجلالة من خلال موسمي داد والحجرات بإقليم سطات

النهضة الشاوية

جريدة اقليم سطات
مستقلة اسبوعية جامعة

المدير المسؤول ورئيس التحرير: نجيم عبدالإله

العدد 38 فاتح يونيو 1996
الثمن: 3 دراهم

الترقيم الدولي: 1113/2566
رقم الايداع: 103/93

تهنئة

بمناسبة السنة الهجرية الجديدة ترفع جريدة النهضة الشاوية الى مقام صاحب الجلالة نصره الله بأحر التهاني وازكى التمنيات راجية الله ان يقر عينه بولي عهده الأمير سيدي محمد وصنوه الأمير مولاي رشيد وسائر الأسرة الملكية الشريفة انه سميع مجيب.

مقترح مجموعة البحث في تاريخ وفنون الشاوية

بقلم الأستاذ : عبد الباسط الكراري

لا بد من ذكر المشتغلين بحقل التاريخ العلمي لسطات والشاوية، تلك المكانة البارزة التي تحتلها المنطقة في مسارات التاريخ المغربي المعاصر، وما يتعلق من جهود قصوى لصيانة هذه المكانة عبر الدراسات التي يشرف عليها. علمه وسعيه إلى النشر. وفي هذا السياق عرفت ساحة البحث العلمي المتعلقة بالمنطقة مؤخرا حدثا أعتبره استثنائيا بمناقشة رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا (شعبة التاريخ) أعدها الطالب عمر الدين فرديوه في موضوع : تقديم وترجمة كتاب الدار البيضاء والشاوية، أمام لجنة علمية مكونة من د. أحمد التوفيق، ود. إبراهيم بوطالب، ود. جامع بيضا، ود. علال الخديمي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط) في [illegible] دجنبر الأخير [illegible].

والكتاب المترجم والمقدم له يقع أصلا في مجلدين يندرجان ضمن سلسلة «مدن وقبائل المغرب» التي أنجزتها البعثة العلمية الفرنسية بالمغرب لأهداف استعمارية تحت إشراف الإقامة العامة بعد صدور قرار ينظم الأبحاث والمونوغرافيات الاستعمارية التي وقع تدوينها الأربع بالوطنية ([illegible]) في [illegible] أكتوبر [illegible]. ويضم الكتاب الصادر سنة 1915 عن دار النشر «إرنست لورو» ([illegible]) بباريس، في جزئه الأول: مسحا جغرافيا وبشريا وتاريخيا وسوسيولوجيا للمنطقة، والمونوغرافيا شاملا لبلاد الشاوية، مع رصد تاريخي والمونوغرافي للشاوية، فيما خصص الجزء الثاني منه لإجراء مسح مونوغرافي مفصل لقبائل الشاوية (مذكورة من صفحة [illegible] إلى [illegible] / أولاد زيان ص [illegible] / زيايدة ص [illegible] / أولاد حريز ص [illegible] / المذاكرة وأولاد علي ص [illegible] / مزاب وأعشاش (قصبة ابن أحمد) ص [illegible] / أولاد سعيد [illegible] / سطات وقبائل المزامزة، أولاد بوزيري، أولاد سيدي بنداود ص [illegible]). وتم تذييل هذا الجزء بإحصائيات جماعية للقبائل وعدد المحاصيل الزراعية لسنة [illegible]. ولعل في تقديم الآن أن نوصل التعريف بمحتويات هذا الكتاب، ولا الإدلاء بملاحظات نقدية عن منهجه ومقاصده، فقد تمكن بذلك الأستاذ عمر الدين فرديوه في مقدمة رسالته الجامعية، وتناول الموضوع قبله الأستاذ العربي وأحمد في معاصرته الموسومة بالشاوية من خلال الدراسات الاستعمارية، خلال الجلسة الفكرية التي كنت قد حظيت بشرف رئاستها في إطار فعاليات الملتقى الثالث لفنون الشاوية (انظر كتاب : تاريخ وفنون الشاوية. الملتقى الثالث، سطات 1992 ص [illegible]).

ويكفي التقدم إلى المسؤولين بالتماس، توجيه إلى الأستاذ محمد قريوه مندوب وزارة الشؤون الثقافية، باستصدار الرسالة الجامعية المومأ إليها أعلاه (وهي مرقونة ومحفوظة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس)، وإيداع نسخة منها الخزانة البلدية قصد تعميم الإفادة منها، والانتفاع بها. وأغتنمها فرصة سانحة لألتمس من السادة المسؤولين محليا وإقليميا وضع الأرضية التنظيمية لمشروع «مجموعة البحث العلمي تاريخ وفنون الشاوية». ويظل الإجراء العملي لإخراج هذا المقترح الواعد إلى حيز الإمكان متوقفا على تنسيق الجهود، وتكثيف الاتصالات بالفعاليات التي يعنيها أمر هذا المشروع، وأخص منهم بالذكر مجموع المشاركين والمساهمين فعليا في إثراء محاور الملتقيات الأربع لفنون وتاريخ الشاوية، مع إسناد الرئاسة الشرفية لعامل صاحب الجلالة على الإقليم. ومن المؤكد حتما أن مبادرة من هذا القبيل، إن هي تحققت وتوفرت لها النيات الصادقة، ستشكل القاعدة الصلبة لانطلاقة حقيقية على صعيد حركة التعريف العلمي بسطات والشاوية محليا وإقليميا ووطنيا. ومن شأن تكوين اللجان الفرعية، والهيئات التنظيمية أن يهيء المناخ الضروري لتوفير:

1) دراسات مونوغرافية متخصصة في مختلف العلوم الإنسانية.

2) هيئة متخصصة في جمع المخطوطات والعملة والآثار.

3) دراسات تاريخية ومونوغرافية تمهيدا لتكوين النواة الأولى للخزانة التاريخية الخاصة بالمنطقة الشاوية بدءا من العصر الوسيط.

4) تكوين لجنة مختصة في وضع «الأطلس» ([illegible]) الشامل لقبائل الشاوية.

...

تراث الشاوية

الحلقة 6

مفهوم السيبة وأعمالها في المنطقة ./. التعريف العام.

السيبة : هذا الإسم الذي لقبت به الأحداث والأفعال والعمليات التي طبعت فترة الربع الأخير من القرن الثالث والعقد الأول من القرن الحالي، ما أريد توضيحه في هذا الباب هو تقسيم هذا اللقب إلى ثلاث مفاهيم تعريفية للحالة السائدة والقائمة آنذاك.

1) السيبة داخل القبيلة : عموم قبائل المملكة آنذاك ونواحيها عرفت عمليات الصراع على السلطة. فتسببت هذه العمليات في زعزعة استقرار أنظمة القبائل لسبب من الأسباب تجلت معظمها إما في الإطاحة بقواد المخزن لكونهم أساءوا تسيير الرعية، فضعفوا أمام انتفاضات العامة من أهل القبيلة أو تجبروا فقمعوا الخاص والعام خوفا منهم أو ظلما لهم.

وهكذا عرفت عدة قبائل هذه العمليات المسماة بسيبة السكان ضد قواد المخزن المنصبين من طرف السلطان على رأس القبيلة. فتمرت قصبات واستباحت حرمات، وعين قواد سموا بقواد السيبة تحت إشراف مجموعة من أعيان ووجهاء وفرسان القبيلة، وتكون بموازاة قائد السيبة مجلس من الفرسان من مجموع مناطق القبيلة، اعتبر مجلس الفرسان مجلس قضاء جماعي له صلاحية إصدار أحكام ضد الخونة والخارجين عن أعراف القبيلة المتداولة آنذاك. وبذلك تكون سلطة القائد قد تقلصت في هذا المجال. بوجود هذا المجلس الذي كان ينعقد يوم السوق، ويكون ذلك بمجيء الفرسان على جيادهم والوقوف في شكل دائري حيث يبقون على ظهور الجياد فتعرض عليهم القضايا يتشاورون فيها بينهم ومن ثم يصدرون أحكامهم وبعد فراغهم من عمل يومهم، يولون راجعين إلى دواويرهم في حين ينفذ قائد القبيلة أحكامهم بدون مناقشتها أو تعقيب عليها لما لأولائك الفرسان من هيبة ووقار ونفوذ في التحكم في مصير القائد والقبيلة.

وبذلك تكون عملية السيبة داخل القبيلة عملية تنظيم أمورها سلطويا وأمنيا وقضائيا بعد أن تكون سلطة قائد المخزن قد فقدت قيمتها معنويا وماديا.

2) السيبة بين القبائل المجاورة : هذه العملية تعتبر أخطر ما عرفه المغرب آنذاك. إذ كانت تعبيرا عن فوضى عارمة شهدتها المملكة بحيث لم يعد لسلطة المخزن العليا آنذاك أي نفوذ أو سيطرة على الوضع.

فنظرا للتدخل الخارجي عن طريق القناصلة والتجار الأوروبيين الذي أصبح على نطاق واسع. كان السلاح يتسرب إلى مخازن القواد والخواص مباشرة عن طريق التبادل التجاري مع الأوروبيين الذين كانوا يشجعون ذلك، اعتبارا لما ستسفر عنه عملية التسليح مستقبلا من تجاوزات ضد الدولة وسيطرتها على الاستقرار.

زيادة على جشع القواد في القبائل الصغيرة القليلة الخيرات والكثيرة السكان الذين يريدون متنفسا لمشاكلهم خارج القبيلة بتصدير تلك المشاكل إلى القبائل المجاورة، ومن بين مشاكلهم الداخلية نذكر اغتصابهم لأجود الأراضي داخل القبيلة من أصحابها لقد سبب اغتصاب الأراضي من أصحابها واستعمال القهر ضد الرعية لديهم مع التجاوزات الناتجة عن النفوذ والسلطة، حقدا لدى السكان فما كان من أولائك القواد إلا بتنصلوا من هذا الحقد وذلك بتغذية عداوة وأطماع السكان في اتجاه القبائل المجاورة كانت تنعم بالأمان والخير والرفاهية.

السيبة ضد الدولة : تناطح أهل القبائل داخليا وثنائيا جعل هيبة رجال السلطة المركزية تضعف إضافة إلى المخطط الأوربي آنذاك للسيطرة تجميع السلاح بيد القواد والخواص عن طريق التجارة. كل هذا مع أسباب أخرى وأحداث جرت جعلت قواد بعض القبائل أو وجهاءها سواء من منطلق ذاتي أو بتآزر مع قوى خارجية يطمعون في تدمير سلطات المخزن العليا.

ونذكر على سبيل المثال، سيبة الكنداني في الجنوب ضد الحسن الأول وسيبة الجيلالي الروكي بوحمارة في الشمال الشرقي ضد الأخوين الملك عبد العزيز والملك عبد الحفيظ، وثورة أهل الرحامنة والسراغنة وتادلة ضد الملك عبد العزيز، وقد كلفت هذه الثورات السيبوية البلاد والخزينة والأمة من ويلات وضعف وبلاء، بالإضافة إلى سيبة أحواز فاس ضد القصر وتأتي في الختام لتؤكد على أن هذه الأعمال تفرض معاهدة الحماية على البلاد حيث تحولت أعمال السيبة بكل أشكالها الثلاثة إلى أعمال مقاومة وجهاد ضد النصارى.

ما ذكرته في الأقسام الثلاثة يعرف مفهوم السيبة ويعطي نظرة تقريبية عن حقيقتها وأعمالها ويوضح شيئا ما مدلولاتها التاريخية.

العدد القادم : السيبة أعمالها وأعمالها حول دار الحاج العمراني.

...

أخبار . اصدارات . مهرجانات . مواسم .

* جمعية زوار سيدي عمر بن لحسن

ستعرف الشاوية وبالضبط قبائل أولاد حريز تأسيس جمعية زوار سيدي عمر بن لحسن هذه الجمعية ستضم من بين أعضائها كل رجال أولاد حريز من فلاحين ورجال أعمال والسياح والهدف منها إخراج الموسم في حلة جديدة كموسم يجمع الثقافي السياحي ولاقا مكانا بيئيا مناسبة له ومرافق ضرورية مثل المرافق التجارية والسكنية الخ، مواقف السيارات وغير ذلك وربما سيكون هناك أول تعاون على صعيد الجماعات بحكم أنه مجاورة إقليم سطات إقليم قلعة السراغنة الذي يقع فيه ضريح الولي الصالح سيدي عمر بن لحسن

مواسم دينية خلال سنة 96

من أهم المواسم الدينية التي ستعرف إقبالا وينتظرها الجميع بالإقليم موسم سيدي لغليمي بسطات، موسم سيدي عمر بن لحسن قلعة السراغنة الموسم السنوي للشافعي سيدي رحال موسم سيدي موسى القرقوري (بني مسكين)

...

موسم الحجرات وموسم ضاد

يوجد بإقليم سطات مزارين للهوية المغاربية بإقليم سطات وهما موسم الحجرات بابن أحمد وموسم ضاد بأولاد بوزيري.. هذان الموسمان سيعرفان الانطلاق خلال شهر أبريل كعادتهم حيث يعرفان زيارات للهوية المغاربية المرتبطين بإقليم الشاوية من حيث مسقط الرأس أو تاريخ أبائهم وأجدادهم..

كتب حول التاريخ والتراث في طريقها الى النور

ستعمل جريدة النهضة الشاوية خلال هذه السنة بحول الله تعالى على إصدار سلسلة كتاب النهضة... إصدارات مؤسسة دراسة تاريخ وفنون الشاوية ومحيطها هذه الأخيرة قيد التأسيس.. وستكون أولى الإصدارات خلال عيد الشباب المجيد ومن خلال كتابين نترك موضوعهما مفاجأة للقارئ

النهضة

الشاوية ورديغة

المديرالمسؤول: عبد الإله نجيم- مدير التحرير : مولاي أحمد العلوي البلغيتي

العدد 81

15يونيو 99

الثمن 5 دراهم

المجلس

خريطة مهمة وتاريخية للشاوية تعود لمطلع القرن وتنشر لأول مرة

بنسليمان - بوزنيقة - الدارالبيضاء سيدي رحال الشاطىء - دار بوعزة - سطات داخل خريطة الشاوية سنة 1868 - 1946هـ

بني مسكين - أولاد بوزيري خارج حدود الخريطة

يلاحظ القارىء أن حدود الشاوية بموجب خريطة فريديريك لسنة 1868 -1946 تضع مناطق من الشاوية خارجها وبالخصوص بني مسكين وأولاد بوزيري.

الخريطة الثانية التي أشار إليها الكاتب سننشرها خلال العدد القادم.

مساهمة مني في إغناء رصيد التعريف بوثائق الشاوية ، أضع بين يدي القارىء المتتبع - ولأول مرة - خريطتين عن المنطقة تعودان إلى مطلع القرن . الأولى من صنع الدكتور فريدريك فيسغرير 1868 - 1946) : الطبيب الاستعماري ، الباحث والصحافي ، والمراقب المدني للشاوية الجنوبية (ديسمبر 1916) صاحب عشرات الأبحاث والدراسات عن الشاوية . من أعمال فيسغرير المنشورة : الشاوية (نشر لجنة المغرب - باريس 1907) ومنه استقينا الخريطة الأولى . وقد اعتبر الباحث أوغسان برنار هذا الكتاب أفضل عمل منهجي أنجز عن بلاد الشاوية إلى جانب الكتاب القيم لإدمون دوتي الموسوم ب " مراكش" 1905 ، ثلاثة أشهر من الطواف في المغرب (نشر دار إنست لوغو - باريس 1904) ، على أعتاب المغرب الجديد (نشر دار لابورت - الرباط 1947).

وللدكتور فيسغرير (وهو بالمناسبة صديق للقايد المعطي المزامزي) خريطة أخرى عن سطات أنجزها في شهر فبراير 1908 مقياسها (200.000) .

وبديهي أن اعتمدت القوات الفرنسية في غزوها للشاوية خلال عامي 1907 - 1908 على عينات من الخرائط التي وضعها فيسغرير والقائد "لارا" وغيرهما أما الخريطة الثانية فمستقاة من دراسة بعنوان " شاوية المغرب" باللغة الألمانية ، وقد صدرت ضمن مداخلات ملتقى اللغات الشرقية في برلين 1903 .

MITTHEILUNGEN DES SE:INQIRES FUR ORIENTQLIS-CHE SPROCHEN

وقد أنجز هذه الخريطة الباحث وفقيه اللغة والإثنوغرافي الألماني جورج كامبيير ، وهو أستاذ خاص PRIVQDOWENT بجامعة هال ، اشتغل مدرسا للغة العربية في ماربورزغ قبل أن يرافق الأستاذ "ثيوبالدفيشر" في رحلاته العلمية والاستطلاعية داخل المغرب في مستهل هذا القرن (رحلتهما مثلا إلى بولعوان ومنطقة الشاوية عام 1902) فأعجب بالمملكة وطفق يستجمع المعلومات إرضاء للمطامع الاستعمارية الألمانية ، وينافس إلى جانب آخرين ، البعثة العلمية الفرنسية . ومن أعماله التي صدرت بالألمانية : المغرب (منشورات جامعة هل - 1903) في المغرب الجديد صدر بفرانكفورت 1914 ، تقييد عن آسفي صدر بالفرنسية في مجلة العالم الإسلامي العدد 8 وغيرها من الأعمال الغزيرة مما قد يستلزم دراسة مفردة.

والخريطتان اللتان أتشرف بتقديمهما للقارىء الكريم كنت قد اعتمدت عليهما معا في المحاضرة التي ألقيتها ضمن فعاليات الملتقى الثالث لتاريخ وفنون الشاوية عام 1991 (راجع منشورات وزارة الشؤون الثقافية -تاريخ وفنون الشاوية - تقديم محمد علال سيناصر نونبر 1994 - ص 25 - 153(ولا أخفي على جمهور الباحثين القيمة العلمية لمثل هذه الخرائط في تمثيل بنيات الفضاء الشاوي ، والتعريف بمجالات الطوبولوجية والدينية والهيدروليكية والمعمارية .. فضلا عن أن الكارتوغرافيا شكل في هذا السياق إطارا مرجعيا للمقاربة التاريخية "فالتاريخ يكتب على الأرض" كما يقول جورج دوبي .

بقلم الأستاذ عبد الباسط لكرادي

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت
■ السنة 28 ■ السبت 21 يونيه 1997
■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب
■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله = الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 =ISSN0851
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

المناقشة

الترجمة في الملاحق الثقافية

أصبحت الترجمة مادةً رئيسية بين مواد الملاحق الثقافية في المغرب، يزاولها مترجمون متخصصون يقتصرون عليها، أو يكادون. وتتعاطاها طائفة من الشباب الذين يحثون في الأدب المغربي عن موطئ قدم، ويلجأ اليها مبدعون، بين الفينة والأخرى، ليُشركوا القارئ في ما يطالعون من آداب، أو ليدفعوا بها ما يصيبهم، أحياناً، من عُسر الكتابة أو عُقمها.

● عبد الرحيم حزل

نذكر من اسماء الفئة الأولى (ونحن نسميهم بالمتخصصين تجاوزاً، فهم ليسوا متخصصين في الترجمة، بل، على الأصح، قدامى فيها، بحيث اصبحوا يُعرفون عند الجمهور مترجمين لا كتابا): إبراهيم الخطيب، ومصطفى القصري، وعبد السلام بنعبد العالي، ومحمد سبيلا، وعبد الرحيم العطاوي، إلخ. ونذكر من اسماء الفئة الثانية عزيز الحاكم، والمشروحي الذهبي، وعبد الباسط الكراري، وشكري البكري، وحسن الغرفي، وإسماعيل ازيات، ومحمد خير الدين، وخير الدين عبد اللطيف الخ. ونذكر من اسماء الفئة الثالثة محمد برادة، واحمد المديني، ومحمد بيدي، ومحمد الشركي، ومحمد زفزاف، ومحمد عزيز الحصيني، وعبد السلام الطويل، والمهدي اخريف، واحمد بلحاج آية وارهام، ومحمد صوف، والمصطفى اجماهري، إلخ.

وتكاد تلك الفئات ثلاثتها تشترك في الترجمة عن اللغة الفرنسية، او هي تترجم عنها في المقام الأول. بينما يقل عدد المترجمين من هذه الفئات مجتمعةً من يترجم عن غيرها من اللغات (اخريف والعشيري والبكري والخطيب عن الإسبانية، وعبد الرحيم العطاوي عن الروسية، واما اللغة الإنجليزية فلا ينتظم فيها منشور مترجم، وقد تنشر منها مادة او اثنتان طيلة السنة).

وتكاد تلك الفئات تتمايز الى لونين في ما تنشر من ترجمات. فحيث تنشر الفئتان الأولى والثالثة الترجمات الأدبية، خاصة ما تعلق منها باخبار الكتّاب والحوارات التي تُجرى معهم وبعض الترجمات الابداعية، في حقل السرد بخاصة، تقتصر الفئة الثانية على ترجمة الدراسات النقدية في مجال الأدب وكذا حوارات الكتّاب. فيما ينحصر المنشور من الترجمات الشعرية عند اسم أو اثنين من كل فئة (حسن الغرفي وعبد النبي ذاكر عن الفئة الثانية، واحمد بلحاج اية وارهام ومحمد الشركي، عن الفئة الثالثة).

لكن تتفاوت تلك الشرائح في كم منشوراتها من هذه الترجمات. فالفئة الثانية تاتي في المقدمة، تليها الفئة الاولى، ثم تليهما الفئة الثالثة. ولا يصعب علينا ان ندرك الأسباب القائمة وراء هذا التفاوت في الكم. فالمترجمون المتخصصون يرباون بانفسهم من ان يصبحوا مادة مستهلكة في الصحف. فتراهم لا يترجمون إلا في مناسبات معلومة. كذلك يفعل عبد السلام بنعبد العالي ومحمد سبيلا (1) ويفعل إبراهيم الخطيب (كلما تعلق الأمر بجديد كاتبيه المفضلين بورخيس وكويتيصولو). بما يوحي أن ما ينشره بعض من اسماء هذه الفئة يكون بطلب من المشرفين على الملاحق الثقافية التي ينشرون فيها ما يترجمون.

وكذلك هو موقف الفئة الثالثة. فأفرادها لا يعتبرون انفسهم من المترجمين، بل هم مبدعون، بالدرجة الأولى. ولذلك نراهم لا يترجمون إلا لماما. بل إن الملاحظ عند هذه الفئة أنها قد لا تنشر شيئا من الترجمات في الحقول التي ذكرنا، في فترة طويلة، ثم إذا هي تقبل، فجاة، على نشر اكثر من مادة في ظرف وجيز جدا. ومن وجوه ذلك ما يقبل الشاعر محمد عزيز الحصيني على ترجمته من حوارات الكتاب، دون سابق عهد بالترجمة (2). وكذلك فعل محمد صوف، فهو قد نشر ترجمة ثلاث قصص في فترة زمنية وجيزة (3)، بينما لا نجد له ترجمات في الملاحق الثقافية إلا منذ وقت طويل جدا. وفعل فعلهما المصطفى اجماهري، فهو قد ترجم حوارين في ظرف وجيز (4)، ثم انقطع عن الترجمة. كما اننا لا نكاد نجد له، قبلئذ، ترجمات اخرى في الملاحق الثقافية.

وإن هذا الذي نراه من إقبال هذه الفئة على الترجمة وإدبارها عنها في اوقات معلومة ليعزز من صحة دعوانا انها إنما تترجم ما تترجم تبغي به دفع ما يصيبها، أحياناً، من عسر الكتابة او عقمها.

وأما ما نجده من وفرة الترجمات عند الفئة الثانية، فتفسيره في اقتصار اسمائها، أو جلّها، على الترجمة في كل ما تكتب. ويندر ان نجد بين اسماء هذه الفئة من يزاول الكتابة في جنس من أجناس الابداع، وكذا ما نجده من شبابية افرادها، مما يجعل إقبالهم على الترجمة إقبالا مندفعا، مع ما يترتب عن ذلك من سلبيات وتهافت مبعثهما التسرع في الترجمة.

لكننا إذا كنا نقسم المترجمين في الملاحق الثقافية هذا التقسيم ونميز بينهم هذا التمييز، فذلك لا يعدو ان يكون تقسيما وتمييزا صنافيين لا يتعديان هذا المستوى الى المفاضلة بين ما تترجمه الفئات الثلاث. نقول هذا لأنه ربما لاح للقارئ من هذا التصنيف وهذا الترتيب اننا نُحل الفئة الاولى، فئة الشباب، من ناحية قياس مستويات الجودة في ترجماتها.

وإن ذلك ليلوح، للوهلة الاولى، امرا صائبا. فالمفترض في المترجمين المتخصصين انهم يتصدرون الفئتين الاخريين، لأن المفترض فيهم انهم متمكنون من تقنيات الترجمة، فهم يفوقون حتى المبدعين، إذ ربما انتصر تمكن هؤلاء في الترجمة على جانبها اللغوي، الذي ربما فاقوا فيه الفئة الأولى جودة. لولا ان الترجمة ليست محدودة بالمستوى اللغوي. كما يفترض أن تاتي الفئة الثانية في المقام الاخير، بحكم طراوة عودها في التمكن الترجمي واللغوي معا، وكذا ما يخرج بها إليه توفز الشباب من خروقات في الترجمة، يفترض ان المترجم المتخصص والمبدع متعاطي الترجمة، بين الفينة والاخرى، قد صارا في منأى عنها، او في عصمة منها.

والحقيقة ان الأمر على خلاف ذلك تماما. فما نجده من تمايز بين هذه الفئات الثلاث من حيث كم منشوراتها من الترجمة، وما تختلف فيه من حيث تكوينها الشخصي وعمرها الفيزيقي أو الابداعي لا نكاد نلمس له اثرا في ترجماتها. فتلك الشرائح تكاد تقف على قدم المساواة من حيث جودة ما تنشر.

وإذا كنا نجد للشريحة الثانية بعض الاعذار في ما يطبع ترجماتها من ترخص في الصياغة والسبك واحترام البناء التركيب الجملي في اللغة العربية، فإن هذا الامر يصير عند الفئتين الاولى والثالثة مبعث استغراب وحيرة. وعند هذه أخص. فإذا كان أن إيراد المعنى مترجما في كل تلوينانه، يخرج بالفئة الأولى عن جادة السلاسة العربية، خصوصا إذا اخذنا في الحسبان أن معظم اسماء هذه الفئة ممن تغلب عندهم المعرفة باللغة الأجنبية التي يترجمون منها على درايتهم باللغة العربية، فلا عذر نجده للفئة الثالثة في هذا الشان، إذ كيف تختلف معايير هذه الفئة وأذواقها وادواتها الاسلوبية بين ما تكتبه في العربية من إبداع، او نقد، وبين ما تُفرغ فيه ترجماتها من صيغ وابنية واساليب لا تكاد تمت بصلة الى العربية.

وإن الامر في ما قلناه من تكافؤ الفئات المترجمة الثلاث في المغرب (المترجمون المتخصصون، والمترجمون الشباب والمبدعون المترجمون) في مستوى ما تنشر، ووقوعها في نفس ما تقع فيه من الهنات اللغوية والأسلوبية في الترجمة، ليضيق عليه الحصر. وإذ قلما خلت مادة من المواد المترجمة في الملاحق الثقافية من بعض ما اسلفناه من ركاكة او تعمية، كما لا تكاد تخلو فقرة - بل وجملة - مما قلناه مما يشذ عن روح النصوص الاصلية ولا يوفي الأسلوب العربي حقه.

لذلك آثرنا ان نقتصر، في بيان بعض الأمثلة على ما قلناه، على اعداد متأخرة من ملحق «العلم الثقافي». واقتصرنا من المواد التي اخترنا ان نبين بها ما اسلفناه، على فقراتها الأولى، رغم ان هذه الفقرات تكون، في العادة، اجود ما في تلك المواد.

فقد جاء في الفقرة الأولى من ترجمة إبراهيم الخطيب مقالا لهشام جعيط في «العلم الثقافي» عن الروائي خوان كويتيصولو، ما يلي:

«اعتُبر خوان غويتيصولو فنانا، شاعرا وروائيا. إنه يجب ان يوضع في طليعة ثورة الرواية المعاصرة، او على الأقل هذا هو الشعار الذي يلصق به... فهو يتوفر على أسلوب خاص يتميز بقوته الايحائية والاستشرافية، وإيقاعه اللاهث، وكثافته الكتابية التي لا ترفض السلاسة ولا الادراك. إن خوان غويتيصولو لا يكسر اللغة، ولا يسقط في خواء معنى «الرواية الجديدة»، وكل ما يفعله هو انه يحطم الزمن، ويعيد تنظيمه، ليفككه بعد ذلك، ثم يبسطه في جميع الاتجاهات حتى يجد نفسه وقد استقام في النهاية سويا».

التعليق:

استعمل الخطيب فعل «اعتُبر» في صيغة الماضي، وكان غويتيصولو متوفى. ثم جاء بكلمة شعار يريد بها الوسم. لان الشعار لا يُلصق بشخص. وقال إن كتابة غويتيصولو لا ترفض السلاسة ولا الإدراك. والمعنى المراد ان الكاتب لا يُفرط في سلاسة الأسلوب، ولا هو يخرج بكتابته إلى الغموض والتعمية، بما يحول دون إدراك القارئ مقصود الكاتب منها. فتحدث عن الكتابة وكانها ترفض وتقبل. هذا إذا كان يجوز في غير اللغة العربية، فإنه لا يجوز في العربية، اي لا يجوز فيها تشخيص الاشياء المعنوية بنسبة الأفعال إليها. ويريد ان يقول إن الكاتب لا يقع في خواء المعنى الذي يقع فيه كتاب الرواية الجديدة. فإذا هو يتحدث عن خواء معنى الرواية الجديدة، اي الرواية الجديدة كمدرسة او اتجاه لا كنصوص. ثم يعود الى تشخيص الزمن فيقول عنه إنه «يجد نفسه سويا»، ومقصوده ان «الزمن يصير، في النهاية، سويا». وما ذلك إلا لأن الخطيب يترجم ما يترجم ترجمة حرفية. ولعل من ابسط ما يظهر فيه ذلك ترجمته الجملة الفرنسية باخرى مستنسخة منها في العربية، فقد جاء عنده «اعتُبر... شاعرا، فنانا وروائيا»، وصوابه «اعتبر شاعرا، وفنانا وروائيا».

وإذا كان هذا الذي يلوح من تفحصنا لمستوى الألفاظ في هذه الترجمة، فإن غيره من اعظم. ومن ذلك، على سبيل التمثيل، ان المترجم ياتي بصيغة الوجوب «يجب ان»، وهي صيغة يراد بها غير الواقع، والحال أن المترجم يعقب على هذا الذي يجب «أن يوضع الكاتب في الطليعة»، بل هو «شعار يلصق به». فإذا عكسنا آخر هذه الجملة على أولها - وهذه هي الطريقة المتبعة في مثل هذه المازق، خصوصا وان *الشطر الاول من الجملة يحتوي على فعل في اللغة الفرنسية* «devoir»، ذي معان كثيرا ما يخطئ المترجم العربي في إيجاد مكافئ لها في العربية، إذ يراد بها، معنى الشك، أو معنى التمني، وسواهما بحسب صيغة استعمالها الزمنية - ادركنا ان المتحدث عن كويتيصولو إنما يعتقد ان الكاتب يحتل تلك المكانة حقا، على الاقل لانها الوسم الذي يلصق به، ولا يريد القول إنه لابد من إحلال الكاتب هذه المكانة خصوصا، او على الاقل، لانها تلصق به كوسم، لأن هذا لا يصح مبررا لإيجاد هذا الأمر.

وهكذا، قد يطول بنا، احيانا، تفسير ما نراه إخفاقا في ترجمة من الترجمات، إذ كثيرا ما نحس هذا الاخفاق لكن نعجز عن البرهنة عليه. وما ذلك إلا لصعوبة الترجمة وضرورة التريث فيها.

وجاء في الفقرة الأولى من ترجمة محمد صوف قصة بعنوان «الارض التي تبرعت علينا بها الحكومة» (6):

«بعد ساعات من السير دون أن يعترض طريقنا ظل ولا حتى بذرة شجرة او جذر اي شيء، سمعنا نباح الكلاب. في قلب هذه الأرض التي لا ضفاف لها، يعتقد الإنسان أحيانا ان لا شيء سيحدث لاحقا. لا يمكن العثور على شيء في الجانب الاخر. في نهاية هذا السهل الحجري القاحل والجاف. ومع ذلك فثمة شيء. ثمة قرية. نباح الكلاب. هواء. رائحة الانسان. طعم الأمل. ومع ذلك فالقرية هناك. بعيدة. وحدها الريح تقرب منا آثارها. نحن نضرب في هذه الأرض منذ الفجر والوقت الآن شيء كالرابعة زوالا».

التعليق:

نسب المترجمُ فعل«اعترض» للجامد، وهو لا يكون إلا للمتحرك. فالمعترض يُقصد به ان يعترض السبيل. ومقصوده أن يقول إننا لم نجد في طريقنا اثرا لنبت او شجر. ولعل ذلك يتضح من استعمال كاتب النص كلمة «بذرة»، والحال ان الشجرة ليست بذرة، وإنما معنى البذرة، ها هنا، هو اقل أثرا. وياتي بكلمة «جذر» وينسبها لأي شيء، والمعنى جذر اي نوع من النبات او الشجر. هذه هي التي تكون لها جذور. وياتي بكلمة «الكلاب» في صيغة التعريف، والأصح ان تكون في صيغة التنكير، لان القائل التخييلي ليس له سابق معرفة بها. وهو يجعل الارض بلا ضفاف. ومقصوده انها مترامية لا يحدها طرف. وتتجلى الحرفية في ترجمة صوف اوضح ما تكون في الجملة الاخيرة، فنحن لم نسمع في العربية من يقول إن الوقت يكون «شيئا كالرابعة»، ولا يقال ذلك حتى في اللغة الفرنسية الفصحى، وإنما هو تعبير لهجي في هذه اللغة، يُراد به عدم الاكتراث بتحديد الوقت.

هذا اذا اقتصرنا على الهنات الموضعية، والا فان الترجمة في هذه الفقرة تجانف البناء العربي، الذي عمدته الفعل والفاعل وفضلته الظروف التي تحيط بهما. والحال ان صوف يوثر البناء الفرنسي. فنحن نجده يستنسخه بالتام، اذ يبدأ بالظرف «بعد ساعات... سمعنا»، والصواب «سمعنا، بعد ساعات»، ثم «في قلب هذه الارض... يعتقد الانسان»، والصواب: «يعتقد الانسان [وهو] في قلب هذه الارض» الخ.

البقية ص 11

شهادات مقلقة حول وعي الذات بالواقع

تابع .... ص 4

بهذه القناعات تخلى ونوس مرحلة البحث عن الذات في العبث، وبخل من فوضى العالم، ومن حروبه، ومن فشل المشروع الحضاري العربي، إلى نظام الكتابة المسيسة كوسيلة تحريض تحض على التغيير، وهذه هي الرابطة السرية التي حددت مسار اشتغال الفكر والمرجعيات الكبرى في مسرح ونوس القائمة على المسرح التسجيلي والتوثيق الذي يسهم في الكشف على مشاكل المجتمع العربي، وتفسيرها وفهمها وبناء الوعي الممكن فيها.

وباعتبار أن مرحلة التأسيس الفعلي عند ونوس تبدأ بعد 1967، فإنه في توجهاته الإبداعية لم يعزل تجربته عن العالم، ولم يحصر خطابه في المحلية المغلقة بل إنه اتخذ من المسرح عالما يواجه به عالما، وفنا يواجه به الحياة بالوعي التاريخي، وبالكلمة وبالتراث، وبالفعل، وبالاختلاف في الإمكانات التي سخرها لخدمة مسرحه التعليمي في مسرحيات: «رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة»، و «الاغتصاب»، و «منمنمات تاريخية»، و«طقوس الإشارات والتحولات»، و «الأيام المخمورة»، و«يوم من زماننا»، وهي أعمال تؤكد اصرار الكاتب على مواصلة التزامه بمنهجه الفني والفكري بمضمون جديد مسربل بشفافية خاصة مفعمة بنبض إنساني إتسعت فيه الرؤيا بعد تحديث التراث العربي والإنساني بالمعاناة الخاصة للكاتب فيه مما يعني أن التراث، والأحداث السياسية الكبرى فيه، والتاريخ العربي المتعثر - دوما - بتحكم الاختلال في سيرورته. كلها كانت شروط الإبداع المسرحي عند سعدالله ونوس وهو يفكر في التاريخ بالمسرح والمسرح بالتاريخ كمؤسسة للتأمل والتصوف والسياسة والنقد والتعرية والاحتجاج، وهو ما جعله يحقق حلمه في هذه الكتابة بعد أن قال: «إن جدوى الإنسان الرئيسية أو الجوهرية هي أن يكون سياسيا». 5

وسعدالله ونوس الذي كان يواجه خراب العالم بالوعي وبالأمل وبهذه الجدوى، كان يقدم نفسه «قربانا» بالإبداع للإبداع المسرحي من أجل هذا العالم المهترئ بالتسلط وبالنفعية الجشعة، وبالوحشية المموهة بأقنعة حضارة مزيفة زائلة، فكان كلما ازداد وعيه بهذا العالم إلا واقترب - أكثر - من العمق العربي، فيزيد فهمه فهما ومعاناته إحساسا بخلل ما يعيش فيه، فتتقوى وظيفة المسرح الذي يفضله في هذه الوظيفة، وهي المواجهة بين الأنا الضعيفة، والعالم المتجبر، أي المواجهة بين العالم والعالم، بين الواقعي والمتخيل، بين التسجيلي والتاريخي والفني والحلم في هذا التسجيلي.

وفي غياب إمكانات تغيير الواقع، كان سعد الله ونوس يتحرك في عالمه المسرحي بالتراث كحياة يحياها من جديد بالكتابة، يحتمي به وبها، يقيمه ويقيمها بالوعي الحداثي مستخرجا منه قوته لتحقيق هذه المواجهة وهذه الحداثة لمواجهة التكوين المختل في الواقع وفي الثقافة المسرحية التي أصبحت من الوسائل الهامة في التغيير، وفي إعداد ما استطاعت من قوة لتصيير الغياب حضورا في الواقع، وفي المسرح التسجيلي الرابض في الخطاب المسرحي الونوسي كتاريخ للتاريخ بالفن.

ومن المسرحيات التي واكبت تشكل اللغة المسرحية بتشكلات إشكالية مجموع اختيارات الكاتب، نجد مسرحية «منمنمات تاريخية»، التي تقدم أحداثا مستمدة من القرن التاسع الهجري «القرن 15» حين غزت قوات تيمورلنك مدن حلب وحمص وبعلبك، ثم حاصرت دمشق مما أفرز مجتمعا تحكمه المصالح والانتهازية التي تواطأ بها العلماء على المصلحة العليا للبلاد فخان المثقفون دورهم ووظيفتهم النبيلة في المجتمع، وصار الريح - وكل الوسائل التي تزيد الربح ربحا - أشياء مباحة، وتخاذل الحكام فسقطت «القلاع والمدن» ليحل «زمن الهزيمة الشاملة» في كل مجال من المجالات الحياتية في المجتمع.

وفي مسرحية «طقوس الإشارات والتحولات»، التي أخرجتها الفنانة العربية نضال الأشقر، يصبح التاريخ بمقالقه وبصور المجتمع فيه، أسلس البناء الملحمي في النص لتقديم هشاشة «المواضعات الاجتماعية»، التي تقبض على زمام السلطة في دمشق في النصف الأول من القرن الماضي حيث المفتي، ونقيب الأشراف، ومؤمنة، وقائد الدرك يقدمون كحالات يحمل فيها النقيض نقيضه، والعاشق مثله، وألطرب طقوسه التي تنشر داء الفتنة والدروشة والتصدع في الجسد، إما بالموت، وإما بالاعتقال، وإما بالجنون، وإما بالانفصال عن الجسد للدخول إلى طقوس اللغات المرمزة.

هذه المسرحيات، وإن اختلفت من حيث التشكل والبناء، فإنها تتوحد في رصد التفاصيل الخاصة في السلوك الخاص للنماذج التي تقدمها، وتتوحد في الرؤية وفي الموقف وفي الوظيفة المسكونة - دوما - بالتاريخ العربي وما فيه من شرخ وانكسارات وتنبؤات تنتظر الانفتاح على المستحيل ليصير الإفراج على الخطاب النقدي الاجتماعي والسياسي في النص الملحمي ممكنا في وعيه وفي تحققه، ولعل أهم دلالة تفرزها هذه المسرحيات في تعدد رموزها وشخوصها الإشكالية، هي التمركز حول بؤرة الصراع - بكل مستوياته النفسية والاجتماعية والسياسية - لتقديم شهادات مقلقة حول راهنية الواقع العربي لإدانة السلبية والغربة، وذلك بملحمية «متصوفة» تحمل «تراجيديا» العالم.

لقد دابت دلالات مسرحيات سعد الله ونوس على أن تخرج دلالاتها من غموض الواقع، ومن اعتكال العلاقات النفسية والاجتماعية فيه، وأن تبني رموزها برمزية الزمن العربي وأن تملأ الحلقات المفرغة فيه بالمسرح كحوار مدني بقيمه الواقع غير المدني، وهذا وحده كان كافيا لجعل التشابه في الوظيفة التي يمارسها مسرح ونوس لاتتطابق ولاتتوحد إلا في الالتزام الذي يسيس قضايا الوطن العربي في المسرح تسييسا يتخذ منحى الإفصاح عن قول مالا يمكن قوله في السياسة السائدة وفي خطاباتها السائدة، وما بين الوظيفة الفنية والالتزام السياسي يكون التصوف علامات بارزة في بؤرة الصراع الذي يرصده المتن المسرحي الونوسي عندما يمتن العلاقة بالماضي والحاضر لاستشراف آفاق مشرعة على علاقات استفهام ميتافيزيقية تنطلق من مسرحه السياسي، وتطرح الأسئلة الوجودية حول الكائن والممكن، حول الموجود والمفقود في الذات وفي موضوع هذه الذات وزمانها وواقعها الذي هو الوطن العربي الذي كان فضاؤه الثابت في نصوص ونوس إما بغداد أو دمشق أو بيروت ... كحقائق تاريخية لتاريخ مازال مستمرا في احشاء الحاضر باشكال وبألوان وبأصوات وبرموز مختلفة. وهو مايجعل مسرح سعدالله ونوس شهادات مقلقة تنكس أعلام «الحقيقة» الكاذبة لترفع الخطاب الأدبي في المسرح جهرا لتعلن عن قلق الذات في تاريخه الذي عاشه وتركه مكتوبا في مسرحياته ..

الهوامش

- انظر كتيب العمل الاحتفالي الذي قدمه الفنان السوري أحمد معلا بعنوان «تحية إلى سعد الله ونوس، حوار مع المسرحي الكبير الراحل. أجرته ماري إلياس.
عن القدس العربي. السنة التاسعة. عدد 2495 - 17/18 ماي 1997.
- 2 - «استلهام التراث ليس شرطا لميلاد مسرح أصيل».
حوار أجرته: ناهد عز العرب. مجلة المسرح، العدد الثاني عشر نونبر 1989 ص: 14
- 3 - المرجع نفسه. ص 14.
- 4 - المرجع نفسه ص. 14.
- 5 - مقابلة مع سعد الله ونوس. أجرى الحوار فؤاد دوارة. مجلة الهلال القاهرية. أبريل 1977.

الترجمة في الملاحق الثقافية

تابع .... ص 2

وترجم المصطفى اجماهري عنوان رواية أمبرتو ايكو الأخيرة L'île du jour d'avant كذا «جزيرة اليوم الذي قبل» (7). ولاشك أن العربية لاتتسع لمثل هذا التعبير، وأنه مستنسخ من اللغة الفرنسية بالتمام والكمال. ولو كلف اجماهري نفسه أن يعود إلى أي معجم «من المعاجم الفرنسية - العربية التي يتيسر له، وبحث في معنى كلمة avant لعرف أنها تعني، في صيغتها المستعملة في عنوان تلك الرواية، «الأمس»، وعليه تكون الترجمة الصحيحة لذلك العنوان هي «جزيرة الأمس» هكذا بكل بساطة.

وجاء في الفقرة الأولى من ترجمة عزيز الحاكم مقالا عن بورخيس:

«لما توفي بورخيس في الرابعة عشر من يونيه، كتبت عنه بحوث ودراسات كافية لملء مكتبة هائلة عن آخرها، وكان المجد قد نسي اسمه الشخصي وحول اسم الشهرة إلى نعت شائع. وهذا عربون خلود، غير أنه يستوجب دوما نوعا من الحصر: فوصف عمله الأدبي بأنه «بروسي» يؤدي في معظم الأحيان إلى استحضار سارد ما يتفسخ في ذاكرته، ونعت متاهاته بأنها «كافكائية» أمر يدعو إلى اجراء بحث محفوف بالعوائق المتلاحقة، ولايفضي إلى نتيجة. التعليق:

يقع الحاكم في نفس ماوقع فيه الخطيب، فأول خطإ في مقطعه تشخيصه المجد، فهو عنده قد «نسي» اسم الكاتب الشخصي، والمعنى المراد أن الناس أصبحوا يجهلون اسم الكاتب الشخصي من طول ما اشتهر به الكاتب باسمه العائلي. وجاء بفعل «استحضر» والمراد «تصور». فالاستحضار من أفعال المنجمين. والمعنى المراد من العبارة الثالثة أن البحث في مؤلفات بورخيس محفوف بالمخاطر. فإذا المترجم يدعونا إلى اجراء بحث يكون محفوفا بالمخاطر، أي أن البحث في مؤلفات بورخيس محفوف بالمخاطر. فإذا المترجم يدعونا إلى اجراء بحث يكون محفوفا بالمخاطر، أي أن البحث الذي علينا أن نقوم به ينبغي أن يكون بالضرورة، محفوفا بالمخاطر، لا نطمح منه إلى الخلوص إلى أية نتيجة!

هذا بعض ما يمكن الخروج به من تفحصنا في بعض المواضع من هذه الترجمة. أما في غير الألفاظ فيمكن أن نقف عند الجملة الأولى من هذه الفقرة. هل يصح أن نقول إن مكتبة كاملة قد كتبت عن بورخيس «لما توفي في شهر يونيه» هل كتبت في يوم، أو في شهر؟! ونحن نعلم أن المراد من العبارة الأصلية - التي لانملك نصها، لكن نهتدي إليها من السياق - أن بورخيس كان، منذ وفاته، «في شهر يونيه»، وما يزال، موضوعا للكثير من الكتب، التي لوجمعت لملأت خزانة عن كاملها. والحال أن عبارة «لما» يراد بها المصاحبة للوفاة، لايحتاج فيه إلى مرور وقت طويل كتآليف الكتب. فهذا الأمر تال لهذه الوفاة. ولذلك يكون الصواب أن نقول «منذ أن توفي بورخيس والكتابات عنه لم ينقطع تأليفها، بحيث لو جمع ماكتب عنه لملأ رفوف خزانة عن كاملها»، أو سوى ذلك مما يترجم البعدية، وربما، كذلك، الاستمرارية.

وجاء في الفقرة الأولى من ترجمة محمد أيت العميم حوارا مع جوليا كريستيفا (9): «سؤال: لقد جئت من بلغاريا في الستينات، واندمجت في الوسط الثقافي الأكثر تمثيلا لتلك المرحلة. كيف تم ذلك؟ جواب: «أن ذلك يشبه قصة «أولكا» كما أحكيها في روايتي الساموراي. لقد انهيت دراستي حول الأدب الفرنسي وشرعت في تحضير أطروحة حول الرواية الجديدة. لقد قلت أني في فرنسا بفضل الجنرال دوكول الذي كان يحلم «بأوروبا من الأطلنتيك إلى بحر الأورال»... ثم أرسلوني إلى باريز... أن هناك استعجالا بالنسبة للحكم الشيوعي البلغاري».

تعليق:

أول ما يطالع قارئ هذه الفقرة - والحوار برمته، من بعدها، هو خلوها من أي رابط يلحم بين الجمل، وأن ذلك لينعكس حتى في مستوى علامات التنقيط والأمر الثاني، وهو لغوي كذلك، لكنه يتسع ليشمل المعنى العام لهذه الفقرة، أن المترجم يخطئ في ايراد صيغ الأفعال المرادة. فكريستيفا تتحدث في الماضي البعيد، لكن المترجم يجعلها تتحدث في الماضي القريب.

فعبارة «لقد انهيت دراستي» صوابها «كنت قد انهيت دراستي»، و «لقد قلت» صوابها «سبق لي أن قلت». طالما أن هذه العبارة جاءت في بداية الحوار أي أنها لم تقل، قبلئذ، في موضع منه. والأمر الذي نقول يصبح أكثر وضوحا في الجملة الأخيرة «أن هناك استعجالا»، وصوابها «لقد كان هناك استعجال»، ونحن نصوب هذه العبارة كما جاءت في الترجمة، رغم أنها جملة ركيكة، لأنها مستنسخة من الفرنسية. وربما صوبناها بقولنا: «كان الشيوعيون يريدون التعجل بسفري». من وجوه الاخلال بالمعنى في هذه الفقرة أن المترجم يجعل دراسة الكاتبة حول الأدب الفرنسي، لاغير. والحال أن المقصود الدراسة الجامعية، وهذه لاتكون إلا في صميم هذا الأدب.

لقد آثرنا أن نقتصر، من الفئات المترجمة في الملاحق الثقافية (العلم الثقافي منها تخصيصا) على أربعة أسماء، واحد (الخطيب) من فئة المترجمين المتخصصين، واثنين (صوف واجماهيري) عن فئة المبدعين المترجمين، والثان (الحاكم وأيت العميم) عن فئة الشباب المترجم. ولم نشأ من هذا الذي قدمنا في هذا المقال أن ننتقص من مجهودات المترجمين الذين عرضنا لفقرات من ترجماتهم. لولا أن ما لمسناه من هذه الهنات، وأحيانا، من الأخطاء القاتلة، من استسهال هؤلاء المترجمين أمر الترجمة. فمما يؤسف له أن نرى السواد الأعظم من هؤلاء المترجمين، يستوون بفئاتهم الثلاث، يعتقدون أن ترجمة نص من النصوص تكون بالاتيان لكل كلمة بمرادفتها المعجمية الجافة في اللغة العربية، دون تقص للمراد قوله. أن الترجمة فن وعلم قائما الذات، وهي تقتضي ممن يزاولونها أن يركب إليها نفس مايركب الشاعر للقصيدة والقاص للقصة من طقوس. ولو شئنا أن نقف على مثل ماوقفنا عليه في ترجمات هؤلاء المترجمين من الهنات لاحتجنا، في ذلك، إلى كتاب كامل.

ولكن اذا كانت العادة في النقد أن نذكر فيه السلبيات دون الإيجابيات، فإن ذلك لايمنعنا من التنويه بالترجمات التي يواظب الشاعر محمد عزيز الحصيني على نشرها على صفحات الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي. فهي ترجمات ناجحة، يحرص فيها الحصيني على الوفاء للبناء الجملي العربي، دون أن يضيع المعنى، أو يتكلف في ايراده ما يقيده بشكليات اللغة الفرنسية.

هوامش:

(1) انظر مقاليهما المترجمين المنشورين في الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد 36 السنة 1984، بمناسبة وفاة ميشيل فوكو. ولانكاد نجد لهما بعد ذلك ترجمات في الملاحق الثقافية. ولعل هذا يوحي بأنهما يكاشان للترجمة في أوقات معلومة من المشرفين على الملاحق الثقافية.

(2) نشر محمد عزيز الحصيني سلسلة حوارات مترجمة مع الكتاب الفرنسيين، أسبوعيا، في الملحق الثقافي للاتحاد الاشتراكي بين عام 1996 - 1997. ولانجد له، قبلئذ، ترجمات منشورة في الملاحق الثقافية أو في غيرها.

(3) هذه القصص هي «أبراج نوتردام»، العلم الثقافي عدد 29 يونيو 1996 و«تلك الأرض التي تبرعت علينا بها الحكومة»، العلم الثقافي عدد 19 اكتوبر 1996، و «توسكو الجزار»، العلم الثقافي عدد 23 نونبر 1996.

(4) المصطفى اجماهري، ترجمة حوار مع أمبرتو ايكو، العلم الثقافي عدد 6 أبريل 1996، ص. 12 وترجمة حوار مع نادين غورديمر، في نفس الملحق عدد 6 يوليوز 1996.

(5) ابراهيم الخطيب، العلم الثقافي عدد 12 اكتوبر 1996، ص. 12.

(6) محمد صوف، ترجمة قصة «الأرض التي تبرعت علينا بها الحكومة»، ملحق العلم الثقافي عدد 19 اكتوبر 1996.

(7) المصطفى اجماهيري، ترجمة «حوار مع أمبرتو ايكو»، العلم الثقافي عدد 12 اكتوبر 1996، ص. 12.

(8) عزيز الحاكم، ترجمة مقال «وردة أدونيس»، العلم الثقافي عدد 14 شتنبر 1996 ص. 12.

Scanné avec CamScanner

الأكاديمي والجامعي

8

يسهر على إنجاز الدورية

محمد الولي - أبركان عيسى - باهي عبد السلام

- بولعيش محمد - بوشفاتي ميمون - ناجي مصطفى

الحضري محمد - الطالبي عبد المالك - حسمي مصطفى

عنوان المراسلة

14، زنقة تيرف، رقم 6 - الدار البيضاء 01

أو

ص.ب. : 15865 - البريد الرئيسي - الدار البيضاء

المدير المسؤول: الطالبي أحمد | ملف الصحافة 33 ص 87 | - رقم الإيداع القانوني 43/ 87 | - الترقيم الدولي ISSN 0851-4534 | الثمن 3 دراهم

مكناس ـ اللقاء المسرحي الوطني الرابع

ملف شامل حول اللقاء المسرحي الوطني الرابع لمدينة مكناس .
إنجاز: محمد أمنصور/ محمد عياش

1 ـ تنسيقا بين جمعية رواد الخشبة والجماعة الحضرية لمدينة مكناس، تم تنظيم اللقاء المسرحي الوطني الرابع من 23 إلى 31 دجنبر 1988، تحت شعار (نحو تجريب مسرحي يؤسس الفعل). وقد شمل البرنامج العام للقاء بالإضافة إلى العروض المسرحية جلسات تطبيقية وندوات عملت على فتح حوار بين حقلين جماليين: المسرح والرواية.

2 ـ العروض المسرحية:

● القبلة: عرض جسدي، قدمه عبد الخالق بلفقيه.

● مخلوق تحت المجهر: عرض جسدي للفنان (خميس) وهو بالترميم يسعى فيه الجسد كفضاء إلى خلق صور مادية تساوي أو تتجاوز الكلمات. إذ ينطرح ضمنه المخلوق البشري الذي يتراءى من بعيد، تحت مجهر السؤال القديم/ الجديد (أحيوان هو أم إنسان)؟ إنه بحث في مسيرة التطور البشري من الطبيعة إلى المدينة. رصدٌ للمرحلة المأساوية المعقدة، وسط الكرنفالات الجماعية ومدُن الضوضاء، التي ترغمُ الناس على أكل التفاح ذي البُعد الواحد. لقد انطرح الإنسان في عريه، وسط دوامة الخوف كرمز للحقيقة والحبُّ والخير في عصر الحروب النووية والدمار. لذلك تمظهرت جغرافيا الجسد وفضاؤه ككُل يتداخل فيها الزماني بالمكاني بالبشري. لقد وجه الفنان خميس في عرضه الميمي المتميز (رغم الأعطاب التقنية) دعوة للتمرد على حيوانية الإنسان، تنفتح على السلام والتآخي المرموز إليهما بشجرة الزيتون.

● ألف لعبة وحكاية/ جمعية رواد الخشبة ـ مكناس
تأليف: فرحان بلبُل/ إخراج: عزيز الفقاعي

في إطار المناقشات الصباحية، ركز الجمهور على: سوء تأطير الحقل المرئي (البعد المنظوري في الشارات ـ خيال الظل ـ) مما أدى إلى إخراج مشاهد متوازية تحكمها فوضى الإنارة وغياب التركيز/ التوظيف الإعتباطي «للفضاء المكاني»/ أحادية التقييم الركحي/ ضعف التدريب ـ الأداء ـ المراقبة مما أفرغ اللعب والحكي من المسرحة/ الإخراج التنفيذي للنص، باستثناء البداية/ هيمنة فكرة السلطة وتسلط السلطة على مسيرة الجمعية، وإعادة إنتاج طرحها كما طرحت في الستينات/ الإغتراب في نسق لغة كلاسيكية جامدة/ محايثة خطاب لا شعوري لكل عروض الجمعية، يغازل ويستهدف مكبوت الجمهور/ والاجترار في تجارب الجمعية (حنظلم بطاقتا الشفية على سيف ـ ألف لعبة وحكاية)/ اختزال الكتابة السابقة إلى كتابة أسطورية فجة/ النزول إلى الجمهور دون استيعاب الخشبة.

● الأبقار تطير/ جمعية المسرح البلدي ـ وجدة
تأليف ـ إخراج ـ أداء: يحيى العزاوي

يندرج العرض المسرحي ضمن ممارسة المسرح الفردي/ حضورها حس تأصيلي انطلاقا من الحفر في مستويات معينة من التراث الشعبي (الكناوي) ولكنه حفر مكبل بقواعد نظرية جاهزة (المسرح الثالث)/ تعويض بعض مشترطات العملية المسرحية بملء الخشبة بديكور غير وظيفي (العمارة) التي وضعت في أعلى وسط الخشبة، دون أن تخدم المنظور La perspective / تجميد حركية العين والأذن والتركيز على اللعب في مستوى عنصرُ اللغة واشتقاقاتها مما كرس سكونية حركة ـ الجهد.

● مهرجان الهبايل/ جمعية المسرح الضاحك ـ فاس
تأليف: محمد مسكين/ إخراج الجمعية.

عدم استيعاب أو مجادلة الإخراج للوعي النظري المؤسس لكتابة محمد مسكين (استراتيجية مسرح النفي والشهادة) بأي شكل من الأشكال إذ تم طرح رموز ـ شخصيات (ألف ليلة وليلة) من منظور سائد وجاهز، غير نقدي، يكبل متخيل التراث ويخلط بين «الإشارة الرخيصة» وعكنات «الإيروتيكية» بل يسقط في «التهريج المجاني» المطاوع لهيمنة النص والطابع التفسيري بحيث يغيب الإنسجام بين التنقل والحركة فلا تتم مسرحة اللعب والحكي، وبدل أن يجادل الحكي اللعب من أجل الشهادة، يجادل اللعب الشهادة، من أجل «الحكي»!

(الإنارة/ الإيقاع/ الملابس. . .) والتعامل الذكي للإخراج مع المستويات الفضائية (استثمار عمودية الفضاء في شكل «منصة» مرتفعة) دون التفريط في المستوى الأفقي، مما هيأ للعرض الارتقاء إلى مستوى المسرح التركيبي Synthétique / تقاطع العرض مع (ليلة بيضاء) على مستوى الموضوعات (هيمنة تيمة تمزق الذات وبحثها عن الخلاص)/ إخضاع عناصر الإرباك لعملية ممنطقة معينة ذات تشويشات بنيوية لها مقصديات محددة/ تحقيق شعرية سينوغرافية + وحدة عضوية كاملة، رغم الخطية والرتابة التي صاحبت بدايات العرض، الذي لم تلبث كثافته الدرامية أن تصعدت عبر ممكنات لعبوية فجرت تيمود رغم صعوبته.

والبساطة والشعبية والتجريبية ممكنات لمحاورة الوجدان الشعبي والرأي الشعبي الذكي. ورغم توظيف المسرحية لتقنية (المسرح داخل المسرح) فإنها لم تجتز النموذج الغربي الجاهز لهذا المسرح، بل نحت منحى «الاستطراد» و«الاستخراج» مما أخصب توالد دوائر المتن الحكائي. أما الديكور فاشتغلت تصاميمه الهندسية أفقيا وعموديا/ الحفر في الذاكرة الوطنية ونقد الواقع في أبعاده الاجتماعية والأخلاقية والعمل على تحويل زمن الانتظار (بالضحك النبيل) إلى زمن للمواجهة والتمرد. فالفراغ والألم والغياب تتحول لتصير حضوراً وتكثيفا بل وتحريضا.

● عصفورة الجنة/ فرقة المسرح الشاب ـ نابل (تونس)
تأليف: فوزي بن حفصة/ إخراج: فتحي اللبان

الوصفة الجاهزة التي تقدمها الورقة التقنية للمسرحية (الواقعية الرمزية) وتطابق الفرجة مع الخط «الواقعي التسجيلي» أكدا تخلف المستوى الفني للعرض عما قدم في إطار اللقاء من نماذج تعكس بعض أوجه المسرح الهاوي بالمغرب. وقد تم نعتها من طرف أحد المتدخلين بـ«الواقعية الساذجة» التي يتوارى فيها فعلُ المسرحة، مع هيمنة تيمات معينة (سلطة الأب والعائلة في تونس + هامشية الفنان/ المثقف وانتحاره (ثورة الحمير السلبية)). على أن اعتبار الفرقة للممثل كمحور أساسي في تجربتها، قد تأكد عبر قدرات (الفنان بديع) وإن كانت المبالغة في الأداء قد جعلت التمثيل ـ أحياناً يكون من أجل التمثيل. أما المنفَّذ المصري فقد أرهقته تغييرة الديكور من طاقاته ليتم تعويض ذلك بعنف وسرعة التشخيص.

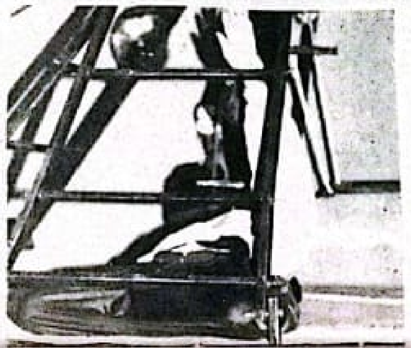

رحلة السيد عيشور/ جمعية أنوار سوس ـ أكادير
تأليف: مسكيني الصغير/ إخراج: عبدالقادر اعبابو

انطلاق العرض من الأسطورة كمبدأ تنظيمي، وتفجير الإخراج للنص، دفع العرض إلى التمرد على استراتيجية المسرح الجدلي ـ الثالث، الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في مسلمات/ فرضيات «النظرية» المرافقة لتجربة الإخراج/ الإلتزام الإيديولوجي من داخل الشكل الفني/ الاستيعاب الجيِّد للخشبة/ وشم العرض أبادي/ ذاكرة الجمهور بالحناء في أبعادها الميثولوجية، الحبل بإيحاءات كربلائية، إذ عانق الجرح «العيشوري/ العاشورائي» جراحات الواقع المأساوي/ تعدد أحكيات وقضايا العرض (البُعد الوطني ـ نقد الساحة)، (البُعد الاجتماعي ـ رصد واقع الفلاح في صراعاته المصيرية)، (البعد السياسي ـ نقد الحملات الانتخابية)، (البُعد الطبقي ـ صراعات العمال في المدن الرأسمالية)، (البُعد القومي ـ القضية الفلسطينية)، (البُعد العالمي ـ إفريقيا. . . إلخ)/ عمل العرض على بلورة نواة «ميثولوجيا عربية» انطلاقا من محاورة حمولات إيحائية لأساطير متعددة (سيزيف/ بروميثيوس/ أدونيس). . .

● ماض اسمه المستقبل/ جمعية اللواء البيضاوية
تأليف: محمد تيمود/ إخراج: بوسرحان الزيتوني

ارتقاء العرض إلى مستوى المسرح الشامل Total، إذ استثمر واستهدف البصري والمنطوق والسمعي، فركز على مخاطبة «الحس/ الحواس» وليس «العقل» فقط، انطلاقا من تشكيل لوحات تتوفر على أسلبة راقية تعتمد من بين ما تعتمد، الإستعاضة substitution ها بالجسد كأداة للكتابة الدرامية (الرقص باعتباره ذروة الحركة والفعل)/ تعاضد أنساق الفرجة

● رحلة حنظلة/ جمعية الستار الذهبي ـ طنجة
تأليف: سعد الله ونوس/ إخراج: الجمعية.

العلاقة، الواعية أو غير الواعية، للعرض بتوماس لاند (توظيف الحبال في الديكور)/ خلق جمالية فضائية ترتكز على البساطة الممتعة اعتماداً على تشكيل امتدادات حبالية تصل فضاء المنصة بفضاء الصالة/ عدم مسرحة اللغة/ تبني العرض لاستراتيجية في الضحك، تسمو بالفرجة إلى مستوى السخرية والنقد البناء، للواقع ارتكازاً على طرح إيديولوجي غير مهادن للإيدولوجيا الرسمية.

● لكع بنُ لكع/ نادي خشبة الحي ـ مراكش
تأليف: إميل حبيبي/ إخراج: الجمعية

خلق مسرحة théatralité فعلية/ تميز العرض بالطابع الحدثي Evénementiel خاصة وأنه يبدأ من القاعة ليتواصل عبر الخشبة في مراوحة تردم الحاجز بينهما/ تعنيف الإخراج لتخيل النص باعتماد الغناء/ الرقص الجماعي/ الإنارة الموحية/ دقة الأداء. . .) وجمالية الديكور (صندوق العجب + ملابس المهرج + الماكياج) بالإضافة إلى (تعدد الرواة) وطبيعة العلاقة التي يربطونها بالجمهور الذي يصيرُ جزءاً من المسرحية خاصة وأن البعد الجماعي كان مهيمنة محورية في استراتيجية الإخراج.

● الانتظار/ جمعية كوميديا للمسرح ـ مراكش
عن الهلاليت لمحمود دياب/ إخراج: ع. اللطيف فردوس

تبسيط مفهوم الفُرجة وتشعيبها (اللهجة + التمثيل الشعبي) مما حرّر المسرحة من الطابع الغربي ذي النزعة «التجريبية المستلبة». الأمرُ الذي يجعل من العرض نواة لصيغة/ قالب مسرح مغربي شعبي نقدي وساخر، يتخذ من التلقائية والعفوية

الجلسات التطبيقية:

● الجلسة التطبيقية الأولى: الأستاذ اللطيف الشهبان (مدخل إلى تجليات المهارسة في الرواية المسرحة)

تحدث المحاضر عن مصدر أرقي لنوع الكتابة في (لكع بنُ لكع) وشكل ممارستها للسرد والعرض الروائي Narration et contingence والركحي، متداخلين، كتجل واحد لممارسة أدبية فنية واحدة، كما تروى وكما يتفرج عليها (. . .) إنها كتابة جديدة تقع بأجزائها ومجموعها على تخوم كل أنواع الكتابات وتتحول فيها هذه الأنواع إلى واحدة: خيال خاص. . فهي ترجع إلى النظام المخيالي الشرقي، الذي لم يكُن في تاريخه قط، لا دراميا ولا روائيا ولا حتى أسطوريا خصبا بالمعنى المخيالي السائد على مستوى أشكال الخطاب السردي الأدبية، وعلى مستويات الحكي كُلها (. . .) إن النظام المخيالي العربي ـ الشرقي، مفتوح لا يستنفد مدركاته بل يكررها (. . .) وبعد استعراض مجموعة من التجليات الروائية في مسرحية (لكع بن لكع)، انتهى المحاضر إلى التأكيد عن دقة كتابتها الدرامية التي جعلت منها مسرحية ـ روائية أو مسرحية بتقنيات روائية.

● الجلسة التطبيقية الثانية: الأستاذ محمد الكغاط (قراءة مسرحية للعبة النسيان)

ينطلق الأستاذ الكغاط من فكرة أن ما قدمه برادة في روايته، ليس قابلا لأن يتحول بأكمله إلى مسرح أو سينما وقد أخذ «مشاريع بدايات الرواية» المعتمدة على الوصف والمونولوج، نموذجا لذلك. ولاحظ أن استعمال «الإضاءة» و«التعتيم» غير وظيفي في هذا السياق، إضافة إلى أن الديكور الذي يتخللها وصفي كما يذكر بالمسرح الكلاسيكي. إن لعبة النسيان من أولها إلى آخرها لا تكاد تغادر مكان

Scanné avec CamScanner

الأحداث. أما السرد، فيقدم نوعاً من «الفلاش باك» (يقتضي الاستعانة بالسينما لأن المسرح لن يسعفه بالشيء الكثير). وبعد أن وشرّح عناصر من «جمعية هواة المسرح الوطني (فاس)» مجموعة من «المشاهد الروائية»، خلص المحاضر إلى الاستنتاجات التالية:

1 ـ الحوار في الرواية وضع لكي تُلقيه الشخصية كما أراد لها الكاتب.

2 ـ التقاء لعبة النسيان بالمسرح في مسألة اللغة (لاحظ عدم اشتغالها على حوار يمكن أن يكون مسرحيا.

3 ـ إكثار الرواية من المونولوج.

4 ـ الرواية مادة غير مُطاوعة للمسرحة، إلا إذا تم الاكتفاء بفكرتها فقط.

5 ـ هناك علاقة بين الرواية والمسرح الملحمي والمسرح التسجيلي.

6 ـ الأماكن الواقعية في الرواية لا تسمح بتحويلها إلى ديكور جمالي.

7 ـ وتكون لُعبة النسيان نموذجا ومتطوراً، على المستوى الروائي إلا أنها لا تقدم سوى مادة فقيرة للإخراج المسرحي.

● الجلسة التطبيقية الثالثة: الأستاذ محمد سكري: (المشكلات التي تطرحها مسرحة رواية ليلة القدر):

اقترح سكري مشروعاً لمسرحة رواية (ليلة القدر) للطاهر بن جلون، فركز على بنيتي السرد والفضاء. إذ ميز داخل بنية السرد، بين البنية السطحية والبنية العميقة. فتحدث عن الشخصيات الكثيرة العدد في انشدادها إلى تجربة الفقدان، وانتقل إلى عملية تقطيع النص الروائي، إلى مشاهد مستعينا بتقنيات السينما (اقتراح إمكانيات مسرحة الصورة/الاختزال في المشاهد/اللقطة الكبيرة). بعد ذلك ركز على المسوغات التي اعتبرها مظهراً لشعرية الكلام لا الصراع. كما المقدمة، فهي المرحلة التي انتقل معها سكري، إلى البنية العميقة لمقاربة تسلسل الحوافز. وقد لخص للمسرحية في «جملة صغيرة» كحكاية تعلم وإثبات بقوة إلى الفقدان في إطار مأساوي. وبخصوص مستوى بنية الفضاء، فقد تحدث عنه كصورة للمستويات النفسية والروحية، وهو يُشبه البنية الداخلية للنص، في شكلها الهندسي Géo-métrie) دون أن يكون هذا الفضاء مضاعفة للنص، خاصة عندما يكونُ (أي الفضاء) موجها إلى نظرة المتفرج. وأخيراً خلص إلى أن هذه الإشارات، إنما هي تصور شخصي لمسرحة ممكنة لرواية (ليلة القدر)، انطلاقاً من أن ليس هناك وصفة جاهزة لهذا النوع من المسرحة.

● الجلسة التطبيقية الرابعة: الأستاذ عزيز الفاضي (الانتقال من فضاء الحقل السردي إلى فضاء المسرحة)

بالنسبة لعزيز يفترض تناول الفضاء بالمفهوم «الكرونطوبي» اعتماد جملة من الإواليات القادرة على التحول من المستوى الملفوظ، إلى المستوى الفزيقي/الركحي، من خلال المتن الذي يقترحه الحقل السردي. من هنا تناول قصة (جذع هيئة) لعبدالرحيم المؤدن كزاوية أولى في المتن المقترح. ثم نص مسكيني الصغير (هيئة والغول)، ونص العرض المسرحي المنجز (!) على أن الفاضي أكد بأن تفاعيه غير مؤطرة تأطيراً منهجيا دقيقا، فضلا عن كون الجلسة تطبيقية حيث يفترض انفتاح مجال تحويل عيان/ومقارب لفضاءات، يمنحها النص. إذ المكان كإطار، والزمن كنسق، يجعلان تناول الفضاء السردي، أمراً مستعصيا عن المحاكاة في الانزياحات التي تفوق درجة الصفر (!!).

4 ـ الندوات

(محور جينيالوجيا الخطاب المسرحي ـ الروائي)

● الندوة الأولى: الأستاذ رشيد أوترحوت

(مشروع قراءة في تاريخ العلاقة بين الرواية والمسرح)

حاولت المداخلة من خلال تركيزها على عنصري التاريخ والبنية اقتراح مداخل ممكنة لمقاربة التعالق الممكن أو المفترض على الأقل، بين الرواية والمسرح. وقد تم التركيز في هذا السياق على القضايا الآتية:

1 ـ الحديث عن الرواية والمسرح كحقلين جماليين، هو أساساً وفي العمق، حديث «أجناسي» ينخرط في الأسئلة التي تطرحها النظريات (الشعريات) التجنيسية بشكل عام.

2 ـ محاولة امتلاك الصمت الأرسطي الذي أنطقته الشعريات الرومانسية ومقاربة هذا الصمت باعتباره المعادل الحقيقي للشعرية الأرسطية، التي ليست ـ وثوقيا ـ شعرية تجنيسية بشكل واضح.

3 ـ محاولة تبيين المزالق النظرية والمنهاجية التي سقطت فيها مجموعة من القراءات المنجزة حول أرسطو والخروج بالاستنتاجين الآتيين:

أ) إن أرسطو يبتعد عنا بقدر ما يقترب فهناك أحياز تساؤلية يجب استثمارها في إضاءة الحوار بين الرواية والمسرح، انطلاقاً من فن الشعر.

ب) الشعرية الأرسطية لم تكن أجناسية بقدرما كانت شعرية تهتم ليس بالجنس كمغلق ولكن بالصيغة كوظيفة تلفظية إخبارية.

4 ـ إثارة مجموعة من الإشكالات المؤثرة لطمأنينة الجنس الأدبي وصيغه الجاهزة وتقديم مجموعة من الأطر النظرية التي أعادت صياغة النظرية الأجناسية، الى قراءة جيرار جنيت، واقتراحات جان ماري شايفر وكارل فيتور وشولز وغيرهم.

5 ـ الاستنتاج بأن الحديث عن حوار الرواية والمسرح، أو بين صيغتي الحكي والفعل الدرامي، هو حديث يمتلك ذاكرة تاريخية تطرح الكثير من الأسئلة التي غيبت تحت شروط غير إبستمولوجية.

الندوة الثانية: (محور خصوصيات الانتقال من الفضاء الروائي إلى الفضاء المسرحي)

العرض الأول: الأستاذ عز الدين بونيت

لم تعرضت المداخلة لثلاثة محاور:

أ ـ بسط نظري توخى تحديد مفهوم بديل لمفهوم النوع الذي أضحى التفكير فيه الآن، ضربٌ من إنتاج خطابي ميتافيزيقي. هذا المفهوم هو مفهوم النص، الذي يقتضي مقاربة نظرية مخالفة، ومن هذا المنظور، يصبح الحديث في علاقة الرواية بالمسرح، حديثا في صيغ التناص.

ب ـ مقاربة لنموذجين نصيين:

1) مقطع روائي يستقطب مشهداً مسرحيا وذلك في أفق تحديد الصيغ النصية لهذا الاستقطاب.

2) مقطع مسرحي تحل في أفق تحديد الخصائص التداولية لهذا المقطع، دون إغفال البنى النصية التي تجعله مسرحيا.

ج ـ خلاصات ناتجة عن البسط التنظيري والمقاربة التحليلية وقف فيها بونيت على الاختلافات التداولية بين النموذجين النصيين.

العرض الثاني: للأستاذ محمد سُكري:

(بعض مشكلات اقتباس الرواية إلى المسرح)

ب) الاقتباس قد يكونُ تقليداً حرفيا إذا بقي مجرد تحويل وترجمة معطاة، في حين يتحول إلى عملية إبداعية، عندما يتجاوز المفهوم الكلاسيكي للاقتباس إذ تصاحبه عملية «الدراماتورجيا» لأنَّ عملية الاقتباس سيرورة إنتاجية معقدة تبدأ من: إعداد النص إلى العمل الدراماتورجي، إلى الإخراج. وقد أشار أثناء العرض، إلى بعض التقنيات العامة للاقتباس كـ(إعادة تنظيم السرد الروائي/إعادة عملية التقطيع (الفصول/اللوحات)/ اختزال عدد الشخصيات/ التركيز الدرامي/ التوليف/ التضمين/ الكولاج...) وقد أكد في عرضه هذا على ضرورة اهتمام الممارس المسرحي بالممارسة الروائية، علماً بأنَّ الدراماتورجيا أو الاقتباس كعمل دراماتورجي (بالمفهوم الألماني) غير موجود في الحقل المسرحي المغربي(!).

الندوة الثالثة: (الحالات الملتبسة في الرواية المسرحة)

ضمن هذا المحور التقت ثلاثة عروض نظرية لكل من (ع. اللطيف الشهبون/سالم كويندي/عبد الباسط لكراري). ومن بين ما ورد في عرض الأستاذ (سالم كويندي): التجلي وعلاقته بالنص المسرحي/تحديد الرواية باعتبارها تشكل/المسرحة تحيل الى ثلاثة مفاهيم:

1 ـ (Dramatisation = التمسرح).

2 ـ (Théâtralisation = المسرحة).

3 ـ (Théâtralité = المسرحانية).

فأيها مقصودة بالـ«مسرحة»؟ إنها La théâtralisation. وقد وقف بعد ذلك عند كلمة «اقتباس» فحدد أنواعها: (اقتباس مقنن تسير فيه بخطوات تتحكم فيها بنية النص الإبداعي/اقتباس حرفي = مغربة/اقتباس حر = التزام بما هو جوهري... إلخ.

شهادات الجمعيات على هامش الملتقى

1 ـ جمعية اللواء البيضاوية: نحيي جميعا رواد الخشبة وهي تشعل الشمعة الرابعة للقاء الوطني للمسرح بمكناس. ونحيي الجمهور المكناسي الذي احتضننا بكل حب. وإذا كان لابد لجمعيتنا من أن تبدي رأيها في الملتقى الرابع، فإننا بكل صراحة والأمل في مستقبل أفضل، نسجل أن هذه الدورة، شكلت تراجعاً على مستويات عديدة، وكرست سلبيات كنا نبهنا لبعضها وآثارها غيرنا. لابد من مراجعة الذات إذا كنا فعلا نريدُ أن نصنع تاريخنا لا يغتال ولا يزور ولا يصادر على المطلوب، ولا بُد أيضاً من أن نكون منطلقين مع قناعتنا المعبر عنها في أن أس اللقاء، عمقه، ومظهره، وركائزه وحيطانه، هم الممارسون. وإن الحفاظ عليهم وإتاحة الظروف المناسبة ليتحركوا هو أجدى من اعتبارهم أقل قيمة من بعض المحشورين في التأطير، الذين لا علاقة لهم بالمسرح، إلا باعتباره موضوعاً للاستهلاك الثقافي. لقد غاب الحوار ليحضر الاستهلاك. غُيِّب الشعار، ليختفي التأسيس لفعل ممكن في تماس قاتل للإبداع. فأي رهان يمكن رسمه للمستقبل في حاضر موبوء بالمصلحية الضيقة والمتفعية الشوفينية.

هناك أيضاً غياب الظروف الملائمة لإنتاج التفاعل والحوار: الإيواء مليء لإراحة المستريح وإتعاب المتعب، التغذية ناقصة، البرنامج مكثف (مثلا عرضان في يوم واحد). عروض نظرية لم تتوفر لها شروط التفاعل المثمر.. إضافة إلى إعادة إنتاج الجهل بالذات والتقوقع في الإقليمية الضيقة. فشكراً للجمهور ـ المتفرج ـ القارئ... سنظل نصغي إليك ونتعلم لنتعلم أن المستقبل لن يكون ماضيا.

2 ـ جمعية هواة المسرح الوطني (فاس): لقد اتسعت دائرة اللقاء على مستوى المُشاركة، فقد عرف اللقاء المسرحي الرابع: عشر مشاركات من مختلف المدن المغربية، كما عرف مشاركة تونسية. ونرى في المستقبل الى توسيع دائرته أكثر ليُصبح لقاءاً عاليا. أمّا على مستوى العروض، فقد شاهدنا أعمالاً تسعى إلى التجريب على مستوى الكتابة الدرامية، وعلى مستوى الكتابة السينوغرافية. بل نستطيع أن نقول، إن بعض العروض استطاعت أن تصل إلى خلق علاقة تآلف بين النص والعرض. وهذا ما نسعى إليه الآن، أهم التجارب في خضم الحديث عن وجهي المسرح: النص/العرض.

3 ـ جمعية الستار الذهبي (طنجة):

1) العروض تميزت بتنوعها واختلافها وأثبتت أنَّ الساحة الوطنية تعرف اجتهادات وأبحاث في هذا المجال الإبداعي، رغم الركود/الأزمة المعلن عنها في الأوساط الرسمية، وبرهان لفشل سياسة هذه الأوساط.

2) المحور النظري: لم يكتسب مشروعيته داخل اللقاء المسرحي، ولم تصل أشغاله إلى ما كان يُتوخى منه، حيث يُمكن القول أنَّ الرواية «استفادت» ولم تستفد الممارسة المسرحية.

3) التنظيم: عرف عدة هفوات إلاَّ أنهُ يمكن تجاوزها قياساً بالإستفادة والإحتكاك، والتشاور حول قضايانا ومستجدات الساحة (شيء تحقق خلال هذا اللقاء).

4) الجمهور: رغم المناخ المضطرب الذي يسودُ قاعة العروض، نسجل انضباط الجمهور، من خلال تتبعه وتشجيعه للفرق المُشاركة أو مستوى نقاشاته. وعموماً إن مدينة مكناس، لها جمهور مسرحي متميز.

4) جمعية كوميديا للمسرح (مراكش):

1) ما قبل اللقاء: نرى في جمعية كوميديا ضرورة خلق لجنة خاصة بتتبع العروض المسرحية، في مختلف المناطق المغربية، قصد رفع اقتراحات إلى إدارة اللقاء، تكون كأرضية تعتمدها في اختيار العروض. ونرجو أن لا يُفهم من هذا الكلام فرض رقابة أو إخضاع العروض لاعتبارات مذهبية (فنية) أو إيديولوجية. بل فقط لضمان تنوع العروض حتى لا نسقط في الرتابة والتكرار اللذان يُفضيان إلى الجمود.

2 ـ التنظيم: نقترح أن لا يبقى التنظيم خلال انطلاق اللقاءات مقتصراً على الجهات المنظمة للملتقى بل نحبذ أن يشمل جميع الجمعيات المشاركة. وذلك حتى تتحمل الجمعيات مسؤولياتها في إنجاح الملتقيات وكذلك لتتاح لعناصر الجمعيات فرصة الاحتكاك والاستفادة في مجال التنظيم.

3) محاور العروض النظرية: حبذا لو فتح مجال لمناقشة واقع وآفاق العمل الجمعوي بالمغرب، مع التركيز على تجربة الجمعيات الفنية. هذا النقاش، ينطلق من أرضية تتقدم بها الجمعيات المشاركة في الملتقيات، حتى يتم الاطلاع ومناقشة تجربة كل جمعية، فيتم تبادل التجارب على مستويات أخرى لأنه في الحقيقة ـ وباستثناء حالات الاتصالات الخاصة بين الجمعيات وخارج برنامج الملتقيات) لا نعرف عن الجمعيات إلاَّ جانباً ضيقا، وهو المتمثل في العروض المسرحية. أمّا خطها الفكري، تجربتها على مستوى التسيير... إلخ فإنَّ ذلك يبقى خارج دائرة التواصل بين الجمعيات.

5 ـ جمعية مسرح البرعم (المحمدية):

إن عملية تقييم اللقاء المسرحي الوطني الرابع بمكناس، لهذه السنة تفرض علينا أسلوب الاختزال الذي ينصب أساسا وبشكل أحادي على العروض المسرحية / المقدمة. حيث نسجل المستوى الفني والجمالي والابداعي لبعض العروض المسرحية (رحلة السيد عيشور ـ أكادير، وماضي اسمه المستقبل ـ البيضاء ورحلة حنظلة ـ طنجة ـ الانتظار ـ مراكش) ونسجل كذلك الحضور المكثف للجمهور المكناسي الذي واكب هذه العروض، بشكل مستمر والذي أظهر تعطشه ورغبته الأكيدة في الاستفادة والتطلع لهذا الهم الانساني.

6 ـ جمعية المسرح البلدي (وجدة):

رغم الحصار الذي تعرفه الثقافة الملتزمة بصفة عامة والمسرح التقدمي خاصة، تبقى اللقاءات الوطنية نبراسا للأعمال المتنورة ومتنفسها بالرغم من العراقل والصعوبات المادية والمعنوية. ولا يخفى أن اللقاءات الوطنية الملتزمة تعرف صراعا ما بين الجهاز الرسمي المتمثل على الخصوص في الجامعة الوطنية لمسرح الهواة والجهات المنظمة لها وذلك يتضحُ جليا للمتتبع والمهتم بالحركة المسرحية على أنه يجب التفكير في استراتيجية تنسيقية مع الرأي العام المتمثل خصوصا في جمهور الطلبة والأساتذة والعمال... إلخ.

7 ـ جمعية أنوار سوس (أكادير):

(...) من حيث الكم نلاحظ بأن عدد العروض 15 ارتفع (...) من حيث الكيف يمكن أن نلاحظ تعدد واختلاف التجارب ولكن أيضا التفاوت وحتى بعض التناقض في الرؤى والمستويات الابداعية (...) إلا أن هناك قواسم مشتركة تتقاطع أو تتماس فيها أغلبية الأعمال، أهمها

تتمة ص 14

النهضة

الشاوية ورديغة

المدير المسؤول ورئيس التحرير : عبدالإله نجيم : العدد 79 - السنة السادسة - فاتح ابريل 1999 - ثمن النسخة : المغرب 3 دراهم
الإمارات : 3 دراهم - مصر : 75 ق - فرنسا : 5 فرنكات - بلجيكا : 70 BF -

من الارشيف الفلاحي للشاوية (سلة المغرب الزراعية) نبات الخروع الاحمر (العندمي) في سطات.

الاستاذ عبدالباسط لكراري ينفض الغبار على ارشيف الشاوية الفلاحي منذ اكثر من نصف قرن ويؤكد ان جريدة النهضة اصبحت مرجعا للباحثين الجامعين.

ج كورو - مهندس فلاحي
ترجمة ذ : عبدالباسط لكراري

الخروع بالفرنسية RICIN بالفرنسية، او CASTOR - OIL PLANT بالانجليزية، RICINUS باللاتينية، نبات ينمو في المناطق الرطبة ذات التربة الرملية المترعة، كان «يستغل في انتاج زيت لزج تصنع منه مادة لتشحيم المحركات ذات السرعة الكبيرة «محركات الطائرات»، كما كانت تشتق منه بعض الادوية وعقاقير التجميل، بالاضافة الى استعماله في دبغ الجلود، وقد فطن المعمرون الفرنسيون منذ بدايات الاستيطان في الشاوية الى حيوية المجال الساحلي من حيث تشجيع وتيرة انتاج نبات الخروع وفقا لمجموعة من الضوابط البيئية والزراعية . فالخواص الكيميائية والمعدنية لتربة «الحرش» الغنية بالدبال، والمعروفة بامتصاصها لمياه الامطار وتخزينها مدة اطول مما يحافظ على خصوبتها ورطوبتها . عوامل اذا اضيفت اليها اجراءات الاستصلاح الزراعي، وتوافر الاسمدة الملائمة، والرعاية الكافية، انتجت محاصيل هامة من نبات الخروع. والتقرير العلمي الذي نترجم الجزء الذي اعده المفتش الفلاحي الخبير «ج. كورو» يقارب فيه ظروف زراعة فصيلة الخروع الاحمر . في سطات ، وقد نشرته مجلة «الارض المغربية».

نص التقرير :
يبدو نبات الخروع الاحمر بسطات، حاليا، الصنف الاكثر تأقلما مع مناخ المغرب، اما غناه من حيث الزيوت فيرتبه في مصاف الانواع التي يكثر عليها الطلب.

ان الظروف الخاصة بمناخ الشريط الساحلي الاطلسي او المتوسطي بالمغرب حيث الهواء محمل بالرطوبة ، وحيث لاخوف من الصقيع، وحيث التربة دقيقة وطرية، كل هذه العوامل تضيف عناصر محفزة، بوجه خاص، على استنبات الخروع، غير انه لاينبغي ان يند عن الاذهان ان الخروع نبتة ملحاحة من حيث نوعية التربة، وانها ليست قابلة للاخصاب بغزارة الا في التربة المترعة الطرية من نوع «الرمل» او «الدهس»، المعروفة باستقطار المياه بعد فترة التساقطات المطرية.

وما يسترعي الانتباه هو ضيق مساحة الاراضي المخصصة لزراعة الخروع نظرا لاقتصارها على المناخ الرطب من جهة، والتربة الطرية اللينة او الرخوة من جهة اخرى.

الزراعة : يتطلب الجذر الوتدي لنبات الخروع تربة عميقة السلاسة كي ينمو بسرعة، واذن ، يتعين حرث الارض بعمق في فصل الشتاء، بعد فرش الاسمدة، وخاصة سماد روث المزرعة، بقدر الامكان، ويكون الحرث متقاطعا سطحيا، من اجل دمج السماد المعدني (250 الى 300 كلغ من الفوسفاط الممتاز، 100 كلغ في الهكتار من السولفات او كلورير البوتاس) لاسابيع معدودات قبل نشر البذور، اما عملية البذار هذه فتتم في حفر بمعدل ثلاث حبات، على مسافة مترين x مترين ، او تكون الفرجات اضيق (مسافة مترين x متر واحد) مادامت محاذير الصقيع الربيعي مأمونة، وينبغي تهيئة خمس الى ثمان كيلوغرامات من الحبوب المزروعة الكبسولة، في الهكتار الواحد. ويعتبر نقع البذور في ماء عادي، خلال اربع وعشرين ساعة، قبل البذار عملية ممتازة.

وترتكز انماط الرعاية الزراعية على تفريد المغروسات (نبتة واحدة في الحفرة) . ويعد هذا اجراءا اساسيا للحصول على انتاج طبيعي، لان اكثر من نبتة واحدة في الحفرة قد يؤدي الى نموها على حساب انتاجية البذور. كما ترتكز على حرث القشرة السطحية من الارض المزروعة لصيانة رخاوة التربة وحمايتها من الاعشاب الطفيلية الى حين جني المحصول. وتستفيد النبتة كثيرا من السقي (مرة او مرتين في مطلع الصائفة). ويتم الجني مرات عديدة كلما نضجت الحبوب، بدءا من يوليوز الى شهر اكتوبر، كما تجمع الثمار في بيادر قصد تجفيفها على اشعة الشمس، وانتزاع قشرتها يدويا، او بواسطة الات خاصة.

الاسمدة : تستند زراعة الخروع، في المقام الاول، على التسميد العضوي بأرواث المزرعة. ومما يؤسف له ان هذا النوع من السماد ضئيل في المغرب، وغالبا مايقع الاكتفاء بالاسمدة المعدنية الفوسفورية كما بينا انفا. وهذه الاسمدة تجدد كل سنة، في فصل الشتاء، ويمكن فرش من سولفات الامونياك (الكبريت النشادري) (من 100 الى 150 كلغ في الهكتار) المطمور بطريقة مكشوفة في مطلع فصل الربيع ان يكمل الامدادات السابقة على نحو امثل، وخاصة في الاراضي الرملية.

واخيرا، بوسعنا ، واذا تطلبت النشطة ذلك، سقي المحصول مرة او مرتين في نهاية الربيع واطلالة الصيف، من اجل الظفر بمردود جيد. تشتري مصلحة البنزين في الاركان الحربية البذور المقشرة بسعر مائة وستين فرنكا للقنطار المفرغ في اكياس من سعة 80 كلغ ، صافية الوزن، ترسل الى مستودع «العنق» بالدارالبيضاء، او مستودعات الاركان الحربية جهويا. وتخصم كلفة النقل (انطلاقا من مكان التسليم بالدارالبيضاء) من سعر الشراء، وكذلك رسوم المكس عند الاقتضاء . وهذا السعر (160 فرنكا للقنطار) القائم في المغرب منذ سنوات خلت، سيظل مستقرا في المستقبل مادام يضمن، في سياق الشروط الاقتصادية الراهنة، مردودا زراعيا مهما عندما يتجاوز المحصول عشرة قناطير من البذور الصافية في الهكتار. وينبغي ان تضع في الحسبان، بخاصة، القيمة الفلاحية للاراضي الرملية في الشريط الساحلي حيث تظل اقل قدرة على انماء محاصيل جيدة من القمح.

الغلات : تختلف الغلات من ارض لاخرى حسب التربة، والتسميد، وعمر النشطة، والاحوال الجوية، والصيانة التي تحظى بها المزروعات . فتكون المحاصيل ضعيفة في السنة الاولى (تتراوح بين قنطار وخمسة قناطير من الحبوب ذوات القشرة، في الهكتار الواحد)، ثم تأخذ في التصاعد خلال السنة الثانية، حيث توقع ان تتراوح بين 15 و 25 قنطارا في مزرعة جيدة المردود. ويمكن لهذا المردود ان يستقر على امتداد سنين عديدة.

يعطي القنطار الواحد من الحبوب ذوات القشرة خمسين الى خمسة وخمسين كيلوغراما من الحبوب المقشرة . ويتعين عند كل شتاء تشذيب الشجيرات قليلا بحيث يتقلص ارتفاعها الى ما يناهز مترا. اما الاغصان التي انبتت الثمر الزهري فينبغي تقليمها.

. نوع كبسولة الحبوب (الانقشاص او التقشير) :
تتميز حبوب الخروع الاحمر في سطات بقلة تفتحها. والمحقق ان مصاعب جمة تكتنف عملية الحصول على انقشاص جيد، دون استعمال معدات خاصة. ويحسن الاستئناس باليد العاملة الاهلية للقيام بالتقشير، لكن بكميات محدودة مادامت العملية تستوجب اصلا تجنب السرعة اثناء الانجاز.

ثمة مصنع لتقشير الخروع يشتغل حاليا في الرباط، وقد عالج خلال هذا الموسم (1936) زهاء اربعين طنا من الحبوب الخام. ويتكفل ايضا بتموين مركز الدارالبيضاء ضمن اكياس من النسيج يطرح وزنها من وزن السلعة غير الصافي. ويبلغ وزنها المائتين كيلوغراما.

المصاريف المطلوبة تبلغ 20 فرنكا للتقشير وحده، و4 الى 5 فرنكات للنقل عبر محور الرباط - الدارالبيضاء فضلا عن رسوم المكس بما قدره 1,50 فرنكا للقنطار الواحد، و3 الى 4 فرنكات لكل كيس يجري تمويه. اما مصلحة البنزين بالدارالبيضاء التي مازالت توصل بالحبوب عارية، فتشتري من جهتها شراء الحبوب المكبسلة مستقبلا كما هو الحال، منذ مدة، بالنسبة الى مركز البنزين بواهرن، هذا المركز الذي يؤدي خمسين فرنكا عن القنطار من الحبوب الخام المرسلة اليه في اكياس ضائعة.

والمحصول يبلغ 20 قنطارا من الحبوب الخام في الهكتار، فينبني على ذلك اجراءان تحويليان يتأسسان كالاتي :

في الحالة الاولى :
20 قنطارا من الحبوب الخام بما قدره 60 فرنكا للقنطار 1,200 فرنكا - توريد 50 كيس (خيشة) : (35 الى 40 كلغ من الحبوب في الكيس الواحد). بما قدره 3,50 فرنكا... 175 فرنكا . تكلفة النقل عبر محور الرباط - الدارالبيضاء ، بما قدره 4 فرنكات للقنطار 80 فرنكا - رسوم المكس بماقدره 1,50 فرنك للقنطار 30 فرنكا - الباقي : 1.200 - 285 = 915 فرنكا.

في الحالة الثانية :
20 قنطار من الحبوب الخام يعطي 10 قناطير من الحبوب المزروعة الكبسولة بما قدره 160 فرنكا للقنطار 1,600 فرنكا - تكاليف التقشير 20 فرنكا للقنطار المجرد 200 فرنكا .

تكلفة النقل عبر محور الرباط - الدارالبيضاء : 10 قناطير بأربع فرنكات : 40 فرنكا.

تعبئة في الاكياس بزنة 80 كلغ في الكيس الواحد : 13 كيسا بماقدره فرنكا45,50 فرنكا

رسوم المكس 1,50 فرنك للقنطار 15 فرنكا المجموع 300 فرنكا.

1,600 - 300,50 = 1299,50 فرنكا - هذه الارقام الناطقة غنية عن اي تعليق.

وبديهي في ظروف كهذه ان يكون سعر 60 فرنكا عن كل قنطار من الحبوب الخام ثمنا بخسا. ومن مصلحة المنتج اذن ان يعمد الى تقشير محصوله قبل تسليمه.

تجريب زراعة الخروع : لقد انجزت وفرة من التجارب الزراعية في مناطق متعددة . وتلك التي اتيح لي متابعتها سواء في المغرب الشرقي او جهة الرباط، دلت في جميع الحالات على ضرورة التسميد بالقدر الكافي للوصول الى محاصيل ملائمة. وعلى نحو مماثل فإن تحديد سقف العلو شتاءا في متر. والالتزام بنبتة واحدة في الحفرة اجراءان لاينبغي ان يغفل عنهما المنتج البتة.

خلاصات : يمكن لخروع سطات الاحمر ان يتبوأ مكانته في المغرب، على امتداد المنطقة الساحلية الخالية من الصقيع. وزراعته ممارسة سهلة لاتستلزم مصاريف باهظة كما ان ارباحه معقولة.

ج . كورو - مفتش الفلاحة - ترجمة عبدالباسط لكراري سطات.

xxxxxxxxxxx

ملخص مسرحية : الانتظـــــار

- الجمعية : البيان الفني المراكشي ـ كوميديا ـ
- الاخراج : عبد اللطيف فردوس
- مصمم الديكور : [illegible]
- عدد الممثلين : 8 افراد
- التقنيين : 4 افراد
- عدد العروض المقدمة : 10 عروض

ـ

* ملخص المسرحية :

تدور أحداث المسرحية في ساحة قرية خلال [illegible] صيفية ..

في انتظار المجموعة [illegible] والمشرفين على الحفل .. يتحول الفلاحون الى [illegible] .. ليصبح واقع القرية مشرعا للسهرة .

* الشكل الفني :

اعتمد الاخراج تقنية التداخل داخل التمثيل كاطار في العمل المسرحي .. [illegible] عناصر العرض مطبوعة بطابع [illegible] التي [illegible] الطابع [illegible] والفضاء المسرحي ..

* جمالية الركح :

الملابس ـ الاضاءة ـ الديكور ـ الاغاني ـ لغة المسرحية ـ تحركات الممثلين وتشكيلاتهم الجسدية ... الايقاع العام للعرض .

ـ عن كراس اللقاء ـ

- الاسم : [illegible] كريمة
- الجمعية : المسار الذهبي ـ بلجيكة

سؤال : من خلال تجربتك المسرحية كمبتدئة نود ان تلخصي لقراء جريدة البيان علي العلاقة ـ في ادراكك ـ بين المخرج والممثل ، والممثل بالمخرج ، والممثل بالممثل ، ثم كيف تنظرين الى الجانب التكويني بكل مستوياته ، وهل وعي الممثل في تجربة مسرح الهواة يهمل هذا الجانب على مستوى التطبيق ؟

جواب : في البداية اقول ان المسرح هو ذلك الفضاء الذي يشترك فيه كل من المؤلف والمخرج والممثل ، والمتفرج / الناقد ، وبما ان السؤال يرتكز حول العلاقة بين المخرج والممثل سيكون جوابي هو الاخر مركزا حول هذين العنصرين على اساس ان يكون الجواب انطلاقا من تجربتي الأولية ورصدي الفرق الاولى في الحقل المسرحي .

فمن خلال تجربتي مع الاخوان في جمعية المسار الذهبي واستفادتي من الانخراط في العمل الجمعوي وطبيعته ، اقول ان المخرج هو ذلك الشخص الذي يقترح

مـــع الممثـــل

تصوره او [illegible] المسرحي ، ويزول [illegible] ولا يفرض ـ [illegible] ان هذا التصور و [illegible] ووضوحها للممثل من قبل [illegible] الجمعية او الممثل ، [illegible] هذا القول ان العلاقة بين المخرج والممثل هي علاقة [illegible] تفاهم وتحاور ، وانبثت علاقة بمقولة الوهمية وبهذا المفهوم يظل دور المسرح في المشروع دورا تنسيقيا بالاساس ، والممثل هو الذي يدعم [illegible] الجهود المشترك بينه وبين المخرج بمعنى ان العلاقة بينهما كما سبق الذكر هي علاقة تحاور وتفاهم بالدرجة الاولى ، وفي اعتقادي ان العلاقة الحميمية داخل الفضاء او الجمعية هي التي تجعل هذا النوع من التواصل باعتبار ان هذه العلاقة تكتسب في حد بعيد وتسمح بالعلاقة المادية اي [illegible] ، تتكامل بتوجيهات المخرج من ان يكون طرفا [illegible] المحتوى الممثل ومدى قدرته على [illegible] بالممثل فيجب ان تكون [illegible] كعلاقته بالمخرج التي علاقة تفاهم وتحاور ، أما فيما يخص التكوين فلا بد من وجود تكوين داخل الجمعية يعد الممثل ويكون بتوجيهات ودروس لا تمس المحتوى النظري والتطبيقي من لقاء بحوث وارتجال الخ .

دور [illegible] بالتدريب والملاحظة

جمعيـــة المســرح الضاحـــك بطاقـــة تعريـــف

تأسست جمعية المسرح الضاحك بفاس سنة 1959 ، [illegible] سنة 1967 ، قدمت مجموعة من الانشطة المسرحية سواء داخل المدينة او خارجها ، مثلا : مسرحية « [illegible] » بمدينة [illegible] سنة 1970 وهي من تأليف الاستاذ محمد [illegible] . [illegible] بمدينة مكناس سنة 1981 ، ومسرحية « [illegible] » لنفس المؤلف في كل من فاس ومكناس ، واخيرا مسرحية « [illegible] » في اطار [illegible] الرابع لرواد الخشبة بالاضافة الى مجموعة من الاعمال المسرحية الاخرى نذكر منها : « نجوم [illegible] » و « [illegible] في بلاد [illegible] » .

*

[illegible] الجمعية في نشاطها على [illegible] الداخلي الذي [illegible] الى التكوين الذاتي لتوجيه [illegible] ، [illegible] في النشاطات المسرحية [illegible] والممارسة للتحول في تجربة تضمن الاستمرارية للدفع بهذا الفن الى التطور الذي يطلبه المجتمع .

وتعاني الجمعية من صعوبات وعراقيل تقف [illegible] طموحاتها وهذه العراقيل وغيرها تشكل قاسما مشتركا بين مختلف الجمعيات الجادة ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الضعف المادي وغياب الاطر وقلة قاعات العروض ان لم نقل انعدامها اضافة الى عدم دعم الجهات المسؤولة لكي تستطيع السير قدما وراء تحقيق الطموح المتمثل في تقدم هذا الفن ببلادنا .

ورغم هذا الواقع المزري ، فان جمعية المسرح الضاحك بفاس تحاول ان تساهم وتم امكانياتها الضعيفة والصعوبات والعوائق التي تعترض طريقها ـ في تحريك الجو الفني عموما والمسرح بشكل خاص للدفع به الى الامام بمدينة فاس ، ايمانا منها بحيوية هذا الميدان وبالدور الايجابي الذي يمكن ان تساهم به .

ـ الجمعية ـ

الندوة النظرية الثالثة :

تجليـــات الممارســـة في الروايـــة المسرحيـــة

مساء الخميس [illegible] ، انطلقت اشغال الندوة النظرية الثالثة كاخر ندوة مبرمجة في اللقاء المسرحي الوطني بمكناس ، حيث كانت تحمل محورا فرعيا يتمثل في : تجليات الممارسات في الرواية المسرحية في اطار حوار الحقول الجمالية المسرح/الرواية ، وقد تميزت هذه الجلسة التي ترأسها الاستاذ [illegible] بثلاث مداخلات :

1 ـ اشكال التركيب الروائي المسرحي في مسرحية الفيلق

الاستاذ : عبد الباسط لكراري

2 ـ المقاربة النظرية في التحليلات الجينيالوجية لنشأة المسرح والرواية في الفكر الغربي

الاستاذ : عبد اللطيف الشهبان

3 ـ تجليات الممارسة في الرواية المسرحية :

الاستاذ : سالم كويندي

وسنحاول اليوم في هذه المراسلة ان نتعرض باختصار شديد ومكثف لاهم القضايا التي اثيرت من خلال هذه المداخلات :

1 ـ اشكال التركيب الروائي المسرحي في مسرحية الفيلق

حاول الاستاذ لكراري ان ينطلق من مدخل عام ، يعتمد مجموعة من الملاحظات التي تنطلق من ارتجاع رغبة تناول حوار الحقول الجمالية ، وغياب الوعي بتنميط الاجناس في علاقته بالخطابات سوسيوثقافية ، والنظرية التجنيسية وعلاقاتها بالجنس والصنف ، والاختلاف وضعية الاجناس ووضعية الصيغة ، وضرورة التمييز بين الصيغ والاجناس ، الى جانب الاضافات للنوعية وتشكلات الخطاب واختلاف الرجهات والوظيفة المنتجة للانواع في تأسيس الجنس ، من خلال هذه الملاحظات التي تبدل مدخلا عاما ، تم التأكيد على ان موضوع المداخلة يتعلق بمقاربة نص مسرحي لسعيد [illegible] ، انطلاقا من خطاب النص معتبرا اياه خطابا روائيا .

ثم انتقل بعد ذلك الى النص المسرحي مركزا بالاساس على تحكيه عن سجينين يتحاوران حول الهروب من السجن والرفض بالسجن ، وعلاقة احدهما بمشروع تأسيس فرقة مسرحية ، وانتهاء هذه المسرحية بلقاء جديد بين السجينين من اجل ان يعني السجين الاول ان الشروع داخل السجن لا يعني الا السجن ، وعلى هذا الاساس تم التأكيد على ان هذه المسرحية تنتمي الى ما يسمى بالحكاية البسيطة [illegible]

الفضاء المسرحي كمكان محسوس

والتي تحركها شخوص ، وبناء عليه كان التركيز على نظرية السيميولوجيا وعلاقاتها بالشخوص كما يؤطرها هامون، حيث الشخوص المرجعية « الشيخ [illegible] » ، والشخوص الاجتماعية « [illegible] » ، ومؤشرات حضور الكاتب ، والشخصيات المادية كالسجين الاول والثاني والسجان والطبيب ، ملحا في حديثه هذا الى [illegible] لنظام المسرحة كنظام يعتمد على وعي شقي ، ونظام عبثي يعتمد المسرح ويقام على الازدواجية في الشخصية كتقنية انطولوجية الى جانب التسلسل المنطقي للاحداث وتوافق الزمان والحدث . بعد ذلك كان الحديث عن المكونات الزمنية في النص والتأكيد على الزمن النصي كزمن الحوار والحكي ، ثم زمن العرض ، وفي هذا الباب حاول الاستاذ لكراري ان يقدم مجموعة من الملاحظات ركزت بدرجة الاولى على تصارع المشاهد والفعل الدرامي للشخصيات ، والزمان [illegible] الكرونولوجي ، وقد [illegible] الى [illegible] ، [illegible] ، والفضاء القيم في [illegible] السردية ، والعرض وحدوث الانشطار الزمني وبنية الحدث وعلاقتها بالاستعمار العام للحوار والانفتاح النصي والانبنائية [illegible] لرمة التغليس على التحول الروائي .

جاء بعد ذلك تم الحديث عنه في هذه المداخلة وبتطبيق بالفضاء في المسرحية ، حيث انطلق من محاولة تعريف الفضاء اعتمادا على [illegible] الكلية وتعريفات كل من [illegible] وجماعة « مو » والخطاب اللغوي والفضاء الفيزيقي ، ثم الفضاء المسرحي كمكان محسوس ومكان الجمهور والعلامات [illegible] والخاصة بالعرض ، وكذا الفضاء كنظرية [illegible] داخل الفضاء المسرحي ، واعتمادا على التعاريف الخاصة بالفضاء كان الحديث عن العلاقة بين الفضاء الروائي والفضاء المسرحي وتوضيح الممارسة الايمائية كخطاب وحدث دلالي ، والانصية المسرح ، وتمظهر الحدث في فضاء معطى واللغة الصيغة النصية في الحدث الى جانب العرض والفضاء [illegible] وسيميولوجيا المسرح ، واستراتيجية الانتقال من النص الى العرض ، وكذا المستوى الروائي وسردية الكائن ومظاهر الوصف وسيولة الفضاء ثم الشخصية والفضاء التخييلي ، حيث اكد الاستاذ لكراري على ان مسرحية « الفيلق » تحدد عملية الاختراق والحدث وعلاقاتها بنظرية الحكي [illegible] والفضاء الديناميكي والبرمجة الكاتبة ، وطواعية الامكنة [illegible] للشخوص ، موضحا ان في نص « الفيلق » يخص فضاءات تجري فيها المسرحية ، [illegible] في ثنائية الداخل والخارج ، معتبرا في نفس الوقت ان تنوع المكان [illegible] تنوع الشخصيات ، هو النوع الذي يجعل من الاشارية واقعا فضائيا وظيفيا .

بعد ذلك تم الحديث عن البرنامج الوصفي [illegible] وامتداد المجال [illegible] هذا الى طرح العلاقة بين [illegible] الوصفي في نص المسرحية ومحاكل الرواية والبناء [illegible] والبنية النصية ومؤشرات [illegible] الروائية الانجازية ، وكذا [illegible] وعلاقتها بالذاكرة وعودة [illegible] وتحيين الفني وتجسيد [illegible] ، والاختيار الهنة [illegible] من خلال اختيار وجه [illegible] الروائية للشخوص ، وتحرير [illegible] الاستعمارية ونية [illegible] ازدواجية الذات والرغبة في امتلاك الاخر [illegible] وعلاقتها [illegible] والانتقاد [illegible] كصيغة محتملة [illegible] واستحضار [illegible] لتشكيل الذات الارجعية ، والتعز على [illegible] الخارجية لوجدان [illegible] والتفاوتات [illegible] من خلال ممارسة [illegible] على الفاعدة .

انها اهم [illegible] المثارة من خلال الحديث [illegible] تشكل التركيب الروائي المسرحي في مسرحية « الفيلق » [illegible] الجلسة النظرية [illegible] خلل [illegible] الممارسة في الرواية المسرحية كحدود فرعي في اطار حوار الحقول الجمالية المسرح / الرواية [illegible] اللوص في [illegible] مسرحي فقط .

2 ـ المقاربة [illegible] في التحليلات الجينيالوجية لنشأة المسرح والرواية في الفكر الغربي

حاول الاستاذ الشهبان في بداية [illegible] موقعه [illegible] الخطاب [illegible] الروائي كبحث اولي في الابعاد الانثروبولوجية للتاريخ الغربي للحقول الجمالية المسرح / الرواية ، ولان هذه المداخلة / البحث ، طموحة ذاته سيحاول الاكتفاء بفصل واحد يعتمد بالاساس على البحث في جينيالوجية الخطاب المسرحي على اساس ترك الروائي الى النقاش ، اي ان الموضوع سيناقش الجزء المتعلق بالمسرح كعرض [illegible] .

بعد ذلك انطلق في محاولة الوصول الى تعريف جينيالوجية كمحاولة قديمة [illegible] والتشكل من البحث في الاصول والتبع والمصادر والبحث عن نقطة الصفر الاولى لانطلاق الشيء ، معتبرا في هذا المجال ان السؤال الجينيالوجي في المسرح ، وهو البحث عن منبع المسرح وفي اطار الحدود ، هل المسرح والرواية منبع واحد ، ليجيب بعد ذلك انطلاقا من عملية البحث الجينيالوجي كانغراس في نوع من التفكير البشري المرتبط بما قبل الحداثة والتفكير العلمي ، وان هذا البحث هو بحث في الماهية لانه يجعل الباحث في حفريات البحث[illegible] الصفر والاصل المرجعين .

وعلى هذا الاساس كان التساؤل حول بداية هذا البحث الذي يكون منهجا تكون العلاقة [illegible] ومشكوك فيها ، وعندما يتم البحث في الوجود الخاص لانه لا يمكن عزل هذا السؤال عن موضوعه ، وحسب هذا الرأي نحن امام المسرح وليس المسرح [illegible] لان السؤال الجينيالوجي يحققنا في ذواتنا بين ميتافيزيقا الحضور ، معلوميا من ثم [illegible] سيل من الاجوبة .

بعد ذلك تمت الاشارة الى ان لهذا السؤال الجينيالوجي اجابات متعددة [illegible] ، والتفكير في محيط السؤال يجعله سؤالا ككل الاسئلة الميتافيزيقية ، فهل يجب تجهيزه ام يجب رفعه الى درجة العلم ، [illegible] من الغموض والتعدد ؟ فعلينا نقطع او نتقاطع مع السؤال الجينيالوجي تقطع او نتقاطع مع الذوات التي تطرحه ، لان طرحه هو الذي يحيل الى الذوات [illegible] ، فهم الاجوبة على

ماهيـــة الســؤال الجنيالوجـــي وشرعيتـــه

الاختلاف والقاعدة مجمل بالمسرح ، تحول السؤال من وجهة محددة ، وبعض ان لا يكون المسرح [illegible] السؤال الجينيالوجي جوهره سؤال التاريخي .

جانب اخر تم التطرق اليه في حول الكيفية التي تتساءل بها هذه المداخلة ويتعلق بالسؤال الميتافيزيقا عن المسرح والكيفية التي بها نكتشفه ، وعليه يتم التأكيد على ان الميتافيزيقا تتساءل عن المسرح واصله ومفهومه وماهيته كوجود في الزمان والهوية ، واستحضار الذات كجوهر ، فهي تتوجهويحامة السؤال وظهور الاصل ، فيكون التحويل خاصا بالحضور والغياب [illegible] لهذه البداهة ، [illegible] المسرح في السؤال الجينيالوجي يعني الحضور ، على اعتبار ان المسرح خالد بخلود الانسان ككل كهوية ، هذا الوجود الذي يتمثل في كل ميتافيزيقا خلودا واستقلالا عن الزمان ، وعلى هذا الاساس تأتي ضرورة اعادة النظر في مسألة المسرح ضمن لحظته التزامنية ولحن النزمن .

جانب ثالث حاول الاستاذ شهبان ان يعرض اليه في مداخلته ويتعلق بالمسرح والتاريخ الجينيالوجيا في المسرح ، والتأكيد انطلاقا من مفهوم للتاريخانية على بروز السؤال التاريخي للظاهرة المسرحية ، والبحث في عدم الاصل لا في الاصل ، والوقوف على لحظة ميلاده وتطوره كمنتج بشري من خلال هذا ان السؤال مرهان ينبثقان في الهدف الابستيمولوجي و الهدف الميثودي ، وبدون سيهما لجب يجب صنع تقنها ، وبما على هذا تم الحديث عن مفهوم الظاهرة ، وانطلاق التساؤل عن ظهورها في الوجود الاجتماعي وكيفية ظهوره ، الى جانب الحديث عن المسرح والتاريخ المحدد والمعنى بهذا التاريخ ، وكينونة توجهات النظر الخلفة وبناء الانساط المحدد في التحويل والمسرة التدريجي وضبط الاشكال بها ، فيكون البحث في المسرح رمبا يتحول به انطلاقا من القراءة المزدوجة في المسرح وفي الابستيمي الذي ظهر فيه كفراءة تحيل بحجامن ، وعلاقة هذه القراءة المزدوجة بالتركيب الروائي الجديد واستخلاص نص مكثف في المسرح عموما [illegible] .

[illegible] على مستوى تفتح قراءة [illegible] ، فعلا الاستاذ عن قراءة في مفهوم المسرح اليوناني بطبقاته ، وطرح الثاني كيكان عليه يحمي المحدد الديني ، وهذا يعني ان المسرحية بشكل سواء ثم سعب محصور الا في الاعياد الدينية ، وقد تم الربط في هذا المجال بين المسرحية اليونانية بعد حليتها بتطور الدولي وعلاقة اليونان بالمتلح .

بعد ذلك تم الحديث حول مظاهر انسقاط الظاهرة المسرحية على المسرح اليوناني في المسرح لوسيط ، وكذا يصار تكوين المسرح منذ القرن السادس عشر الى تهيئته ، الى جانب الحديث عن ظهور المسرح كضرورة اجتماعية الفرق المسرحية من طرف الامراء وكبار البرجوازيين ، وقيام هذه الفرق في اغلب دول اوروبا مع ظهور فكرة [illegible] والتمسرح كظاهرة اجتماعية وحوارية مع ظهور [illegible] والخروج المعد من الطقوس الدينية ، وظهور مفهوم لاصلاح [illegible] على المسرح في تلك الفترة الى جانب [illegible] المسرح [illegible] الى ظهور فكرة الظاهرة المسرحية كظاهرة ليست غريبة مع نشوء النزعة البرجوازية وانشاء [illegible] [illegible] جينيالوجية بالتحيم نرى بأن لكل شيء عمر في التحيم .

وكخلاصة لهذا الجانب الذي نصب على جينيالوجية الخطاب المسرحي كاوراق تمهيدية حاول الاستاذ الشهبان عبد اللطيف ان يؤكد على [illegible] للسؤال الجينيالوجي .

[illegible]
[illegible]

الميثاق الوطني

رسالة من الرئيس الجزائري الى جلالة الملك

○ حسب ما تردد في الجزائر اول امس الاربعاء، من المنتظر ان يحل بالمغرب بين الحين والاخر السيد عبد الحميد مهري، الامين العام الجديد لجبهة التحرير الوطني الجزائرية محملا برسالة من الرئيس الشاذلي بن جديد الى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني.

وقد ذكر مصدر رسمي في الجزائر لم يكشف عن هويته، ان السيد مهري سيودع بالمناسبة جلالة الملك في اعقاب انتهاء مأموريته كسفير فوق العادة بالجزائر لدى المملكة المغربية.

● المدير : مصطفى اليزناسني ● الجمعة 20 جمادى الاولى 30.1409 دجنبر 1988 ● العدد : 3723 ● درهم واحد
● Prix France : 3 FF

أنوال

جريدة أسبوعية تحليلية نقدية المدير المسؤول: عبد اللطيف عواد

العدد 86 السنة الرابعة الخميس 13 اكتوبر 1983 الثمن 1,50 درهم

النهضة الشاوية
ورديغة

المدير المسؤول ورئيس التحرير:
عبدالإله نجيم

مدير التحرير:
مولاي احمد العلوي البلغيتي

الثمن : 2,5
دراهم
25 شتنبر الى
15 اكتوبر98

التصريح رقم : 10/93
الإيداع : 113/93 الترقيم الدولي:
2565 ـ 1113 ـ العدد 72

من يجرؤ بالدعوة لانقاذ تراث الشاوية من النسيان

بقلم الدكتور عبد الباسط لكراري

إن التاريخ الفكري والثقافي والديني للشاوية من المهام الجسام التي لايمكن ان تنهض بها علميا وعمليا الا هيئة اكاديمية على صورة " مجموعة البحث في تاريخ وفنون الشاوية " التي كنت قد تقدمت سابقا بملتمس الى المسؤولين محليا واقليميا ـ عبر جريدتكم . عدد (38) يونيو 1996 ص (20) بغاية تنسيق الجهود لاخراجها الى حيز الوجود. ولعل اطلالة عارضة على ركام الوثائق. والمقيدات. والمخطوطات. والمطبوعات والبحوث والرسائل القابعة في الربائد والخزانات والمكتبات الخاصة والعامة داخل الوطن وخارجه. كفيلة بوضع المسؤولين عن الاقليم (والجهة) امام الصورة الحقيقية. صورة الغبن الذي ما انفك يمارس على ذخيرة ثمينة من المخطوطات منذورة ـ بفعل ذهنية التفريط ـ للتنقيب والاقصاء. ولعمري كيف يجرؤ بعض المسؤولين عن الشأن الثقافي بالإقليم على رفع عقيرتهم بتفريط ذواتهم وهم يتحملون عقب التفريط فيما ينبغي لتراث الشاوية من التجميع والصون والتحبين والتعميم. فعن اي شاوية يتحدثون اذن؟؟ واي تراث يقصدون؟ تراث العيوط والشيخات ام تراث الكشف والمساءلة والتأصيل والتحديث ومواجهة تحديات القرن المقبل؟ فإن كانوا من ذوي الغيرة على تراث الشاوية الاصيل وذاكرة مدينتهم الغنية بأحداثها ورجالاتها. ومن ذوي النيات الحسنة فليبادروا خفافا الى جمعه من :

١ ـ الخزانة الحسنية بالرباط
٢ ـ الخزانة العامة بالرباط
٣ ـ مؤسسة الملك عبد العزيز ال سعود [illegible] محمد بن الطيب البوعزاوي الذي بيع بثمن بخس).
٤ ـ خزانة كلية الاداب (عين الشق) ـ جامعة الحسن الثاني [illegible]

نشر المحاسن للقاضي العزوزي) و (مخطوط المرحوم ابي بكر البوخصيبي) على سبيل الحصر. وبزوايا الاقليم (كالزاوية الناصرية مثلا) . وبمدن اخرى اذكر منها الدارالبيضاء. والرباط . وسلا . وفاس. ومراكش. وطنجة (مطبوعات ووثائق متعددة اشير منها الى كتاب الرحالة الاسباني المعنون ب Mi Viaje par el interier del africa الصادر عام 1889. وفيه حديث مطول عن الشاوية تحت قيادة الحاج المعطي. فضلا عن جريدة السعادة (بضعة اعداد)..)

٦ ـ ارشيفات المخزن والعدلية والصحافة والاعلام (ضمنها شريط تلفزيوني لاحد عساكر حملة 1907

٧ ـ ارشيفات وزارة الخارجية بباريس (حيث عشرات المجلدات والوثائق)

٨ ـ ارشيفات وزارة الحربية فانسان (ذخيرة هامة من التقارير والوثائق).

٩ ـ ارشيفات الغرفة التجارية بمرسيلية. ووزارة الاعلام بباريس.

١٠ ـ وثائق قصر فانسان (محفوظات المصلحة التاريخية لجيش البر).

١١ ـ المكتبة الوطنية بباريس

١٢ ـ ارشيفات وزارة الخارجية البريطانية

١٤ ـ الخزانة الوطنية بالجزائر (الدراسات التي اشرفت عليها مدرسة الجزائر الفرنسية تحت اشراف الحاكم العام وبتنسيق مع الاقامة العامة) والمكتبة الوطنية المصرية ايضا.

١٥ ـ المكتبة الوطنية الاسبانية بمدريد (متفرقات)

١٦ ـ ربائد الاتحاد الاسرائيلي العالمي (بالدارالبيضاء والقدس حيث مجموعة من الوثائق اذكر منها ـ على حد علمي ـ التقرير الذي [illegible] السبية بسطات عام 1894 (مذكور عن [illegible] اطال 1973) ومتفرقات قديمة منها وثائق يوسف بن داود تاحامياس (تونس 1915) التي [illegible]

ec CamScanner

البيان

الثقافـــــي

البيان الثقافي ـ السلسلة الجديدة
الاثنيـن 30 مـــاي 1988
موافق 14 شوال 1408

العدد : رقـم 12
الثمن : درهم واحد

الموجهات في الخطاب التكويني

عبد الباسط لكراوي

هـوامـش موضـوع الموجهات في الخطاب

التكـويـنـي

تابع ص : 9

* الـ (الموديس) أو الموجهات .

* لم نتناول تعريف « كورتيـــس وكورتس » ومصطلح تحيل على كتاب د. مفتاح « استراتيجية الخطـاب الشعري » ص : 156 وما يليه ، وكوماس (موجع مذكور) ص : 555 و 556 .

* يمكن احلال المصدر المؤول مـــن « ان والفعل » محل هذه الجملة .

* أفعال الظن منها « القول » (الذي لا حكاية معه) بمعنـى الظن .

** وجد هي عند « بوريلو » فعـل توكيدي ضعيف .

** راجع تقسيم بوريلو الثنائي العام في ص : 51 و 52 .

*** يقصد بوريلو الصنفين الفعليين اللذين تعبر عنهما الخطاطة الموضوعة في ص : 52 عن بحثه الهام .

**** هناك مفارقة دقيقة . فالاعتقاد في العربية يعني العزم، وهو غير ما صار اليه حاضرا ، حيث غدا يندرج تحت خانة الظن ، ولامراء في ان هذا المدلول الطاريء جاء من الترجمة الحرفية من الفرنسيـــة بخاصـــة .

***** قارن بين بحث بوريلو ، و ص 190 – 191 من بحث بروس فرايزر ، فقرة : افعال التوكيد ، حيث – 63 – فعلا يقسمها الى فئتين (الهامش 4) ، وبحـدد خواص كل فئة على حدة تداوليا ودلاليا ، وقد تجنبنا الاطالة في هذا الجانب لخروج ذلك عن مقاصد البحث .

* الرمزية يعني الاحتمال : – احتمـال حدوث المفارقة حالا أو استقبالا .

* فيما يخص البنى الدلالية لهذيـــن الفعلين تراجع : ص : 221 و 222 و 322 و 224 من مقال روليه بالمجلة المذكورة

★ ملحوظـة :

لم نترجم الاقوال حرفيا ، بل راعينا الخصائص العامة التي تحكمها ، خدمـــة للمقاصد المرادة والمتوخاة من كل صنف .

* الالتواء هنا بمعنى : ديريفازيون .

وقد فضلته على الانحراف مثلا ، لانه جرت العادة ان نقول : – اتبع هذا طرقا ملتوية في الادلاء بشهادة، وفلان كلامه على مذهب أصحـــاب الطرق الملتوية ،، الـخ ..

** المباعد : اشارة الى انه حينمـــا يلتزم المتكلم في كلامه الطلبي مسافة موضوعية عن دوره كمشترك في اعادة الطلب المباشر .

1) Cuvilier A. - P 118
2) Thomas A. - Jebeo K. Tome (1) P. 554
3) Taha A. - Langage et philo P 61
4) Ibid P 61
4) Dubois (Dictionnaire) P 320
6) T. Todorov et Ducrot (Dict) P 359
7) Ducrot O. (Dictionnaire) P 393
8) H. Parret (Revue) P 91 Modus

9) J.C. Caquet (Langages 43) P 66
(10) Berveriste E.T. T (II) P 130
11) H. Parret (Langages 43) P 47
12) E. Benveriste T (II) P 188
13) E. Benveriste T (II) P 191
14) Benveriste Ibidem P 192
15) A. Borello : Deux aspects de la modalisation assertive (croire et savoir) Langages (67) P 35
16) Ibidem
17) E. Benveriste op. cité P 187
18) Ibid. P 188)
19) Voir Communication (30) P 130
20) Communication (32) P 224
21) Communications (32) P 218 (Distanciateur)

Scanné avec CamScanner

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر عن جريدة العلم كل سبت

■ السنة 27 ■ السبت 23 نونبر 1996

■ المدير المسؤول : عبد الكريم غلاب

■ الادارة والتحرير: 11 شارع علال بن عبد الله - الرباط
■ الهاتف : 730237 ■ الفاكسميلي : 733896 ISSN0851=
■ التصفيف والإخراج : مطبعة الرسالة

Scanné avec CamScanner

تتمات

نثارةُ الرُّطب في «اللغة والأدب»

تابع ص 9

ب- المنع «بحجة أن (غير) متوغلة في الإبهام فلا يفيدها التعريف تعريفاً(...) والله تعالى يقول: «غير المغضوب عليهم» وهو الأسلوب العربي المستساغ وبه يُقتدى» ثم «إن (غير) إذا دخلت عليها أداة التعريف، لا يجوز أن تُضاف الى معرفة مثلها (...) وإذا دخلت عليها (أل) منقطعة عن الإضافة كانت أخف وقعا وأكثر سواغية» (ص 341).

فأوضح ذ. عبد الله كنون أن ترجيح «معجمات» في القياس، على «معاجم» ليس بحال صوابا، وأن الصحيح جمعها على «مفاعل» تأسياً بجموع الرباعي كما ذكر ابن مالك. أما مسألة (غير) المعرفة بأل «فقد نص العلماء على أنها خطأ، لأنها لا تتعرف ولو بالاضافة، وذلك لشدة إبهامها» ص (36). وبنى كنون حيثية المنع على:

أ- أن الأصل في (غير) أن تكون صفة لنكرة، أو لمعرفة قريبة من النكرة.

ب- يُعلم من السابق أن القياس في التعريف على الإضافة لا وجه له، لأن ابن السراج ذهب «الى أن المغاير إذا كان واحدا تعرفت (غير) بإضافتها اليه، وبه يقيد قول السيرافي، إذا وقعت (غير) بين متضادين (لا ثالث لهما) تعرفت» ص (36)، ولم يرد تعريف (غير) بأل ألبتة.

ج- شاهدا التعريف بأل شاذان لا يُحتج بهما لصدورهما عن متأخرين.

هذه طريقة كنون اللغوي في الرد والتعقيب. ومنها مناقشته لجرّ «مزمّل» بحمله على المجاورة التركيبية لِبِجَادٍ ردّاً على مَنْ خرّجه على الإقواء. ومنها تعقيبه لمادة: «شجب» في المعجم الوسيط ملاحظا أن التوليد الدلالي للمعنى المتداول في الكتابة الصحفية: «التنديد، والتعبير عن الموقف المضاد» يجانب المعاني المعجمية الأصلية للمادة المذكورة «اللهم إلا أن يُستعار له معنى رمي الصيد الوارد لذلك الفعل، والأخلق عنده الاستعفاء من المعنى الجديد «فعندنا ما يغني عنه مما ذكرناه كندّد به وهاجمه وما الى ذلك» ص (132). أما جمع (واد) على وديان فعنده أنه «صيغة لاقياسية ولا واردة عن العرب في جمع هذا المفرد. فجموعه التي ذكرتها المعاجم ثلاثة هي: أوداء، وأودية، وأوداية، ويمكن أن يزاد عليها أوداه بقلب الهمزة هاءً في أوداء وهي لغة طيء» ص (132-133) وقد ورد التنصيص على ستة عشر وزنا لجمع (فعلان) في كافية ابن مالك، ليس فيها وزن (وديان جمعا لواد)، وعزا كنون فشوّ هذا الوزن الشاذ الى الترجمة التي اعتمدها معجم «الفرائد الدرية» والتعليل في محله، فقد جاء في «مختصر الفرائد الدرية» طبعة 1951 (المطبعة الكاثوليكية ببيروت) [عندي]، ص (660): «واد، ج (أودية) و(أوداية) و(أوداء) و(أوداه) و(وديان)». فصار معتمدا لدى التراجمة على أنه بمثابة جمع صحيح. وما أكثر ذلك عند متعدمي التحقيق من المتهافتين على هذا الفن. وتحضرني في هذا السياق حكاية منظّر لشعرية الترجمة كان قد عذلني في كتاب صدر له بهذا الخصوص، على اتخاذ موقف متشدد (هو بموقف ابن خالويه أشبه، أو بغيره من خيرة العلماء المحدثين ممن أطلق عليهم - تحت بريق مخادع لحداثة ينقصها الشمول المعرفي - «بالاكليروس اللغوي») من رطانة بعض التراجمة المغاربة. ولست أدري كيف يمكن للألسنة أن تستقيم بغير ثقاف أو تقويم تتوء بهما العصبة من ذوي العلم والدراية نقاداً كانوا أو لسانيين؟

- وفي مقال «لما به» ص (96-98) استكمال لبعض عناصر البحث الذي أنجزه الأستاذ كنون في موضوع هذه اللفظة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وكان الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي قد مس هذه اللفظة مساً رفيقا في مناقشة علمية للتحقيق الذي أصدره د. صالح الأشتر لكتاب «الهفوات النادرة» من تأليف: غرس النعمة الصابي، وبسبب هذه المناقشة التي تمت على صفحات جريدة العلم المغربية (بتاريخ 28-1-1970)، بادر الأستاذ شكر الله بن نعمة الله - في الجزء الثاني من المجلد الثامن والأربعين من مجلة المجمع الدمشقي - الى استرجاع بحث عبد الله كنون مشفوعا بما ورد في جريدة العلم، مضيفا إليهما مزيداً من الشواهد المؤيدة لنتيجة بحث الأستاذ كنون حتى «أصبح مجموع الشواهد بحسبها ثمانية عشر شاهدا» ص (96). وجاءت حصيلة الاستدراك الذي توّج به كنون عمليات الاشتغال على عبارة «لما به» محملة بالحذف، والمراجعة، والإضافة: - حذف شاهد علي بن أبي طالب الذي قام الدليل أنذا على كونه منحولا على لسانه، وهو في الأصل منسوب الى ابن السكيت كما أثبت ذلك صاحب «وفيات الأعيان» ولو أن للأستاذ كنون رأيا مخالفا خاصا في هذه النسبة حمله كرهاً على نقض قاعدتي «المثبت مقدم» و«الحافظ حجة» في مقاله: - «هل كان علي شاعراً» ص (65-74). يُضاف الى ذلك حذف شاهدي الصابي وما في «مناقب الشافعي»، من عموم الحساب. أما الاستدراك فيحوي شاهدين لابن زيدون والشريف الرضي. ومدار الإضافة، أخيرا، على إيراد سياق شاهدي الحديث الشريف الذي احتمل عبارة «لما به» مرة على لسان امرأة من خثعم كما في كتاب «علل الحديث»، وأخرى على لسان النبيّ صلى الله عليه وسلم مخاطباً زيد بن أرقم كما في «الأدب المفرد». ويبقى مجال الاستشهاد مع ذلك مفتوحا على إضافات أخرى تحتملها كتب الاختيارات الشعرية والنثرية، وهي جمّة غفيرة.

وبعدُ، فإن ضيق المجال يحول دون مراجعة جميع أقسام كتاب «في اللغة والأدب» الذي أعتبر إصداره بادرة طيبة من الأستاذين خالد مشبال بوكالة شراع، وعبد الصمد العشاب محافظ خزانة عبد الله كنون، وإضافة نوعية متميزة الى مكتبة الأدب المغربي المعاصر. وإني إذ أزجي التحية خالصة لمن كانوا وراء هذه البادرة، أتمنى صادقا أن أكون بهذه المتابعة النقدية الوجيزة قد سددت بعض ما أنا مدين به لأستاذي الجليل المرحوم عبد الله كنون. وعسى أن تثمر مقالات أخرى إضافات جديدة الى مواد الكتاب.

هوامش:

* يراجع مقال لي بهذا الخصوص سيصدر بمجلة (ARABIES) المنشورة بفرنسا.

** المجلد 35، الجزء 1، ص (154-159) والمجلد نفسه، الجزء (2)، ص (328-331) من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

*** في كتاب «في اللغة والأدب» لعبد الله كنون - سلسلة «شراع» عدد (8)- السنة 1996، بعضُ التحويرات والإضافات والتعديلات لم أجدها في أصول المقالات المنشورة بمجلة المجمع، وحالة من هذا القبيل تفرض على الناشر بيان المظان، وتعليل اللجوء إلى تلك الإجراءات المتصرفة في المتن.

وللإبراز، أضربُ أمثلة على ذلك بمايلي:- في ص (12)- الأصل (167): «وخفض مزمّل في مسألتنا..» وبعدها مباشرة «وأما المسألة الثانية فهي من باب الإقواء..» ثمة زيادة بمعدل سطر. وفي ص (13)- الأصل (168) حذف الناشر مايناهز ثلاثة أسطر. وعبارة: «وماكنا نظن أن العلماء المغاربة مجهولون..» مزيدة لاوجود لها في الأصل، فضلا عن خطأ في السطر الثاني من الصفحة ذاتها «فغّنى» والأصوب «فغُنّي» لأن قطعة الأبياتي للإقواء جاءت من غناء القينة شعره حين حلّ بيثرب. وفي ص (16) حُذف الهامش الأصلي: «أنظر شرح نونية ابن القيم للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ج ل، ص (497) ومابعدها». وغير هذه الأمثلة طفيف مما استوجب التنبيه.

(1)- راجع شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي - المجلد الثالث، الجزء الخامس (مصورة دار الكتب العلمية) ص (140) حيث يقول نقلا عن مصادر أخرى: «وكان بارعا في معرفة اللغة».

(2)- أنظر مثلا كتاب الطعام من «عيون الأخبار» لابن قتيبة، ج (3)، تحقيق د. مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية. ص (289). وقد ورد في كتاب «الأماكن أو ماتفق لفظه وافترق مسمّاه من الأمكنة» للحافظ محمد بن موسى الحازمي. الجزء الأول. إعداد حمد الجاسر، دار اليمامة بالسعودية - 1415هـ - «باب إلال وألال»- أما الأول - على وزن بلال - جبل عن يمين الإمام بعرفة. وقال الزبير بن بكار:- إلال هو البيت الحرام في قول بعضهم، والقول الأول أصح. قال أمية بن الصلت:- وبذ القائلين فهم إليه **كما نظر الحجيج إلى إلال.

وأما الثاني - على وزن أحمر -: موضع بالجزيرة.» ص (82-83)

(3)- كتاب فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبدالله القمّي، تحقيق د. عبدالمنعم الحفني طبعة دار الرشاد. القاهرة، مصر، 1992، ص (41).

(4)- عيون الأخبار (مذكور) ج (2) ص (160)، والشعر والشعراء لابن قتيبة، تح د. مفيد قميحة، ط (2) 1985، دار الكتب العلمية، بيروت. ص (344).

الاتحاد الاشتراكي
Al Ittihad al Ichtiraki
السبت 9 مارس 2002 العدد 6785

العربي الذهبي كاتبا عاما لفرع اتحاد كتاب المغرب بسطات

عقد فرع اتحاد كتاب المغرب بسطات جمعه العام لتجديد مكتبه، صباح يوم السبت 2002/2/16 بحضور ممثلي المكتب المركزي الأخوين بشير قمري وأنور المرتجي.

وفي جو مفعم بروح الوفاء، ورمزية الاعتراف، استحضر الاخوة الأعضاء جهود ومثابرة المجاهد المؤسس الشاعر سعيد اسمعلي التي استحق عليها فيضا من الثناء والتقدير. وبعد تلاوة التقريرين الأدبي والمالي، والمصادقة عليهما، أسفر تجديد المكتب عن التشكيلة التالية:

الكاتب العام: ذ. العربي الذهبي ـ نائبه: ذ. عبد الباسط لكراري. أمين المال: ذ. محمد عزيز الشبيهي. نائبه: ذ. سعيد اسمعلي. المستشار: ذ. حسن اغلان.

حسب باحث اسبا...

الحضور ال...

اكد السيد خوليو بالديون با...
تاريخ العصر الوسيط بجامعة...
وعضو الاكاديمية الملكية للتاريخ...
محاضرة القاها بطنجة بأن الحض...
باسبانيا كان له تأثير حضار...
وانبعاث نهضتها.

وأوضح باروكي في محاضرة حو...
العربية في التاريخ الاسباني، نظ...
التربية والعلوم التابع للسفارة...
بالرباط بقاعة العروض للمعهد...
«سيفيرو أوشوا» بطنجة بأن أور...
استفادت من الاشعاع الحضاري لا...
الحكم الاسلامي بشبه الجزيرة الايب...
عامة والاندلس بصفة خاصة في شت...
المعرفة، مذكرا في هذا الصدد بأن أو...
لأول مرة على فلسفة اريسطوطاليس...

قراءات

متاع الأبكم .. وسند...

الأبكم، أي أنها تريد أن ليس...

العلم الثقافي

ملحق أسبوعي

السبت 24 مارس 1984 العدد : 688 السنة الخامسة عشرة

التواصل الحيواني واللغة الانسانية ★

إيميل بنفنيست/ ترجمة : عبد الباسط لكراري

تصدير :
لقد انطلق ابن المقفع الحيوانات ومكنها من التعبير عن ما يختمر في ضمائرها، فنطقت بالعربية في طراز بديع، وبيان مذهل، ثم ماانفكت أن عادت الى صمتها المشؤوم. وان الاوان مع فجر النهضة الانسنية - وبتربص المراقبين - لتنطق من جديد، بلغة لم تفتقد خصائص السحر وثروة الاشارات. وقد ساعدت التقنيات الحديثة والتجارب العلمية على الكشف عن مدلولاتها، والغوص على بواطنها، في اطار علم الحيوان (zoologie). فانتعشت الدراسات بفضل جهود العلماء الذين يتدرج في زمرتهم فيلب غرامه (philippe Grâmet) صاحب الدراسات الصوتية عن الغربان، وكارل فون فريش (Kart.von.Frisch) رائد الدراسات الانسنية عن النحل، الذي حصل على جائزة نوبل عام 1973 تقديرا له على جهوده الكبرى في علم الحيوان وخاصة في موضوعات البصريات واللغة والحواس الخ. لدى شعوب النحل./ وقد أرصد الالسني الفرنسي اميل بنفنيست (Emile Benveniste) مقالا هاما لهذه الظاهرة، ضمنه كتابه الموسوم ب (مشاكل الالسنية العامة) - (ص 62/56) المجلد الاول.

اننا نعلم انه استحال علينا، الى الآن القول بامتلاك الحيوانات، ولو بشكل بدائي طريقة للتعبير متوفرة على خواص ووظائف اللغة الانسانية ★. فكل الملاحظات الدقيقة المطبقة على الامم الحيوانية. وكل التجارب المشروعة باعمال التقنيات المتنوعة بغية احداث أو مراقبة أي شكل لغوي مماثل لتمثل الانسان قد منيت بالفشل الذريع. وليس من البين ان ذلك الصنف من الحيوانات التي ترسل صرخات متعددة، ينبعث من خلال هذه المرسلات الصوتية سلوكات، مما يدعونا الى القول بأن هذه الحيوانات تتواصل فيما بينها بمرسلات شفهية. فالشرائط الجوهرية لتواصل لساني محض يظهر أنها تنعدم في عالم الحيوانات بما فيها الفصائل المتطورة.

والسؤال يُلقى بوجه اخر حينما يتعلق الامر بالنحل، أو يلزم على اي حال أن نتصور انه سوف يطرح في المستقبل. فالكل يحمل على الاعتقاد - وهذه الواقعة لوحظت منذ أمد بعيد - بأن النحل يتوفر على وسيلة للتواصل بين زمره. فالتنظيم العجيب لخشارمه، وأنشطته المتباينة، والمنسقة، وقدرته على التدخل الجماعي في حالات غير متوقعة يحمل على افتراض كونه قادرا على تبادل مرسلات حقة. ولقد انصرف اهتمام الملاحظين بصفة خاصة الى الطريقة التي تنذر بها نحلات حينما تكتشف واحدة منهن مصدر الطعام. فالنحلة الجارسة التي تعثر أثناء تحليقها على زاد حلو جاهز، تغتذي به. وأثناء التقاتها يقدم المجرب (L'expérimentateur) على وسمها فتعود الى خليتها. وبعد لحظات، نلحظ زمرا من النحل يغادر الخلية من غير أن تصاحبهن النحلة الموسومة. فتتجه هذه المجموعة صوب الموضع. ومن المؤكد أن تكون تلك النحلة قد أنذرت صواحبها. ويفترض أن تكون مجموعة النحل قد حصلت منها على معلومات دقيقة، لانها اهتدت بغير مرشد الى الموضع الذي يقع عادة على مسافة بعيدة عن الخلية وخارج رؤيتها. وليس ثمة خطأ ولاتردد في الوسم : فان اختارت الجارسة زهرة من الازهار الاخرى التي تجتذبها، فان النحلات، بعد عودة الجارسة، يقعن على هاتيك الزهرة ويهملن غيرها من الازهار. فالظاهر ان النحلة المستكشفة قد أرشدت صواحبها الى المكان الذي أتينه . ولكن بأي وسيلة ؟

هذا المشكل الخلاب تحدى المراقبين منذ أمد بعيد. وإننا مدينون لكارل فون/ فريش (بروفسور علم الحيوان بجامعة ميونخ) بكونه واضع تباشير حل له من خلال التجارب التي واصلها منذ ثلاثة عقود. لقد عرفتنا مباحثه على عملية التواصل بين النحل، اذ لاحظ في خلية شفافة سلوك النحلة المخبرة بعد اكتشاف الجني. انها تحاط فجأة بصواحبها في جيشان كبير. فتقوم النحلات بتسديد الزباني صوبها لتفتتن بالعبير الذي انبطت به النحلة الكشافة، أو بمصمصن أري الزهر الذي تستفرغه. ثم تؤدي رقصات في حضرة صواحبها. هذا هو الوقت الاساسي لسير عملية التواصل الحقة. فالنحلة تكب بحسب الوضع على اداء رقصتين متباينتين. ترتكز الرقصة الاولى على رسم دائرة أفقية من اليمين الى اليسار ثم من اليسار الى اليمين على التوالي. أما الرقصة الثانية فيرافقها اهتزاز متواصل للبطن (wagging-dance) (أي رقصة الاهتزاز) وهي تماثل تقريبا شكل (8) ثمانية : فالنحلة تحلق في خط مستقيم ثم تنجز دورة كاملة باتجاه اليسار، وتعاود التحليق المستقيم، وتنجز ثانية دورة كاملة يمنة، وهكذا دواليك. وبعد الرقصات تغادر نحلة أو أكثر الخلية قاصدات المصدر الذي زارته النحلة الكشافة في مسلك مستقيم. وبعد أن يتزودن بالزاد يعدن من حيث أتين ليؤدين بالخلية نفس الرقصات، مما يؤدي الى انطلاقات محثثة بشكل تسارع فيه مئات النحلات بعد اقبال أسراب كثيرين، الى الموضع الذي اكتشفت به : الجارسة الطعام. أما الرقص الدوائري والثماني ★ في الخلية فيظهر اذن أنه مرسلات بحتة يعلن بواسطتها على الاكتشاف. يبقى الكشف عن الطباق بين الرقصتين ضروريا. وقد ظن ك. فون. فريش أن ذلك يعزي الى طبيعة الجني : فأما الرقصة الدائرية فتخبر عن الرحيق، وأما الرقصة الثمانية فتشير الى العكبر.

ان هذه الملاحظات المقرونة بتفسيرها والمعروضة عام 1923، قد غدت اليوم أفكارا سارية وفي متناول العامة. ونعلم انها قد أوجدت اهتماما مخصوصا. وبالرغم من البرهنة المقامة فانها لاتشجع على الحديث عن لغة خالصة.

وقد جددت هذه التصورات جذريا في الوقت الراهن بالتجارب التي تابعها كارل فون فريش منذ أمد، والتي أقدم فيها على توسيع وتعديل فحوصه الاولية. وقد أذاعها عام 1948 في المنشورات التقنية، ثم اختزلت بايضاح شديد عام 1950 في مجلد صغير استذكرت فيه المحاضرات الملقاة في الولايات المتحدة الامريكية. وبعد الآلاف من التجارب التي يبعث الحذق والاناة فيها على الإكبار، اهتدى كارل الى تحديد دلالة الرقصات.

ان الجدة الجوهرية فيها هي ان الرقصات لاتقوم - كما ظن مسبقا - على طبيعة الجني، وانما تشير الى المسافة الفاصلة بين الجني والخلية. فالرقصة الدائرية تعلن ان موضع الطعام يجب اكتشافه على مسافة قريبة، أي على بعد مائة متر تقريبا عن الخلية. فتقلع النحلات وينتشرن حولها الى أن يعثرن عليه. أما الرقصة الثمانية الثانية التي تنجزها النحلة الجارسة بالاهتزاز (Wagging-dance)، فانها تدل على أن المكان يقع على مسافة أطول تضاهي مائة متر وتصل الى ست كيلومترات.

تتضمن هذه المرسلة معلومتين متميزتين : تشير المعلومة الاولى الى المسافة المخصوصة، والثانية الى الاتجاه، فالمسافة يشار اليها بعدد الاشكال المرسومة في زمن محدد، وتتراوح بحسب تناسبها العكسي مع معدل الرقصات. وعلى سبيل المثال، فان النحلة ترسم من الرقصات الثمانية الكاملة تسعا الى عشرة، في ظرف خمس عشرة ثانية حينما تكون المسافة على بعد مئة متر، وترسم من نفس الرقصة سبعا اذا كانت المسافة مئتي متر، وأربعا ونصف مقابل كيلومتر واحد، واثنين فقط مقابل ست كيلومترات. وهكذا كلما بعدت المسافة كلما تضاءل الرقص. أما المسلك الذي يفترض ان يقصد للبحث عن الجني فان خط الثمانية (8) هو الذي يحدده في علاقته مع أشعة الشمس، فهذا الخط بحسب انحرافه يمنة أو يسرة يشير الى الزاوية التي يكونها موضع الاكتشاف مع اتجاه الشمس.

فالنحل قادر حتى في الجو الغائم على ان يتوجه بموجب حساسية خاصة شطر الضوء المستقطب.

وإبان التنفيذ تلحظ اختلافات طفيفة من نحلة الى اخرى أو من خلية الى اخرى في امتداد المسافة وليس في اختيار هذه الرقصة أو تلك. وهذه النتائج هي حصيلة مايقارب أربعة الف تجربة استعادها في أوربا وأمريكا علماء الحيوان المتشككون، فأثبتت في نهاية المطاف.. ولدينا الآن وسيلة للتيقن من أن الرقصة بشكليها هي التي تمكن النحلات من إطلاع صواحبهن على اكتشافاتهن والتهادهن اليها من خلال الاشارات الدالة على الاتجاه والمسافة. فالنحلات المدركة لرائحة الجارسة او الممتصة للأري الذي تبتلعه يعرفن طبيعة الجني فيحلقن بدورهن ويهتدين الى المكان بشكل أكيد. ومن ثم يتوقع الملاحظ من خلال شكل وايقاع الرقص ماسوف يحدث من سلوك في الخلية ويقوم المؤشرات المتناقلة. لامجال هنا للتنبيه الى أهمية هذه الكشوف في دراسات علم نفس الحيوان. فما نريد التركيز عليه هنا هو الشكل المعني من المشكل الذي أغفله ك. فون فريش في ماتطرق اليه بموضوعية من التجارب. فنحن للمرة الاولى سوف نقوم بتفصيل القول وتعيين شكل التواصل المستعمل في خشرم الحشرات، وتمثيل وظائف «اللغة» الحيوانية، وباختصار بالوسع التبيين، بأي شيء تكتسب هذه «اللغة» (أو لا تكتسب) خاصية اللغة، وكيف تمكن هذه الملاحظات عن النحل من تحديد التماثل او التغاير بينها وبين اللغة الانسانية. فالنحل يظهر قادرا على انتاج وفهم مرسلة خالصة تختزن عدة معطيات، إذن فانه يستطيع ان يسجل علاقات الوضع والمسافة، ويحفظها (Les conserves) في «حافظته».

ويتواصل بها من خلال الترميز بسلوكات جسدية عديدة. والواقعة المشهودة هي أولا ان النحلات تظهر قدرة على الترميز ★ : ثمة تماثل عرفي بين المعطى وبين السلوك الذي يترجمه. هذه الصلة تنقل على متن الاشارات لتدركها باقي النحلات فتصبح بذلك محرك الحراك.

الى هنا نلفي عند النحل نفس الشرائط التي في غيابها تستحيل اي لغة، من المقدرة على صوغ وتفسير العلامة التي تحيل على «حقيقة» معينة، وذاكرة التجربة، والمقدرة على تفكيكها. فالمرسلة المبلغة تحوي ثلاثة معطيات، هويتها هي الوحيدة القابلة لان تعين هنا : هي التنبيه على وجود مصدر للطعام، والمسافة، والمسلك. ويمكن أن نرتب هذه العناصر بشكل مغاير. فالرقصة الدائرية تنطوي على وجود الجني وتشير الى قرب المسافة. وهذه الرقصة قائمة على مبدأ الى، هو «كل شيء أو لا شيء». اما الرقصة الثانية فتشكل حقا التواصل، ووجود الطعام في هذه المرة هو الضمني في المعطيين (المسافة والمسلك) المعروضين تعبيريا.

إننا نلحظ هنا أوجه شبه كثيرة مع اللغة الانسانية. هذه السلوكات تستخدم رمزية خالصة فضلا عن بدائيتها، من خلالها تحول المعطيات الموضوعية الى حركات شكلية تتضمن عناصر متنقلة ومدلالة قارة. فكأن الحالة والوظيفة تندرجان أيضا تحت إطار لغوي بالمعنى الذي يكون فيه النسق مشروعا، داخل مجموعة معطاة، وكل فرد من هذه المجموعة قادر على توظيفه او فهمه بنفس الاشارات.

لكن الاختلافات قيمة وتساعد على وعي خواص ومميزات اللغة الانسانية. فالتباين الاول هام : ان مرسلة النحل تقوم كليا على الرقص بدون تدخل الجهاز «الصوتي» فيما لا وجود للغة بغير نطق. إذن ثمة اختلاف أخر من نوع فيزيائي. فالتواصل الحركي وغير الصوتي عند النحل ينفذ بالضرورة في ظروف تمكن من الادراك البصري في ضياء النهار، ويتعذر تحققه في الظلمة، بينما لا تشهد اللغة الانسانية هذا القصور.

ويبرز أيضا خلاف رئيس في الوضعية التي يجري فيها التواصل. فمرسلة النحل لا تستدعي أي جواب من المحيط بل سلوكا لا يمت الى الجواب بصلة. وهذا يدل على أن النحل يجهل الحوار الذي يعتبر شرطا في اللغة الانسانية. فنحن نكلم أخرين يتكلمون. وهذه حقيقة بشرية. ولعل ذلك يوحي بتضاد جديد. فبناء على غياب الحوار لدى النحل، يرتد التواصل بصفة خاصة الى معطى

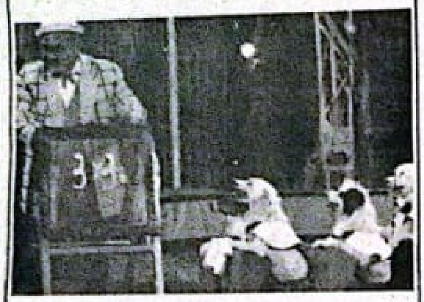

البقية على ص :

التواصل الحيواني واللغة الانسانية (تتمة)

موضوعي معين . فلا يمكن مسبقاً قيام تواصل رهين معطى السلبي لعدم وجود الجواب . لان الجواب ارتكاس السلبي للتحفيز السلبي . ولان مرسلة النحلة ايضا لا يمكن ان يعاد التقاطها من طرف نحلة اخرى لم تبصر الاشياء التي ابلغتها الاولى اياها ، ولم تلاحظ قط ، مثلا ، ان نحلة نقلت من مرسلة الى خلية غير خليتها التي توصلت فيها بتلك المرسلة . فقد غدا ذلك طريقة للايصال او التبادل . ونعثر هنا على اختلاف عن اللغة الانسانية التي يقوم فيها الحوار على المزج بين المرجعية والتجربة الموضوعية ، وبين الارتكاس والتحفيز الالسني في طلاقة وبدون حصر .

والنحلة لا تنشىء مرسلة من أخرى . فجميع النحلات المنذرات بواسطة رقص الجارسة ، يخرجن ويقصدن المكان المعلوم للاقتيات ، فتعيد كل واحدة منهن إيصال نفس الاعلام ، ليس من خلال المرسلة الاولى ، ولكن من خلال الواقع الذي أقدمت على معاينته . والحالة هذه ، فان خاصية اللغة هي استحداث بديل للتجربة القابلة للتبليغ بدون حصر في الزمان والمكان ، مما هو السر في رمزيتنا وانشاء التقليد الالسني .

فاذا وضعنا نصب أعيننا ، مضمون المرسلة ، سهلت ملاحظة ارتباطه الاحادي المستقيم بالمعطى الذي هو الطعام ، وان التنوعات الوحيدة التي يتضمنها تابعة الى معطيات مخصوصة . فالتضاد الحقيقي يكمن في المضامين اللامتناهية للغة الانسانية . يضاف الى ذلك ما يعكسه السلوك الذي يدل على مرسلة النحل من رمزية خاصة ترتكز على استنساخ الحالة الموضوعية ، بل الحالة الوحيدة التي تكون علة وجود مرسلة ، من غير تنويع ولا تبديل ممكن . والحالة هذه ، فان الرمز عموما في اللغة الانسانية لا يشكل معطيات التجربة ، أعني عدم وجود علاقة ضرورية بين المرجعية الموضوعية والشكل الالسني . فثمة تمييزات جمة يجب الادلاء بها ، فيما يتعلق بالرمزية الانسانية التي لم تفحص طبيعتها ووظائفها بشكل مستفيض ، بيد ان الاختلاف موجود . وهنالك خاصية للتواصل اخيرا تجعله مختلفا بشدة عن الالسن الانسانية . ان مرسلة النحل لا تذعن للتحليل ، اذ لا نرى فيها سوى مضمون شامل . فالاختلاف الوحيد يتصل بالوضع الخاص للموضوع المعتبر . غير انه يستحيل تفكيك هذا المضمون الى عناصره المكونة له ، والى «صرفيماته» (Morphèmes) بالكيفية التي يعادل فيها كل «صرفيم» عنصرا من القول (Enoncé) . واللغة الانسانية تتميز في العمق بهذا الشيء . فكل قول يتحلل الى عناصر تترتب بطواعية ، بمقتضى قواعد محددة ، بكيفية يقوم فيها عدد مختزل من الصرفيمات بافراز عدد هام من التركيبات ، ولعل هذا هو منشأ التنوع في اللغة الانسانية ، الذي هو القدرة على قول كل شيء . ويبين التحليل المعمق للغة ان هذه الصرفيمات ، التي هي عناصر الدلالة ، تتقلص بدورها الى صوائت (phonèmes) هي عناصر الانبناء المجرد من الدلالة ، التي يكون نمذجها الانتخابي (Sélectif) والتمييزي ، الوحدات الدالة . هذه الصوائت «الشاغرة» ، والمنسقة في اطار أنظمة تشكل أساس كل لسان . فمن البين أن لغة النحل لا تمكن من عزل مكونات مماثلة ، ولا تتحلل الى عناصر تمييزية وقابلة لتعيين الهوية .

إن مجموع هذه الملاحظات يقوم بإبراز الفرق الاساسي بين طرائق التواصل المكتشفة لدى النحل وبين لغتنا . هذا الفرق يختصر في مصطلح هو في نظرنا أكثر أهلية لتحديد شكل التواصل الذي يستعمله النحل . هذا المصطلح لن يكون «اللغة» وانما «قانون المؤشرات» (Code de signaux) ، وتنجم عنه كل هذه الخصائص :- قارية المضمون ، عدم تنوع المرسلة ، الاتصال بوضعية مستفردة ، طبيعة المضمون الغير المفكك ، الابلاغ الاحادي .

وما يبقى ذا دلالة هو كون هذا القانون او الشكل الوحيد «للغة» الذي وقفنا على اكتشافه لدى الحيوانات خاصا بحشرات تحيى مجتمعة . فالمجتمع كذلك شرط للغة . ان الفائدة البسيطة لاكتشافات ك. فون فريش ، وما تأتينا به من إيحاءات عن عالم الحشرات ، ليست الا في الكشف غير المباشر عن حالات اللغة الانسانية والرمزية التي تفترضها . ويمكن ان يدفع بنا تطور الابحاث الى فهم دوافع وطرائق هذا الشكل من التواصل ، أما ما كان من إثبات أسسه وما هيته وكيفية سيره ، فقد دل على أننا نلاحظ جيدا من أين تبدأ اللغة ، وكيف يحدّد الانسان .

الشاعرة الزنجية الامريكية جين كورتيز (تتمة)

بامكاننا ان نستخدم اليوم تلك الصور السلبية التي كانت سائدة عن المرأة في الاربعينات او الخمسينات او حتى في مطلع الستينات . نحن نبحث اليوم عن تحديد جديد لصفة المرأة ولدورنا ، لما نريد ان نمثله وللصورة التي نريد ان نرى انفسنا فيها . هكذا يتغير الشعر بمقدار ما نتطور .

. تقولين انك كثيرة النشاط في المجتمع الاسود . فما كانت نتائج ذلك على عملك ؟

○ ثبت عندي اننا في المجتمع الاسود نملك كثيرا من المشاعر المشتركة ، واننا نكافح من اجل المساواة والعدالة في الولايات المتحدة . وهذا ما يفسر اننا في كل مكان ننظم انفسنا . كذلك نهتم بمجتمعنا في افريقيا الجنوبية ، فنحن نكره التمييز العنصري ونحاربه . وهو يمثل في نظرنا الوضع الذي كان سائدا في جنوب الولايات المتحدة قبل اختفاء التمييز العنصري في الخمسينات والستينات . والدعم الذي تقدمه الحكومة الاميركية الى نظام جنوب افريقيا ، هو مصدر قلق لدينا ، ونحن نراقب عن كثب تطور هذا الوضع .

. يقال ان الشعر هو صيغة ادبية على طريق الاندثار ، وان الناس يشترون الاقل من الكتب الشعرية عاما بعد عام . ماذا تفعلين لزيادة تعريف الناس بالشعر ؟

○ انا اقرأ قصائدي مع مرافقة موسيقية ، وقد انجزت تسجيلا عنوانه « ذلك هو » توزعه شركات متخصصة بالموسيقى الشعبية والجاز . كما ابث حلقات في الاذاعة والتلفزيون ، فيتمكن الناس من مشاهدتي في منازلهم والاستماع الى ما اكتب . وهذا ما يجب أن يفعله الشعراء : تسجيل الاشرطة والاسطوانات ، والذهاب الى التلفزيون لالقاء قصائدهم على سائر المجتمعات .

. تقدرين طبعا ان عندك رسالة تؤدينها .

○ كل الموضوعات التي اتناولها ، التمييز العنصري ، وعدم المساواة ، والاستغلال ، تقودنا الى ما نحن عليه الان . فالظلم وعدم المساواة واستغلال الشعوب تثير الرغبة في القاء القنبلة والسيطرة على الاخرين . ولابد من التحدث عن التمييز العنصري وسائر المسائل اذا اردنا أن نجد الحلول .

. اي نوع من الجمهور يستمع الى قصائدك ويشتري الاشرطة ويشاهد احاديثك التلفزيونية ؟ الا تظنين انك تعظين المهتدين ؟

○ لا تسعى جميع قصائدي الى الاقناع ، ويقرأني الناس او يستمعون الي لاسباب اخرى . انا اتحدث عن المدن ، عن الحب ، وعن موضوعات اخرى ، واذا اهتم الناس بما اعمل ، لاي سبب كان ، فانهم يجدون ايضا قصائد ضد الحرب . انا محظوظة لاني اتلو كثيرا من قصائدي في كل الولايات المتحدة ، في الجامعات كما في المكتبات ، المستشفيات ، في دور العجزة وفي مراكز مكافحة المخدرات . لقد قرأت قصائدي في الحانات ، وتلوتها على قوم من مختلف الأعمار ومن جميع الفئات .

. هل ترين نفسك قريبة الالهام من الشعراء المحبين للسلام الذين سبقوك ؟

○ نعم ، جدا ، لاني اعرف انهم كانوا يعانون ذات المخاوف ، وأشعر انني في جانبهم . نريد أن نحيا جميعا ، اياكنا . اذا كنا مؤهلين للخروج من بلادنا ، اذا تمكنا من الوصول الى معلومات دقيقة ومعرفة ما يجري فعلا ، فذلك يعني دون شك اننا نختار الحياة !

ندوة حول جوانب من الادب في المغرب الأقصى (تتمة)

. النيل والتكملة : مصدرا التاريخ المغربي ، للاستاذ الدكتور محمد بنشريفة
. الساعة الثالثة و40 دقيقة :
. من أدب القراء في القرن الحادي عشر ، للاستاذ محمد بالوالي من كلية الاداب بوجدة
. الساعة الرابعة بعد الزوال : استراحة
. الساعة الرابعة و30 دقيقة :
. احمد بن المأمون البلغيثي وشعره ، للاستاذ محمد العلمي من كلية الاداب بمكناس
. الساعة الرابعة و50 دقيقة :
. الحسن اليوسي ابو عتاهية المغرب ، للاستاذ عبد الرحمن حوطش من كلية الاداب بوجدة
. الساعة السابعة و10 دقائق : مناقشة

○ السبت 14 ابريل : جلستان متواليتان :
أ) الجلسة الخامسة برئاسة الاستاذ محمد بالوالي (مقرر)
. الساعة التاسعة صباحا :
. الشعر المغربي الحديث والتراث ، للاستاذ الدكتور احمد الطريسي من كلية الاداب بالرباط
. الساعة التاسعة و20 دقيقة :
. خصائص الادب الجغرافي في المغرب ، للاستاذ احمد هداري من كلية الاداب بوجدة
. الساعة التاسعة و40 دقيقة : استراحة
. الساعة العاشرة و10 دقائق :
. شعر المقاومة والجهاد في الادب الشلوحي ، للاستاذ محمد الشامي من كلية الاداب بوجدة
ب) الجلسة السادسة برئاسة الاستاذ حسن الامراني :
. الساعة التاسعة صباحا :
. الادب المغربي في اللغة الاسبانية ، للاستاذ الدكتور حسن الوراكلي من كلية الاداب بتطوان
. الساعة التاسعة و20 دقيقة :
. مدخل سيكولوجي لنص شفوي ، للاستاذ فؤاد ابيهي من كلية الاداب بفاس
. الساعة التاسعة و40 دقيقة :
. الادب المغربي المكتوب بالفرنسية ، للاستاذ عبد الرحمن طنكول من كلية الاداب بفاس
. الساعة العاشرة صباحا : استراحة
. الساعة العاشرة و20 دقيقة : مناقشة
. الساعة الحادية عشرة و30 دقيقة : كلمة الاختتام

CS Scanné avec CamScanner

متابعات

ادريس الخوري في لقاء مفتوح بمدينة سطات:

رهان الأدب أن يكون شاهدا على المجتمع وتحولاته

كان جمهور مثقفي مدينة سطات مؤخرا على موعد مع التظاهرة الثقافية التي نظمتها جمعية «المنتدى الأدبي» من خلال استضافة القاص ادريس الخوري في لقاء مفتوح بالخزانة البلدية.

وقد انطلقت أشغال هذا اللقاء الذي ترأسه الأستاذ العربي الذهبي (عضو الجمعية وأستاذ بكلية الآداب/ بني ملال) بكلمة ترحيبية القاها الشاعر والمسرحي سعيد اسمعلي اعقبتها مداخلة مركّزة للأستاذ عبد الباسط لكراري حول التجربة القصصية عند ادريس الخوري وما تطرحه من أسئلة على صعيد استراتيجية المقاربة النقدية بدءا من مرحلة النقد الواقعي، وانتهاء بالخيارات الشكلانية.

تمحورت مداخلة ذ. الكراري - في مستوى ثان - حول رصد داخلي لمؤشرات التميّز في الكتابة القصصية عند الخوري مع الوقوف بخاصة على موضوعات «الكتابة بالعين»، والتعامل مع اللغة، والخلفية السيميائية للاشتغال على الأبعاد والأشكال في اغلفة المجموعات القصصية، ومستويات الدلالة في لغة السرد... وانهى الأستاذ لكراري مداخلته بموضعة نسقية للمنتوج الأدبي عند الخوري، الكاتب ضمن المشهد الثقافي المغربي الحديث، ثم أعطيت الكلمة بعد ذلك للقاص ادريس الخوري الذي شكر للجمعية هذه المبادرة الجادة، وفضّل إلقاء شهادة عن الشاوية من وحي الذاكرة وتحديات الحاضر قبل قراءة نص (المكان) من مجموعته الأخيرة «يوسف في بطن امه». وعقب ذلك، فتح المجال أمام مساءلات المثقفين حيث تشعّب النقاش الى المحاور التالية:

(1) تحولات التجربة القصصية وتجليات الحداثة في الكتابة الابداعية عند الخوري.

(2) دينامية العلاقة بين الابداع والواقع، والبُعد التداولي للكتابة في ركاب الفعل والتغيير.

(3) وضعية الكاتب الاعتبارية في تخوم التقاطع مع زفزاف وشكري، واهتمامات القاص الثقافية الحالية، وتقييمه للوضع الثقافي الراهن.

اعرب ادريس الخوري عن غبطته باهمية الأسئلة التي «تكشف عن نوع من الهم الثقافي بسطات»، ثم انطلق يحدد منظوره للكتابة ومنعطفاتها، معتبرا ان الحداثة مفهوم وصفي ينسحب على فضاءات سيميائية متعددة (المعمار، اللباس، الشعر، القصة الخ)، وتشرطه حصة وافية من التراكمات. بيد أن ثمة على العموم، نماذج تمثل انعطافات أساسية في الكتابة القصصية المغربية إما تشذّ في بعض مثالاتها عن ضوابط التجنيس (احمد المديني مثلا)، او تفرز بعدا تشكيليا جديدا في المنظور والآليات والكفايات السردية (احمد بوزفور وعز الدين التازي وبعض نصوص الجيل الجديد). ويظل الخطاب القصصي مطالبا بمزيد من الكشف عن الانزياحات الصميمية في بنية المشهد السردي المغربي مع ملاحظة تقلّص مستوى التمثيلية الحداثية في كثير من النصوص القصصية التي تلبث تجربتها بهذا الخصوص محدودة وباهتة. وان التساؤل حول نص «حكاية مريض» لا يستجيب نظريا لهاجس البحث عن تناول حداثي سردي مغاير في محصلة التاويل، بقدر ما يرتبط بمحاولة «تكسير نرجسية الكاتب ووهم التمركز الذاتي، اعني تكسير وهم الكتابة، في نهاية المطاف»، يقول ادريس الخوري. اما بخصوص السؤال النقدي، فان الظاهرة التي تكاد تكون إفرازا طبيعيا لمرحلة النقد الواقعي هي اتجاه الخطاب النقدي الواصف الى تشييء العمل الأدبي، والتعامل المحدود مع المستوى المضموني في إحالاته المرجعية. فاوشك النقد ان يتحول الى ضرب من الرقابة الايديولوجية الاعتباطية دون السعي الى مقاربة المستويات البنائية الأخرى للنص القصصي مما يجافي بوضوح جوانب الخصوصية والفرادة ضمن المنتوج الابداعي. اما الكتابة بالعين فمشروع تم اجتراحه للخروج من الثقل البلاغي للغة السرد، ان القصة المغربية «تكتب اللغة ولا تكتب المشهد بخلاف الانتاجات القصصية العالمية التي تتأسس فيها رؤى مشهدية تقوم على التقاط التفاصيل والالتصاق بنبض الواقع لإعادة صياغته إبداعيا، واللغة «عندي - يضيف الخوري - بسيطة وغير تقريرية او خطابية، كما انها وقحة ضد اللغة البلاغية، والمبدع إنما يستعمل اللغة إياها لتكسير الواقع الذي كان وراء نحتها. وبخصوص تجربتي الخاصة، فانا انتمي الى مدينة كبرى هي الدار البيضاء، وهي مدينة وقحة وعدوانية، من مشاهد واقعها استوحي لغتي». واما ظاهرة السخرية التي تميز بعض كتابات ادريس الخوري، فانها تتغيا التعرية المستمرة للمفارقات التي يحبل بها المشهد السياسي والثقافي المغربي ليس عبر نسيج الكتابة القصصية فحسب، ولكن عبر منحنيات ترسم ظلالها في كتابة سبق للأستاذ لكراري ان اوضح في مداخلته التمهيدية أن لها نكهتها الخاصة، والتي جد تجلياتها البارزة في بعض النصوص المجردة من اسماء التجنيس.

وفي المحور الثاني، اكد القاص ادريس الخوري ان «الالتزام السارتري افرز أدبا رديئا سمته الأساسية: الخطابية المباشرة، وإذا كان للكتابة دورها في بنية التحولات المجتمعية، فان ما يسترعي النظر - يوضح الخوري - هو ان «الثقافة في المجتمع المغربي لا تلعب دورا مباشرا. فهي تقف خلف المشهد السياسي الذي استحوذ الآن على الساحة. ان البوصلة المتحكمة في مدارات الاختيار، والمحددة لاتجاهات التغيير هي العنصر السياسي تحديدا. وهذه مسلّمة لا يجوز للأدب بحال ان ينشدّ الى فلكها وإلا فقد نُسغ وجوهر كينونته التي ليست إلا وظيفته الابداعية... فهناك مشاكل بنيوية تلعب دورها في هذا المجال، ورهان الأدب ان يكون شاهدا بشكل دقيق على المجتمع وتحولاته...» ان الالتزام في تصور الخوري ليس مفهوما آليا، ولكنه يتماهى مع هذه الشهادة التي يتعين أن يمتلكها الأديب عن واقعه وعصره في رؤية شمولية واستكشافية.

اما بخصوص اسئلة المحور الثالث، فقد شدّد القاص ادريس الخوري على أن الثالوث: زفزاف - الخوري - شكري، وإن كان يفصح جزئيا عن وجود بعض القواسم المشتركة (هموم فكرية - فضاءات - مقاربات لبعض ظواهر الحياة الاجتماعية المغربية) فان لكل كاتب من هؤلاء الثلاثة أسلوبه الخاص في الكتابة، وطرازه المتميز في زاوية التصور والمنظور. واكد ايضا في سياق رصد راهن المسار الابداعي المغربي على وجود تحسن نسبي إن على صعيد المنشورات والملتقيات والمتابعات او على صعيد تحقق مشروع «تاسيس الذات خارج تقليد ما هو مشرقي». وهذه المتغيرات الايجابية تظل في مسيس الحاجة الى البلورة والتمديد والقراءة بعيدا عن الحساسيات الزائدة.

وقبل ختم مداخلته، اشار الخوري الى ان اهتماماته الثقافية يطبعها التنوع والتعدد: (الموسيقى - المسرح - الفنون التشكيلية - الرواية...)

> **أنتمي إلى مدينة كبرى هي الدار البيضاء، وهي مدينة وقحة وعدوانية، ومن مشاهد واقعها أستوحي لغتي**

ولا تنحصر في لون تعبيري محدد، او مشرب معرفي معين، وهي بالتالي اكثر إنصاتا الى نبض الإبداع المغربي، والتصاقا باسئلته الآنية والآتية، وملامسة لمؤشرات الثبات والتحول في نسيج الثقافة المغربية المعاصرة. وفي التفاتة الى مبادرة الجمعية، وجه القاص اخيرا دعوة الى من تعنيهم شؤون الثقافة في مدينة سطات، الى دعم الشرط الثقافي لإزالة بعض الوصمات اللا ثقافية المكرّسة محليا والتي تتوارد على مخيلة وفكر المبدعين، كلما دار في خلدهم اسم المدينة (سطات). فالأصوات الأدبية والفكرية الوطنية تتشوّف الى مزيد من الدينامية والإشعاع المحليين وهذا معطى اكيد تُمليه طبيعة موقع مدينة سطات كهمزة وصل بين مركزين بارزين (البيضاء - مراكش)، وكمنطقة جذب واستقطاب في طريق العبور.

■ م - م

لكراري عبد الباسط

جريدة الاتحاد الاشتراكي - 95

متابعات

محمد زفزاف في لقاء مفتوح بسطات:

الكتاب الشرفاء يرفضون التطبيع مع اسرائيل

في اطار الانشطة الثقافية التي اعطت انطلاقتها جمعية «المنتدى الادبي» الحديثة العهد بالتأسيس، كانت الفعاليات الثقافية المحلية وجمهور غفير من المتتبعين الذين غصت بهم جنبات قاعة العروض بالخزانة البلدية بسطات، على موعد مع الكاتب محمد زفزاف في لقاء مفتوح مساء الثلاثاء 25 ابريل 95.

في بداية هذا اللقاء وباسم الجمعية المنظمة والحضور السطاتي، رحب الاستاذ وحسن اغلان بالكاتب شاكرا له تجشمه مشقة السفر للالتزام بالمشاركة في وضع لبنة اساسية على طريق اقلاع ثقافي حقيقي بالمدينة ثم وقف الجميع دقيقة صمت ترحما على شاعر افتقدناه اخيرا، هو المرحوم احمد الجوماري، بعد ذلك ذكر الاخ اغلان بالمكانة المتميزة التي تحتلها الكتابة القصصية في شخص محمد زفزاف ضمن اطار الفضاء الابداعي المغربي. وعرف في كلمة تقديمية باهداف الجمعية واعضائها المؤسسين (العربي الذهبي - سعيد اسمعلي - عبد الباسط لكراري - عمر اوكان - حسن اغلان) وضرورة دعم انشطتها الفكرية والثقافية خدمة لوظيفة الابداع في بلورة الاسس الحضارية للمجتمع المدني. واعطيت الكلمة للاستاذ عبد الباسط لكراري الذي حاول في اضاءة مركزة رسم الخطوط العريضة لتاريخية التجربة القصصية والروائية عند محمد زفزاف، واستنطاق مؤشرات خصوصيتها وتميزها مع موضعة الكتابة السردية في ملتقى اسئلة الخطاب النقدي الكائنة والممكنة... ثم تناول الكلمة بعده الكاتب محمد زفزاف ليعرب عن مشاعره القلبية بزيارة مدينة سطات، وتلبية دعوة جمعية « المنتدى الادبي» املا ان تتكرر هذه المبادرات الجادة حتى «تكون سطات مدينة اشعاع ثقافي» ثم اقترح على الحضور قراءة نص «عرية النساء» من مجموعته القصصية الاخيرة (العرية) 1993.

وقد تعددت الداخلات في النقاش المفتوح بخصوص تجربة محمد زفزاف القصصية ووجهات نظره حول اسئلة الراهن الثقافي وطنيا وعربيا. وعلى العموم يمكن توزيع معظم المداخلات الى المحاور السبعة التالية:

1) التجربة الابداعية واحتفاء «الآخر» بالانتاجات السردية لمحمد زفزاف

2) تصور زفزاف لبنية المشهد الثقافي المغربي في ظل التحولات المجتمعية والفكرية والمؤسسية

3) المحددات النظرية للمعادلة الصعبة التي تضع هوس الجنون على حافة التقاطع مع هوس الكتابة السير ذاتية (في اشارة الى الحوار الصحفي الذي اجراه الكاتب مؤخرا مع الاخ شكيب عبد الحميد - الاتحاد الاشتراكي عدد 13/4264 ابريل الماضي ص 12)، وسبب عدول محمد زفزاف عن خوض مشروع السيرة الذاتية.

4) حيثيات الموقف الانتقادي الصارم لواقع الحداثة كما نظر لها ادونيس بخاصة

5) غياب الانتاج السردي المغربي (وضمنه انتاجات زفزاف) عن ساحة الكتابة السينمائية.

6) موقف الكاتب من مسالة التطبيع مع اسرائيل، ومن تجريد الشاعرين عبد الوهاب البياتي ومحمد مهدي الجواهري، مؤخرا، من الجنسية العراقية

7) تفكيك العلاقة الصدامية بين الخطاب النقدي المغربي، والانتاجات الابداعية المغربية، وطبيعة الشرائط التي تبرر محاولات الاقصاء.

في البداية اوضح محمد زفزاف ان انطلاقة عملية النشر عنده بدات في الستينات حيث عانق الكتابة الشعرية في خضم المشاريع التاسيسية الاولى لحركة الشعر الحديث عبر مجلات «شعر» البيروتية، و «الاداب» و «المجلة» ايضا في اواسط العقد السادس من هذا القرن. وجاءت الانعطافة الاولى الى مدارات الكتابة السردية استجابة لرغبة ذاتية تؤججها حاجة الابداع القصصي المغربي الى خضة قوية تعيد ارساء علائق جديدة مع متغيرات الكتابة القصصية التي لم تكن المحاولات السائدة تمتلك يومذاك ادواتها والياتها.. وهي الى ذلك كتابة استدعت احداث قطيعة مؤسسة مع التراكمات القصصية الهشة، كما انها استدعت حيازة تصور نظري مغاير يتاقلم في وظيفته مع المتغيرات الكبرى في الكتابة القصصية الجديدة.

- وفي معرض تعقيبه على مركزية الاشتغال النقدي في الرسائل والاطروحات الجامعية على الانتاجات الروائية الشرقية، اكد محمد زفزاف على القيمة الاعتبارية للادب المغربي الذي لم يحظ الى الان بما يستحقه من مساءلة واستقصاء، وتلك - في تصوره - مفارقة اعتباطية تعيد الى الاذهان مقولة العلامة سيدي عبد الله كنون حول احتقار الادباء المغاربة لكتابهم، ولها جذور تاريخية تجد على العموم تجلياتها في نكبة سؤال الابداع المغربي في الفكر الفلسفي (ابن رشد...) والادبي (لسان الدين بن الخطيب وغيره). وهذه مسالة جديرة بالحفر والمقاربة العلمية. واشار زفزاف في هذا السياق الى كون النظريات والمناهج النقدية ينسخ بعضها بعضا، اما الابداع فشيء ابدي؛ ولذا فالنقد المغربي مطالب بدعم الابداع المغربي ومتابعته والانصات لنبضه.... ومن جهة اخرى فان جدية الكتابة القصصية عنده، ونوعية ملامستها للقضايا الوطنية والانسانية هما اللتين تمليان - دون اي سعي او استجداء شخصي - ذلك الاهتمام الوافر الذي تخصصه الجامعات الاوربية (السوربون وليدن)، والاوساط الادبية والنقدية في اوربا الشرقية والاتحاد السوفياتي سابقا لرواياته ومجاميعه القصصية ان على مستوى الترجمة الى اللغات الكونية او على صعيد البرامج والمقررات الجامعية.

- وفي رد على اسئلة المحور الثاني، اصر محمد زفزاف على عدم المجازفة باصدار احكام القيمة مشددا في نفس الاتجاه على ديناميةوانتعاش الحركة الثقافية في المغرب رغم تكريس مجموعة من التقاليد المناوئة لواقع خصوصية وتالق الابداع المغربي في هذا السياق. ولاشك في ان الاحكام المبتسرة التي تتخلل الحديث عن بنية الثقافة المغربية من قبيل: «حالة الازمة» و «الفراغ» وهلم جرا، هي مجرد تسميات لتعميمات جزافية تلقى على عواهنها في غياب مقاربة علمية لتلك البنية ولما يكتنفها من تحولات صميمية. وانها لمفارقة غريبة ان تسلط الاضواء على ادباء امريكا اللاتينية ومنشقي المعسكر الشرقي فيما يقبع كتاب مغاربة كبار في مناطق الظل تحت طائلة الاقصاء المتعمد... انه منطق مرفوض وليس له اي مسوغ موضوعي، والحالة هذه فان الممارسة النقدية الواعية تقتضي - في تصور محمد زفزاف - تصحيح هذا الوضع علما بان الادب العربي في المغرب والمشرق قد تجاوز عمليا اطار المحلية، واخذ يتبوأ راهنا وضعه الطبيعي كادب عالمي بصرف النظر عن اي اعتبارات سياسية ضيقة ومغلوطة يتم اقحامها لتجريده من صبغته الكونية، كالذي حدث مع الروائي الكبير نجيب محفوظ.

محمد زفزاف

من المفارقات ان يبقى كتاب مغاربة كبار في مناطق الظل!

مثلا. «فعندنا كتاب وروائيون عرب كبار يستحقون جائزة نوبل ولا ينتظرون تزكية من الغرب» يقول زفزاف بلهجة محتدة.

- وفي رد على المحور الثاني اكد الكاتب انه عرض للموضوع في حوار خص به مراسل جريدة الاتحاد الاشتراكي، وشدد على ان الانتقال الى عتبة الكتابة السير ذاتية انطباع لا يخامره في اللحظة الآنية، وربما لم يتحقق الوازع الذاتي بعد لخوض غمار هذه التجربة المؤجلة. وانتقل الكاتب، في رصد مفصل للمحور الرابع، الى الاقتضاءات النظرية التي تشرط موقفه النقدي من قضية «الحداثة»، وما تطرحه من اشكالات على مستوى المفهوم والخطاب. وخلص الى ان البعد الزمني - التداولي الذي غالبا ما يتم بمقتضاه تصنيف الابداع الى «حداثي» و«لا حداثي» بعد زائغ وغير اجرائي. وهو الى جانب تصوره المفاهيمي لا ينسجم مع كينونة الفن الابداعي ذاته بما هو فعل مكسر لدورة الزمن، ومتمرد على كل اجراء تنميطي. وفي ضوء هذا الاحتراز النظري ذاته يصير ممكنا فهم راهنية ابي حيان التوحيدي وابن المقفع والمتنبي، في فضاء الثقافة العربية المعاصرة. وهذا موقف - يضيف زفزاف - ذو طبيعة نظرية بحتة ولا صلة له مطلقا باي مماحكة سجالية مع ادونيس «الذي اعرفه والذي ساهمت شخصيا الى جانبه والى جانب غيره من الكتاب والمبدعين في اثراء مواد مجلة «مواقف» اواخر الستينات» ومن جهة اخرى ابدى الكاتب تحفظه من مفهوم «التجريب» الذي تتداوله بعض الاقلام مقترحا استبداله بمفهوم «الادب المغاير»، معتبرا ايضا ان التسمية استراتيجية تحددها طبيعة النسق الابداعي خارج الثرثرة الكلامية المجانية، ومعلنا في سياق اخر انه تلقى دعوات متكررة للكتابة في منابر مشبوهة ولا يعرفها وان موقعه كاديب معروف يعصمه عن الانزلاق في تلك الاحابيل: «فانا على مشارف الستين واريد ان اذهب شريفا» يقول زفزاف تحت وابل من تصفيقات الحضور. وفي معرض رده على سؤال حول مغزى إلحاح محمد زفزاف على ان «يكون الساسة قراءا» وحول ما اذا كانت هناك خلفية نظرية تقصد انسنة السياسة وافراغ الادب من واقعه السياسي»، اوضح الكاتب ان القراءة مطلب الزامي وضروري لا مندوحة عنه.

وهو مع ذلك لا يفهم كيف لا تكون الثقافة والادب طقسا اساسيا من طقوس الحياة السياسية المغربية. وتلك ايضا معضلة المخرجين السينمائيين المغاربة في علاقتهم بالادب المغربي وبالسيناريوهات القصصية الجادة. انها مفارقة اخرى تضاف الى سلسلة المفارقات الشاذة في مشهدنا الثقافي، وتكرس الغاء الاصوات الابداعية المغربية المتميزة من ساحة الكتابة السينمائية الوطنية «فالمخرجون تقنيون ولا يقراون بخلاف نظرائهم الغربيين، وهذا واقع يؤسف له».

- وحول المحور السادس المتعلق بمسالة التطبيع، اوضح محمد زفزاف انه يناهض التطبيع وان مصر العربية تشهد حملة واضحة حول قضية التطبيع الثقافي، ومن المؤكد ان الكتاب المصريين الشرفاء والشعب المصري عامة، يرفضون التطبيع مع اسرائيل. اما تلك الشائعات الرائجة حول تجريد الشاعرين البياتي والجواهري من الجنسية العراقية اذا كانت صحيحة، فهي في نظر الكاتب محمد زفزاف، شيء مرفوض لضرورة احداث فصل اجرائي بين محفل السياسة ومحفل الابداع. فالجواهري «شاعر كبير قلما تجود العراق بمثله» والبياتي شاعر له حضوره الشعري باعتباره احد العاشقين - ابداعيا - لقضايا الامة العربية. وكل إجراء يهدف الى سلبهما الجنسية العراقية لا يكون الا اجراءا اخرق لا سيما اذا كان مناط الاتهام مجرد المشاركة في لقاء شعري عربي!

لكراري عبد الباسط

Scanné avec CamScanner